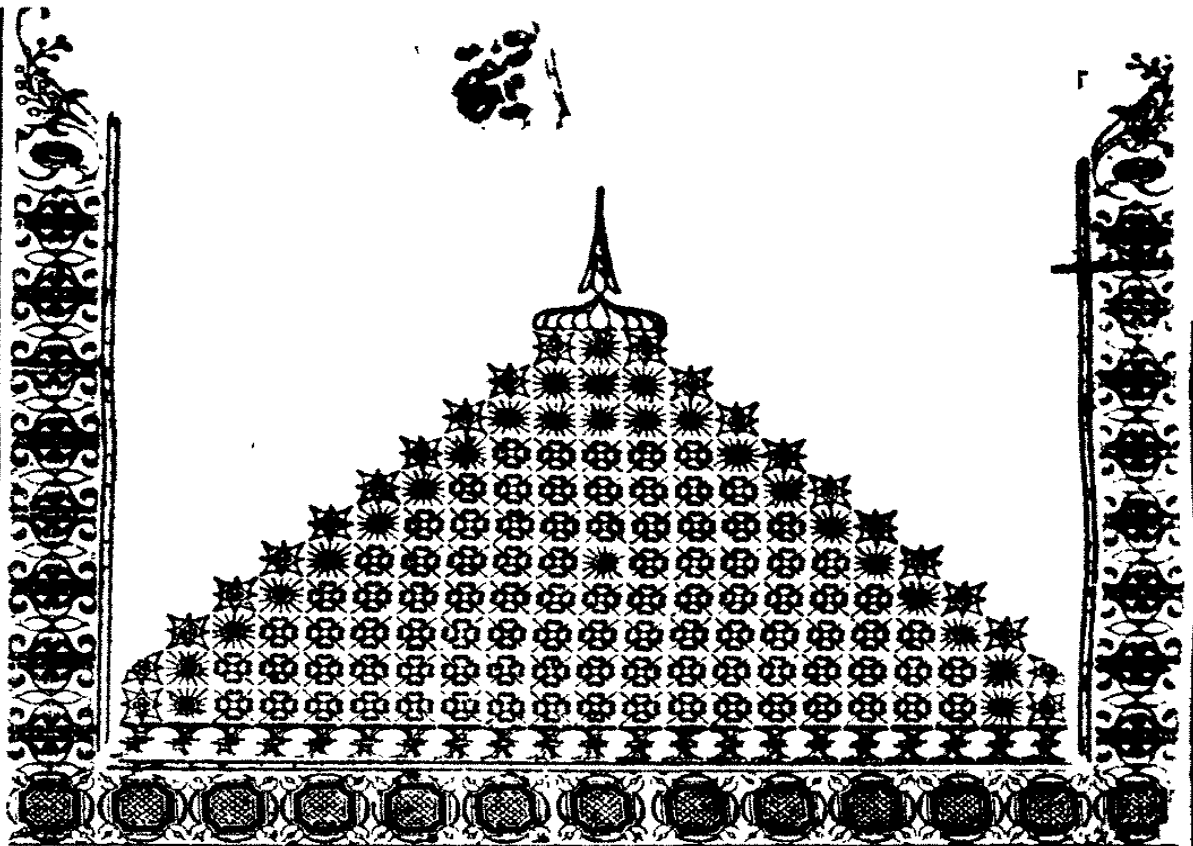


المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للشيخ
الامام والعلامة الهمام ضياء الدين
أبي الفتح نصر الله بن محمد بن
محمد بن عبد الكريم
الموصلى الشافعى
وجهه الله
آمين

A 0927



بسم الله الرحمن الرحيم

نأل الله ربنا أن يبلغ بنانا من الحمد ما هو أهله وأن يعلمنا من البيان ما يقصر
عنه منزلة الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب إليه أن يوفقنا
للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسول الله الذي هو أفصح من نطق بالاضاد ونسخ هديه
شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابرو صبر
ومنهم من آوى ونصر (وبعد) فإن علم البيان لتأليف النظم والمترنزة أصول
الفقه للاحكام وأدلة الاحكام وقد ألف الناس فيه كتباً وجليوا ذهباً وخطبوا
وما من تأليف الا وقد تصفحت شينيه وسينيه وعلمت غنمه وسينيه فلم أجده ما ينتفع
به في ذلك الا كتاب الموازنة لابي القاسم الحسن بن بشر الاعمدي وكتاب سر
الفصاحة لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير أن كتاب الموازنة أجمع
أصولاً وأجدي محصولاً وكتاب سر الفصاحة وان به فيه على نكت منيرة
فانه قد أكثر مما قل به مرة مدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها
ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها بما لا حاجة الى أكثره ومن الكلام
في مواضع شذ عنه الصواب فيها وسيرديان ذلك كما في مواضع من هذا

الكتاب ان شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملنا من هذا العلم أبوابا
 ولربما ذكرنا في بعض المواضع قسورا وتركنا بابا وكنت عذرت على ضروب كثيرة
 منه في غضون القرآن الكريم ولم أجدها أحدا ممن تقدمني تهتمت لذكر شيء منها
 وهي اذا عذرت كانت في هذا العلم عدا شطاره واذا نظرت الى فوائدها وجدت
 محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشفعتها بضروب آخر مدونة في الكتب
 المتقدمة بعد أن حذف منها ما حذفته وأضفت اليها ما أضفته وهذا في الله
 لا ابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ومنهني درجة الاجتهاد التي لا تكون
 أقوالها تابعة وانما هي متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى
 غيره من الكتب (وقد بنيت) على مقدمة ومقالتين (فالمقدمة) تشتمل على
 أصول علم البيان (والمقالتان) تشتملان على فروعها فالأولى في الصناعة
 اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية ولا أدعي فيها الفقه من ذلك فضيلة
 الاحسان ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعدد مقطاته
 وتحصى غلطاته ويسىء بالاحسان ظنا لا كنه هو يابنه وشعره مفتون واذا
 تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع في اغرابه وليس له صاحب في الكتب
 فيقال انه من اخذانه أو من اترا به مفرد بين أصحابه ومع هذا فاني أتيت بظاهر
 هذا العلم دون خافيه وسمت حول حياه ولم أقع فيه اذا الغرض انما هو الحصول
 على تعليم الكمال التي به انتظام العقود وترصع وتخلب العقول فتضع وذلك شيء
 تحيل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر (واعلم) أي الناظر في كتابي أن مدار
 علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب
 وان كان فيما يليق به اليك أستاذ اذا ما ألت عما ينتفع به في فنه قبل لك هذا فان
 الدربة والادمان أجدي عليك نفعا وأهدى بصرا وسعها وهما يريانك الخير
 عيانا ويجعلان عسر لك من القول امكنا وكل جارية منك قلبا واسانا فخذ
 من هذا الكتاب ما أعطاك واستتب ما دامك ما أخطاك وما مثلي فيما مهدته لك
 من هذه الطريق الا كن طبع سبيقا ووضعه في عينك لتقاتل به وليس عليه
 أن يخلق لك قلبا فان حل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غايته • ما كل ماشية بالرحل شلال

وانرجع الى ما نحر بصدده فنقول أقام مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول

(الفصل الأول) في موضوع علم البيان موضوع كل علم هو الشيء الذي
يسئل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين
والفقيه يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام
والزبد والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الإنسان والطبيب يسأل
عن أحواله التي تعرض له من صحته وسقته وموضوع الحساب هو الأعداد
والحاسب يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والتسوية
وغير ذلك وموضوع التصو هو الالفاظ والمعاني والنحوي يسأل عن أحوالها
في الدلالة من جهة الاوضاع اللغوية وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم
وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يحتلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان
هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية وهو
والنحوي يشتركان في أن النحوي يتطرق في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع
اللفظي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان يتطرق في فضيلة تلك الدلالة وهي
دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء
التصور والاعراب ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم
مواقع اعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن هنا
غلط مفسرو الاشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية
وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة
(الفصل الثاني) في آلات علم البيان وأدواته اعلم أن صناعة تأليف
الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب أن
يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول فلان
النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة
فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن وملاك هذا
كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ومثال ذلك
كمثل النار السامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها ألا ترى أنه إذا لم يكن
في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً وكثيراً ما رأينا من غرائب الطباع
في تعلم العلوم حتى أن بعض الناس يكون له تعلم علم مشكل المالك صعب
الماخذ فإذا كاف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم تكس على عقبيه ولم يكن له فيه

نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء
أو في الهجاء دون المديح أو يجيد في المراثي دون التهاني أو في التهاني دون
المراثي وكذلك صاحب الطبع في المنثور هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد
كان على ما ظهر عنه من تنقيح المقامات واحدا في فنه فلما حضر ببغداد ووقف
على مقاماته قبل هذا استصلح لكتابة الانشاء في ديوان الخلافة ويحسن أثره فيه
فأحضر وكاف كتابة كتاب فأخجم ولم يجزئانه في طويله ولا قصيرة فقال فيه بعضهم
شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عشنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * أبلجه في بغداد بالخرس

وهذا مما يوجب منه وسملت عن ذلك فقلت لا يجب لأن المقامات مدارها
جميعها على حكاية تخرج إلى مخلص وأما المكاتبات فأنما بجزء لا ساحل له لأن
المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام وهي متجددة على عدد الانفس
ألا ترى أنه إذا خطب الكاتب المفلح عن دولة من الدول الواسعة التي يكون
لسلطانها سيف مشهور وسعي مذكور ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ
عشر سنين فإنه يدون عنه من المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها
أكبر من مقامات الحريري مجما لأنه إذا كتب في كل يوم كتابا واحدا
اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار إليها وإذا فحلت وغرلت واختير
الاجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم
ما أشتمت عليه من الغرائب والهجمات وما حصل في ضمها من المعاني المبتدعة
على أن الحريري قد كتب في أثناء مقاماته وقاعا في مواضع عدة فجاءه منحنطة
عن كلامه في حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذي لا نسبة له إلى باقي كلامه
فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات وإذا وقف عليها أقسم أن قائل
هذه ليس قائل هذه لما بينهم من التفاوت البعيد وبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد
ابن الخشاب النحوي رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريري رجل مقامات أي
أنه لم يحسن من الكلام المنثور وسواها وان أتى بغيرها لا يقول شيئا فانظر رأيها
المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل
ذلك قيل شيئا لأن نهاية لهما البيان والجمال * وعلى هذا فإذا ركب الله تعالى
في الإنسان طبعًا قابلا لهذا الفن فيفتقر حيثما إلى خمائة أنواع من الآلات

(النوع الأول) معرفة علم العربية من النحو والتصريف (النوع الثاني) معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب (النوع الثالث) معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضا (النوع الرابع) الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه (النوع الخامس) معرفة الاحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك (النوع السادس) حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوى كلامه (النوع السابع) حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والاولين بها ملك القرآن الكريم في الاستعمال (النوع الثامن) وهو مختص بالناظم دون النثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر * ولنذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم أن معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أقام علم النحو فانه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أجد في تعليم الخط وهو أقول ما ينبغي اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن من معزة اللعن ومع هذا فانه وإن احتج اليه في بعض الكلام دون بعض اضرورة الافهام فإن الواضع لم يخص منه شيئا بالوضع بل جعل الوضع عامما والا فاذ انظرنا الى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالافهام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شيء وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لكالمعنى مفهومه والفضلات كلها تجري هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما في السماء قدر راحة صاحب وقام القوم الا زيد فلزمت السكون في ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقفت الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال في الجرورات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدأ والخبر وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود تقيده وانما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معاني مختلفة ولنضرب لذلك مثالا نوضحه فنقول اعلم أن من أقسام الفاعل

والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه اذا لم يكن
نم علامة تبين أحدهما من الآخر والأشكال الامر كقولك ضرب زيد عمرو
ويكون زيد هو المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا والالا يفهم ما أردت
وعلى هذا ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل
ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه اذ يحتمل أن يريد به
التعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أى شئ منه أحسن ويحتمل أن
يريد به الاخبار بنفى الاحسان عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما أحسن زيدا
وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا معزى كلامه لانفراد كل قسم
من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة
النحو اذا كان ضابطا لمعاني الكلام حافظا له من الاختلاف * وأقول من تكلم
في النحو أبو الاسود الدؤلى وبسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت
ما أشد الحزن متعبة ورفعت أشد فظننا ما استفهمه فقال شهر ناجر فقالت
يا أبت انما أخبرتكم ولم أسألك فأنى على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال يا أمير
المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضحل فقال له
وما ذا لك فأخبره خبرا بنته فقال هلم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم
وفعل وحرف جاء المعنى ثم رسم له رسوما فنقلها الكوفيون في كتبهم وقيل ان
أبا الاسود دخل على زياد بن أبيه بالبصرة فقال انى أرى العرب قد خالطت العجم
وتغيرت ألسنتها أفتأذن لى أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده
ودخل عليه رجل فقال أيها الامير مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا
وخلف بنون مه ردوا على أبا الاسود فردوه فقال له اصنع ما كنت نهيته عنه
فوضع شيئا ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان
المهري فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو
ابن العلاء فزاد عليه ثم جاء بعده ما الخليل بن أحمد الازدى وتتابع الناس
واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك فهذا ما بلغنى من أمر النحو
في أول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادئ أمرها شئ يسير ثم يزداد
بالدرج الى أن يستكمل آخرها (فان قيل) أتماء لم النحو فلم اليك أنه يجب
معرفة لكن التصريف لا حاجة اليه لان التصريف انما هو معرفة أصل

الكامة وزيايتها وحذفها وابدالها وهذا الايضه جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب
لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رأيت سردا حالا يلزمه أن يعرف
الالف في هذه الكلمة زائدة هي أم أصلية لان العرب لم تنطق بها الا كذلك
ولو قالت من رد حاب غير الف ما جاز لا حد أن يزيد الف فيهما من عده فبقول
سردا حاف علم بهذا أنه أغما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا
نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها لان ذلك أمر خارج تقتضيه
صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك أنا نقول اعلم أنا لم نجعل معرفته
التصريف كعرفة النحولان الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا
لها فادرا على اللفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم الصوفانه يفسد ما يصوغه
من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أرى نال في ذلك المثال المتقدم
وأما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم يفسد عليه معاني كلامه وانما يفسد
عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسما في بيان ذلك في تحرير الجواب
فقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدللك بما ذكرته من المثال
المضروب فان ذلك لا يستعمل في الكلام فيه ألا ترى أنك مثبات كلامك في لفظة
سردا ح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الف زائدة هي أم أصلا لانها انقلت
عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله
من نقل اللفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما اذا أريد تصغيرها
أو وجهها والنسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل في حروف الكامة وزيايتها
وحذفها وابدالها يضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب
والطاعن ألا ترى أنه اذا قيل للحوى وكان جاهلا به لم التصريف كيف تصغير لفظة
اضطراب فانه يقول اضطرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذى تقتضيه صناعة
الحوى قد أتى به وذلك أن الحواة يقولون اذا كانت الكامة على خمسة أحرف وفيها
حرف زائد أولم يكن حذفته نحو قواهم في منطلق مطباق وفي بحمرش بحمر
فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم
زيدت فيها المعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة بحمرش فخماسية
لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم الحوى أن علماء الحواة انما قالوا
ذلك موهلات كالامتهم على تحقيقه من علم الصرف لانه لا يلزمهم أن يقولوا

قوله لأن الباء ليست الح الظاهر أن يقول لأن المذني مفرد غير زائد كما قال ابن مالك والمذني في الثاني الواحد همز يرى في مثل كالة لا بد

في كتب النحوي أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحوي شيئاً من التصريف لأن كلام من النحوي والتصريف علم منفرد برأسه غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ومحتاج إليه وانما قلت أن النحوي إذا استل عن تصغير لفظة اضطراب يقول ضطرب لأنه لا يخلو وأما أن يحذف من لفظة اضطراب الألف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الألف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي ليس بزائد فلذلك قلنا أن النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطرب فيحذف الألف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة وأما أن يعلم أن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذي كانت عليه وهو التاء فيقال ضطرب فإن هذا لا يعلمه إلا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه أنه يحتاج إلى علم التصريف أيضاً لا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال أنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكابر القراء السبعة قد را وانغمهم شأناً قال في معاني معاني بالهمزة ولم يعلم الأصل في ذلك فأخذ عليه وعيب من أجله ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف أن نافعاً لم يدرك العربية وكثيراً ما يقع أولو العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجاهل الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدماً ولا طعننا وهذه لفظة معاني لا يجوز همزها بإجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع تكون بهذا ألف الجميع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا تكون عيناً نحو سفاث وفي هذا الموضع غلط نافع راحة الله عليه لأنه لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن فعلة وذلك لأن أصل هذه الكلمة من عايش التي أصلها عايش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العينية فعلى تصح الياء نحو يعييش ثم تنقل حركة العين إلى الفاء فتصير يعييش ثم يبقى من يعييش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معييش به كما يقال مسير به ثم توث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا ينبغي لأصاحب هذه

الصناعة من النظم والنثر أن يسهل من علم العربية ما يصحني عليه بأعماله اللحن
الخطي "فإن اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي
ولاشك أن قلة المبالاة بالأمر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه
وقع فيه فيجهر بما يكون طامبا لا ترى أن أبانواس كان معدودا في طبقات العلماء
مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال في صفة النحر
كان صفري وكبرى من فواقعها • • • • • حيا بدر على أرض من الذهب

وهذا لا يصحني على مثل أبي نواس فإنه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه
في شيء لأنه أمر نقلي "يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبي
نواس صفري وكبرى غير جائز فإن فعله لا يجوز حذف الألف واللام منها
وإنما يجوز حذفه - ما من فعلي التي لا أفعل لها فهو حليلي إلا أن تكون فعل
أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الإضافة وعن الألف واللام فانتزعت كيف وقع
أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام في قوله
بالقائم الزامن المستخلف أطادت • • • • • قواعد الملك تحتها الطول

الآتي أنه قال أطادت والصواب اتطدت لأن التاء تبدل من الواو في موضعين
أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت افتعد
ومثله ما ورد في هذا البيت فإنه من وطد يطفد كما يقال وعد يعد فاذا بنى منه افتعل
قبل اتطفد ولا يقال أطاد وأما غير المقيس فقولهم في وجاء فجاء وقالوا تكلان
وأصله الواو لأنه من وكل يكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الأمثلة
قد أثبتت اليها ليعلم مكان الفائدة في أمثاله ما تنوقى على أني لم أجده أحدا من
الشعراء المقلين - سلم من مثل ذلك فاما أن يكون لحن لينا يدل على جهله بمواقع
الاعراب وأما أن يكون خطأ في تصريف الكلمة ولا أعني بالشعراء من هو
قريب • • • • • بد بزما تبا بل أعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله
كما لصتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس والمعصوم من
عصمه الله تعالى على أن الخطأ في التصريف أندرو قوعا من الخطأ في النحو لأنه
قلما يقع له كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في حروفها وأما النحو
فإنه يقع الخطأ فيه كثيرا حتى أنه يشذ في ظاهره في بعض الأحوال فكيف ساقبه
كقول أبي نواس في الأمين محمد ووجه الله

ياخير من كان ومن يكون • الا النبي الطاهر الميمون
فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه في شيء
وكذلك قال أبو الطيب المتنبي

أرأيت هـمة نافتى في ناقة • نقلت يدا سرحا وخفا مجرا
تركت دخان الرمث في أوطانها • طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكزمت ركبتها عن مبرك • تقعان فيه وليس مسكا ذفرا

فجمع في حال التثنية لان الناقة ليس اهما الاركبتان فقال ركبات وهذا من
أظهر ظواهر النحو وقد شئى على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل
بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم
قوم قواضع واعليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن
الشاعر لم يتظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما
وانما غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة
والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب
ان لم يكن حسنا الابان يقال جاء راكبا بالنصب لكان النحو شرطاً في حسن
الكلام وليس كذلك فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب
كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل
من الكلام المنشور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما
احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف والى فلك ادغام من
أجل اقامة الميزان الشعري (النوع الثاني) وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة
اللغة بمبادئ اول استعماله فيريد ان يعرف عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على
جيدها وورديتها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر ايضا مؤلف الكلام
الى معرفة عدة أسماء ما يقع استعماله في النظم والتلخيص اذا ضاق به موضع
في كلامه بايراد بعض الالفاظ فيه العدول عنه الى غيره ومما هو في معناه وهذه
الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقوانا الخمر
والراح والمدام فليت المسمى بهذه الاسماء شيء واحد واسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج
الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التعيين في كلامه وهي
اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناطقة وعلى

ينبوع الماء وعلى المطر وغيره إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة
تخصصها كي لا تكون مبهمة لانا إذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات
كثيرة من العين الناطرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع باراء هذا
الاسم وإذا قرنا إليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بأن تقول عين حسناء أو عين
نضاجة أو ملثة أو غير ذلك وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فهم)
من يشكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول إن ذلك
يخل بفائدة وضع اللفظة لأن اللغة انما هي وضع اللفاظ في دلالتها على المعاني
أي وضع الاسماء على السميات لتكون منبثة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك
لا بيان فيه وانما هو وضع البيان لكن طريق البيان أن يجعل أحدها المعنيين
في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا فإذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم
منه اللفظة الواحدة وإذا قلنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة
المقصودة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا
القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب إليه من يشكر
وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يدخله من
الخلل فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لاحد قبله
قول من قبلي وهو أنما قولك إن فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ
واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان
والتمهين (أما البيان) فقد وفي الاسماء المتباينة التي هي كل اسم واحد دل على
مسمى واحد فإذا أطلق اللفظ في هذه الاسماء كان بينا مفعوما لا يحتاج إلى
قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا في البيان
(وأما التمهين) فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات قطرا إلى
ما يحتاج إليه أرباب القصة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأي أن
من مهمات ذلك التمهين ولا يقوم به إلا الاسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد
دل على مسمى فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يجاذبه جانبان
يترجح أحدهما على الآخر وبيانه أن التمهين يقتضي بوضع الاسماء المشتركة
ووضعهما يذهب بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فإن وضعها الواضع
ذهب بفائدة البيان وإن لم يضع ذهب بفائدة التمهين لانه ان وضع

استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب
من فائدة التصيين فترجع حينئذ جانب الوضع فوضع (قلن قبل) فلم لا تنسب
الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى واضع واحد (قلت) في الجواب
هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدعوع من وجهين أحدهما ما قدمت القول فيه
من الترجيح الذي سوغ للواضع أن يضع الآخر أن يرى أنه قد ورد من الجموع
ما يقع على مسعين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذي هو كعب الرجل وجمع
كعبة وهي البنية المعروفة وإذا أطلقنا اللفظ قلنا كعاب من غير قرينة لا يدري
ما المراد بذلك أ كعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن
واحد كقوله هم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهي الكف وكقوله هم عقاب
وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة أيضا وفي اللغة من هذا شيء كثير وهو
بالاجماع من علماء العربية أنه لم يحرف فيه خلاف بين القبائل فأتضح بهذا أن
الاسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) أن الواضع انما وضع المفرد
من الالفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) في الجواب أن الذي وضع المفرد هو
الذي وضع الجمع لأن من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر
والمؤنث والمفرد والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى وإذا
أخل بشئ من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك
أن واضع الجمع غير واضع المفرد كان ذلك قد خافى الواضع الثاني اذ جاء بالابهام
عند لطلاق اللفظ لأنه جمع كعبة التي هي البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا
لفظ مشترك مبهم عند الإطلاق ولا فرق بين أن يضعه الواضع الاول أو واضع ثان
فإن الابهام حاصل منه • وكان قاضى بعض الفقهاء في قوله تعالى في سورة
البقرة صفرا فاقع لونهم انهم انسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر
هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادلة غير عارف ويهزو
ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذري فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذي هو
الاصفر لا يخفى في دلالة على الاسود من وجهين اما أنه من الاسماء المتباينة
التي يدل كل اسم منها على معنى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك
واما أنه من الاسماء المشتركة التي يدل الاسم منها على معنيين فصاعدا ولا يجوز
أن يكون من الاسماء المتباينة لانراة متباينين لونين أحدهما هذا اللون

الزعفراني الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الاسماء
 المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة تركه فلا بد له من قرينة تخصه باللون
 الزعفراني دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من
 صفات اللون الزعفراني خاصة لانه قد ورد للالوان صفات متعددة لكل لون منها
 صفة فقبل ابيض يقق واسود حالك واحمر قان واصفر فاقع ولم يقل اسود فاقع
 ولا اصفر حالك فلم حينئذ ان لون البقرة لم يكن اسود وانما كان اصفر فلما تحقق
 عند ذلك الفقيه ما اشرت اليه اذن بالتسليم (واما النوع الثالث) فهو
 معرفة امثال العرب واما هم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة
 بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الامثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن
 استعماله كما ان من الفاظهم ايضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من
 كتاب الامثال للميداني او رافا خفيفة تشقل على الحسن من الامثال الذي
 يدخل في باب الاستعمال وسيل المتصدي لهذا الفن ان يسلك ما سلكته وليعلم
 ان الحاجة اليها شديدة وذلك ان العرب لم تضع الامثال الا لاسباب اوجبتها
 وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة التي
 يعرف بها الشيء وايس في كلامهم اوجز منها ولا أشد اختصارا وبسبب ذلك
 ما ذكره لك لتكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جعله
 أمثاله ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر
 المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا ان بني ثعلبة بن سعد بن ضبة
 في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت
 طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس
 فراضوا برجل جعلوه حكما فقال واحد منهم ان قومي يغيثون على فقال الحكم
 ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم ان قول
 القائل ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر اذا اخذ على حقيقة من غير
 نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد
 أعطاه المثل وذلك ان المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين
 الناس معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جازا يراد به هذه اللفظيات
 في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم

من قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ماذا كرهناه من المعنى
المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لائق البقي هو الظلم والقهر
ليس من شأنه أن يظلم أحداً فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك
القمر وهذا كلام محتمل المعنى ليس يستقيم فلما كانت الامثال كل رموز
والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثفه
اختصاراً ومن أجل ذلك قيل في هذا المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل
عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بعرفتها (وأما أيام العرب) فانها
تتنوع وتتشعب فمنها أيام غفار ومنها أيام محاربة ومنها أيام مغفرة ومنها غير
ذلك ولا يخلو الناطم والناظم من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال
شيهاً يوم من تلك الايام ومما ثلله فاذا جاء به **ك**ر بعض تلك الايام المناسبة
لمراد الموافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرواق هذا
لاخفاه (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال
في الاشتباه اذ بها وسأبين لك نسبة هذه منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها فمن ذلك
انه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحديبية تحت الشجرة وكان
أرسل عثمان رضي الله تعالى عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان
وشمالى خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يهـ قد البر
براً حتى يلحق الغيث بالحدود ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فزنة الغائب
بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا ثابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
يمين عثمان ومن ذلك أنه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدعى
أبا موسى الأشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي
فخشي الى يرفأ مولى عمرو سألته عما يروح عنده ويثفق عليه فأشار الى خشونة العيش
فخشي وابس جبسة صوف وعمامة دسما وخفما مطبقا وحضر بين يديه في جملة
العمال فحرقه وصدده فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا
موسى الأشعري به وقد استعملت أنا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان
الخليفة فقلت واذا استعنت بأحد على عملك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترص
بما عرفته من مسد له حاله فان الاحوال تتقل بنقل الاجساد واياك ان تخدع

صلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانتظر كيف فعلت في هاتين
 القصتين وكيف أوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض أنت على هذا التهج
 فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي
 الشيباني رحمه الله عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان
 الخلافة ببغداد في سنة احدى وسبعين وخمسائة ورضي عنه ما أبلاه في خدمة الدولة
 من فتح الديار المصرية ومحو الدولة العلوية واقامة الدعوة العباسية وشرح فيه
 ما قاله في الفتح من الاحوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفي فيه
 الخطابة حقها الا أنه أخل بشئ واحد وهو أن مصر لم تفتح الا بعد أن قصدت من
 الشام ثلاث مرات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله
 عليه وسلم مكة فانه قصد حزام الحديبية ثم سار اليها في عمرة القضاء ثم سار اليها
 عام الفتح ففتحها وقد سألني بعض الاخوان أن أنشئ في ذلك كتابا الى ديوان
 الخلافة معارض للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله فأجبتة الى
 سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جعلتها
 ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت من أُمير ومنكم
 أمير فرد الدعوة العباسية الى معادها وأذكر المنابر ما نسبته به من زهو وأهواها
 وكانت أخرجت منها الخراج النبي صلى الله عليه وسلم من قرينته وقذف الشيطان
 على حقه ما يخاله وعلى صدقه ما يغويه ثم طوتم اللبالي طي السجل للكتاب وكثر
 عاينها مرور الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب ولم يعدها الى وطنها حتى
 تغربت لها الارواح عن أوطانها ومهرت لها أجفان السيقوف مهر العيون عن
 أجفانها وتطاردت الاراء في تسهيل أمرها قيل مطاردة أقرانها وحق
 تقدمتها غربات ثلاث كاهنات غروب وكل خطاب من خطوبها ذو خطوب
 الى أن تمحض لها عن صبحه وأصبحت في الاسلام كعام حديبية وعمرة قضائه
 وعام قصه وفي ذكر أخبارها ما يطبع الاسنة في رؤس الاقلام ويرهب سامعها
 ولم يزل شئ من مكروها وسوى الكلام ويومها للدولة هو اليوم الذي ارتخ فيه
 معادنصرها وميعاد بشرها فاذا عدت لياليها اليها كانت كسائر الليالي وهذه
 ليلة قدورها فهذا فصل من فصول الكتاب فانتظر كيف ماثلت بين الفتح المصري
 وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الانصاري حيث قال بعد وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر
 وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة مشهورة
 فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضي الله عنه بل نحن
 الامراء وأنتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول
 ومركزه الذي عليه يدور (وعجبت) من عبد الرحيم بن علي البدياني مع تقدمه
 في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن
 زياد البغدادي كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف الملقب بدم
 ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضعه فصولا تشتمل على أمور أنكرت
 عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك
 الناصر وذلك لقب هو لا أمير المؤمنين خاصة فانه الامام الناصر لدين الله فلما
 وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجده فيه
 مغلزا الا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب
 باقي الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثاثة ~~ككقوله~~ ما يستصلحه
 المولى فهو على عبده حرام وشيأ من هذا النسق وكان الالقي والاحسن أن يحجج
 بحجة فيه اروح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة * وحضر عندي في بعض الايام
 بعض اخواني وجرى حديث ذلك فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا
 الفصل فذكرت ما عندي وهو قد علم أن الانبياء والخلفاء خصائص يختصون
 بها على سائر الحكماء افراد وليس لاحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة
 الانداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه
 ومن جملتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا موقوف لامير
 المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه
 بسمة نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والاسماء ثم استمرت عليها
 الايام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر في أيام
 الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته أنت فيها غير مراقب لمزية التعظيم
 ولا فارق بين فسحة التحليل وحرج التحريم والشرع والادب يحكم أن عليك
 بأن تلقى ما فرط منك بالمتاب ولا تحوج فيه الى التقرير الذي هو أشد العتاب
 ومثلك من عرف الحق فأمسكه بيده ونسخ اغفال أمسه باستئناف التيقظ في غده

والله قد رفع المؤاخذه عن أئمة الشيء خطأ لعمداً وقبل التوبة عن أخذ على نفسه بالاخلاص عهداً * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي وجعلته شاهداً على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن يأتي به مع أنه كان كاتباً مطلقاً أرتضى كتابته ولم أجد في متأخرى العراقيين من يماثله في هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فإن في ذلك فوائد جمة لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم وإلى أين ترامت به صنعة في ذلك فإن هذه الاشياء مما تشهد القرينة وتذكر القنينة وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بما تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضاً فإنه إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فإن بعضها لا يكون عالياً على بعض أو منخبطاً عنه إلا بشيء يسير وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الاتيان بالمعاني حتى أن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع يلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينه مما من غير علم منه بما جاء به الأول وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الخافر على الخافر وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا إن شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فأنما أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج إليه الكتاب في تقليدات الملوك والأمراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وأيضاً فإنه قد يحدث في الإمامة حادث في بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الإمامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذي كان قبله عهد به إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الإمامة اثنين أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا اماماً واهم غير كامل الشرائط التي تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير مازكرناه فختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه أن يكتب كتاباً في أمره إلى الاطراف المخالفة له وإذا لم يكن الكاتب

عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو
 رخصة في ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسانا يعنى بهذا القول
 أن يكون الكتاب مقصورا على نفسه محض فقط لا نالوا أردنا ذلك لما كنا محتاج
 فيه الى كتب كتاب بلاغ بل كنا اقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه
 عوضا عن الكتاب وانما قصدنا أن يكون الكتاب الذى يكتب فى هذا المعنى
 مشتملا على الترغيب والترهيب والمساحة فى موضع والمهاققة فى موضع مشهورنا
 ذلك بالنسبة الشرعية المبرزة فى قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكتاب
 الصائبي فى الكتاب الذى كتبه عن عزالدولة بختيار بن محمد عزالدولة بن بويه
 الى الامام الطائع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب التى تكتب فى هذا
 الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه
 الصناعة ينبغى له أن يكون عارفا بذلك لان فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه
 بالآيات فى أمما كنها اللاتقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام
 بذلك من الغضامة والجزالة والرونق ومنها أنه اذا عرف مواقع البلاغة
 وأمرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذ بهجرا يسخر منه الدرر
 والجواهر ويودعها مطاوى كلامه كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات
 وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة فى استعمال أفانين الكلام فعليك أيها
 المتوشح اهذه الصناعة بحفظه والقصص عن سره وغامض رموزه وإشاراته فانه
 تجارة لن تبور ومنبع لا ينفور وكثير يرجع اليه وذخيرة قول عليه (وأما النوع
 السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج الى استعماله فان الامر فى ذلك
 يحرى مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه (وأما النوع
 الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون النثر وذلك معرفة العروض وما يجوز
 فيه من الزخاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسانا نوجب عليه المعرفة
 بأن لا ينظم بعلمه فان النظم مبنى على الذوق ولو نظم بقطيع الافاعيل لجاء شعره
 متكلفا غير مرضى وانما أريد لاشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبوع من
 بعض الزخافات ويكون ذلك جائزا فى العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان
 الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضا يحتاج
 الشاعر الى العلم بالقوافى والحركات ليعلم الروى والردف وما يصح من ذلك

وما لا يصح فاذا أكل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع
محبب وقريحة مواتية فعليه بالنظر في كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه
من حقائق علم البيان ونبهتنا عليه من أصول ذلك وفروعه على أن الذي ذكرناه
من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاج إليه الخطيب والشاعر ومعرفة
ضرورية لا بد منها وههنا أشياء أخرى كالتواضع والروادف وبالجملة فإن
صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج
إلى معرفة ما تقوله المنادية بين النساء والمباشطة عند جلوة العروس وإلى ما يقوله
المنادي في السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا والسبب في ذلك أنه مؤهل
لأنه في كل واحد فيحتاج أن يتعلم بكل فن

(الفصل الثالث في الحكم على المعاني) وقائدة هذا الفصل الاحاطة
بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر إلى هذا
الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسري
الاشعار فانهم به أعنى * واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر اللفظ
ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من
لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا
لا بد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم
عليه السلام أنه قال إذا أردت أن تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك فالظاهر من
هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك هم قلبك
وتتبع أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي
تخطر له بإغلاق الباب وهذا يحتاج إلى دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالعنى
المجول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره إلى
التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا
فانه قد يأخذ بعضهم وجهها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارة قوة تميزه على غيره
من الوجوه القوية فان السيف يضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهم إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراحة حده * مثل الجبان يكف كل جبان
وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل إلى شيء غير مرضى فقال التفسير

بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل اظهاري باطن اللفظ
 كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذارقبت
 وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك
 أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الاول لان قوله التفسير بيان وضع اللفظ
 حقيقة لاستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا
 لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار اليها بالرقبة وتفسيره
 بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمي
 التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع
 يقال آل يؤل اذارجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل
 تفسير وليس كل تفسير تأويل ولا هذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر
 وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره الى التأويل لانه
 أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام أما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل
 غيره وأما أن يفهم منه الشيء وغيره وتلك الغيرة أما أن تكون ضداً أو لا تكون
 ضداً وليس لنا قسم رابع فالاول يقع عليه أكثر الاشعار ولا يجري في الدقة
 والطلاقة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جداً
 وهو من أطرف التأويلات المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من
 دلالة على المعنى وغيره مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وسلم
 صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد
 الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد
 الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر أن مسجد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أي ان صلاة واحدة
 فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد
 الباقية فان ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي
 صلى الله عليه وسلم أيضاً من كلام النبوة الاولى اذالم تستخ فاصنع ما شئت
 وهذا يشتمل على معنيين ضدّين أحدهما أن المراد به اذالم تفعل فعلا تستحي منه
 فافعل ما شئت والاخر أن المراد به اذالم يكن لك حياء منزعك عن فعل ما يستحي
 منه فافعل ما شئت وهذا معنيان ضدان أحدهما مدح والاخر ذم ومثله

ورد في الحديث النبوي أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذنبا أما المدح فالمراد به أنه لا ينساق الدليل عن القرآن فيكون القرآن متوسدا معه لم يتجدد به وأما الذم فالمراد به أنه لا يحفظ من القرآن شيئا فإذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذا التاويلان من الازدواج وكثيرا ما يرد أمثال ذلك في الأحاديث النبوية ويجري على هذا المنهج من الشعر قول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا • لمن بات في نعماته يتقلب
وهذا البيت يستخرج منه عنيان خندان أحدهما أن المزم عليه محمد المزم
والآخر أن المزم محمد المزم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يمدحه
فان قلت ما أملت منك فرجما • شربت بناء بهجزا الطير ورده
فان هذا البيت يحتمل مدحا وذنبا وإذا أخذ بقدره من غير نظر إلى ما قبله فانه
يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر
البيت مفتوح بان الشرطية وقد أجيب بلفظة رب التي معناها التقليل أي است
من نوالك على يقين فان نلته فرجما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده
واذا نظر إلى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله
وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة أولها
هدوك مذموم بكل لسان • ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في عسلاك وانما • كلام العدا ضرب من الهذيان
ثم قال

تخالك تعنى بالاسنة والقنا • وجدك طعان بغير سنان
فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجدة
وسعادة وهذا الافضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها
وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات (وحكى)
أبو الفتح بن جني قال قرأت على أبي الطيب ديوانه إلى أن وصلت إلى قصيدته التي
أولها • أغالب فيك الشوق والشوق أغلب • فأثيت منها على هذا البيت وهو
وما طرب لي لما رأيته بدعة • لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب
فقلت له يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبارنة فضحك لقولي وهذا القسم

من الكلام يسمى الموجه أى له وجهان وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن
 تأنيده * وأما القسم الثالث فإنه يكون أكثر وقوعاً من القسم الثانى وهو واسطة
 بين طرفين لأن القسم الاول كثير الوقوع والقسم الثانى قليل الوقوع وهذا
 القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم
 فان هذا وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقى الذى هو معروف
 والاخر هو القتل المجازى وهو الاكباب على المعاصى فان الانسان اذا اكب
 على المعاصى قتل نفسه فى الآخرة ومن ذلك ما ورد فى قصة ابراهيم وذبح
 ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكايه عنه وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين
 رب هب لى من الصالحين فبشرناه بسلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى
 انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى
 ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ونادى ناه أن يا ابراهيم قد صدقت
 الرؤيا انا كذلك فمجزى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد نناه بذبح عظيم
 وتركنا عليه فى الآخرة من سلام على ابراهيم كذلك فمجزى المحسنين انه من عبادنا
 المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا
 من الصالحين قد يكون بشارته بنبوته بعد البشارة بعباده وقد يكون استئنافاً
 بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين
 الامرين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد فى القرآن ما يدل على أن
 الذبح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد فى الاخبار التى صحت
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما يروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين
 فخارج عن الاخبار الصحيحة وفى التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح
 ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم لا زواجه أطول لكن يدا أسرعكن
 لحوقا بى فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن
 آيتهن أطول يداهن كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمنا
 حينئذ أنه لم يرد الجارحة وانما أراد الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين
 المشار اليهما ومن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء
 لم أفعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما وصف

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يحبه والاخراته وصف
 نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كأنه متفطن لما في نفس رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيفعله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ما ورد
 في الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم
 اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الاول أنه دعا عليه بالزمانه لانه
 اذا زمن لا يستطيع أن يعيش على الارض فينقطع حيثئذ أثره الوجه الثاني أنه
 دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن
 لا يكون له أثر من الاثر مطلقا وهو أن لا يفعل فعل لا يبقى أثره من بعده كأنما
 ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك ونظرت الحرورية برجل فقالوا له
 ابرأ من علي وعثمان فقال انا من علي ومن عثمان أبرأ فهذا يدل على معنيين
 أحدهما أنه برئ من عثمان وحده والاخر أنه برئ منهما جميعا والرجل لم يرد
 الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكي عن عبد المسيح بن بقبيله لما نزل بهم خالد
 ابن الوليد على الحيرة وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقبيله فلما مثل بين يديه
 قال أنعم صبا حاياها الملك فقال له خالد قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام
 عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر رأيي قال فن أين خرجت قال
 من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الارض قال فقيم أنت قال في ثيابي قال
 ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خاله ما رأيت كاليوم قط أنا أسأله عن الشيء
 وهو يخوفني غيره وهذا من توجيه الكلام على غلط حسن وهو يصلح أن يكون
 جوابا لخالد عما سأل ويصلح أن يكون جوابا لغيره عما ذكره عبد المسيح بن بقبيله
 وقد ورد في التوراة أن لا يؤكل الجدي بلبن أمه وهذا يحتمل التحريم في وجهين
 أحدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدي بلبن أمه خاصة واذا أكل
 بلبن غير ابن أمه جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذه أحد من اليهود
 والوجه الآخر وهو الذي يؤخذه عند اليهود جميعهم أن أكل اللحم باللبن حرام
 كما أنما كان من اللحوم الاطاففة منهم يسمون القرابين فانهم تأولوا فأكلوا
 لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات الالبان والطيور
 من ذوات البيض لا من ذوات الالبان وما يجري على هذا النهج ما يحكي
 عن اخلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض الاطباء أنه أراد ان لطف

المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حيث ذوالا ضربا عنه دواء وذهب
آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشير بذلك
الى مذاق الطبيب في أوقات علاجه ومثله في الشعر قول الفرزدق

اذا جعفر مرتت على هضبة الحى • فقد أخذت الأحياء منها قبورها
وهذا يدل على معنيين أحدهما ذم الأحياء والاخر ذم الاموات أما ذم
الأحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم تلاقوا قتالهم وقوما آخرين
فقتل الأحياء منهم وأسلوهم أو أنهم استجبدوهم فلم يجبدوهم وأما ذم الاموات
فهو أن لهم محازى وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها الأحياء
ويلصقون بها بهم وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول اذا اصطكت قصائده • فى معشروبه عن معشر قصر
فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتبع مجاله بمدحك ويضيق بمدح
غيرك يريد بذلك ان ماثره كثيرة وما ترغيره قليلة والاخر أن الشعر يكون
ذا غر ونباهة بمدحك وذا انحول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصر
ويفهم منها التخمير من قولنا طال فلان على فلان أى غر عايله (وعا) ينظم بهذا
السلام قول أبي كبير الهذلي

عجبت لى الدهريين وبينها • فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسى الدهر سرعة تقضى
الافاق مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته فى السكون والبطء
الاخر أنه أراد بسى الدهر سى أهل الدهر بالغائم والوشايات فلما انقضى
ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف
اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أى أهل القرية • ومن الدقيق
المعنى فى هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي فى عضد الدولة من جملة قصيدته
التي أولها أوه بديل من قواى وأها فقال

لو فطنت خيلى لئنا لله • لم ير ضها أن ترام ير ضاها
وهذا يستنبط منه معنيان غير أن أحدهما أن خيلى لو علمت مدة عطاياه
النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لأن عطاياه أنفوس منها الاخر
أن خيلى لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تذكره خروجها

من ملكه وهذان الوجهان أنفذ كرتهما وانما المذكور منهما أحدهما وهذا
الذي أشرت إليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله
قوة على حملها على أشباهها وتطائرها

(الفصل الرابع) في الترجيح بين المعاني وهذا الفصل هو ميزان الخواطر
الذي يوزن به نقد درهمها ودينارها بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها
ولا يزن به إلا ذو فكرة متقدمة ولحمة منتقدة فليس كل من حمل ميزانا سمى صرّا قافا
ولا كل من وزن به سمى صرّا قافا والفروق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي
أن هنالك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وههنا يرجح بين جانبي فصاحة
وبلاغة في الفاظ ومعان خطائية وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي
يرجع بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا
الجرى وهذا لا يعرض إليه صاحب علم البيان لأنه ليس من شأنه ولكن الذي هو
من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين ويكون ناظرا
في ذلك كله إلى الصناعة الخطائية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي
في بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكذا قد قدمنا القول
في الحكم على المعاني وانقسامها ولنبين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين
وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الأول) من المعاني فلا تعلق للترجيح به
إذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الأوجهما واحدا فليس من هذا الباب في شيء
والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من
ثلاثة أقسام أما أن يكون اللفظ حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر
أو حقيقة فيهما جميعا أو مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح
بين الحقيقةين أو بين المجازين يحتاج إلى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز
فانه يعلم بديهية النظر لمكان الاختلاف بينهما والشبان المختلفان يظهر الفرق
بينهما بخلاف ما يظهر بين الشئيين المشبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوا شاهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا أما
الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا
هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف السكينة

عن المكفي عنه وقديس آل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والجهاز عن غير الجانب
 البلاغي ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه افظ الجلود عام فلا يخلو
 اما أن يراد به الجلود مطلقا أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الاعمال خاصة
 ولا يجوز أن يراد به الجلود على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة
 شهادة باطلة اذ هي شهادة غير شاهد والشهادة هنا يراد بها الاقرار بقول اليد
 انما فعلت كذا وكذا وتقول الرجل انما مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح
 الباقية تنطق مقرة بأعمالها فتخرج بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح
 واذا أراده الجوارح فلا يخلو اما أن يراد به الكل أو البعض فان أراده الكل
 دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان أراده البعض
 فهو بالفرج أخص منه بغسيرة من الجوارح لا من أحدهما أن الجوارح كلها
 قد ذكرت في القرآن الكريم شهادة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان
 حل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع الا أنه ليس في الجوارح ما يكره
 التصريح بذكره الا الفرج فكفى عنه بالجلد لانه موضع يكره التصريح فيه
 بالمسمى على حقيقته (فان قيل) ان تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب
 التفصيل كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة (قلت)
 في الجواب هذا القول عليه كلال لان النخل والرمان انما ذكر لتفصيل لهما
 في الشكل أو في الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة انما هي تعظيم لأمور
 المعصية وغير السمع والبصر أعظم في المعصية لان معصية السمع انما تكون
 في سماع غيبة أو في سماع صوت من مار أو وتر أو ما جرى هذا الجري ومعصية
 البصر انما تكون في النظر الى محرم وكلتا المعصيتين لا حد فيها وأما المعاصي
 التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم لان معصية اليد توجب القطع ومعصية
 الفرج توجب جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون
 السمع والبصر واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج
 خاصة (وأما مثال المعنيين) اذا كانوا حقيقيين فقول النبي صلى الله عليه وسلم
 التمسوا الرزق في خبايا الارض والخبايا جمع خبيثة وهو كل ما يخفى كائنا ما كان
 وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز الخبوءة في بطون الارض
 والاخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس أرجح لان مواضع الكنوز

لا تعلم حتى تلقى والنبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير
معلوم فبقى المراد بخبايا الارض ما يحترث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه
وسلم اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال وهذا الحديث مرخص في ترك صلاة
الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نهال الارض وهو ما غلظ منها
والآخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثاني لظهوره في الدلالة على المعنى وأكثر
العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد
تكون أرضه سهلة لا غلظ فيها (وأما مثال المعنيين المجازيين) فقول أبي تمام

قد بلونا أباسعيد حديثا * وبلونا أباسعيد قديما

ووردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بارضا وحيميا

فعلمنا ان ليس الا بشئ الا نفس صار الكرم يدعى كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما
الكثير والقليل بالنسبة الى الساحل والقليب والآخر أنه أراد بهما السبب
وغير السبب فان الساحل لا يحتاج في ورده الى سبب والقليب يحتاج في ورده
الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه
هو الثاني لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل
فالسلامة من هجسة التكرير بالخالفية بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل
على القليل والكثير لان البارض هو أقول التبت حين يبدو فاذا كثرت بكائف
سمى جميعا فكانه قال أخذنا منه تبرعا ومثله وقليل وكثيرا وأما مدح المقول
فيه فله عدة ادحالاته الاربع في تبرعه وسؤاله واكثره واقلاله وما في معاناة
هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغي بين الحقيقة والحقيقة
وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز (وهما) ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا
اليه اذ هو خارج عما تقتضيه المعاني الخطائية من جهة القصاحة والبلاغة وذلك
أن يرجح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا
لمعنى تقدمه أو تاخر عنه والآخر غير مناسب أو بأن يتطرق في الترجيح بينهما
الى شئ خارج عن اللفظ فثال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذى يدل
عليه لفظه ولا يتقدمه وأما المقدر فهو الذى لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه
بقريضة أخرى وتلك القريضة قد تكون من قواعده وقد لا تكون (فهما) جاء

من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في سائمة الغنم زكاة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما اتانم والآخرة تذرفالتام دلالة على وجوب الزكاة في السائمة لا غير والمقتدر دلالة على سقوط الزكاة عن المعالوفة إلا أنه ليس مفهوماً من نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هي كالتابعة له وهي أنه لما خصت السائمة بالذكر دون المعالوفة علم من مفهوم ذلك أن المعالوفة لازمة فيها وللفقهاء في ذلك مجاذبات جدلية بطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذي يترجح عندي هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذي يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله في الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جري بن كلب الفقيهي من شعراء الحجازة وقد خطب إليه ابن كوزا بنته فرده

تبني ابن كوز والسفاهة كاسمها * ليستاد منا ان سنونا لياليا
فلا تطلبنها يا ابن كوزفانه * غذا الناس مذقام النبي الجواريا
وهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فأن ابن كوز سال أيا هذه الجارية أن يرتوجه أياها في سنة والسنة الجذب فرده وقال قد غذا الناس البنات مذقام النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لو أدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يشترون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذقام النبي الجواريا أي في النساء كثيرة فتزوج بعضهن وخل ابنتي وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذي يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها إذا فرق بين انكاحك أياها وبين وأدتها وهذا ذم للمخاطب وهو معنى دقيق ومجيب المعاني المستخرجة من المفهوم قليل في الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة ليست من نوابجه فان ذلك أدق من الاول وألطف مأخذاً فمما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار إليهما فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرّض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين وأما المقدر فانه يدل على أنه من جعل قاضيا فقد أمر بمقارعة هواه وهذا لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة أخرى ولكنها ليست من نوابجه

ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الإطلاق ولا يخلو أما أن يراد
 به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة
 لأنه ليس كل قاض معذب في الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح بهم هذا أن
 المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو أما أن يكون العذاب صورة
 أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لأننا نرى الإنسان إذا جعل قاضياً لا يذبح
 ولا يناله شيء من ذلك فبقي أن يكون المراد به عذاباً معنوياً وهو الذبح المجازي
 غير الحقيقي وخفى ذلك أن نفس الإنسان مركبة على حبها فإذا جعل
 قاضياً فقد أمر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم بصديقه
 على مدونه ورفع الحجاب بينه وبين الناس والجلوس للحكم في أوقات راحته
 وغير ذلك من الأشياء المكروهة التي تشق على النفس وتجدد لها المأمور بها
 والذبح هو قطع الخلقوم والالم حاصل به وهو كالذبح الحقيقي بل أشد منه لأن الم
 الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقضى ويزول وألم قطع النفس عن هواها
 يدوم ولا ينقضى وهو أشد العذاب قال الله تعالى في عذاب أهل النار وحيل بينهم
 وبين ما يشتهون وقال في نعيم أهل الجنة وفيها ما تشتهى النفس وتاذ الأعين
 وكثيراً ما رأينا وسعنا من حبه شيء على اتلاف نفسه في طلبه وركوب
 الأهوال من أجله فإذا امتنع عنه مع حبه أياه فقد ذبح نفسه أي قطعها عنه
 كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقنا عن
 الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فسمى جهاد الكفار بالجهاد الأصغر وجهاد
 النفس بالجهاد الأكبر فكأن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك
 قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص
 بالوجه الآخر لا شتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الإطلاق
 (وأما) مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسباً للمعنى تقدمه أو لمعنى تأخر عنه
 والآخر غير مناسب فالأول وهو ما كان مناسباً للمعنى تقدمه كقوله تعالى لا تجعلوا
 دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فالدعاء ههنا يدل على معنيين أحدهما
 النهي أن يدعى الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعوا بعضهم بعضاً بأسمائهم
 وانما يقال له يا رسول الله أو يا نبي الله الآخر النهي أن يجعلوا حضورهم عنده
 إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأذون منه بأن

لا يفارقوا مجلده الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لمناسبة معنى الآية التي قبله
وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر
جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه وأما الثاني وهو ما كان مناسبا للمعنى تأخر عنه
كقوله تعالى والذين والذين والذين وطور سينين قالتين والذين هم هذا الشجر
المعروف وهما اسماء جبلين أيضا وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما وبين
ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر
في أبيات الحامسة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجدد * على انسان من الناس درهما
واكفى مولى قضاة كلها * فليست أباى أن أدين وتغير ما
فاذا نظرنا الى البيت الاول وجدناه محتمل مدحا وذما أى أنهم كانوا يغنون
بعطائهم أن يدين أو أنه كان يخاف الدين حذرا أن لا يقوم واعنه بوفائه لكن البيت
الثاني حقق أن الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهمه الا بالآخر
وأما الذى يكون الترجيح فيه بسبب شئ خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى
وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فهذا مستنبط منه معنيان
أحدهما أن الله يعلم السر والجهر فى السموات والارض وفى ذلك تقدير
وتأخير أى يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض الاخر أنه فى السموات
وأنه يعلم السر والجهر فى الارض من بنى آدم لان الوقف يكون على السموات
ثم يستأنف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم فى الارض الا أن هذا يمنع منه
اعتماد التجسيم وذلك شئ خارج عن مفهوم اللفظ

(الفصل الخامس فى جوامع الكلم) قال النبى صلى الله عليه وسلم
أوتيت جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم
فاعلة من جمعت فهى جامعة كما يقال فى المذكر جمع فهو جامع والمراد بذلك أنه
صلى الله عليه وسلم أوتى الكلم الجوامع للمعنى وهو عندى يتقسم قسمين
القسم الاول منها هو ما استخرجته ونبئت عليه ولم يكن لأحد فيه قول سابق
وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل
فى مكانها (فمن ذلك) ما يأتى على حكم المجاز ومنه ما يأتى على حكم الحقيقة
أما ما يأتى على حكم المجاز فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين الا أن حى الوطيس

وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بما جاز غير ذلك
 في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه حتى الوطيس
 والفرق بينهما أن الوطيس هو التذور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك
 يخيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حيزها وتوقدها وهذا لا يوجد
 في قولنا استعرت الحرب أو ما جرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت
 في نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها
 مقامها لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه لكن قريباً منه لا يدل على
 ما دل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما
 يحس الإنسان بنفس من هو إلى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر
 بعثت أنا والساعة كهاتين وجع بين اصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على
 قرب من الساعة أو الساعة قريبة مني لم يدل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة
 وهذا لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه لانه بين واضح وقد وردت من ذلك في أقوال
 الشعراء المفلحين ولقد تصفحت الأشعار قد عجزت عن وحدها وحفظت ما حفظت
 منها وكننت إذا مررت بنطري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه
 الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطرباً كطرب اللطائف وكثير من الناظمين
 والتأثرين يترعون على ذلك ولا يتقطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا
 فيه ويظنه كغيره من الالفاظ المستحسنه (فما) جاء من ذلك قول أبي تمام
 كم صارم غضب أناف على قفا * منهم لأعبا الوغى حال
 سبق المشيب إليه حق ابتزه * وطن النوى من مفرق وقدال
 فقوله وطن النوى من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولا يجاء بمثلاً
 في معناها مما يستمدتها وكذلك ورد قول البحتري
 قلب يطل على افكاره ويد * تمضي الأمور ونفس لهوها التعب
 فقوله قلب يطل على افكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لا تغلوه
 الافكار ولا تحيط به وإنما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالافعال وقله
 مبالاته بالخطوب التي تحدث أفكاراً تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى
 بمثلاً مما يستمدتها (وأما) ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي
 سقى الله أوطار النوا وما ربا * تقطع من أقرانها ما تقطعا

ليال تسمى الليالي حسابها • بلهنية أقضى بها الحول أجمع
سوى عزة لا أعرف اليوم باسمه • وأعمل فيه الله ومرأى ومسمعا
فقوله لا أعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أي التي قد شغلت بالذات
عن معرفة الليالي والأيام ولو وصف اشتغاله بالذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله
لا أعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثاني) من جوامع الكلام فالمراد به الإيجاز
الذي يدل به بالانفاظ القليلة على المعاني الكثيرة أي أن الفاظه صلوات الله عليه
جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها ووجلت كلامه جارها هذا المجرى
فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة به وسيمأتى في باب الإيجاز منه ما فيه كفاية ومقنع
(فان قيل) فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتم ما فانه ما في النظر سواء
(قلت) في الجواب أن الإيجاز هو أن يوثق بالفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد
على ذلك المعنى ولا يشترط في تلك اللفاظ أن لا تظهر لها فانه تكون قد انصفت
بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز وحيث يكثر يكون إيجازا وزيادة (وأما هذا
القسم الآخر فانه الفاظ أفراد في حسن النظر لها فتارة تكون موجزة وتارة
لا تكون موجزة وليس الغرض منها الإيجاز وإنما الغرض مكانها من الحسن
الذي لا تظهر لها فيه ألا ترى إلى قول أبي تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن
الرأس ولا شك أن الرأس أوجز لأن الرأس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان
الأن وطن النهى أحسن في التعبير عن الرأس من الرأس في بيان به إذا أن أحد
هذين القسمين غير الآخر

(الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن) قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها إذا وجدها والمراد بذلك
أن الحكمة قد يسهلها أهلها من غير أهلها كما يقال رب رمية من خير رام
وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع في كل علم والمطلوب منه ههنا هو
ما يخص علم البيان من فصاحة والبلاغة دون غيره ومذمومة هذا الخبر
النبوي جعلت كذا في تتبع أقوال الناس في مقاضاتهم ومحاوراتهم فانه
قد تصدر الأقوال البليغة والحكم والأمثال عن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستفدت
بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عددا وأنا أذكر منها طرقا يستدل بها على أشباهه
ونظائره فمن ذلك أني سرت في بعض الطارق وفي صحبتي رجل بدوي من الأسياط

لا يعتد بقوله فكان يقول غدا تدخل البلد وتستغل عني وكان الامر كما قال
فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم اتيني فقال لي من تروى قترت عظامه
وهذا القول من الاقوال البليغة وهي من الحكمة التي هي الضالة المطلوبة عند
مؤلفي الفصاحة والبلاغة ثم اني سمعت منه بعد ذلك شيئا يناسب قوله الاقل فاني
سافرت له الى صاحب في حلب في ثي أخذته منه فاستقله وقال الماء أروى لشدوق
النبي وهذا ايضا من الحكمة في بابها وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر
وكان في صحبي رجل يدعى فسألته عن مسافة ما بين تدمر وأرك فقال اذا خرج
مرحاهما تلاقيا فعبّر عن قرب المسافة بينهما بأبواب عزبارة وأبلغها ثم سألته ليلة
من الليالي عن الصبح لترتحل من موضعنا فقال قد ظهر الصبح الا أنه لم يملك
الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلمان
بدمشق فوقعته المرأة منه بموقع وشغف بها ثم اني سافرت عن دمشق لمهم عرض لي
وسافر ذلك الغلام في صحبي فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها
فسألته عن حاله فقال انما قد طالت وحسنت وهي كذا وكذا وأخذ يصفها
فقال أخ له ~~كان~~ حاضر ايام ولاي هي تلك لم تزد شيئا وانما هي في عينه جبار من
الجبارة وكذا القول قد ورد في بعض أبيات الحماسة وهو معدود من أبيات
المعاني

أهابك اجلا لا وما بك قدرة * على ولكن مل عين حبيبها

فكثيرا ما يصدر مثل هذه الاقوال عن السنة الجاهل * وسمعت ما يجري هذا
الجرى من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صبيغ الالفاظ
فضلا عما وراء ذلك وذلك أنه رأى صبيبا في يده طاقة ربحان فقال هذه طاقة
آمن تحمل طاقة ربحان فلما سمعت ذلك منه أخذتني هزة التجب وذكرت شعرا أبي
نواس الذي توأصفه الناس في هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن * في كفه المعنى خبانا

سجبت ربي حين أبصرتها * ربحانة تحمل ربحانا

وحضر عندي في بعض الايام رجل نصراني موسوم بالطيب وكان لا يحسن ان
يقول كلمة واحدة وهو ألقاب اللسان يسمى العبارة فسأته عن زيارة شخص وهل
يتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهديني الى باب من أوده وضوء النهار يضلني عن باب من لا أوده
وهذا من أطف المعاني وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة • وكنت قصدت زيارة
بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغنام الاجسام فسألتهم عن حاله وكان
نوال عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لي في الجواب ما معناه انه
لم يبق عندي ارتياح لوقوع غائبة من النواتب وهذا معنى لو أتى به شاعر مطلق
أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان • وكنت في سنة ثمان وثمانين
وخمسة مائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو والكافر من الفريق
الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان الى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين
فتعاقدوا على الحيلة الى نحو العدو فلما حلوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل
له في ذلك فقال الموت طعام لا تجشبه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنها
واذا هي صادرة عن رجل من أهل بصري فدم من الافدام ولو أخذت في ذكر
ما سمعته من هذا الاطلت وانما دللت بسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على
المصدق للشعر والخطابة أن يتبع أقوال الناس في محاوراتهم فانه لا يعدم مما
يسمعه منهم حكما كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لا يجزئه ويحكى عن أبي تمام
أنه لما نظم قصيدته البائية التي أولها

على مثلها من أدب و ملاعب • انتهى منها الى قوله

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل • كسسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال وأحسن من نور يفقه الصبا • ووقف عند صدر هذا البيت يرثيه واذا
سائل يسأل على الباب وهو يقول من يياض عطاياكم في سواد مطا البنا فقال
أبو تمام • يياض العطايا في سواد المطالب • فأتى صدر البيت الذي كان يرثيه من
كلام السائل وسمعت امرأة قد توفي لها ولد وهو بكرها الذي هو أول أولادها
فقال كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع في الكيس فأخذت أنا هذا المعنى
وأودعته كتابا من كتب في التمازي وهو كتاب كتبه الى بعض الاخوان وقد توفي
بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم آخرته في كيس الاتخار وأعد دته
لحوادث الليل والنهار ويبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن
الكتاب البغدادي وكان اماما في علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يقف على
حلق القصاص والمثعبذين فاذا أتم طلبة العلم لا يجدونه في أكثر أوقاته الا هناك

عليه على ذلك وقيل له أنت امام الناس في العلم وما الذي يبعثك على الوقوف بهذه
المواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما أعلم لما لمتم ولطالما استفتدت من هؤلاء الجهال
قوائد كثيرة تجرى في ضمن هذيانهم معاني غريبة لطيفة ولو أردت أنا أو غيري أن
أقنعهم لما استطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيته وتطرا إلى
ما نظرت إليه

(الفصل السابع في الحقيقة والجهاز) وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم
البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان في تصريف العبارات على الاسلوب الجهازي
قوائد كثيرة وسيرديانها في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد نبهنا
في هذا الموضع على جللتها دون تفصيلها فاما الحقيقة فهي اللفظ الدال على
موضوعه الاصل واما الجهاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة
وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالجهاز اذا سم
للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههم اوحقيقته هي الانتقال من
مكان الى مكان بفعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيدا
نسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جرتنا من الانسانية الى الاسدية
أي عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة وقد يكون
العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقوله في كتاب كليله ودمنه قال الاسد
وقال النعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما أجرى
عليه ما اتساعا محضالا غير ولهذا امثال في الجهاز الحقيقي الذي هو المكان الجهاز
فيه فانه لا يخلو اما أن يجاز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعرا أو من سهل الى
وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمشابهة
حاصلة في ذات بينهما كالشابهة الحاصلة في المكان والجواز من سهل الى وعر
كقوله هم قال الاسد وقال النعلب فكأنه لا مشابهة بين القول وبين هذين
فكذلك لا مشابهة بين السهل والوعر وسأني كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول
في تحقيقه في باب الاستعارة فليؤخذ من هناك وقد ذهب قوم الى أن الكلام كله
حقيقة لا يجاز فيه وذهب آخرون الى انه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين
المذهبين فاسد عندي وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو
أن اللفظ كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عندي بين قولك انها كلها حقيقة

أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندي سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وأنا
بصد أن أبين أن في اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هي حقيقة اللفاظ
في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء أي نفسه وعينه
فالحقيقة اللفظية إذا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة والمجاز
هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بأن أقول
المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها إلى يعرف كل منها باسمه من أجل
التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بآراء المسمى هو
حقيقة له فإذا نقل إلى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا إذا قلنا شمس أردنا به هذا
الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بآرائه وكذلك إذا
قلنا بجر أردنا به هذا الماء العظيم المجمع الذي طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه
وضع بآرائه فإذا قلنا الشمس إلى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
وكذلك إذا قلنا البحر إلى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
(فان قيل) إن الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال
للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظري
والآخر وحيي أما النظري فهو أن الالفاظ انما جعلت أدلة على افهام المعاني
ولو كان ما ذهبت إليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى
الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانها كانت تطلق على هذا
الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه المليح بالاشتراك وحيث أن هذا
أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد
المعنيين المستترين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا إذا قلنا
شمس أو بحر أو أطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجه ملح ولا رجل جواد وانما يفهم
منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل إذا ما ذهبت إليه بما
يناه وأوضحناه (فان قلت) إن العرف يخالف ما ذهبت إليه فان من الالفاظ ما إذا
أطلق لم يذهب الفهم منه إلا إلى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف
خصص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من الماطن من الارض (قلت) في
الجواب هذا شيء ذهب إليه الفقهاء وليس الامر كما ذهبوا إليه لانه ان كان اطلاق
اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم

أعترض على القائلين بأن اللفظ يتناول المعاني

فهو لا لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا أصل وضع هذه
الكلمة وانما مطمئن من الارض وانما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع
فانهم لا يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة
لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بالفاظ تدل على ذلك
كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فان قوله أو جاء أحد منكم من الغائط
دليل على أنه أراد قضاء الحاجة دون الماطم من الارض فالكلام في هذا وأمثاله
انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا وانما الجهال فلا اعتبار
بهم ولا اعتداد بأقوالهم والمذهب عندى من الفقهاء الذين دونوا ذلك على
مادق ونوه وذهبوا الى ما ذهبوا اليه وانما الوجه للوضوح فهو أن المرجع في هذا
وما يجري مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسمايات ولم يوجد فيها
أن الوجه الملمح يسمى شمسا ولا أن الرجل الجواد يسمى جيرا وانما أهل الخطابة
والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من
واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص ~~بكل~~ منهم بشئ اخترعه في
التوسعات المجازية هذا امر وثالقيس قد اخترع شيئا لم يكن قبله فن ذلك أنه
أول من عبر عن الفرس بقوله قيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد من قبله وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الا تسمي الوطيس وأراد بذلك
شدّة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنوير فنقل الى الحرب استعارة
ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم وواضع
اللغة ما ذكر شيئا من ذلك فعلنا حيث شئنا من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا
بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يهتروا أشياء من المجاز
على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع
اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه وانما الفرق بينه وبين
الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في تطاير ألا ترى أنا اذا قلنا قلان
عالم صدق على كل ذي علم بضم لاف واسأل القرية لانه لا يصح الا في بعض
المجادات دون بعض اذا مراد أهل القرية لانهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز
أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل (واهم)
أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا نقله عن حقيقة

موضوعه اذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان فجعل
ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة
نقل عنها الى حالته المجازية فكذلك ايس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها
مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذوات
لا لالفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن المجاز اولى بالاستعمال من الحقيقة في باب
الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل اولى
منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقيق أن فائدة الكلام
الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى
يكاد ينظر اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قوائنا زيدا أسد هي قولنا زيدا شجاع لكن
فرق بين القوائن في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع
لأن قولنا زيدا شجاع لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جرى مقدام فاذا قلنا
زيدا أسد يتخيل منه ذلك صورة الاسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ودق
الفرائس وهذا النزاع فيه وأجيب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع
عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال حتى أنه يسمح بها بالتخييل ويشجع بها
البيان ويحكم بها الطائش المتسرع ويحدد الخطاب بها عند معانها نشوة كشوة
انحر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك
حقوبة أو اقدم على أمر مهول وهذا هو فخوى السحر الحلال المستغنى من
القاء العصا والخيال (واعلم) أنه اذا ورد عليك كلام يجوز أن يحتمل معناه
على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية لعناه
في حله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحتمل الاعلى طريق الحقيقة لانها هي
الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الاصل الى الفرع الالفائدة مثال ذلك
قول البصري

مهيب كذا السيف لو ضربت به * ذرى أجاظك واعلامها وهـ
ويروى أيضا لو ضربت به طلى أجا جمع طلبة وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حله
على المجاز لان الحقيقة اولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشيء يقال
ذروة الجبل أعلاه والطللى جمع طلبة وهي العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما
في صفة العلوه هنا فلا يعدل اذ المجاز اذ لا مزية له على الحقيقة فهو كذا كل

ما يبي من الكلام الجاري هذا الجري فانه ان لم يكن في الجمار زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل اليه

(الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة) اعلم أن هذا باب من حذر على الواجب وملاك متوهم على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثر القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال في هذا الباب أن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي يقال أفصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يققون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا القول لا تبين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات أحدها أنه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحاً ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحاً الوجه الآخر أنه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الأشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهراً زليلاً ولا يكون ظاهراً العرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا واما كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف الوجه الآخر أنه اذا جيء باللفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهراً بين ينبغي أن يكون فصيحاً وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل • وما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملك في الحيرة فيها ولم يثبت عندي منها ما أعول عليه ولكثرة ما لاسيتي هذا الفن ومعاركتي آياه أن تكشف لي السر فيه وسأوضحه في كتابي هذا وأحق القول فيه فأقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأحق بالظاهر البين أن تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة وإنما كانت بهذه المفة لانها تكون مألوقة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم وإنما كانت مألوقة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار الفاظها وسرّوا وقصروا فاختروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونقوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن (فان قيل)

ن أى وجهه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعملوه وعلموا
 القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قلت في الجواب) ان هذا من الامور المحسوسة
 لقي شاهد هام من نفسها لان الالفاظ داخله في غير الاصوات فالذي يستلذه
 لسمع منها ويعيل اليه هو الحسن والذي يكرهه ويتفر عنه هو القبيح ألا ترى أن
 لسمع يستلذه صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويعيل اليه ما يكره صوت
 لغراب ويتفر عنه وكذلك يكره نقيق الحمام ولا يجذب ذلك في صهيل الفرس
 والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا خلاف في أن لفظة المزنة والديعة حسنة يستلذها
 لسمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظتان الثلاثة من صفة
 المطر وهي تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظي المزنة والديعة وما جرى
 مجراهما مألوفة الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراهما متروكا لا يستعمل
 وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم
 لا جرم أنه ذم وقبح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضاً من الجاهلية
 الاقدمين فان حقيقة الشيء اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على
 ما خرج عنها واذن ثبت أن الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهراً
 بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لما كان حسنة وحسنه
 مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع انما هو الالفاظ لانه صوت يأتلف عن مخارج
 الحروف فبالاستلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو
 الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لما كان قبيحاً
 وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديعة ولفظة البعاق ولو كانت
 الفصاحة لا مرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ايسر
 منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص الانظادون المعنى وليس
 لقائل هذا أن يقول لالفاظ الابعى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى فاني لم
 أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هي له والماء في يحيى فيه ضمنا وتبعاً (الوجه
 الثاني) ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين فهو كرم فهو
 كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا ما طرد في بابيه وعلى هذا فان
 اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصيح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة من
 المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصيح من الالفاظ

هو الظاهر البين أى المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى
 الا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة وهـذا بخلاف ما ذكرته (قلت)
 لان الآيات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شئ منها الا ومفردات ألفاظه
 كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع فى غرض المعنى من جهة التركيب لامن
 جهة ألفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه
 وهذا ليس قدحاً فى فصاحة تلك الالفاظ لانها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها
 فصيحة أى ظاهرة واضحة وأجيب ما فى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى
 تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا انظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط
 وتفسير وهذا لا يختص به القرآن وحده بل فى الاخبار النبوية والاشعار والخطب
 والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيئاً أقول) قد ورد عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضماكم يوم
 تفصون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لان الصوم والنظر والاضحى
 مفهومة كله واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل علماء أن صومنا يوم نصوم وفطرننا
 يوم نفطروا أضمانا يوم نضحي فما الذى أعلم به مما لم نعلم واذا أمعن الناظر نظره فيه
 علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه اذا اجتمع الناس على أن أول شهر
 رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فان الصوم صحيح وأوله هو ذلك اليوم
 الذى اجتمع الناس عليه وكذا يقال فى يوم الفطر ويوم الاضحى وهـذا الخبر
 المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معانى ألفاظها المفردة واذا تركت تحتاج
 فى فهمها الى استنباط (وأما) ما ورد من ذلك شعراً فقول أبي تمام

ولهت فأظلم كل شئ دونها * وأضاء منها كل شئ مظلم

فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملة يحتاج
 فى فهمه الى استنباط والمراد به أنه اولهت فأظلم ما بينى وبينها الما نا الى من الجزع
 لواهها كما يقول الجازع أظلمت الارض على أى انى صرت كالاعشى الذى
 لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شئ مظلم أى وضح لى منها ما كان مستترا عني
 من جهات الأيى وكذلك ورد قول أبي عبادة الجعفرى فى منزه

اذا سار بهباً غداً ظهر أعدوه * وكان الصديق بكراً ذلك السهب

فان السير والسهب والظهور والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت

بحسب موعده يحتاج معناه الى استنباط والمراد أن هذا المنهزم يرى ما بين يديه
محبوباً اليه وما خلفه ~~مفكر~~ وها عنده لانه يطلب النجاء فيؤثر البعد عما خلفه
والقرب عما أمامه فاذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعقد وقيل أن يقطعه
كان له صديقاً أي يطلب اقصاه ويحب الدنو منه فانظر رأيها المتأمل الى ما ذكرته
من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه (وأما البلاغة) فان أصلها في
وضع اللفظة من الوصول والانتهاى يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء
منتهاه وسمى الكلام بليغاً من ذلك أي أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية
والبلاغة شاملة لذلك المعاني وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من
الحيوان فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنساناً وكذلك يقال كل
كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغاً ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه
آخر غير الحاس والعام وهو أنها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب
فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة
اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا
يوجد فيها الخلوها من المعاني المفيدة الذي يتعلم كلاماً (مسئلة تتعلق بهذا الفصل)
هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب
أم بالنظر وقضية العقل (الجواب) عن ذلك أنا نقول لم يؤخذ علم البيان
بالاستقراء فان العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين أما
أنهم ابتدعوا ما أنوابه من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو
أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على
أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديتها وحينئذ من قبيلها فكذلك هو الذي
أذهب اليه وان كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول
من ابتدعه ولم يستقره فان ~~كل~~ لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة
والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني الا أن اللغة العربية مزينة على غيرها بما فيها
من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها (مسئلة أخرى تتعلق به هذا
الفصل أيضاً) هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا
(الجواب) عن ذلك أنا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك أن أقسام النحو أخذت
من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لم يزل ذلك وما كان

العقل يأباه ولا يشكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلدي ذلك كما قلدي رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لانه استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضح اللغة ولم يقتصر فيه الى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعاني على هيئة مخصوصة وحكمها العقل بجزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها فان كل عارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت من اللغات يعلم أن أخراج المعاني فى ألفاظ حسنة راتقة يلذها السمع ولا يذو عنها الطبع خير من أخراجها فى ألفاظ قبيحة مستكرهة يذو عنها السمع ولو أراد واضح اللغة خلاف ذلك لما قلدها (فان قيل) لو أخذت أقسام النحويات تقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا (فالجواب) عن ذلك أنما نقول هذه الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لإقامتها سمعوا عن واضح اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل إبداء لهم فاستخرجوا ذلك أدلة وعلا ولا يفتن أين علم هؤلاء أن الحكمة التى دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هى التى ذكرها

(الفصل التاسع فى أركان الكتابة) اعلم أن لكتابة شرائط وأركان (أما) شرائطها فكثيرة وهى هذا التأليف موضوع لجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وإيس يلزم الكاتب أن يأتى بالجميع فى كتاب واحد بل يأتى بكل نوع من أنواعها فى موضع الذى يليق به كما أرى تارة فيما يأتى من هذا التأليف (وأما) الأركان التى لا بد من إيداعها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة (الاول) أن يكون مطلع الكتاب عليه حدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلاع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادئ والافتتاحات فليخذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثانى) أن يكون الدعاء المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب يخصه أيضا فليطلب من هنالك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانتة وكثيرا ما تجده فى كتاباتى التى أنشأتها فاني قصدته فيها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما يوجد فى كتابة غيرى قليلا وتجده فى كتابتى كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى

برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضية ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخليص والاقضاب وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الرابع) أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظا غريبة فان ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غير بايظن السامع أنها غير مألوفة أيدي الناس وهي مألوفة في أيدي الناس وهناك معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والاقلام شجاعتها كما قال الجعفي

باللفظ يقرب فهمه في بعده • هنا ويبعدني سله في قربه

وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبه بالشئ الذي يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذي يستعمل وليس بالذي يستعمل أي أن مفردات ألفاظه هي المستعملة المألوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أي الكاتب الى هذه الدرجة واستطعت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة في بدنك التي قال الله فيها قل الروح من أمر ربي وليس كل خاطر يراق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن أيها الناظر في كتابي أنني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحتها من المعنى ما يعائله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسناتها الا أن صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار اليها جسم المعنى شريف على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت اليه أسير من تحصيل الألفاظ المشار اليها (ويحكي) عن المبرد رحمه الله تعالى أنه قال ليس أحد في زماننا الا وهو يسألني عن مشكل من معاني القرآن أو مشكل من معاني الحديث النبوي أو غير ذلك من مشكلات علم العربية فأنا امام الناس في زماننا هذا واذا عرضت لي حاجة الى بعض اخواني وأردت أن أكتب اليه شيئا في أمرها أجهم عن ذلك لاني أرتب المعاني في نفسي ثم أحاول ان أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولقد صدق في قوله هذا وأنصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع ومما هم الامن يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره

المعنى الدقيق والله لا يحسن أن يزوج بين لفظين فالعبارة عن المعاني
 هي التي تختاب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني
 فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج
 المعاني انما هو بالذكا لا بتعليم العلم وبلغنى أن قوم مايقصداد من رعاى العامة
 يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالصوور ويخرجون ذلك
 في كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من ببحار الشعر المنقولة عن العرب
 سمعت شيئا منه فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ومعاني غريبة وان لم تكن
 الالفاظ التي صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكتاب والشاعر
 (الركن الخامس) أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم
 والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة وايراد ذلك على الوجه الذي
 أشرت اليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حل معاني القرآن الكريم
 والاخبار النبوية أحسن من ايراده على وجه التضمن وتوخى ذلك في كل كتاب
 عسجدت وأنا انفردت بذلك دون غيرى من الكتاب فاني استعملته في كل
 كتاب حتى انه ليأتى في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا
 ببعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم انى اعتبر ماورد فيه من معاني
 الآيات والاخبار النبوية فكان مايزيد على الخمسين وهذا لا أتكلفه تكلفا وانما
 يأتي على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكتاب كيف
 نستعمل ما نستعمله من ذلك في الفصل الذي يأتي بعد هذا الفصل نخذه من هناك
 وهذا الركن يختص بالكتاب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذا شعر
 اكثره مدائح وأيضا فانه لا يتمكن من صوغ معاني القرآن والاخبار في الماطوم
 كما يتمكن منه في المنظور ولما لم يتمكن ذلك في الشئ اليسير في بعض الاحيان
 (واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها في كل كتاب بلاغى ذى
 شأن فقد استصغرت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتباً
 (الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة) هذا الفصل هو كثر الكتابة ومنبعها
 ما رأيت أحداً تكلم فيه بشئ والساحبت الى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها
 ما بلغنى وجدت الطريق يتقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح
 الكتاب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم في استعمال الالفاظ والمعاني

ثم يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقات عندي (الثانية) أن يعزج كتابة المتقدمين بما يستجيبه لنفسه من زيادة حسنة إما في تحسين ألفاظ أو في تحسين معاني وهذه هي الطبقة الوسطى وهي أعلى من التي قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شيء منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء من غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن والأخبار النبوية والأشعار فيقوم ويقتع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريقة يفتضحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعتد إماماً في فن الكتابة كما يعتد الشافعي وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهم وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه إلا أنهم استوعروا جرداً ولا يستطيعونها إلا من رزقه الله تعالى لساناً هجاساً وخطاراً قاسماً وقد سلمات لك معانيها ودلت محاسنها وكنت أشح بانظها رذلًا لما عاينت من نيلها من العناء فاني سلكت إليه كل طريق حتى بلغت آخرها وانما تكون نفاسة الأشياء اعززة حصوها وشمقة وصوالها

ليس حلوا وجودك الشيء تبغيه * طالباً حتى يعز طلابه

والقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها إذ لم ينظر غيري بأبحارها فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الآيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتجهيد الطريق إلى تعليمها فمن وقف على ما ذكرته علم أني لم أت شيئاً فرياً وإن الله قد جعل تحت خواطري من نبات الافكار سريراً وهذه الطريق يجهلها كثير من متعاطي هذه الصناعة والذي يعلمها منهم لم يرضى بالخواشي والأطراف ويقنع من لاكتها بعرفة ما في الصادق ولو استخرج منها ما استخرجت واستخرج ما استفتحت إلهام بها في كل واد وتزود إلى سلوك طريقها كل زاد

لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا العزرة ركعاً وعبوداً

ولا أريد به هذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطاً في كتابته بما يستخرج من القرآن الكريم والأخبار النبوية والشعر بحيث أنه لا ينشئ كتاباً إلا من ذلك بل

أريد أنه إذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم
 نقب عن ذلك تنقيب مطاع على معانيه مقتش عن دقائمه وقلبه نظرا البطن عرف
 حيثئذ من أين توكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ
 على الغريزة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة
 آيات الاحكام واخبار الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة
 والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من
 أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات
 الاجتهاد فإذا عرفها استخرج بفكرته حيثئذ ما يؤذيه اليه اجتهاده كما فعل أبو
 حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من أئمة الاجتهاد وكذلك يجري الحكم في
 الكتاب إذا أحب الترقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة فإنه يحتاج الى أشياء
 كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا الآن رأسها وودها وذروة سنانها ثلاثة
 أشياء هي حفظ القرآن الكريم والاكتراث من حفظ الاخبار النبوية والاشعار
 وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأقول ما أبدأ به على عقب ذلك أن أقول
 حل الايات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) منها وهو أدناها مرتبة
 أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهو ذا عيب فاحش
 ومثاله كن أخذت قد أقدأت فن نظمه وأحسن تأليفه فأوداهم وبثده وكان يقوم
 عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه
 وأيضاً فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا بالسرقة فيقال هذا شعر
 فلان بعينه لا يكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء وقد سلك هذا المسلك بعض
 العراقيين فجاء مستهجننا لاستهجننا كقوله في بعض آيات الحاسة

والذي حنق على كائنا • تغلى عداوة صدره في رجل

أرجيته حتى فأبصر قعدة • وكويته فوق الناظر من حل

(فقال) في نثر هذين البيتين فكلم لي الذي حنق كأنه ينظر الى الكواكب
 من حل وتغلى عداوة صدره في رجل فكواه فوق ناظره وأكبه لقمه
 ويديه فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير ومن
 هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئا
 لا يمكن تغيير لفظه فيتم ذبح نثره إذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر في

أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستج ابلي • بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
(وقد) نثرت ذلك فقلت است عن تسيح ابلي بنو اللقيطة ولا الذي اذا هم بأمر
كانت الآمال اليه وسطة ولكني أحل الهمل وأقرب الامل وأقول سبق
السيف العذل فذكر بنى اللقيطة ههنا لا بد منه على حسب ما ذكره الشاعر
وكذلك الامثال السائرة فانه لا بد من ذكرها على ما جاءت في الشعر (وأما
القسم الثاني) وهو وسط بين الاول والثالث في المرتبة وهو أن يثر المعنى المنظوم
ببعض ألفاظه ويعزم عن البعض بألفاظ أخرى وهناك تظهر الصنعة في المماثلة
والمشابهة ومؤاخذة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة فانه اذا أخذنا الشاعر
مجيد قد نقعه وصحبه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين أولوة وصاة ولا خفاء بما
في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق الملول إلى هذا
القسم أن تأخذ ببعض بيت من الابيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم عماته
وسأورد ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة لامة تعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من
شعر أبي تمام في وصف قصيدته

وحداء تملأ كل أذن حكمة • وبلاغة وتدر كل ورید

فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما في البيت فاذا
ردت أن تثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه لانه في الغاية
القصوى من الساحة والبلاغة فعلبك حيث أن توأخيه بمثله وهذا عسر جدا
وهو عندي أصعب مثالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه ملك مضيق لما فيه من
العرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك
يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ولا يصحكون مقيدافيه بمثال يضطر إلى
مؤاخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها وأتيت بها في جملة كتاب فقلت
وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر واذا عرف
الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقة اذ لو سرق لدلت عليه
الوسامة ومن خصائص صفائه أن يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل
لسان بحكمة واذا جرت نقضاته في الافهام قالت أهذه بنت ففكرة أم بنت كرمه
فانظر كيف فعلت في هذا الموضع فاني لما أخذت تلك الكلمات من البيت

الشعري التزم بأن أوأخيها بما هو مثلها أو أحسن منها فجئت به هذا الفصل
 كما تراه وكذلك ينبغي أن يفعل فيما هذا سيلا (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من
 القسمين الآخرين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير ألفاظه ويتم يتبين
 حذق الصانع في صياغته ويدل على قدرته تصرفه في صناعته فإن استطاع الزيادة
 على المعنى فتللك الدرجة العالية والأحسن التصرف وأتقن التأليف يكون
 أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول (واعلم) أن من آيات الشعر ما يتسع المجال
 لنشأته فيورده بضروب من العبارات وذلك عندي شبيه بالمسائل السبالة في
 الحساب التي يجاب عنها بعدة من الاجوبة ومن الايات ما يضيق فيه المجال
 حتى لا يكاد الماهر في هذه الصناعة ان لا يخرج عن ذلك اللفظ وانما يكون هذا
 لعدم انظاره فأما ما يتسع المجال في ثمره فذكره قول أبي الطيب المتنبي
 لاتعزل المشتاق في اشواقه * حتى يكون حشاك في أحشائه
 وقد نثرت هذا المعنى فن ذلك قولى لاتعزل المحب فيما يرام حتى تطوى القلب
 على ما طواه ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العيون في النظر فالعذل
 ضرب من الهذر ومن هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي أيضا
 ان القليل مضر جابده * مثل القليل مضر جابده
 أخذت هذا المعنى فثمرته فن ذلك قولى القليل بسيف العيون كالقتيل
 بسيف المنون غير أن ذلك لا يجزئ من غمده ولا يقاد صاحبه به غمده فزدت على
 المعنى الذى تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب
 ودم القليل متفقان في التشبيه والتشليل ولا تجدي بينهما بونا الا أنهم يختلفان
 لونا وهذا أحسن من الأول * وأما ما يضيق فيه المجال فيه سر على النثر
 تبديل ألفاظه فذكره قول أبي تمام

تردى ثياب الموت حرافأنى * لها الليل الاوهى من سندس خضر

وقول أبي الطيب المتنبي

وكان بهم مثل الجنون فأصحت * ومن جئت القتلى عليها قائم

وأما مثال هذا الاتى الا قليلا وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد حتى
 لا يكاد يأتى الا قد كاهذين البيتين ألا ترى أن أبا تمام قصد المواجهة في ذكر لوني
 الثياب من الاسر والاضطر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذى أراد من لون ثياب

القتلى وثياب الجنة فاذا فلك نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير انفظه لا يمكن ذلك
 وبيت أبي الطيب جار هذا المجرى فانه بناء على واقعة من الوقائع وذلك أن حصنا
 من حصون سيف الدولة قصد الروم وانتزعوه وأخربوه فهد سيف الدولة اليه
 واسترجعه وبعث ديناؤه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم
 المتنبي في هذا قصيدته الأولى * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما انتهى الى ذكر
 الحصن جاء به هذا البيت في جملة أبيات فشرح صورة الحال في ازعاج الحصن
 بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا
 لا يمكن تبديل لفظه وهو أمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فلك
 نظامه لانه يصدى لنثره بالفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه
 يأتي به حسنا رائقا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبي تمام فاني قلت في نثره لم
 تكسبه المنايا نسج شفاها حتى كسسته الجنة نسج شفاها فبذل أحمر نوبه
 بأخضره وكأس حمامه بكأس كثره وهذا من الحسن على غاية يكون كمد
 حسودها من جملة شهودها وأما بيت أبي الطيب المتنبي فاني قلت في نثره سرى
 الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعهما العدو واختلاسا وأخذها مخادعة
 لا افتراسا فانزلها حتى استعابها ولا نزلها حتى استعادها وكأنما كان بها
 جنون فبعث اهلا من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم وفي هذا
 من الحسن ما لا يخفى به فمن شاء أن ينثر شعر افليث نثر هكذا والافليث ترك وقد جثت
 بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته في صورة أخرى وذلك أني أضفت الى هذا البيت
 البيت الذي قبله وهو

بناها فأعلى والقنات قرع القنا * وموج المنايا حواها متلاطم
 ولما نثرت هذين البيتين قلت في نثرهما ما أذكره وهو بناها والاسنة في بنائها
 متخاصمة وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة وما أملت الحرب عنها
 حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلق عليها تمائم من
 الرؤس والاجساد ولا شك أن الحرب تغرد عن عز جانبيه وتقول الا هكذا
 فليكتب المجد كاسبه وهذا أحسن من الاول وأتم معنى * وقد تصرف في هذا
 الموضوع بزيادة في معناه ونثره على أسلوب أحسن من هذا الأسلوب فقلت بناها
 ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوفان المنايا الذي لا يقال ساوى منه الى جبل

ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رؤس عن اعناق وكانها أصيبت بجنون فعلمت
القتلى عليها مكان التمام أو ثبتت بعطل فعلمت مكان الاطواق وهذا الفصل
فيه زيادة على الفصل الذي قبله * وإذا انتهى بنا الكلام الى ههنا في التنبيه على
نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فانتبه ذلك بقول كل في هذا
الباب فنقول من أحب أن يكون كتاباً أو كان عنده طبع مجيب فعليه
ب حفظ الدواوين وذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ في نثر الشعر من
محفوظاته وطريقه أن يتدبّر أولاً خذ قصيداً من القصائد في نثره بيتاً بيتاً على
التوالي ولا يستنم كف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فإنه
لا يستطیع الا ذلك وإذا مرت نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة
وصارياً أخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضرباً
من العبارات المختلفة حينئذ يحصل لخطره بمباشرة المعاني لقاح فيستنتج منها
معاني غير تلك المعاني وسيله أن يكتب كثيراً ليدان ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدة
طويلة حتى يصير له ملكة فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء
كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا معسولة وكان عليها حدة حتى تسكاد رقص
رقصاً وهذه الأشياء خبرته بالتجربة ولا ينبغي مثلك مثل خير (فان قيل) الكلام قسمان
منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان
الامر بالعكس (قلت) في الجواب ان الاشعاراً أكثر والمعاني فيها أغزر وسبب
ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جل كلامهم شعر ولا تنجب الكلام
المنثور في كلامهم الا يسيراً ولو كثرفانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر
فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ثم جاء
الطراز الاقل من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان
الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر وهذا صارت المعاني
كلها مودعة في الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكان شئ على حفظها
واسهال معانيها في الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت في هذا الموضع
أبياتاً تكون قدوة لامة لم تكن ذلك قولي في فصل من فصول الكلام يتضمن
ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه في ربه
فان تلك مكارم أنت قبحه ل الزمان بما تها ثم مات أربابها فدفنت مع موتها

ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى واقد خلق الابناء من
الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * نغار الذي ينبغي الفخار بنفسه

غير أن الفصل الذي ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت (ومن
ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لآخوته وتنص له اليهم فقلت
بحر وقلبي وحبهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عيني وهم يزيدون في نظرها
ملاحاة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرأ وأصبحت
وهي منسوبة اذا تجددت الاساءة بالذكورى وما منهم الا من سيطر على يده
ولم يلمه ولولا أن الاسماء معارف الاشخاص لكان اسى واردا على اسم
وكيف أحسن عليهم وقد جلى الله لهم على اللين أم كيف اذود النفس عنهم
وهي مشقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أقول من شجرتي أغصانا كهذه
الاغصان وقد أصيبت برؤسها بالجداد ولهذا قيل ان الآخوة يتعذر
الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض عن الاولاد آخر هذا الفصل مأخوذ
من شعر ابن الرومي وهو قوله

تعزيت عن أئمة نك حياتي • وشك التعزى عن غمارك أجدر

تغدر أن نعتاض عن أئمتنا • وأبنائنا والنسل لا يتعذر

غير أن ابن الرومي ذكر ذلك في تعزية انسان بابنه فتصرف أنا في هذا المعنى ونقلته
الى هذا النصل في تضمنه معاتبة أخ لآخوته (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش في سن الحداثة وما يأتي
بعدها فلا يدعى الابن الغناثة وليس بعد الاربعين من مصيف للذة ولا مريع
وهي نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع فاذا تجاوزها المرء أشقت غمار عمره
على خرمها وصارت زيادته كزيادة التصغير التي هي زيادة تدل على نقصها
واصبح بعد ذلك يدعى أبا بعد ان كان يدعى ابنا وتقص ثوبان المشيب لا يجزئونه
خيلا ولا يزهي به حسنا وان قيل ان أحسن الثياب شعارا البياض قيل الا هذا
الثوب فانه مستثنى ويكفيه من القضاة أن ينظر الاحباب اليه نظر القتال
ولولا أن الخلود بعده لما استعير له لفظة الاشتعال ومن الناس من يدلس لونه
بصبغة الخضاب وليس ذلك الا حدا دأ على فقد الشباب وهو في فعله هذا

كاذب ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس ان تسأل عن
بئر المعطلة وقصر المشيد ويحسب لها الخروج في ثوب مرقع وهي تراه بعين
النوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حداد اعنى شرح الشبيبة يابس

غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لطيفة لا توجد في كلام آخر (ومن ذلك) قولى
في وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولى في
الاعطاء وهو شافهتني أسباب الفنى برؤيته حتى كادت تنطق واخضرت أكنان
منزلى بعبطائه حتى كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتي به على أعين الناس وإذا
غرسه عند انسان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به سمجابه يده ولا
يغفه عطاء يومه عن عطاء غيره وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لم يمدوا بالبنائهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولى وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها وقام بتغلها
في الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسدا لبعضها
فالمحرم للعالم بجرمه وصغر للطامع في سعادة قدمه وبيع لاندناله ورجب
لاقوال عداله وهذا مأخوذ من قول الفرزدق

يد البذر يبيع الناس فيها * وفي الاخرى الشهور ومن المحرم

وقد قال الشعراء في ذلك كثير الا أنى أنا تصرف في هذا المعنى تصرفا لم يتصرف
فيه أحد غيرى (ومن هذا المعنى) ما ذكرته في فصل من كتاب وهو واقع
سوى بين أعدائه في البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية
بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحبه اليه ما يبذله كما أن أحب الناس اليه
من يساله ومن أحسن ما سئله من الكرم أنه جاد حتى يدل رغب المعارفين زهدا
ورأى الحد عوضا من الصنعة فأبى أن يعتاض من صنائعه جدا وبعض هذا
المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

ليت أعدائي كانوا * لا بى استحق مالا

(ومن ذلك) قولى في وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والانتجاد
وما يتعلق بذلك ويجرى معه وهذا الفصل يشتمل على معان مختلفة (فمن ذلك)
ما ذكرته في وصف العسكر وهو فسرنا في غمامة من الكتاب تظللها غمامة

من الطيور والاشئاب فهذه يضربها البحر من حديد وهذه يضربها بر من صعيد
ومامت يدا الأزال أرضه من سمائه وأبست نهاره ثوب ظلماته وبدأت
أحراره بعبيده وحراره بامائه وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الأمن عليها
أسوارا وبعد هذه بالنواب فلم تدخلها ديارا فهي تخبر عن بلهنية الخفض
ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه في ذوائب الاطفال فما
شعر أهلها الا وقد رجعها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل السحاب
قبل وابله وبرزت خيل القوم ولهazy فرسانها وهي مستبقة الى طرادها
كاستبقاها الى ميدانها وما منهم الا من تتأود القناة من يده بين لهذين وتستقل
السرج منه ومن جواده بين مطهين فجرت المغاوير الى المغاوير وتلاقت
الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم عناقا واللبث وقفا وسبق ألم الموت ألم
الجراح ونفذت غير مختصة اسرعتها سنة الرماح وحصل القوم القبضة
وذموا عقبى النهضة وجرى بالاسرى مقرنين في الاصفاد موقنين أن رؤسهم
عوارى على تلك الاجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لانهكره
ولا يؤدوه هو المعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدي المسلمين
في القتل والنهب وكان للسيف رقاب وللسي رقاب في هذا الفصل معان
كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبى كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقته اصوارمه
وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى * لونه في ذوائب الاطفال
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المسلوبين في فصل من جلة كتاب يتضمن البشرى
بهمزجة الكناز وهو فسلبوا وعاضبتهم الدماء عن اللباس فهم في صورة عار
وزيمهم زى كاس وما أسرع ما خبط لهم لباسها المحمر فبرأته لم يجب عليهم
ولم يرز وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار
نسجه السنان الخارق لا الصنع الخلاق ولم يغيب عن لابسها الاريتما غابت
البيض في الطلى والهيام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان
حسنة راقية ومنها معنى واحد ما خوذ من شعر البحري وهو
سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمزة فكأنهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحا وهو أصل هذا الكتاب والفتح غرض طرى لم تتصل بحرة يومه ولا أنعمت سيوف قومه فسطوره مترية بنار بجاجة مملئة بخط ضربه وإعجام زجاجة وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام

كتب أوجههم مشقا ونعمة * ضربا وطعنات الهام والصلفا
 كتابه ماتني مقروءة أبدا * وما خطت به الأما ولا ألدا

الأن ابتمام مثل آثار الضرب والطعن في الوجوه بالكتابة وأنا مثلت الكتابة وإعجابه بالضرب والطعن فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام وهذا مقصد في حل الآيات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراج المعنى من نفسه وقد نبت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبيها ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبيها ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربع فحس في حكم النجاسة وكيف تربو بكفرها وظهور أولها منه معنى الاختفاء وللأسلام معنى السلامة ولما اتقى الجمعان اصطفت عين وشمال وزحفت جبال إلى جبال وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تبقى بالآجال وأقدمت الخيل أقدام فرسانها وأظلم النقع فلم تبصر إلا بآذانها ونالت النور نارها من كعوب الرماح واشتكت الأسنة فلا طريق بين المهب الرياح واستوصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الأصفاذ ونقلوا إلى جهنم يصلونها ربض المهادر وانتاب المسلمون وقدموا الإغمة النصر والصائف أجرا والأيدي وقرا والقلوب جذلا والاسنة شكرا وكان ذلك اليوم في الأيام علما وفي الأقسام قسما ولم يره الزمان منسوب إليه إلا راجع شبابا بعد أن نماه زهرما في هذا الفصل شيء من معاني الشعر وذلك من قول أبي الطيب

المتنبى

اتاهم بأوسع من أرضهم * طوال السبيب قصار العيب
 تغيب الشواقي في جيشه * وتبدوا صفارا إذا لم تغيب
 ولا تعب الريح في جـوءه * إذا لم تخط القنا أو تلب

(ومن قوله أيضا)

في بحفل ستر العيون غباره * فكأنما يصرن بالآذان
(ومن ذلك) ما ذكرته في الانجاء واجابة الصريح وهو اذا استصرخ أصرخ بهزم
غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور
ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور ولا طيب عنده الا ريح الحجاج
ولا عناق الا أطراف الزجاج ولا أربله في الرقاد الا على سهوات الجياد
فعسكر قلبه أمضى في الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران في درع
أو مغفر وهذا المعاني مأخوذة من أبيات الحماسة ومن شعر مسلم بن الوليد
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المخبر دون المنظر وهو اذا سموت لامر فكن
واحدا في مكانك ولا ترض بـ كثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم تر
الى الحرباء الذي هو دويبة حقيرة الشأن ضعيفة الاركان فانه ارتفع في هواء
عن الارض وأنسها الى السماء وشمسها وقال لا أحب من تفسد الايام من
حسنه ولا من أحد بسمة خله ولا خدنه والهم ليست منوطة بجهارة المناظر
والتعويل على الخبر المستتر في الاقتدة الباطنة لا على الظواهر ومن ههنا قيل
ان رضاء النفوس أنضر من رضاء الاجساد ورقم الشيم أحسن من رقم
الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سهيم عبد بنى الجساس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق
الا أن الفصل يتضمن معنى غريباً لم يسبقنى اليه أحد (ومن ذلك) ما ذكرته
في الحسد في فصل من كتاب وهو حاسد سيدنا ينظر الى زهرة دنياء ولا ينظر
الى استحقاقه وهو كالناظر الى الاطواق الموضوعة في الجيد ولا يدري
أن الجيد أحسن من أطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد
من صدره وقال مالى أحسد من لم ينته قدر دنياء الى معشار قدره (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر
من انقطاع الكتب اعتذرا الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك
الباب الكريم لخاف من املاها وقد عد احتمال ثقلها من جملة الابداء
التي أثقلتها وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهاته وهو
الآن مرتين بين قديم وجديد وأصبح كخراس اذا تكاثرت عليه الطباء فلم يدر

لكثرتهم ما يصيد فان أمسك سيدنا من أياديه والا فليته فضل على الشكر بالانظار
 وابعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال في الاعسار هذا فصل في هذا المعنى
 قلما يؤتى بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

تكاثرت الطباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ما ذكرته في استصلاح مودة فقلت كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها
 ما أجنبي فصرت أخاف ما لم أجنه وكان لا يقبل علي شهادة عينه فأصبح الآن
 يقبل علي شهادة أذنه لكن لم يجعل الله القلوب بين اصبعين من أصابعه
 الا ليذهب بها كل واحد ومن ههنا كانت تتقل من وداد الى قلى ومن قلى الى وداد
 ولا شك أن لها بين الحالتين عمرات تنتهى اليه كما تنتهى أعمار الاجساد والصبر خير
 ما استعمل في جفاء الاخوات والماء اذا جرى في مكان ثم انصرف عنه فلا بد
 أن يعود الى ذلك المكان وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي

عهدتك لا تعتد بالعين شاهدا * على فلم أصبحت تعتد بالاذن

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الملوكة على يد بعض العفاة وهو
 الشيم الكريمة للانسان بمنزلة الملك في سررا الفزان غير أن طيب هذه يعبق
 بالانوف وطيب هذه يعبق بالاذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين
 فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والاخر يذهب ولا يبقى ونصيب مولانا
 من الطيب الباقي نصيب زكت معادته وكثرت خرائته وسارت في الارض
 محاسنه ورقعه الله به الى محل يبعث شأوه على الطالب ولا يرى الا في لسان شاعر
 أو لسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذي هو من طين لازب
 ومن أجل ذلك يرون أشباهها ماعداء ومامنهم الامن يقر بفضلهم ولو كان من
 حساده أو عداة وقد أصبحوا وهم يقولون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم
 لصاحبه أفسر هذا أم أنت لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيئا من القرآن
 الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو
 قول المتنبي

الناس ما لم يروك أشباه * والدهر افظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ما ذكره في وصف النجرو وهو النجر لا تنق لذة اسكارها بتنغيص
 نجارها فهي خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيثها يدل على أنها من ناقات العقول

والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من
الرؤس بجناية اقدمها وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وأطف لانه قال
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * وهنات داس بأرجل العصار
لانتاهم حتى اتشوا فتحكمت * فيهم فنادت فيهم بالشار
وكذلك قالت في وصفها أيضا وهو مدامة تنفي خواطر الهموم وتسرى مسرى
الارواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مسدود من ماء الكروم ويتمثل حبها
نجوما الا أنها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس
اذا هي حلت في اللهاة من الهى * دعى همه من صدره برحيل
وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمع اكن الذي ذكرته بعد
هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر
كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها واهذا تسمي من نكاح المزاج
وتصحب لمس الماء صخب الابكار اس الازواج ومن شأنها أن تلبس عند
الزفاف اكلا على راسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها الى أعراسها
وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري وانما
وصفت بانها بكر كقول أبي نواس

فقلت لشيوخهم متكام * له دين قسيس وفي نطقه كفر
أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنيعه دهقان تراخى له العمر
فقال مروس كان كسرى ربيها * معتقة من دونها الباب والستر
(ووصفت) بالنكاح والزواج كقوله أيضا

وقهوة كالعقيق صافية * يطير من كاسها الهاشور
زوجه الماء كي تذله * فامتعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك) ما ذكرته في الحزم وهو لا ينبغي للعازم أن يساور الموردين المؤذن
بضيقه وان أفضى الصدر الى رحيبه فان فوقي الداء خير من التعرض له
مع وجود طبيبه ولندع قول من يقدح على تل السلامة ثم يلبس الكاتب
بالكاتب ويقول ليس للعزم الا تمام الصدور وليس له تمام العواقب بعض
هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياها

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وايس عليهم أن تتم عواقبه
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الرأى والكيد وهو أخفى على العدو كيدته حتى لم
يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائدا فسيوفه تسطو على بعدها
ولا تنقطع الاوهى في غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعرا أبي تمام وهو
سكن الكيد فيهم ان من أعظم كيد أن لا يسمي أريبا

(وكذلك) قولي في هذا المعنى وهو أخذ يسمع العدو وبصره وسد مطلع ورده
وصدده فيداه مغلوله مع أنها مطلقه السراح ومقاتله بادية على أنها شاكبة
لسلاح وهذا المعنى يتظر الى المعنى الذى قبله وكذلك قولي أيضا وهو
بييت برأيه العدو وقيل جيشه وتلقاه يطيش قله الذى كل الحلم في طيشه فاذا
أطلت وجوه الآراء كان رأيه لها صباها واذا جهزت الخفاة للحرب كان قله لها
سلاحا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الجحترى

وهو المرء ما غزا بلدا بالرأى الا كفاه غزوا الجنود

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف السير والركاب والخيول والقفار وما يتعلق بها
(فمنه) ما يتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يبارى مسير شهبه بمسير أشهبه
ويستتقرب بعد المدى في نيل مطلبه غير أن تلك تقرى أديم الغياهب وهذا
يقرى أديم السباب وهذا مأخوذ من قول المتنبي

يبارى نجوم القذف في كل ليلة * بنجوم له منهن ورد وأدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولي وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة المسرى
فلم يزل يذهب صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت في أديم الليل شبكات
صباحه وشابه الأدهم في غزته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدهما في رحيله
وأخذ الآخر في نزوله وهذا المعنى يتظر الى الذى قبله وفيه من شرف الصنعة
ما لا يخفاه (ومن ذلك) ما ذكرته أيضا في فصل من كتاب وهو سرقت وتحتى بنت
قفرة لا يذهب السرى بجماحها ولا تستزيد الحادى من مراحمها فهي طموح
بائشاء الزمام واذا سارت بين الأكام قيل هذه واحدة من الأكام ولم تسم
جسرة الا لأنها تقطع عرض القلاة كما يقطع الجسر عرض الماء ولا سميت حرقا
الا لأنها جات لمعنى فى العزائم للمعنى فى الافعال والاسماء وخلفها جنيب من
الخيول يقبل بجذع ويد بر بصره وينظر من عين بحظة ويسمع بأذن حشره

ويجري مع الريح الزعزع فيبذرهما وقد ظهر فيها أثر القتره وما قيد خلفهما الا
وهو يهتدي بها في المسالك المضلة ويطأ على اثرها فيرقم وجوه البدور باشكال
الاهله هذا والليل قد ألقى جراحه فلم يبرح والكواكب قد ركبت فيه فلم تسبح
وانا أودلوزاد طوله ولم تظهر غرة أدهمه ولا جوله فقد قيل انه أدنى للبعد
وأكتم للامرار ودل عليه القول النبوي بأن الارض تطوى فيه ما لا تطوى
في النهار وما زلت أسير بريدها تنوء به حتى كاد ينضولون السواد وظهرون
السرطان فأغار على سرح السماء كما يغير السرطان على سرح النقاد فعند ذلك
نمت العين من الكرى ثم لمة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة
وانما كان على الظهر السائر في هذا الفصل كل مليحة من المعاني ولو لم يكن
في هذا الكتاب سواه لكان كافيا وبعضه مأخوذ من الشعر كقول أبي تمام
طموح بأبناء الزمام كأنما * يخال بهم من عدوها طيف بجنة
وكتوبه

بالشذقيات العتاق كأنما * أشباهها بين الاكام اكام
(ومن ذلك) ما ذكرته في النسب في فصل من كتاب وهو لهم نسب لا تدخله لام
التعريف وهو موضوع لا يجري على سنن التوقيف فاذا ذكر أوله وقفت من
عرفانه على طلال ووجدته مهملا في جملة الهمل وان قيل انه من نجوم السماء
قلت لكنه لا يخرج عن الشور أو الحمل فصار هف لوصفه لسان الانبا ولا
اقتدح له زناد خاطر الا بكاهم منه كماوى الذى يرى الناس له ابنا ولا يرون
لابنه أباه وهذا من أغرب ما يؤتى به في ذم النسب وهو من باب توليد المعاني
الذى يسمى الكيمياء وبعضه مستولد من قول أبي نواس في هجاء الخصيب
وما خبره الا كماوى يرى ابنه * ولم ير آوى في حزون ولا سهل
فأبو نواس ذم خبر الخصيب في عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فجاء اللفظ
وأحسن وأليق وأدخل في باب الصنعة واذا حقق النظر فيما ذكره أبو نواس
في هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الخبر في عدم رؤيته لا يحمل على ابن آوى
وانما المناسبة تقع في النسب من أجل ذكر الابن والاب (ومن ذلك) ما ذكرته
في ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت تركت قومالم يتقوا صدى ولم يجرؤا
الى مدى فأعراضهم نكرة العارف وأموالهم حنظلة الناقف لا تطر سحرهم

على كثرة ما فيها ولا تركوا الزريعة بأرضهم على غنائها وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضى

تركت أناسا لم يشؤا المنية * ولم ينقعووا غل الطماء الخوامس
على القرب فيهم اتنى غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس
ومن هذا الباب أيضا قولى وهو تركت قومًا يسألون الحبيب ويعلمون القريب
ولا يرعون من يرعاهم ولا يدرك الابن على مرعاهم فنوالهم تحايا واعراضهم
ضحايا ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على الظننة ولا يرتاحون لمننة
فالذرائع لديهم مدفونة والصنائع غير مسبونة وبعض هذه المعاني مأخوذ
من شعر أبي الطيب المتنبي

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدرك على مرعاكم اللب
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
(ومن ذلك) ما ذكرته على الحث على الاختراب وهو لولا التفرب لما ارتقت بنات
الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاجار الى نور الاحداق
(وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو فى الانتقال تنويه لحامل الاقدار ولولا
ذلك لم يكسر الهلال حلة الابدان والمندل الرطب حطب فى أوطانه والمسلك
دم فى سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحط بفضل الاصابة ولولا فراق
الوشيج منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذوابة وهذا الفصل فصل من
القول فى معناه وما لم ينش للخواطر ابتداء بناء فنه ما هو مأخوذ من الشعر
ومنه ما سخ به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ما ذكرته
فى وصف الايام وهو أيام تعدى بأعوام لقصر أعمارها وشهور لا يشعر بانصافها
ولا سرارها فالأوقات بها أصائل والمحاسن فيها شمائل والمآرب فى ساعاتها
رياض فى شمائل فما أدري أهى خيالات أحلام غرت أم أحاديث أمان
مرت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار
(ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عدس قطات
قرينه وجازاه بغنه وسعيه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام
له على عوجه فذلك الذى ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها

على

على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من آيات الحماسة

ان يسمعوا رية طاروا بها فرحا * عني وما سمعوا من صالح دفنوا
الا أن الذي ذكرته ضده هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو أحسن
عما يستخرج من نفسه (ومن هذا) قولي أيضا وهو ليس الصديق من صرتي
اخلاف وده وغش في صفقة عهد بل الصديق من لا ترد سلعة وده بأقالة
ولا عيب ولا تحص محافظته اخائه بشهادة دون غيب فذلك أخى من غير نسب
وكنزى من غير نسب وهذا مأخوذ من الفقه في تصرية ضرع الشاة عند البيع
وذلك يوجب الرذ (وعما) ينتظم بهذا السلك قولي وهو الانتقال عن خلة الوداد
كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع فكذا
يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع على أن نسب الخلة الذي ينجمه القلب الى القلب
أوصل من نسب الرحم الذي ينجمه الابن الى الأب ولهذا كانت مودة سلمان
قربى ونسب أبي لهب سباوتيا وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

كانت مودة سلمان له نسبا * ولم يكن بين فوح وابنه رحم
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فأصبحت
وهي ملاعب جنة ولقد دعيت أخبار قطانها وأنشاز أوطانها حتى شابهت
أحدهما في الخفاء الأخرى في العفاء وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام
ولا يرفع عنها جلاب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافع دموعه
والليل شق عليهم ثوبه فظهروا الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا
وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى رحمه الله تعالى

أمر اربع الغزلان غيرك البلاء * حتى غدت مراتع الغزلان
(وعما) يلتزم بهذا المعنى قولي أيضا وهو دار أصبحت مراتع أذواد بعد أن كانت
مناجع رواد فلو تصورت الآمال التي مثلت بفنائها كما تصورت الآثار المائلة
من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غاربها من بحر ونضب من
سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد ومن سامعه عين وشاهد وهو
من معاني المستخرجة (ومن ذلك) قولي أيضا وهو النقص موكل بكمال النعماء
ولذلك كان الوخممة تترنبا بالمرعى والماء وقلما ترى ثمرة الاومعها زنبور
ولالذة الاوالى جانبها شئ محذور (وكذلك) قولي أيضا وهو لا يظفر الرجل

بطلابه شفعا ولا تؤتبه من كل جهة نفعا بل يرى صريحى بلا ماء وماء بلا مرعى
ولذلك كانت النحلة مع الشمدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعاني
مأخوذ من قول أبي تمام

أرض بها عشب زالدوايس بها • ماء وأخرى بها ماء ولا عشب
الآن في الكلام المنشور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه ينظر إليه نظرا بعيدا
ومن سبيل المتصدي اهـ هذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الأكبر
في صناعة الكيمياء ثم يخرج منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت
في هذا الموضع فاني أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه
ما ليس منه رما على الدرجات في نثر المعاني الشعرية وقد بسطت القول
في هذا الموضع وكشفت عن دقائقه في الكتاب الذي سمعته بالوشى المرقوم
في حل المنظوم وهو كتاب مفرد هذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذي هو
الكيمياء في توليد المعاني ما ذكرته في وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد
ميراني عامه والمستفيد لاسامه من حامه وقد وصف بأنه ميعاد نطق الاطيار
وميلاد أجنة الازهار والذي تستوفي به حواها سلافة العقار فاذا سدت
السحب فيه سيوفها كان ذلك للارض اللغضب واذا خلعت على الارض غلالها
الدكاء لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستولد من قول أبي
تمام في وصف السحاب

سابت الجنوب والدين والدنيا وصابا في الحياة في سلبه
الآن في الذي ذكرته معنيين غريبين اذا لمعن الناظر تطوره ففهما (ومن ذلك)
ما ذكرته في لين القول واعادته وما يجري مجرى راه كقولي في فصل من كتاب وهو
لم أعد عليه القول لانه لا يبلغ مدى ميدانه الا بتحريك سوطه وعنانه بل
أخذ بأدب الله في أذكار القرآن واتباع السنة نبيه صلى الله عليه وسلم
في تشويب الاذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

لورأينا التأكيد خطة عجز • ماشفعنا الاذان بالتشويب
(وكذلك) قولي أيضا وهو وقد علم أن لين القول انجبع قبولا وهو من
أدب كليم الله اذ بعثه الى فرعون رسولا ألا ترى أن الحدا يبلغ من المطايا بالطفه
ما لا يبلغه السوط على عنقه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام

وذهبهم بالرقى ان المهارى * يجهها على السير الحدا
 (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الدنيا وهو أنكاد الدنيا مشوبة بالاشياء التي
 جبت النفوس على حبها وكل ما تستلذه الابدان من ما كاهها فانه يضرتها من
 جهة طيها وهذا يذم من منفعة الهليلج ومضرة الاوزنجي وأعجب من ذلك
 أنه لا ينتفع الانسان بشئ من لذاتها الاضرة من جهة ثوابه وهو كالذي ينتفع
 باصطلاء النار وهي محوقة لا ثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل ان
 كل ما ينتفع الكبد مضربا الطعام وهذا مأخوذ من الامثال العربية والمولدة
 (ومن ذلك) ما ذكرته في الزهد وهو الناس في الدنيا أبناء الساعة الراهنة
 وكما أن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الاحوال ليست بقاطنة ولهذا
 كانت المآتم بها كالاعراس يتفرق ندى جمعها فهذه تنسى ماضى من لذة
 سرورها وهذه تنسى ماضى من ألم جمعها ولا شبيهة له على ذلك الا الاحلام
 التي تلاشي خيالها عاجلا وتجعل اليقظة حقاها باطلا وما ينبغي حينئذ أن
 يفرح بها مقبلة ولا يؤسى عليها مدبرة وكل ما تراه العين منها ثم يذهب فكأنها
 لم تره وغاية مطلوب الانسان منها أن يتقله في مدة عمره ويعلى له في امتداد كثره
 أما تعميره فيعرضه المشيب الذي هو عدم في وجود وهو أخو الموت في كل شئ
 الا في سكنى اللحد فالجوارح التي يدركها الشهوات ترى وكل منها قد تحوّل
 وأصبح كالطلال الدارس الذي ليس عنده من معول فلا يلى بالي ولا النوار
 بالنوار ولا سمع أسمع ولا الابصار ابصار وأما ما له فان أمسكه فهو
 عرضة لو ارتيا كاه أو لحادث يستأصله وان أنفقته كان عليه في الحلال
 حسابا وفي الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقباها الخاسرة
 وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ألفيت جمعا كله يتفرق

ومن قول أبي العتاهية

انما أنت طول عمرك ما عرت في الساعة التي أنت فيها

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك اللحد
 وبه من أعماله كنه أنوار أم كيف يجذب وبه من فيض عينه صاحب مدار
 أم كيف توحش أقذاره والملائكة داخله عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه

طول العهد على زواره وطيب تراهه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب
الجميل الذي دق فيه الحزن الجميل وسمحت له النفوس بالفدية على حب
الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا انذارا بأن نواب
الزمان ستنوب وقد جعله الله ذخرا للقائموا وانما يذخر السلاخ للقاء الحروب
والذي ذخرت منه لم يغن عني في هذه النائية وأي جنة تقوم في وجه سهامها
الصائبة لاجرم أني أصبحت بين يديها هاد فالرماء ولم يبق مني الا ذماء الحشاشة
ومن العجب بقاء الذماء وشئ من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي
لم يخلق الدمع لامرئ عبقنا * الله أدري بلوعة الحزن

(وكذلك) ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فيا ويخ أيد أسلمته
الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعداء وأبسته ظلمة اللعد وطال ما جلا عنها
غاية الظلم والاضلام وغادرت بوحده مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل
الانعام ومثله لا يوارى القبر منه الا صورة يدركها النقاد وتبلى كما يبلى غيرها
من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد
ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا
مأخوذ من قول بعض شعراء الحساسة

فان تدفنوا البكري لاتدفنوا اسمه * ولاتدفنوا معروفه في القبائل
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقلت
وله البيان الذي يغض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديده وهو
فوق كلام المجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستحيل سمع
الطروب ويستحق وقار القلوب ويتمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الجيوب
ويرى في الارض غير لاغب اذا مس غيره فترة للغوب ولا تزال الناس في عشق
معانيه ضربا واحدا والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان
من أعطى سيدنا فلم يخل وخصه بنبوّة البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي
قد سد بابة لقبل هذا كتاب منزل ولقد خارا لله لا ولي الفصاحة اذ لم يحبوا
الى عصره ولم يبتلوا فيه بداء الحساد الذي يصلبهم يتوقد جره واثن سلوا
من ذلك فما سلت أقوالهم من أقواله التي محنتها محو المسداد وقد كانت باقية
بعدهم فلما أني صارت كما صاروا الى الالحاد في هذا الفصل شئ من المعاني

الشعرية كقول البحري

مستحيل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد

وقول الشريف الرضي رحمه الله

عشقت وما لي يعلم الله حاجتي * سوى نظري والماشـقون ضروب

وفيه أيضاً شيء من معاني القرآن الكريم إلا أنها جاءت ضمناً وتبعاً وموضعها يأتي
بعد الآيات الشعرية (وكذلك) ذكرت فصلاً آخر من هذا الأسلوب وهو وإن
للكتابة طعماً يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الأرواح معلومة من بين نقل
الاجسام فلو لم نعرفه بطعمه عرفناه بوسمه والصباح لا يتبارى في اسفاره ولا
يفتقر إلى دليل على اشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بغمسه وأن القول
يعرف بطعمه ونفائس هذه العقود لا يبرزها إلا أنفاسه فدررها لفظه وسلوكها
قرطاسه (ومن) هذا الباب قول أيضاً وهو ألقاظ كخفق البنود أو زار الأُسود
ومعان تدل بارها فها أنها هي السيفوف وإن قلوباً غتها هي الغمود فيضالها
المتأمل حومة طعان أو جليلة رهان وبعض هذا ما أخذ من شعر البحري
يقظان ينتخب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان
اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وأيس من أهلها فقلت وقد نيت بسيدنا قلما
الخط اللذان ينسب أحدهما إلى المداد وينسب الآخر إلى الصعاد فهو يدبر
هذا في معركة المقال وهذا في معركة الطراد ولربما سهل أحد قلبه من فوق
صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت أعواد السروج فله احتفال
المواطن والجبالس واليه غناء أصحاب العمام والقلانس لا كن لا يجاوزهم
طرفي ردائه وإذا نودي لفضله قيل انما يسمع الحى بهـدائه وكفى الناس
من صور لا تجبدم معناها أترا وإذا رأيت هاقات أرى خالاً ولا أرى مطراً وأى
جمال عند من ليس له الأجمال ثيابه وهل يتفع السيف الكهام أن يجعل من
الذهب حلية قرابه وكل من هؤلاء ذنب يسعى بغير راس ولا له هم إلا في عبثه
الطاعم الكاس وإذا اعتبر حاله وجد من البهائم وإن كان منسوباً إلى الناس
والسيادة ليست في وثني الشباب ولا في طيب الطعام والشراب وانما هي
في شيءين أما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة ربح تفرق لها قلوب

الاسود وكانى يقوم يسعون هذا وكانهم يتعاض امتعاض المغضب وتتابع
نفسه تتابع المتعب ويعترض الشجى في حلقه حتى يغص من غير أن يشرب
ولم يزل بالحساد من سيد ناداه يورثهم أرقا ويوسعهم شرقا وكثيرا ما تهرق له
جياهم وكذا الميت تندى جبينه عرقا وما أرى لهؤلاء دواء إلا أن يطرحوا
عن مناكبهم ثقل المساجلة والحساد غايب ~~يكون~~ من يجرى مع صاحبه
في مضمار المماثلة وكنت أحب أن يقام على الكتابة محتسب حتى يتسلسل منها
خلق كثير وتستريح جياذ كثيرة من ركوب حير وفي مثل هذا السوق يظهر
أهل الخلافة والتجش وما منهم إلا من هو في الخضيض الأسفل وقد أجالس
نفسه قائمة العرش ونار الآلة العمرية غير خالص النقود من زيفها ولا حيف
في هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة في حقهها وبعض هذا الفصل
مأخوذ من شعر عبد السلام بن رعيان عرف بديك الحق

ترهسى به القلمان إلا أن ذا * لدن المحس وأن ذا ~~يحب~~ محبوب

عودان يقضب ذا الطلى بلعابه * ويحبوب ذا المهجات بالتركيب

وبكفيك أيهم المتوشح لنثر الشعر أن تنظر إلى هذا الفصل وتتأمل الموضع الذي
أخذت معنى هذين البيتين ووضعته فيه فإن فيه غناء ومقنعا (وأما) حل آيات
القرآن العزيز فليس كنثر المعانى الشعرية لأن ألفاظه ينبئني أن يحافظ عليها
لمكان فصاحتها إلا أنه لا ينبئني أن يؤخذ بلفظ الآية بجملة فأن ذلك من باب
التضمنين وإنما يؤخذ ببعضه فاما أن يجعل لفظ الكلام أو آخره على حسب
ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالأخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية
والخبر فيمكنى لفظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما لا قسم الاقل للفائدة التي
أشرفنا إليها وقد سلكت في ذلك طريقا اخترعتها وكنت أنا ابن عذرتي وعند تأمل
ما أوردته منها في هذا الكتاب يظهر لامتناهل صحة دعاوى واتى كان من تقدم في ألقى
بشيء من ذلك فاني ركبت فيه جوادا وركب بجلا ونال من مورده نهلة واحدة
ونلت منه نهلا وعلا ومن آتاه الله في القرآن بصيرة فانه يبين ألفاظه ومعانيه
في كلامه ويستغنى به عن غيره إلا أنه ينبئني أن يكون فيه صوتا يخرج منه
ضروب المصوغات أو صراقا يجهل في نقوده المختلفة من الذهب المختلف الألوان
ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شيء وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه

تاجر ايديره على يده ويتصرف في ارباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من مناسبه
 كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم بما علم
 وما كل من قال القريض بشاعر * ولا كل من عانى الهوى بعتم
 (واعلم) ان المتصدي حل معاني القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على
 درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شئ جريته وخبرته فاني كنت آخذ
 سورة من السور وأتلوها وكلما مر بي معنى أثبتته في ورقة مفردة حتى أتهى الى
 آخرها ثم آخذ في حل تلك المعاني التي أثبتتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى
 أعاد تلاوة تلك السورة وأفعل مثل ما فعلته أقولا وكلمة لمنها التلاوة مرة بعد مرة
 ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في المرة التي قبلها وسأورد في هذا الموضع
 سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم
 ما فعلته فتحذو حذوه وقد بدأت بالسورة أقولاً وهي سورة يوسف عليه السلام
 لاسم قصته مفردة برأسها وفيها معان كثيرة * فالأول ما ذكرته في دعاء كتاب من
 الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها
 وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها
 كواكب السيادة وشمسها وقرها وهذا أول معنى في السورة وقد نقلته عن قصة
 المذنب الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى في صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها
 ذكرى للعابدين وتقدمه اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي
 ساجدين فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير وتجاوز ظلمة الخطب بالصباح
 المنير فانظر اني أثر رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك للحى المرنى وهو
 على كل شئ قدير ثم تصرف في هذا المعنى فأخرجته في معرض آخر وهو فصل من
 جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقات وقد علمه أمير المؤمنين
 فادنى مجلسه من سمائه وأنسه على وحدة الانفراد بهقل نعمائه ورفعته حتى
 ودت الشمس لو كانت من أنزابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع
 الحدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشقاء
 أن تتصرف بتقبيل تربته فليرد اعجابا بما ناله من موافق أقدامه ولينظر الى
 جهود الكواكب له في نقطة لاف منامه (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بخيل وهو
 لم أركوا هب فلان ملأت أملى بطامع وعودها وفرخت يدي من نيل جودها

فلم آخذ الا بلامع سرايها وكانت كدم القميص في كذايها (ومن ذلك)
 ما ذكرته في تركية انسان عمارى به وهو لم ترم بذنب الانابت البراءة له مناب
 اليهود ورجى من أهلها بشهادة القميص المقدود (ومن ذلك) ما ذكرته
 في عذرا الهوى وهو لم يوحيدا الا كان لأهل التقى فيه اسوة ولأليم من
 أجله الا اعتذر عذرا امرأة العزيز الى النسوة (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
 جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل ذكر او الجواب أتى
 بخوابي هذا عروس تجلى في حلها المحبرة وعقودها المشدرة وترهى بما آتاها الله
 من الحسن الذى ايسر بالجلوب ولا ترضى بتقطيع الايدي دون تقطيع القلوب
 وما قد أرسلتها الى سيدنا حتى يعلم أن تسأج خاطرى على الفطرة وأنها معشوقة
 الصورة لكل الناس في هواها بنوعذرة في هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوى
 والبيت من الشعر (ومن ذلك) ما ذكرت في تقلب الايام وهو لقينا أياما ضاحكات
 وليتها أيام عابسات فكانت كسبع سنبلات خضروا خرباسات (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كريم وهو ليس بمن يرقب بحرف الزمان قبل ذر الحطب في سنبله
 ولكنه يستأنف الصبر في آخره ويستهلك المال في أوله فلا يبقى من يومه لغده
 ولا يتهم ربه فيما بيده (ومن ذلك) ما ذكرته في حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد
 القلوب وتمون فراق المحبوب ألا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف
 بالاضاعة (ومن ذلك) ما ذكرته في الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تخترس
 من جنود الاقدار بالآراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب
 المتفرقة (ومن ذلك) ما ذكرته في تتابع الاسماء وهو لم يزل يرشقى بقوارصه
 حتى تسكاثر التبل واستحكم التبل ولم يكفه الا لقائه في غيابة الحب حتى قال
 ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (ومن ذلك) ما ذكرته في التوكل وهو اذا طلب
 امر الأجل في المطلوب ووكله الى الذى بيده مفاتيح الغيوب وتأسى في حاجته
 منه بالحاجة التى كانت في نفس يعقوب (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الكيد
 وهو لم يأت امر الأخفى أسباب أواخيه وبدأ فيه بالآوعية قبل وعاء أخيه
 وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام (وأما) الآيات التى هى
 من سورة متفرقة فأولها ما كتبه في صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
 هو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان

وتسأوي في الاشتغال منه ومنها بالاستقصان غير أن الجياد وان حسنت فانها
 لا تبلغ في الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال أني أحيت حب الخير عن ذكر
 ربي حتى توارت بالجباب وأن قضى الاشتغال هنالك بمسح سوق وأعناق فانه
 لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت
 لقلت عن افادة بافادة وهذا أخوذ من قصة سليمان عليه السلام في سورة ص
 وهي قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أقاب اذ عرض عليه بالعشي
 الصافيات الجياد فقال اني أحيت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالجباب
 ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة
 وقابات بينها وبين الكتاب ثم اني تصرفت فيها بالموافقة بينهم ما تارة والمخالفة
 بينهم ما أخرى وهكذا ينبغي أن يفعل فيما هذا سبيله (ومن ذلك) ما كتبه
 عن الملك الافضل علي بن يوسف الى الديوان العزيز النبوي ببغداد في فصل من
 كتاب وهو وقد علم أن المال الذي يحتزن كالماء الذي يحتقن فكما أن هذا بأجن
 تعطيل الايدي عن امتياح مشاربه فكذلك بأجن هذا بتعطيل الايدي عن
 امتياح مواهبه وأي فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تلك به القلوب وتقل به
 الخطوب ويركب به ظهر العزم الذي ايسر بركوب ومن بسط الله يده فيه
 ثم قبضها بحبله فانه يقف دون الرجال مغرورا ويقعد عن نيل المعالي ملوما
 محسورا واذا أدركته منية مغنى وكأته لم يكن شيأ مذكورا ومذناط الله بيد
 الخادم مانا طه من أمر بلاده لم يدخر منها الا مربوط أشقره ومر كزأ سمره
 وما عداها فانه مصروف الى قوة الاسلام في سد تغوره وتكثير جنوده وايقاد
 حرب عدوه بعد خودها واسه تباحة جرها عند وقوده وما يفضل عن ذلك فانه
 للناس يشتركون في وشله وغمره والمسلم أخو المسلم يساويه في حقه من بيت المال
 وان خالفه في منزلة قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يدلس من
 هذا المال بتبعية المطالب أو يلتمس بالقوم الذين يكثرونه فيجزى عليه بكي
 الجباء والظهور والجنوب ولم يات به الله على فترة من مثله الا ليمحو به سمات
 الدين ويعيده الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ولا يكون
 حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقها الدنيا في ديوانه وتثقل بها في الآخرة
 كفة ميزانه في هذا الفصل مع في آيتين احدهما في سورة هل أتى والاخرى

في سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبه عنه الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب
 من كتاب يتضمن استعطافه والتوصل اليه وهو من شعبة الاقدار أن تذهب
 يصائر ذوى الالباب ويمثل لهم الخطأ في مثال الصواب ولولا ذلك لما زال الحكم
 واعوج المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلة
 لا زال عرفها مأمولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها في المكرمات مبتدعا
 اذا كان فعل الايادي مفعولا ونسبت فيث الى عفوها الذي يسكن في فيه لفظة
 الاعتذار ولا يتقدموا ظبية الاصرار ولوعرف ذنبه باديا لقرع له سن الدمامة
 ومعاد على نفسه بالملامة ولما كان عجيبا أن يكون مليما وأن يكون مولانا
 كريما لكنه حمل اصرة الذنب وهو يرى من حملها وخاف أن تكون هذه
 كاخواتها التي سلفت من قبلها والامور المتشابهة يقاس البعض منها على
 البعض والممسوع لا يستطيع أن يرى مجزئ حبل على الارض ولم يحترم المملوك
 الا أن جريمة سوى ان فتر الى الاعتصام والى بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام
 واذا ضاق على المرء اقربه كان الابعده من ذوى الارحام وليس بأقل من ذهب
 هذا المذهب ولا بأقل من حمل نفسه على ركوب هذا المركب واثن قال بعض
 الناس انه يحل في اعتصامه وفراره وانه لو صبر لجد مغبة اصطباره فهذا قول
 من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا يتلى بما يتلى به من قوارض مولانا
 مرة بعد أخرى واقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبية حتى ملأت طرفه كل
 المسهاد وجنبه شوك الاقتاد وأصبح وهو يرى أنه زاق في خطيئته زلقا وغص
 بندمه من أجلها شرقا وبدت له سوائه حتى طفق يخصف عاياه اورقا ومع هذا
 فانه واثق أن حلمه ولانا لا يؤقن من الزال وأن حصة الذنوب لا تخف بوزن ذلك
 الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع العتي وعادم مستشفعا ولا شفيع أكرم من
 القربى ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفي الذي أوردته من هذا
 الفصل معنى آية من القرآن في سورة الاعراف وهي قوله تعالى فبدت لهما
 سواهم ما وطفقا يخسئان عليهما من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبه عن الملك
 القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الديوان
 العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد وكان عمره اذ ذلست عشرة سنة
 لما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي وهو اذا توفي ولي من أولياء الدولة فمن

السنة أن يعزى بفقدته ويستخرج اذنها في سلبه القاتم من بعده حتى لا تخلو
أرضهم من رواسي الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليال
وقدمه منى والد العبد الى رحمة الله وهو مفترود من الطاعة خير زاد غير خائف
من احصاء الرقيب العتيد اذ جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه
ما كان في الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضمون وصيته التي
عهدتها أن تمشي في الطاعة على اثره ونهتدى بالاوامر الشريفة في مورد الامر
ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذا قام واذا قعد وسجدة صلواته اذ ارع
واذا سجد وهو يرى أنه لم يحض والده حتى أبقى للدولة من يثبت قدمه ووضع قدمه
وعند ذلك يقال ان ضمن الشجرة كالشجرة في ثبات أصله وقوة مجمره وهذا
مقام لا يمتاز فيه الا بقاء عن الابناء وليست المزية لا كنهال السن انما هي اشبية
الغناء وقد أوفى بحبي الحكم قبل أن يجرى القلم في كتابه وشهد له بالتركية قبل
أن يقتصب في محرابه وكذلك قد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على
قتله عمره وشهد أنه خليف بعماسند اليه من أمره والعبد وان بسط الاستحقاق
لسانه فان الادب يحكم بانقباضه ويريه أن التفويض الى انعام الديوان العزيز
أسرع في نجب اغراضه ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب
ولو جمعت في صعيد واحد ثم سألت مطالبها الميات قصت خزائن العطايا من تلك
المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه معنى آيتين من سورة صريم عليها
السلام أما الاولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا
وأما الثانية فقوله تعالى وحنا نأمن لدنا وزكاة وكان تقيا وفي هذا الفصل أيضا
معان ثلاثة من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضمنا وتبعها
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الفبار في الحرب وهو وعقد الهجاج شققا فانه قد
وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد غير أنها سماه بنيت بسنايك الجياد وزينت
بجنوم الصعاد ففيها ما يوعده من المنايا لا ما يوعده من الارزاق ومنها تقذف
شياطين الحرب لاشياطين الاستراق وهذه المعاني مأخوذة من سورة الرعد
وسورة الصافات وسورة الذاريات (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف طعام وهو فصل
من كتاب فقلت طعام لا يعل اذا شئت الاطعمة بهلها وكانها تواتر يد الخلة ولم
تباشره الايدي بعلمها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد طاب

حق لا يحتاج من بعده الى استعمال الماء ومارآه ذو شبع الا رأى تركه غنيا
 وود لو زيد الى بطنه بطنا وبعض هذا مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو قد تكاثرت وسائل الخادم
 -ق لا يدري ما يجده لطلابه سفيرا ومامننا الامايقال انه أقول وليس فيها ما يجعل
 اخيرا غير أنه لا يذكر منها الا ما هو قوام ايمانه والذي لا ينظر الله من ابن آدم
 الا الى مكانه وفي ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لا اله الا الله
 لا بعده شيء من الخسرات المودعة في العصيفة وقد تجد دالان للخادم مطلب
 هو بالنسبة الى مواهب الديوان العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس في صعيد
 واحد لا على كلامها مرامه ولم يقل ذلك كثير ~~وكتابه~~ هذا ساثر الى تلك
 المواهب التي يتيق منها صدر الارض بانساعه وليس الذي يباله عنهما في حال
 على النظر الى الجبل في امتناحه وكما أن عبيد الديوان العزيز أطوار فكذلك
 مطالبهم أطوار وقد جعل الله الاشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده بمقدار
 وهذا الفصل من أحسن ما يكتب في استخراج مطالب وفيه معان ثلاثة أخبار
 نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم وليس هذا موضع الاخبار وانما جاء ضمنا
 وتبعا فالآية الاولى في سورة الاعراف والآية الثانية في سورة الرعد (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب وهو اذا دجا ليل قلبه وطلعت فيه نجوم كله لم يقعد
 لها شيطان بلاغة مقعدا الا وجد له شهابا مرصدا فاسرارها مصونة عن كل
 خاطف مطوية عن كل قاتف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب أيضا فقلت له بنت ~~فك~~ رما تخضت جمع في الانتصته
 من غير ماتم له وأنت به قومها تحمله ولم يعرض على ملا من البلغاء الا ألقوا
 أقلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله في هذين السطرين آيتان من القرآن
 لكريم الاولى في سورة مريم وقصتها وقصة ولدها عليه السلام وهي قوله
 تعالى فأتت به قومها تحمله والثانية في سورة آل عمران في قوله اذ يلقون
 أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف
 القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلبه ما أوحاه الى النحل غير أنها تناوى الى
 المكان الوعر وهو يأوى الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتني من ثمرات ذات
 أرواح لا ذات اكمام ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للافهام

وابن ماذنبته كثافة الخشب مما تنبته لطافة المعنى ولا تستوى تضارته - هذا النمر
 وهذا النمر ولا طيب هذا المعنى وهذا المعنى وقد أرخص الله ما يكثرو وجوده
 فذهب في لهوات الاغواء وأغلى ما يعز وجوده فيبقى خالدا على السنة الرواء
 وكل هذه الاوصاف لاتصح الا في قلم سيدنا الذي اذا خيل بضاطره امتلات
 بحديثه المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالية من قبله وهي عواطف
 فلا حينئذ ان ينظر الى غيره بعين الاحتقار ولو اصفه ان يسهب وهو قائم مقام
 الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاختصار ادغنا له بعيد وفهمة
 قريب وهو مأخوذ من سورة الفل (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بختيل وهو
 له شجرة في الجود لا يشام ثاقها واذا هزها سائلها قال انها كلمة هو قائلها
 وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب وهو
 وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذي هو في كل واحد بهم وقال
 يا ايها الملا اني القى الى كتاب كريم ثم اخذ في اعلاء قدره وتنويه ذكره ولم
 يستفت الملا في الاذعان لامره ولا اهدى في قباته سوى هدية لسانه وصدره
 لاجرم انها قبل ولا ترد ويعتد بها ولا تعد فانها مال لا يتعد الانفاق وجوهر
 تعلى به الاخلاق لا الاغناق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام
 في كتابه الى بلقيس وهي مذكورة في سورة الفل وفي هذا من شرف الصنعة انه
 خواف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر
 كتاب يتضمن ذكر معركة حروب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح
 الذي هو نديده قام محققا وأسهب مترويا ومرتبجا حتى باقى في خطابه
 بالمعاني الاخر وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضرائر للضرائر وكتابنا
 هذا يصف معركة احترت ضبايتها وضاعت بالاسود غايتها فالطمع بها محتضر
 والموت محقق والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكلن الاسلام هنالذ جبر
 السنج وفور القديح المنج وليس الذي يرقب المعونة من اقله الذي هو رب المسيح
 كن يرقبها من المسيح ولقد تغذت الرماح في اعداء الله تعالى حتى اعتدت من
 جانبي المدور والظهور وترك النابج منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا تنظر
 الخائف المذمور فليس لهم من بعد حاجيش يجمع ولا لوا يرفع وقد كانت
 بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لاتذب عنها ولا تقنع وهذه معركة قلت بها

الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرايين التي تأكلها النار
 لئلا تنام مقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران ألا أنها
 تخالفه وذلك أن القريان كان يقبل فتنزل النار تأكله واجساد هؤلاء الكفار
 قريان تأكل النار لكنهم لا تأكله لانه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا
 رقيقا (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من ~~كتاب~~ يتضمن الشكوى من خلق
 بعض الاخوان وهو واقعة صيرت على اخلاقه العائنة وعاملته بالخطيئة الرائنة
 وعاملته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقي الراغبة ولا تفت النافذة ولما اعيا
 على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر اوسى في المرة الثالثة وهذا مأخوذ من
 قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته
 في فصل من كتاب وهو قهقهة في نار الندم يعرضون عليهم اغدقوا وعشيا وصار
 الامر الذي كانوا يرجونه محشيا واضموا كاهل النار الذين صاروا اعداء وكانوا
 شيما وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا مأخوذ من سورة
 حم المؤمن ومن سورة سبأ (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت اقاسى
 من بلهه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وعرضت فيه
 بذكره فقلت واقدم عليك التسيان حتى كأنه يقظ في صورة نائم وحتى حقق قول
 القناسخ في نقل ارواح الاناس الى البهائم فلما أرسل في حاجة الاذهبت من قلبه
 عينة ويسرة ولا طاب منه ما استعظمه الاقال رأيت اذا وينا الى الحضرة وهذا
 فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القسرات الكريمة عن سورة
 الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل
 ما بقيت موجودة ولم تفقد وهي حية وان أودى أربابها ولا يموت من لم يولد
 ومن اكرم ما أوتيه منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة
 والحسن في كلامها من آثارها وما نقول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصم من
 تور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله
 له هذه الفضيلة بالعلم الذي أعلمه بعلمته ووسمه بوسامته وقذف في روعه
 ما لا يبأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجداد واقامته وعلى ما
 بلغه منه فانه فيه أحد المأمومين اللذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظروا احد
 ومسمع فله فيه نظران ومسمعان في هذا الفصل المختصر معاني عدة آيات وخبر

من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
 وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للمتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل
 أتانا نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
 ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من احسن ما يأتي في هذا
 الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن نهاية بعض الفقهاء فقات بعد
 الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يريد اطلب فضله فضلا ويرى التبرع
 بعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المساواة تغلا وما ذاك الا لمزية خالق فوجد بطيب
 الثرية وشرف الرتبة وأوفى من كنوز الكرم ما ان مضاهجه لتزوه بالعصبة
 وله هذا خرج على قومه من الاخلاق في زينة وفضل الخلق بطينة غير طينة
 ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويصتال في استنباط أمل الآملين ثم مضيت
 على هذا النهج حتى انتهيت الكتاب والغرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك
 في اخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم نضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا
 كما قد فعلت أنا في هذا الموضع ألا ترى أنني أخذت بعض هذه الآية في قصة من
 سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم وآتينا
 من الكنوز ما انضامه لتزوه بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
 لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندي حتى
 جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله
 تخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
 قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغي لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقد رت
 على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو
 أعلى درجة منها لانها مزوجة بالقرآن لأعلى وجه التضمين بل على وجه الانتظام به
 واقع يخصص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من أثر هذه الآيات كفاية
 للمتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكما القرآن العزيز في حل معانيها (فان قلت) ان
 الاخبار النبوية لا يجزى فيها الامر بجري القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط
 وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لوضاع مني عقل لوجدته
 في القرآن الكريم وأما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولوا انحصرت
 لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان ~~بعض~~

الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القربان التي تأكلها النار
 لئلا تأكلها مقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران ألا أنها
 تحالفه وذلك أن القربان كان يقبل فتزل النار تأكله واجساد هؤلاء الكفار
 قربان تأكل النار لكنهم لا تأكله لأنه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا
 رقيقا (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من ~~كتاب~~ يتضمن الشكوى من خلق
 بعض الاخوان وهو واقدم صبرت على اخلاقه العاتية وعاملته بالخليقة الرائعة
 وعاملته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما اعيا
 على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر اوسى في المرة الثالثة وهذا مأخوذ من
 قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته
 في فصل من كتاب وهو قبحه عوانى نار الندم بعرضون عليها غدوا وعشيا وصار
 الامر الذي كانوا يرجونه محشيا واضمحوا كاهل النار الذين صاروا اعداء وكانوا
 شيما وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كالكلم نبعما وهذا مأخوذ من سورة
 حم المؤمن ومن سورة سبأ (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت اقاصى
 من بله نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وقرضت فيه
 بذكره فقلت واقدم اليك النسيان حتى كأنه يقط في صورة قائم وحتى حتى قول
 التماسخ في نقل ارواح الاناس الى البهائم فما أرسل في حاجة الا ذهبت عن قلبه
 بمنة وبسرة ولا طلب منه ما استعظمه الا قال ارايت اذا أويشنا الى الحضرة وهذا
 فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم عن سورة
 الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل
 ما بقيت موجودة ولم تفقد وهي حية وان أودى أربابها ولا يموت من لم يولد
 ومن اكرم ما أوتي به منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة
 والحسنى كلالها من آثارها وما نقول الا أنه اخذها حارسا يمنع الخصر من
 تسور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله
 له هذه الفضيلة بالعالم الذي أعلم به لامتته ووسعه بوسامته وقذف في روعه
 ما لا يبأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما
 بلغه منه فانه فيه أحد المنهومين الذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظروا احد
 ومسمع فله فيه نظران ومسمعان في هذا الفصل المختصر معاني عدة آيات وخبر

من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
 وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للمتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل
 أتانا نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
 ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من احسن ما يأتي في هذا
 الباب (ومن ذلك) ما ذكرناه في جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقات بعد
 الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعدد اطالب فضله فضلا ويرى التبرع
 معروفه فرضا اذا رآه غيره مع المساواة تنفلا وما ذاك الا مزية خاق توحيد بطيب
 التربة وشرف الرتبة وأولى من كنوز الكرم ما ان مضائقه لتنوء بالعصبة
 ولهذا خرج على قومه من الاخلاق في زينته وفضل الخلق بطينة غير طينته
 ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويحتال في استنباط أمل الآملين ثم مضيت
 على هذا النهج حتى انتهيت الكتاب والفرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك
 في اخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم نضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا
 كما قد فعلت أنا في هذا الموضع ألا ترى أنني أخذت بعض هذه الآية في قصة من
 سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتاهم
 من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
 لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندي حتى
 جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله
 تخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
 قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغي لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقد رت
 على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو
 أعلى درجة منها لانها ممزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به
 والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الآيات كناية
 للامتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكما قرآن العزيز في حل معانيها (فان قلت) ان
 الاخبار النبوية لا يجري فيها الامر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصروضا بط
 وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لو ضاع مني مقال لوجدته
 في القرآن الكريم وأما الاخبار فقلت كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولوا انحصرت
 لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان ~~بعض~~

الاحاطة به والوقوف عنده (قلت) في الجواب عن هذا انك اول ما تحفظه من
 الاخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن
 حكما وآدابا فاذا حفظته وتدرجت باستعماله كما اريدك ههنا حصل عندك قوة على
 التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تتصفح كتاب
 صحيح البخاري ومسلم والموطا والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها
 من كتب الحديث وتأخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أخبرني عابدين الذي تأخذه
 ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فليست منه على ثقة
 وان كان لك محفوظات كثيرة كآلة قرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر
 وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما أشرفنا اليه فعليك بعبادة المطالعة
 للاخبار والاكتفاء من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطر فتكون اذا
 احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارتجالا فتأمل ما أوردته
 عليك وأهل به وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشغل على ثلاثة آلاف
 خبر كما تدخل في الاستعمال وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشرين
 سنة فكنت انهمى مطالعته في كل أسبوع مرة حتى داره على ناظري وخاطري ما يزيد
 على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عن منه شيء وهذا الذي أوردته ههنا
 في حل معاني الاخبار هو من هناك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الادب
 في هذا الاسلوب الذي أنا به دد ههنا وذلك انه استوعبه وأنكره وقال هذا
 لا يتبأ الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتبأ في الاكثر منها
 فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اختص اليه في جنين فقضى على
 من أسقطه بفترة عبدا أو أمة فأين يستعمل هذا فافكرت فيما ذكره ثم أنشأت هذا
 الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثرا لجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان
 جاهل وضرب المثل يياقل وكم في هذه الصور المثلة من باقل ولو عرف كل انسان
 قدره لما مشى بدن الاتحت رأسه ولا انتصب رأس الاعلى بدنه ولو كان صاحب
 العمامة به مامته وصاحب الرمن أحق برسته وكنت سمعت بكاتب من المكاتب
 كلمه الى غشاة وقلمه بغشاة لا يستنسر وأى بطش لبغشاة واذا وجب الوضوء
 على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبيل ثلاثة هذا وهو يدعى أنه
 في الفصاحة أمة واحدة ومن قرأ يادوسحبان وأثل عنده واذا كشف عن

خاطره وجد بلايد الا يخرج عن العمه والكفه وان رام أن يستنجه في حين من
الاحيان قضى عليه بغرة عيسا وأمه وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على
الافاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يملكون فيه حضيض الارض على
هام السماء فلما أوردته عليه ظهر من اماره الحسد على صفحات وجهه
وفلمات لسانه مع اجهابه واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا
أين يستعمل من المكتات قرويت في قوله ترويا سيراثم قلت هذا يستعمل
في كتاب الى ديوان الخلافة وأملت عليه الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل
منه وهو اذا فاض الحساد في وصف ولاته نكصت همم الاولياء عن مقامه
وعلموا أنه اخذ الامر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان
فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان وماعداهما فان دخوله
الى قلبه من الاشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة
عليه قول الديوان العزيز على سيف من سيف الله يفري بلاضارب ويسرى
بلا حامل ولا يسل الا يدهق ولا يغمدا الا في ظهر باطل وابعلم أنه ككرشه
وعيبته في تغيب الاسرار وأنه أحسن عديه اذا عادت مواقف الانصار فلما
رأى هذا الفصل بهت له وأجيب منه ثم اني لم أقنع بما اراد ذلك الحديث حتى قرنت
به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ان النصر كرشى وعيبتي
وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة
كثيرة فتدرب بها (فمن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو اعاد الله
أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زاد الكل ركب
وأنس الكل هم ومنه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فنقلته الى الدعاء
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد
في الاشطان ولم اتصرخو فام قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لا يظهر أثر
حلمه الا عند تلذذه والكظيم هو أشد ما يخاف من تبدده وهذا المعنى أخذته من
قصة أبي بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بنى عليه ثلاث مرات وهو ساكت في
الثالثة انتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر

يكذب خصمه بما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد الشيطان (ومن ذلك) ما ذكرته
في النصرة على العدو في موطن القتال وهو أخذ نابتة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النصر الذي ترجوه ونبتنا في وجه العدو وكفنا من التراب وقلنا شامت
الوجوه فثبت الله ما نزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن أقدامنا
وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم في أخذه قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وله شامت
الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين
لاقي رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتا قبل أن يصل إليه
وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاء إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة (ومن ذلك) ما ذكرته
في ضيق مجمال الحرب وهو وضيق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع
البيض الذكور وتصلحت القور بالفور والصدور بالصدور واستظل حينئذ
بالسيوف لاشتباك مجالها وتبقت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو
مأخوذ من الحديث النبوي وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت
ظلال السيوف (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب آدم فيه الزمان فقات
ولكنها الأيام تبدى أناس من جواهرها كل غريبة وتسوسنا سياسة العبد المجدع
الذي كان رأسه زيبه وليس لامره فيما يلقاه من أحداثها نعيمى كانت أو بؤسى إلا
أن يكمل الأمور إلى وإياها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي
في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس
بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته
وكلامه أتلو مني على أمر كتبه الله تعالى عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحج آدم موسى (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف بعض الكتاب وهو
فصل من كتاب كتبه إليه فقات وأقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى
عن بطردائه وهدى إلى جوامع كل ما فاقدى الناس باهتدائه فإذا اشتبهت
عنده مسالك طرقها لم يملكه سلطان الحيرة وإن أغرب في أساليبها لم يقل فيه
ما قيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يؤتى به في صناعة تثر المعاني
وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قالت يا رسول الله أسمع منك أشياء

فلا أحفظها فقال أبسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فأنسيت شيئا
 حدثني به (وأما) رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتهم وقد اجتمع في هذا الفصل
 معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا يفتن له عند الوقوف عليه إلا من تبصر
 في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتابة
 في الفصل التاسع (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخية فقلت
 ومن صفاتها أنها مدينة مستوية الطينة مجموع لها بين حرمة ولاء المدينة
 إلا أنهم يأمن حرمتها في الخلطة ولا نقلت حاشاها إلى الخلقة في هذه الكلمات
 التصار آية من القرآن الكريم وخبر أن من الاخبار النبوية قال آية من سورة
 العنكبوت وهي قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آتنا ويتخطف الناس من
 حولهم وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعها
 وأما الخبران فالأول منهما قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حرمة
 ولاء المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم
 في دعائه للمدينة اللهم حبيبها الينا كما حبيت الينا مكة وانقل حاشاها إلى الخلقة
 فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها موصوفة من الآية
 والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعت الأفراد بسلو كد لما اختلف على
 في الاعتراف به اثنان (ومن ذلك) ما كتبه في كتاب إلى بعض الأخوان
 جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عن زماننا طويلا فقلت ولما تأملته
 ضمنت له إلى التزمت ثم استأتمته والتمته وعلمت أن المعارف وإن قدمت أيامها
 أنساب وشيخه وتأسيت بالخلق النبوي في الهجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة
 وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها وهو أنها قالت كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضها أعضاء ويقسمها في أصدقاء
 خديجة وكانت تأتيه بهجوز فيكرمها وييسطها رداءه فسألته عن ذلك فقال
 هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الإيمان (ومن ذلك) ما ذكرته
 في وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير أنهما ليل في صباح وكل معنى منه
 دمية غير أن ليس على مصورها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم
 الصور (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم وهو فأغنى بجوده أغناء المطهر
 وسما إلى المعالي سموا الشمس وسافر في منازلها مسير القمر ونتج من ابتكار

فضائله ما اذا الدعاء غيره قيل للعاهرا الجبر وهذا المعنى من قول النبي صلى
الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الجبر (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف
الفصاحة فقلت افكار الخواطر لاتستولد على انفرادها وغايتها ان يتناكح
في استنتاج أولادها وأنا أنكح فكري لذكري نكاح الانساب ولا أخاف
أن أضوي فأميل الى الاغتراب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في الامر بنكاح البعيدة النسب فقال غـربوا لاتضوا يريد بذلك أن
الانسان اذا نكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما ما حياء يمنع من قضاء الشهوة
كما ينبغي فيجب الولد ضاويا أي هزيلا وهذا معنى في غريب لي استخرجته من
الحديث النبوي (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان
جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه خصامة
فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطالب العدى ونزل
من التظلم بالعدو الدنيا وأنزل خصمه بالعدو القصوى والقاضى لا يحكم
لاحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فشت عين أحدهما فربما فشت عين
الآخر وهشم حاجبه على أنه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلا
وعليه في حال محضه جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه واطراقه عن
تورده هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ التكريم لما جعل اللسان واليد
سواء فيما جرحا ولما أخرج الله المغفرة عن الخائضين فيها حتى يصطلها فكان أنت
من أطاع تقواه لاهواه واتبع من علم الحق فرآه أو سمعه فرواه واعلم أن
تم ابر الاخوان فوق الثلاث من منيات الحرام وان القاتل يلاجر منها هو
البادى بالسلام ودفع البيعة بالحسنة يجعل العدو وليا حميما وقد جعل الله
المخلاق بهذا الخلق صابرا وجعل له نطا عظيما والشيطان انما يحوم على آثاره
مواقع الشبهة ولا يصمد من اعمال بنيه شيئا الا ما زيل بين الاخوان في هذا
الفصل معاني آيات وأخبار وهذا الموضع مختص بذكر الاخبار دون الآيات
فأقول المعاني المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاك أحد
الخصمين وقد فشت عينه فلا تحكم له فربما أتى خصمه وقد فشت عيناه وأما
المعنى الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما
المعنى الثالث فتقوله صلى الله عليه وسلم ان الاعمال تعرض على الله يوم الاثنين

ويوم الخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً الا امرأ كانت بينه وبين أخيه
شخصاء فيقول اتركوا هذين - حتى يصطلحا - وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه
وسلم لا يحل للمؤمن أن يجر أخاه فوق ثلاث - وأما المعنى الخامس فقوله النبي
صلى الله عليه وسلم اذا التقى المتهاجران فأعرض هذا وأعرض هذا فخيرهما الذي
يبدأ بالسلام - وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش
على الجرف يبيت بنيه في آفاق الارض فيأتى أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا
فيقول ما فعلت شيئاً ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين
زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظر كم في هذه الاسطر الايسرة من معنى خبر نبوي
هذا سوى ما فيها من معاني الآيات واذا عُددت هذه الكلمات المذكورة
في هذه الاسطر وجدتها جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا ما يدل على
الاصح من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تمديدًا وتخويفًا فافتات
ورد الكتاب مضمناً من الوعد والوعيد ما أنس نفس المملوك وأوحشها ونزع
ضلوعه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنوداً تقاقله وتأخذ عليه
شعب الافكار فلا تراوله وكانت كلماته طوالاً وأوراقه ثقلاً وما أفلت سطر
من سطوره الا كان الاخر له عقلاً ولما استكمل الوقوف عليه ثقلت
أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار في قرطاسه
كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض جداره ولولا وثوقه بأمانة
مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتنى في السماء سماءاً في الارض نفقا لكانه قد
نوسم في كرمه مخايل الصنع الوسيم وغره منه ما غرّه من ربه الكريم وعلم أن
خلق حليمه يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذالك قديم في هذا الفصل معنى خبر
من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يخطف فقال يده الى الجدار
وقال عرضت على الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم أركل يوم في الخير والشر
(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو المدام يواصل
بالدعاء الذي لا يزال لقلبه زميلاً وللسان رسيلاً واذا رفع أدنته الملائكة قريبا
اذ تباعدت عن غيره ميلاً ولاعتد ادب الدعاء الا اذا صدر عن أكرم مصدر
ووجد له فوق السماء مظهر راوان لم يكن هناك من مظهر ووصف باطنه بأنه

الايض الناصع الذي هو خير من ظاهرا لاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم أهل
 وده الابهـ هذه المعاملة ومن خلقه المجازفة في بذل المودة اذا أخذ الناس نسبة
 المكايلة في هذا معنى خبرين أحدهما قول النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا
 كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلانين كذبه والاخر قوله صلى الله عليه
 وسلم لم ربه أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره (ومن هذا
 الباب) ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه بعد
 تصدريه بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر في ورقة وليس
 ذلك الا لرساله في خطبة مودة رأى صورتها في سرقة ولما تأملها قال ان يكن
 ذلك من عند الله يحضه وأبدى اها صفة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه
 وخير المودات ما ليس لها ضرة تشاركها في وسامتها ولا تضاهيها في درجة
 كرامتها فقلت التي تزدهي ذالهمة أبوة وجمالا ولم يغله مهرها ولو بذل فيه نفسا
 لا مالا وما يظن الخادم الا هذه المودة التي خطبها وقد علمت أن تكون رغبة
 ولكن هو الذي أرغبها على أنه لم يترشح لها الا من هو من أكفائها وليست
 الكفاءة ههنا الا ما تبذل الضمائر من صفاتها وقد أتاح الله لها كفووا يكثر من
 ايناسها ويضعها من البر في محلة ناسها ويجعل كل يوم من ايامها عرسا حتى
 تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى
 المأخوذ فيه من الخبر النبوي في موضعين الاول أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لعائشة رضي الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض علي صورتك في سرقة
 والسرقة حيرة بيضاء وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة فقلت ان يكن
 ذلك من عند الله يحضه فأخذت انا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتي في
 خطبة المودات شيء أحسن منه ولا ألطف ولا أشد مقصدا الخبر النبوي الثاني
 قول النبي صلى الله عليه وسلم انما تنكح المرأة لأربع لحبها ولدينها ولمالها أو
 لجمالها فقلت أنا فقلت التي تزدهي ذالهمة أبوة وجمالا أي قد جعلت الحسب
 والجمال (ومن ذلك) ما ذكرته في سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة
 وبين القلوب وهي له بمنزلة الحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الا لان الله
 قبض قبضة من جميع الارض فخلق آدم من تلك القبضة ويوشك حينئذ أن
 صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا أن يكون منهما عنصر ابداه

لما جعلها ما لا يطباء دواءه من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على جميعها
 مطبوعا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض
 منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والحديث والطيب وغير
 أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام وهو ليس السحر ما أودع في جف طاعة بل
 ما أودع في صوغ معنى أو نظم جمعة ولذلك لبس في شعره أسحر من لبس في سحره
 وكلام صنعهما من الغريب العجيب غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما يدفن
 في القلب وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبس الأعمش في شعره النبي صلى
 الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته في نثر هذه الكلمات
 البديعة (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المنجنيق من جملة كتاب فقلت ونصب
 المنجنيق فخم بين يدي السور مناصيا وبسط كفه اليه مؤاتيا ثم تولى عقوبته
 بعصاه التي تفتك بأججاره واذا عصى عليها بلدا أخذت في تأديب أسواره فما
 كان إلا أن أسمرت عقوبته عليه حتى صار قائمه حصيدا وعاصيه مستقيدا
 وقال ألم يكن نهى عن المدة والتجريد فما لي لا أرى الامتداد وتجريدا وعند ذلك
 أذن لفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم نأت
 صعبا الا تسهل ولا حثنا مطيا الا استعجل واطما لما وقف غيرنا على هذا
 البلد فشفه طول الانتظار ولم يحظ منه الا بمسألة المنصب اججار الديار في هذا
 الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم في النهي
 عن ضرب الحدود ولا تجريد أي لا يمتد على الارض ولا يجرد عنه ثوبه (ومن
 ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوي وهو خلد الله دولة
 الديوان العزيز النبوي ولا زالت اكافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها
 كالنجوم التي ترى في كل حين طالعة وأيامها كالليالي ساكنة ولياليها كالايام
 ناصعة وأبوابها كابواب الجنة التي يقال فيها ثامن وثامنة اذا قيل في أبواب
 غيرها سابع وسابعه وهذا الدعاء قد استجاب الله قبيل أن ترفع اليه يد أو ينطق
 به ضمير فاذا دعا به الخادم وجد صنع الله قدس سبته أولا وجاء هو في الزمن
 الاخير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وأن يعينه

من النقص بعد التمام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التي يعتد بها من لطائف
الاحسان واذا ندب لتكليف أو امرها قال والحمد والشكر يسجدان
ولاشك أن درجات الاولياء تتفاوت في الصفات والاسماء فغما ما يكون بطن
الارض ومنها ما يرى كالنوكب في أفق السماء ولولا النهي عن تركية المرء نفسه
لادعى الخادم أن له اعلاها وجاء بالاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها
والقمر اذا تلاها لكنه لا يثبت باعتدائه عند الله من ذنره وسر الولا في هذا
المقام أكرم من جهره وليس الذي يثبت بصلاته وصيامه كالذي يمين بسر وقر في
صدره والله لا ينظر الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع
بمحضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير
الخادم في الطاعة لسره وعلم أن الاشعث الاغب الذي لو أقسم على الله لأبره
في هذا الفصل من الآيات والاخبار عدة موضح وهذا الموضع مختص بالاخبار
فلنذكرها دون الآيات أما الاول منها فقول النبي صلى الله عليه وسلم انكم
ترون أهل الدرجات العلى في الجنة كاترون النوكب في أفق السماء وأما
الخبر الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن
فضلكم بسر وقر في صدره وأما الخبر الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم رب
أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وفيما أوردته من حل المعاني
الشعرية وحل آيات القرآن والاخبار النبوية طريق واضح ان يقوى على سلوكه
والله الموفق للصواب

(المقالة الاولى في الصناعة اللفظية)

وهي تنقسم قسمين (القسم الاول في اللفظة المفردة) اعلم أنه يحتاج صاحب هذه
الصناعة في تأليفه الى ثلاثة أشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك
حكم اللآلئ المبددة فانها تتغير وتتبدل قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع اختيارها
في المشاكلة لها لا يجيء الكلام فلقا فافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم
العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها الثالث الغرض
المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذي
يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل على الرأس وتارة يجعل على قلادة
في العنق وتارة يجعل شنفاف في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من

الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لا بد للطبيب والشاعر من العناية بها وهي
 الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر فالأول والثاني من هذه
 الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملة انتهى المراد بالبلاغة
 وهذا الموضع يضل في سائر طريقته العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر
 فكيف البهال الذين لم تنفعهم راحة ومن الذي يؤتبه الله فطرة بأصمة يكاد
 زيتها يضيء ولولم قسمه نار حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها
 في مواضعها ومن عجيب ذلك أنك ترى افظتين يدلان على معنى واحد وكلاهما
 حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلا أنه لا يحسن
 استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك
 وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ما جعل
 الله لرجل من قلبين في جوفه وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
 فاستعمل الجوف في الاولى والبطن في الثانية ولم يستعمل الجوف موضع
 البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء في الدلالة وهما اثنتان
 في عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر إلى سبك الالفاظ كيف تفعل
 وما يجري هذا الجري قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ان في ذلك
 لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة
 وان كانا مختلفين في الوزن ولم يستعمل في القرآن أحدهما في موضع الآخر
 وعلى هذا ورد قول الأعرج من أبيات الحماسة

نحن بنو الموت إذا الموت نزل • لا عار بالموت إذا حتم الأجل

• الموت أحلى عندنا من العسل •

وقال أبو الطيب المتنبي

إذا بي مشيت حفت على كل سابع • رجال كان الموت في فمها شهد

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك في حسنه
 واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لأنها أحسن
 منها ومع هذا فإن لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من
 لفظة العسل في بيت الأعرج وكثيرا ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء
 المقلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصنعي الخطباء وتحتهم دقاتي ورسوزاذا

علمت وقيس عليها الشباهها وتطائرهما كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الالفاظ ووضعها في مواضعها اللاتقة بها واعلم أن تساوت التفاضل يقع في تركيب الالفاظ اكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب اعسر واشق ألا ترى الالفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلبي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد الاقوم الظالمين أنك لم تجد ما وجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وكذلك الى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى اللفظة منها لو أخذت من مكانها وأفردت من بين اخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية وما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تزوّد في كلام ثم تراها في كلام آخر فتكرهها فهذا ينكره من لم يذوق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وسأضرب لك مثالا يشهد بحجة ما ذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبیت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا تستأنسين الحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وأما بیت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذله المرواة وهي تؤذى * ومن يعشق يلذله الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذى قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن لخط من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فأنتصف أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل ف فكرة وامعان نظر وما تعترض للنبي عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذى اذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذى النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة ألا ترى أنه قال تلذله المرواة

وهي تؤذى ثم قال ومن يعشق يلذه الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت
هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف إليها كاف الخطاب فأزال ما بها
من الضعف والركه وذلك أنه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه
السلام ورقاه فقال بسم الله أرقبك من كل داء يؤذيك فانتظر إلى السر
في استعمال اللفظة الواحدة فإنه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلها
وحسنها ومن ههنا تزايد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى فأتانا من أوتي
كتاب بهيمه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه اني ظننت اني ملاق حسابه ثم قال
ما أغنى عنى ما به هلك عنى سلطانيه فان الأصل في هذه الألفاظ كتابي
وحسابي ومالي وسلطاني فلما أضيفت الهاء إليها وتسمى هاء السكت أضافت
إليها حسنا زائدا على حسننها وكسبها الطافة والباقة وكذلك ورد في القرآن
الكريم ان هذا أخي له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فلفظة لي أيضا مثل
لفظة تؤذى وقد جاءت في الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة
لا تبي ولا تقة كقول أبي الطيب أيضا

تسمى الاماني صرعى دون مبلغه • فما يقول لشيئ ليت ذلك لي
وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول
أبي الطيب

ما أجدر الايام والليالي • بان تقول ماله ومالي
فان لفظة لي ههنا قد وردت بعد ما وقبلها ماله ثم قال ومالي فجاء الكلام على نسق
واحد ولو جاءت لفظة لي ههنا كما جاءت في البيت الاول لكانت منقطعة عن النظر
والشبيه فكان يعملوها الضعف والركه وبين ورودها ههنا وورودها في البيت
الاول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد
وردت في آية من القرآن الكريم وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن
حسنة وفي البيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل أما الآية فقوله
تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
وأما البيت الشعر فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده • زريا كأنهم لديه القمل
وانما حسنت هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لانها جاءت في الآية

رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ أَنَّ كُلَّ الْإِلْفَاظِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا

مندرجة في ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت في الشعر قافية أي آخر
انقطع الكلام عندها وإذا نظرنا إلى حكمة أمرار الفصاحة في القرآن الكريم
غصنا منه في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار إليها فإنها قد تضمنت
خمس ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه
الالفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة
بجملتها أقدم منها الفظتان الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخر وأجعلت لفظة
القمل والضفادع في الوسط ليترك السمع أولا الحسنة من الالفاظ الخمسة وينتهي
إليه آخر ثم إن لفظة الدم أحسن من لفظي الطوفان والجراد وأخف
في الاستعمال ومن أجل ذلك جئنا بها آخرًا ومراعاة مثل هذه الأرار والدقائق
في استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية (وقد ذكر) من تقدمتني من علماء
البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيئات تصف فيها واختلفوا في ذلك
وأحسن أحدهم شيئاً نغواف فيه وكذلك استقبح الآخر شيئاً نغواف فيه
ولو حققوا النظر ووقفوا على السر في اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها
بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها وقد أشرت إلى ذلك في الفصل الثامن
من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة وفي الوقوف عليه
والإحاطة به غنى عن غيره لكن لا بد أن نذكر ههنا تفصيلاً لما أجلناه هناك لأننا
ذكرنا في ذلك الفصل أن الالفاظ داخلية في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج
الحروف فاستلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونباغذه فهو القبيح
وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي أوردتها علماء
البيان في كتبهم لأنه إذا كان اللفظ لذيق في السمع كان حسناً وإذا كان حسناً
دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه (وقد رأيت) جماعة من الجهال
إذا قيل لأحدهم إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكروا ذلك وقال كل الالفاظ
حسن والواضع لم يضع إلا حسناً ومن يبلغ جهله إلى أن لا يترق بين لفظة الغصن
ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفند وبين لفظة السيف ولفظة
الخنشليل وبين لفظة الاسد ولفظة القد وكرم فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب
ولا يجاب بجواب بل يترك شأنه كما قيل أتركوا الجاهل بجهله ولوألقى الجعر
في رحله وما مثله في هذا المقام إلا كزبد يوقى بين صورة زنجية سوداء مظلمة

السواد شوها الخلق ذات عين محجرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية يضاه مشربة بجمرة ذات خذ أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنها نظم من آفاح وطرة كأنها إيل على صباح فإذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام فإن هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فإن عاند معاند في هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق الانسان صورة الزنجية التي ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التي وصفتمها قلت في الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك إذا رأينا شخصا يحب أكل الفهم مثلا أو أكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الالطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الاذن نعمة لنذية كنغمة أوتار وصوتها منكر كصوت حمار وأن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهي على ذلك تجري مجرى النعمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول القائل الذي غلب عليه غلط الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بن ينفخ أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسننا والذي نستفجه هو الذي كان عندهم مستقبحا والاستعمال ليس بدليل على الحسن فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن في كل الاحوال وهذا طريق يضل بغير العارف بما الكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الالفاظ واختيارها فانه معدور في أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق الا من يكابده • ولا الصباية الا من يعانيتها

ومع هذا فان قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فان استحسن الالفاظ واستعجبها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شيء ليس للتقليد فيه مجال وانما هو

شيء له خصائص وهيأت وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبضه وقد تقدم
 الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة وأما الذي نقله العرب فيه من
 الالفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاختدابأقوالها
 في الاوضاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجرم
 الشرط وأشياء ذلك وما عداها فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد
 دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذووى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن
 لفظة المزنفة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف
 أحد في حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب
 وغيرهم فماذا استعمالها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخوجا لها عن القبح
 ولا يلتفت اذن الى استعمالهم اياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث
 استعمالها (وقد ذكر) ابن سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف
 وقسمها الى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على
 العرف العربي غير شاذة وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف
 أو خفي أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من
 الاوصاف وفي الذي ذكره ما لا حاجة اليه أما تباعد المخارج فان معظم اللغة
 العربية دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا
 وخماسيا والثلاثي من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا
 الشاذ النادر وأما الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا
 واستعمالا وأما الخماسي فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر
 وعلى هذا التقدير فان أكثر اللغة مستعمل على غير مكره ولا تقتضي حكمة
 هذه اللغة الطريقة التي هي سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا
 كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يؤلف بين حروف
 الحلق كالحاء والحاء والعين وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام
 والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج
 دون المتقارب ومن العجب أنه كان يخل بمثل هذا الاصل الكلي
 في تحسين اللغة وقد اعتنى بأمور أخر جزية كما نلت به بين حركات الفعل
 في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغليان والضربان والنقضان

ردى ابن سنان الخفاجي

والزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركة وليست فيها
حرف ساكن وهي مماثلة للحركات الفعلات في الوجود ومن تظرف في حكمة
وضع هذه اللغة الى هذه الدقائق التي هي كالاطراف والحواسي فكيف كان يخل
بالاصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم
أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة
أو متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر وإنما كان الشاعر يتنظم قصيدا
ولا الكاتب ينشئ كتابا الا في مدة طويلة تمنحى عليها أيام وليال ذوات عدد كثير
ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هي الحاسة في هذا
المقام بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسأضرب لك في هذا مثالا
فأقول اذا سمعت عن لفظ من الالفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة
أحسنة هي أم قبيحة فاني لا أرا ذلك الاتفي بحسنها أو قبحها على الفور
ولو كنت لا تفق بذلك حتى تقول للسائل اصبر الى أن اعتبر مخارج حروفها
ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح اصح لابن سنان ما ذهب اليه من جعل
مخارج الحروف المتباعدة شرطاً في اختيار الالفاظ وانما شذذه الاصل
في ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن
ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع
الى حاسة السمع فاذا استحسن لفظاً واستقبحته وجد ما تستحسنه متباعد
المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج واستحسنها واستقبحها انما هو قبل
اعتبار المخارج لا بعده على أن هذه قاعدة قد شذعننا شواذ كثيرة لانه قد يخي
في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج
متقاربة وهي من وسط اللسان بين الحنك وتسمى ثلاثها الشجرية واذا
تركب منها شيء من الالفاظ جاء حسناً رائقاً فان قيل جيش كانت لفظه محمودة
أو قدمت الشين على الجيم فقبل نحبي كانت أيضاً لفظه محمودة ومما هو أقرب
مخرجاً من ذلك الباء والميم والقاف وثلاثها من الشفة وتسمى الشفهية فاذا تنظم
منها شيء من الالفاظ كان جميلاً حسناً وكقولنا فم هذه اللفظة من حرفين هما
الفاء والميم وكقولنا ذقته بضمي وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجماعتها وكلاهما
حسن لا عيب فيه (وقد ورد) من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضاً ولو كان التباع

سبباً للحسن لما كان سبباً للقبح اذ هما ضدان لا يجتمعان (فمن ذلك) أنه يقال
ملع اذا عدا فاليم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان
وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة مكروحة الاستعمال ينبوعها الذوق
السايم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو
انما اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد
على حسنها وما ندري كيف صار القبح حسناً لانه لم يتغير من مخارجها شيء وذلك
ان اللام لم تزل وسطا واليم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف
معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملح وعلم (فان قيل) ان اخراج
الحروف من الحلق الى الشفة ايسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك
المقدار وهذا صعود والانهدار امهل (فالجواب) عن ذلك اني اقول لو اسست تلك
هذا الصبح ما ذهبت اليه الكثاري من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى
الحلق او من وسط اللسان او من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا غلب فان الغين
من حروف الحلق واللام من وسط اللسان والياء من الشفة واذا عكسنا ذلك صار
يلع وكلاهما حسن ملح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الائمة واذا عكسنا
هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما ايضا حسن
ملح وكذلك تقول عقر ورقع وعرف وفرع وحلف وفلم وقلم وملق وكلم وملاك
ولو شئت لا وردت من ذلك شيئا كثيرا تضيق عنه هذه الاوراق ولو كان ما ذكرته
مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا وليس الامر كذلك وأما
ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها
حسنا ولا قبحا وانما يقدح في معرفة مسماها بما ينقله من الالفاظ فكيف
يعتد ذلك من جملة الاوصاف الحسنة وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء
لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه فهو هذا مما لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق
اليه وليست معاني التصغير من الاشياء الغامضة التي يقتصر الى التنبيه عليها
فانها مدققة في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من أبوابه ومع هذا
فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ان شاء أن يورده بلانظ التصغير وان شاء
يعناه كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو ابد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شأنهم بالافاظ
 التصغير ويجي هكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لا حاجة اليها (وأما
 الاوصاف الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي أن ينبه عليها) فمنها أن لا تكون
 الكلمة وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المنقذين الى صناعه العظم
 والثر وظنوه المستقيم من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين
 أحدهما غريب حسن والاخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم
 الوحش الذي يمكن القنار وليس بأنيس وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة
 الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقيماً بل أن يكون نافراً
 لا يألف الانس فتارة يكون حسناً وتارة يكون قبيحاً وعلى هذا فان أحد قسمي
 الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما
 القسم الاخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استنباحه سواء
 ولا يختلف فيه عربي بادل ولا قروي متحضر وأحسن الالفاظ ما كان مألوفاً
 متداولاً لانه لم يكن مألوفاً متداولاً الا لما كان حسناً وقد تقدم الكلام
 على ذلك في باب الفصاحة فان أرباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا
 عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضاً تفاوت
 في درجات حسنة فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح
 فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الاقوال والاخر من الزمن
 القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي والاخر ما تداول استعماله
 الاقوال دون الاخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله وهذا هو الذي
 لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي
 وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها غريب
 القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئاً وهو الذي يطلق عليه غريب
 الحديث (وحضر عندي في بعض الايام رجل متفلسف) فجري ذكر القرآن
 الكريم فأخذت في وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من
 الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأي فصاحة هناك وهو يقول تلك
 اذا قسمة ضـ يـ في لفظه ضـ يـ من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم
 أن لاسـعمال الالفاظ أمراً لم تقف عليها أنت ولا أئمتك مثل ابن سينا

رَدُّ عَلَى مُتَفَلِّسٍ اعْتَرَضَ عَلَى قَوْلِهِ نَحْوُ مَا فِي هَذِهِ ضَرْبِي

والفارابي ولا من أضلهم مثل ارسطاطليس وافلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها
 في القرآن وهي لفظة ضيزى فانها في موضعها لا يستغريها مستدّها ألا ترى أن
 السورة كلها التي هي سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم
 اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلماذا كرر الاصنام
 وقسمة الاولاد وما كان يرعاه الكفار قال ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
 ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة بجميعها عليه
 وغيرها لا يستدّها في مكانها واذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان
 غيرها هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها
 ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول اذا جئنا
 باللفظة في معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة
 أحسن من ضيزى الا انا اذا نظمت الكلام فقلنا ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا
 قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الاول وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج
 الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل
 ما أوردته عليه ربا لسانه في فيه الخما ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد
 الذي مستندة تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشبهيا ويقولون ما يقولونه
 جهلا واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم وحيث انتهى القول
 الى ههنا فاني أرجع الى ما كنت بصدد ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ
 الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشيا الغليظ وسيأتي
 ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلا
 سلسا وما تضمنه من الكلمات القرية يسير جدا هذا وقد أنزل في زمن العرب
 العرباء والفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقرب الاستعمالا وكفى به قدوة في هذا
 الباب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل
 أم القرآن وهي السبع المثاني يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت
 عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان
 المكاتب وعوام السوق وان لم يفهموا ما تحتجتها من أسرار الفصاحة والبلاغة
 فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن
 الالفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بالفاظ القرآن

يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنشورة والمنظومة * وأما ما ورد من الالفاظ
الوحشى في الاخبار النبوية فن جملة ذلك حديث طهفة بن أبي زهير النهمى
وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي
زهير فقال أتيناك يا رسول الله من غورى تهامة على أكوار الميس ترتقى بنا
العيس نستجلب الصبير ونستخاب الخبير ونستعضد البرير ونستجلب الرهام
ونستجلب الجهام فى أرض غائلة الغطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن
وييس الجمع من وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى وقاد الودى
برئت اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنادعوة السلام
وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار وانعم حمل اعقال ما تبص
يلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حراء مؤزلة ليس لها علل
ولانهل فتال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك اللهم فى محضها ومحضها
ومذقها وفرقها وابعث راعيها فى الدثر بياض الثمر واجفر له الحمد وبارك له فى
المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن
شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهمى ودائع الشرك ووضائع الملك
لا تملط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتناقل عن الصلاة (وكتب) معه
كتابا الى بنى نهمى من محمد رسول الله الى بنى نهمى هذا السلام على من آمن بالله ورسوله
لكم يا بنى نهمى فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذوالعنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طحكم ولا يحبس دركم ولا
يوكل أكاكم ما لم تضر والامانى وتأكلوا الرباق من أقرى بما فى هذا الكتاب
فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الرتبة * وقصاحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضى استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد
فى كلامه الاجواب لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على
أنه قد كان فى زمنه متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله
الا بسيرا لانه أعلم بالفصح والاقصح وهذا الكلام هو الذى نعتنه نحن فى زماننا
وحشىا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحشى من الالفاظ ما يكرهه سمعك
ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذى يقل استعماله فتارة يخف على
سمعك ولا تجده كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجده منه الكراهة وذلك فى الالفاظ

عيان أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقیل على السمع كربه على الذوق وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا (فان قيل) فما هذا النوع من الالفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك مثالا فنه ماورد لتأبط شرافى كتاب الحماسة

يظل بمومة ويمسى بغيرها * بجيشا ويعرورى ظهورا المسالك
فان لفظة بجيش من الالفاظ المنكرة القبيحة وبالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريدانطة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع بجيش لما اختلف شيء من وزنه فتأبط شرار لوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها وبما هو أقبح منها ماورد لابي تمام قوله

قد قلت اما اطلختم الامر وانبعثت * عواء تالية غبسا دهاريسا
فاللفظة اطلختم من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنهما غريبة وأنهما غليظة في السمع كربه على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسا من جملتها

نعم متاع الدنيا حبالي به * أروع لا جيدر ولا جيس

فاللفظة جيدر غليظة وأغلظ منها قول أبي الطيب المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الاغرد لائل

فان لفظة جفخ مرة الطعم وإذا مرت على السمع اقشعرت منها وأبو الطيب في استعمالها كما استعمال تأبط شر اللفظة بجيش فان تأبط شر كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أنشرنا اليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي جفخت فان معناها نفرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اذا نفروا لعمل عوضا عن جفخت نفرت لاستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالاحسن وما أعلم كيف يذهب هذا أو أمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذي ذكرته وما يجرى مجراه من الالفاظ هو الوحشي اللفظ الغليظ الذي

ليس له ما يدانيه في قبحه وكراهته وهذه الامثلة دليل على ما أردناه والعرب اذن لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ وانما تلام على الغريب القبيح وأما الحضري فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر على أن هذا الموضع يحتاج الى قيد آخر وذلك شئ استخرجته أنا دون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ في الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي الى ما أورده من الامثلة وربما أنكره بعد ذلك اما عناد اوتاما جهل لعدم الذوق السليم عنده (فن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجرة * اذا سبرت ظلت جوانبها تغلي
شربشة شمطاء من يرغمي بها * يشبه ولوبين الخماسي والطفل
ف قوله شربشة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر وهي ههنا غير مستكرهة الا أنها لو وردت في كلام منشور من كتاب أو خطبة لعيت على استعمالها وكذلك وردت لفظة مشخر فان بسرا قد استعمالها في آياته التي يصف فيها القاء الاسد فقال

وأطلقت المهند عن يميني * فقد له من الاضلاع عشرة
نخر مضر جابدم كاني * هدمت به بناء مشخرا
وعلى هذا ورد قول البحري في قصيدته التي يصف فيها ايوان كسرى فقال
مشخر تعلو له شرفات * رفعت في رؤس رضوى وقدس
فان لفظة مشخر لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ولا باس بها ههنا في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نبانة كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة فقال اقطرو بها الها واشمخرن كالها فاطابت ولا ساغت ومن هذا الاسلوب لفظة الكنهور في وصف السحاب كقول أبي الطيب
يا ليت باكية شجاني دمعها * نظرت اليك كما نظرت قتعذرا
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا
فلفظة الكنهور لا تعاب تطما وتعاب ثرا وكذلك يجري الامر في لفظة العرمس وهي اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب استعمالها كقول أبي الطيب أيضا

ومهمه جيبته على قدي * تعجز عنه العرامس الذال
فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس به ولو استعمت في الكلام المنشور لمطاب
ولا ساغت وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام كقوله
هي العرمس الوجناء وابن ملة * وحاش على ما يحدث الدهر خائض
وكذلك ورد قوله أيضا * يام وضع الشدية الوجباء * فان الشدية لا تعاب شعرا
وتعاب لو وردت في كتاب أو خطبة * وهذا يجري الحكم في أمثال هذه
الانفاط المشار إليها وعلى هذا فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام
المنثور من اللفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ
استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنشور وذلك شئ
استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي لهذا الفن ولان الذوق الذي عندي دلفي
عليه فمن شاء أن يقلدني فيه والافليد من النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه
والأذهان في مثل هذا المقام تتفاوت (وقدر أيت) جماعة من مدعي هذه
الصناعة يعتقدون أن الكلام النصح هو الذي يعزفه همه ويعدونه ناوله وإذا
رأوا كلاما وحشا غامضا اللفاظ يحبون به ويصفونه بالنصاحة وهو بالضد
من ذلك لان النصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء * وسأبين لك
ما تعتمد عليه في هذا الموضع (نأقول) الانفاط تنقسم في الاستعمال الى جزلة
ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف
مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها
فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام البعد وفي استجلاب المودات
وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك واستأعني بالجزل من اللفاظ أن يكون
وحشا يامتوعر عليه عنجھية البداوة بل أعني بالجزل أن يكون متيناعا على
عذوبته في القم ولذا ذته في السمع وكذلك استأعني بالرقيق أن يكون ركيكا
سفسفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبي تمام
ناعمات الاطراف لو أنهم اتمس بس أغنت عن الملاء الرقاق
وسأضرب لك مثالا للجزل من اللفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن
عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا
وما جرى هذا الجري فانك لا ترى شيئا من ذلك وحشى اللفاظ ولا متوعرا ثم انظر

الى ذكر الرحمة والرافة والمغفرة والملاطفات في خطاب الانبياء وخطاب المنبيين
 والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف
 الالفاظ ولا سفسفا (فمثال الاول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى وتنفخ في
 الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
 فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجى بالنبيين
 والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم
 بما يفعلون وسبق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال
 لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
 هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم
 خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
 اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
 وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤا من الجنة حيث نشاء فنم
 أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفصيل أحواله وذكر
 النار والجنة وانظر هل فيها الفظة الا وهى سهلة مستعذبة على ما به من الجزالة
 وكذلك ورد قوله تعالى واقعد جنتنا فرادى كما خلقناكم اولا مرة وتركتم
 ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد
 قطع بينكم وحسبكم ما كنتم تزعمون (وأما مثال الثانى) وهو الرقيق من
 الالفاظ فتدوله تعالى فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم والضحى واللبل اذا سجد
 ما ودعك ربك وما قلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى فى ترغيب المسئلة
 واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل
 القرآن الكريم فى كلا هذين المجالين من الجزالة والرقعة وكذلك كلام العرب
 الاول فى الزمن القديم مما ورد عنها اثرا ويكفى من ذلك كلام قبصة بن نعيم لما قدم
 على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسديسألونه العفو عن دم أبيه فقال له انك فى
 المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ما تحذنه أيامه وتنتقل به أحواله
 بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من محترّب ولك من سودد من نصيبك
 وشرف اعراقك وكرم أصلك فى العرب محمّدي محمّل ما حمل عليه من اقالة العثرة
 ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوزا لهم الى غاية الاربعين اليك فوجدت عندك

كلام قبصة لا يصرى النيس بسأله العفو عن دم أبيه

قوله واكثر ذوات الخ كذا في النسخ والطاهر ان يقول فقال فيه واكثر الخ

من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفيح ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها
وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص
بذلك كندة دوت الشرف البارع كان حجر ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية
بعده لما بخلت كرائمها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على
أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأجد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك
في احدي خلال ثلاث اما ان اخترت من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء
المكرمات صوتا فقد ناه اليك بنعه تذهب مع شفرات حسامك يياقي قصرته
فدعول رجل امتحن به المالك عزيز فلم يستل سخيته الا يمكنته من الانتقام أو
فداء بما يروح على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسة فكان ذلك فداء
رجعت به النسيب الى أجفانها لم تزد دهايا بسليط الاحن على الشراء واما ان
وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعدد النحر فوق الرايات قال
فبكي ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفو لحجر في دم واني ان
أعماض جلا ولا ناقة فاكسب به سببة الابد وقت العضد واما النظرة فقد
أوجبتها الاجنسة في بطون أمتهاتها وان أكون لعظم سببا وستعرفون طلائع
كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب في مارق * تصافح فيه المنيا بالنفوسا
أتقيمون أم تنصرفون قالوا بل تنصرف بأسول الاختيار وابل الاجترار بمكروه
وأذية وحرب وبليّة ثم نهضوا عنه وقبيصة يثقل
لعلك أن تستوخم الوردان عدت * كاتبتنا في مارق الحرب عطر
فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أسست عذبه فرويدا ينفرج لك دجاها من فرسان
كندة وكاتب حير ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى اذ كنت نازلا بربعي ولكنك
قلت فواوجبت فقال امرؤ القيس هو ذاك * فلتنظر الى هذا الكلام من
الرجلين قبيصة وامرؤ القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم في اسستعمال
الوحشي من الانفاظ فان هذا الكلام قد كان في الزمن القديم قبل الاسلام بما
شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشيء وهذا
المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ما تراه من السلاسة والعذوبة واذا
تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشي من الانفاظ قليلا بالنسبة الى المسلسل

في القوم والسمع ألا ترى الى هذه الايات الواردة للسموأل بن عاديا وهي
 اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فكل ردام يرتديه جليل
 وان هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 تعيرنا أنا قليل عد يدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
 وما ضرتنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
 يقترب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات مناسيد حنف أنفسه * ولا ظل منا حيث كان قتيل
 علونا الى خير الظهور وروحنا * لوقت الى خير البطون نزول
 فنحن كماء المزن ما في نصابتنا * كهام ولاقينا يعتد بجفيل
 اذا سيد منا خلا قام سيد * قزول لما قال الكرام فعول
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
 وأسماؤنا في كل غرب وشرق * بها من قراع الدارعين فلول
 معودة الابسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
 فاذا نظرنا الى ما تضمنه من الجزالة خلناها زبر من الحديد وهي مع ذلك سهلة
 مستعذبة غير قظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب في جانب الرقة من الاشعار
 ما يكاد يذوب لرقة كقول عروة بن أذينة

ان التي زعت فؤادك ملها * خلقت هوالك كما خلقت هوى لها
 بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقسة فادقها وأجلها
 بجيت تحيتم افقلت اصاحي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
 واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
 (وكذلك ورد قول الآخر)

أقول لصاحي والعيس تهوى * بنابين المشقة فالضمير
 تمتع من شميم عرار نجيد * فابعد العشيمة من عرار
 ألا يا حبيذا نفحات نجيد * ورياروضة غب القطار
 وأهلاك اذ يحل الحى نجيدا * وأنت على زمانك غير زار
 شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف لهن ولا سرار
 فاما لهنن نفى ير ليل * وأطيب ما يكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرت على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية في محبوبة
من برم

بنفسى من لومز برد بنائه * على كبدى كانت شفاء أنام له
ومن هاجنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
واذا كان هذا قول ساسا كن فى القلاة لا يرى الاشيجة أوقية صودة ولا يأكل الاضبا
أو يربو عاقبا بال قوم ~~س~~ والخصر ووجد وارقة العيش رية عاطون وحشى
الا قناط وشطف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا اما جاهل بأسرار الفصاحة واما
عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن شدا شيئا من علم الادب يكتنه أن يأتي
بالوحشى من الكلام وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يلقفه من أربابها
رأما للمصنف المتصف بصفة الملاحاة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين
يضع يده فى تأليفه وسبكه فان ما رى فى ذلك عمار فليتنظر الى أشعار علماء الادب
من كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ما ذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء
الادب واذا انظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منخطا
مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علمه هذا العباس
ابن الاحنف قد كان من أئمة الشعراء المجيدين وشعره كمرئسيه على عذبات
أغصان وكأواثات طل على طرر ويحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج
الى استخراجها من كتب اللغة فمن ذلك قوله

وانى ليرضىنى قليل نوالكم * وان كان لأرضى اكم بقليل

بجرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الاعدتو يجميل

وهكذا ورد قوله فى فوزا الى كان يشبب بها فى شعره

يا فوز يا منية عباس * قلبى يقضى قلبك القاسى

أسأت اذا حسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس

يقلقنى شوقى فأتىكمو * والقلب ملوء من الياس

وهل أعذب من هذه الايات وأعلق بالخطاطرو أسرى فى السمع ولمثله المتخف

رواجح الاوزان وعلى مثلها اتسهر الاجفان وعن مثله اتتأخر السوابق عند

الرهان ولم أجرها بلسانى يوما من الايام الا ذكرت قول أبى الطيب المتنبي

اذا شاء أن يلهو بلحية أحق * أراه غبارى ثم قال له الحق

ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قرية بعيدة
وهذا أبو العتاهية كان في عزه الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذال موجودون
كثيرا وكانت مدائحهم في المهدي بن المنصور واذ اتأملت شعره وجدته كلما
الجاري رقة الفاظ واطافة سبك وايسر بركيك ولاواه وكذلك أبو نواس وبهذا
قدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من غول الشعراء ويكفي منهم
مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير أنه كان
يتعجبه في أكثر الفاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد
هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال
أجيزوه فأخذوا تلك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بأبي العتاهية فقال
ما شأنكم محبة عين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا
فقال أبو العتاهية * حبذا الماء شربا * فحججوا قوله على الفور من غير تلبث
وكل شعر أبي العتاهية كذلك سهل الفاظ وسأورد منه ههنا شيئا يستدل به على
سلاسة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التي مدح فيها المهدي
ويشبه فيها بجارية عتب

ألا ما لبيدي ما لها * تدل فأحبل ادلالها
ألا ان جارية للاما * م قد سكن الحسن سربا لها
لقد أتعب الله قلبي بها * وأتعب في اللوم عذالها
كان بعيني في حيثما * سلكت من الارض غشاها

فلما وصل الى المديح قال من جلته

أنته الخ لافقة منقادة * اليه تجر أذيالها
فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله
ولورامها أحد غيره * زلزات الارض زلزالها
ولولم تطعه نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشارا كان شاهدا عند انشاد أبي العتاهية هذه الابيات فلما سمع
المديح قال انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواذه يريد هل زال عن سريره
طربا بهذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع
حتى ينقله عن حاله سواء كان في مديح أو غيره وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي

ما يجتنب من الاحرف في النظم والنثر لئلا يفسد جمالها تشبيه الالفاظ أبي تمام والبحتري

من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هنالك (واعلم) أن هذه الابيات المشار اليها عندها من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراها يطعمك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاص في كتابة أو شعر فأن خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن (وأما) البداوة والعجبية في الالفاظ فذلك أمة قد خلت ومع أنها قد خلت وكانت في زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن وقد غلب على الناس رقة الحضر (وبعد هذا) فاعلم أن الالفاظ تجري من السمع بحجـرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تختل في السمع كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تختل كاشخاص ذي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزج ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلاقل مصـبغات وقد تمهين بأصناف الحلـى واذا أنعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتني قد دلتك على الطريق وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنب ما يضيـق به مجال الكلام في بعض الحروف كالهاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين فان في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم في ذلك أشد ملامة لانه يتعرض لان يتظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها باليشعـر الكـريه الذي يجهـد السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائبة التي مطلعها قف بالطلول الدارسات علائها وكما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينبة التي مطلعها مبيتى من دمشق على فراش وكما فعل ابن هاني المغربي في قصيدته الخنايصة التي مطلعها سرى وجناح الليل أقتم أفتح والناظم لا يعاب اذا لم يتظم هذه الاحرف في شعره بل يعاب اذا نظمها وجاءت كريمة مستبشرة وأما الناثر فانه أقرب حالا من الناظم لان غاية ما يأتي به سجعتان أو ثلاثة أو أربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم في ذلك ما يروق اذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت أي الشاعر أن تنظم شيئا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هي مقاتل الفماحة

وعذري واضح في تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب في الضم
ولا تملذ في السمع والذي هو به هذه الصفة منها فاعلمها هو قليل جدا ولا يصاغ منه
الامقاطيع أبيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وان صيغت
جاء أكثرها بشعا كريمة على أن هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال
وأشد كراهية أربعة أحرف وهي الخاء والصاد والطاء والغين وأما الشاء
والذال والشين والظاء فان الامر فيهن أقرب حالا وهذا موضع ينبغي لصاحب
الصناعة أن يشتم نظره فيه وفيما أشرنا اليه كفاية للمتعلم فليعرفه وليقف عنده
(ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون بمثابة بين العامة وذلك ينقسم قسمين
(الاول) ما كان من الالفاظ دالا على معنى وضع له في أصل اللغة فغيرته العامة
وجعلته دالا على معنى آخر وهو ضربان الاول ما يكره ذكره كقول أبي الطيب
أذاق الغواني حسنه ما أذقني * وعف فجا زاهن عني بالصرم

فان لفظة الصرم في وضع اللغة هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العامة
وجعلتها دالا على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صاد
ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها لكن المكره
منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت في هذا البيت وأما اذا استعملت
على صيغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرّمه فانها لا تكون كريهة لان
استعمال العامة لا يدخل في ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوي
على استعماله كما يعاب المحتضر لان البدوي لم يتغير الالفاظ في زمنه
ولا تصرفت العامة فيها كما تصرفت في زمن المحتضر من الشعراء فن أجل
ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المحتضر ولم يعيب
على الشاعر المتبدى ألا ترى الى قول أبي صخر الهذلي

قد كان صرم في الممات لنا * فمجات قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبي قوله في البيت المتقدم ذكره
وقد صنف الشيخ أبو منصور بن أحمد البغدادي المعروف بابن الجواليقي كتابا
في هذا الفن ووسمه باصلاح ما تغلط فيه العامة نفسه ما هذا سبيله وهو الذي
أنكر استعماله استكرهته ولانه مما لم ينقل عن العرب فهذان عيبان وأما
الضرب الثاني وهو أنه وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره

لأنه ليس مستقيم ولا مستكره وذلك كسببهم الانسان نظريفا اذا كان
دمش الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا سبيله والظرف في أصل اللغة
مختص بالنطق فقط (وقد قيل في صفات خلق الانسان ما أذكره ههنا) وهو
المباحة في الوجه الوضاعة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين
الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال
الحسن في الشعر فالظرف انما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه وعن
غاط في هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختصم الجود والجمال • فيك فصار الى جدال
فقال هـ ذاعينه لي • للعرف والبذل والنوال
وقال هذا الوجه لي • للظرف والحسن والكمال
فافترا فافيك عن تراض • كلاهما صادق المقال
وكذلك غلط أبو تمام فقال

لأهضبة الحلم التي لو وازنت • أجاأذن ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التي لو ما زجت • خلق الزمان القدم عاد ظريفا
فأبو نواس غلط ههنا في أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق
وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضا الآن هذا
غلط لا يوجب في هذه اللفظة قصا لکنه جهل بعرفة أصاها في وضع اللغة (النسم
الثاني) مما ابتدته العامة وهو الذي لم تغيره عن وضعه وانما أنكر استعماله
لأنه مبتذل بينهم لانه مستقيم ولا لانه مخالف لما وضع له وفي هذا القسم
نظر عندي لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فان من الكثير المتداول
بينهم الفاظا فصحة كالسما والارض والنار والماء والحجر والطين وأشبه ذلك
وقد نطق بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه وجاءت في كلام الفصحاء نظاما
ونثرا والذي ترجح في نظري أن المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ
الضعيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فمما) جاء منه قول
أبي الطيب المتنبي

وملومة سيفية ربيعة • يصيح الحصان فيها صياح الاقالق
فان لفظة الاقالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز اليهم • شعراء كأنها الخماز باز
وهذا البيت من مضحكات الأشعار وهو من جملة البرسام الذي ذكره في شعره
حيث قال

إن بعضا من القريض هزأ • ليس شبا وبهضه احكام
فيه ما يجلب البراعة والفهم وفيه ما يجلب البرسام
ومثل هذه الالفاظ اذا وردت في الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى
شريفا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخفى لعمري شعراء
لكن منهم المقل ومنهم المكترح حتى ان العاربية قد استعملت هذا الا
أنه في أشعارها أقل فمن ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي أولها
من آل مية رانح أو مغتدى

أودمية في مرمر مرفوعة • بنيت بأجر يشاد بقرمد
فلنظرة أجزم مبتذلة جدا وان شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها
القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جئ فيه بذكر الأجر لم يذكر بلانظرة ولا بلفظ
القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذي هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة
لكن ذكر في القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياها مان على الطين فأجعل لي صرحا فعبر
عن الأجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول المرزوق
في قصيدته التي أولها عرفت بأعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه • على مروان البيت قطن مندف
فقوله مندف من الالفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع
في شعره كثيرا كقوله

يا من جفاني وملا • نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحبا • رأيت مالي قلا
اني أنظنك فيما • فعلت تحكي القلا
(وكقوله)

وأنت راجلة صبرته * في الناس زاعا وشقا
مازلت أبصرى كل كي فوقه * حتى دعا من تحته قافا
(وكفوله)

وملحة بالعدل تحب أتني * بالجهل أتزل صحة الشطار
وقد استعمل اللفظة الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهي من
الالفاظ التي ابتدأها العامة حتى سئمت من ابتدائها وهذه الامثلة تمنع الوقوف
عليها من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الحكامة) أن لا تكون
مشاركة بين معنيين أحدهما يذكره ذكره وإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك
المعنى قبحت وذلك إذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبح فأما إذا
جاءت ومعها قرينة فأنها لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن اللفظة
التعزيز مشاركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذي هو دون الحد
وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان فحيث وردت في هذه الآية جاء
معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصت معناها بالحسن وميزته عن القبح
ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت
عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فاعزرت له سبق الى الفهم
أنه ضربه وأهانته ولو قال لقيت فلانا فأكرمته وعزرت له زال ذلك اللبس (واعلم)
أنه قد جاء من الكلام ما مع قرينة فأوجب قبحه ولولم تجب معه لما استقبح
كقول الشريف الرضي

أعز علي بان أراك وقد خلا * عن جانبك مقاعد العواد
وقد ذكر ابن سنان الخفاجي هذا البيت في كتابه فقال إن أراد هذه اللفظة
في هذا الموضع صحيح إلا أنه موافق لما يذكره ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما
وقد أضافه الى من يحتمل إضافته اليه وهم العواد ولوا نفر ذلك كان الامر فيه
سلا فأما الإضافة الى من ذكره ففيها قبح لا يخفى به هذا حكاية كلامه وهو
مرئى واقع في موقعه ولندكر نحن ما عسدا في ذلك فنعول قد جاءت هذه
اللفظة المعيبة في الشعر في القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهي قوله
تعالى واذهبوا من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى

وانا من السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فنستمع الآن ويجدله شهاباً رصداً ألا ترى أنها في هاتين الآيتين
غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت في الشعر ولو قال الشاعر بدلا
من مقاعد المقاعد الزيارة أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت
تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراءى من الحسن وجاءت
على ما تراءى من القبح في قول الشريف الرضي وعلى هذا ورد قول تأبط شراً

أقول للعيان وقد صفت لهم * وطاب يوم يوحى ضيق الجحرمعور
فانه أضاف الجحرم الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الجحرم يطلق على كل
ثقب كثقب الحية وان ير بوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد معه ملا
بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا
ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يلبس من جحرمتين وحيث قال
يلبس زال اللبس لان اللبس لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما
ما ورد معه لا بغير قرينة فقول أبي تمام

أعطيت لي دية القليل وليس لي * عقل ولا حق عليك قديم
فقوله ليس لي عقل يظن أنه من عقل الشيء اذا علمه ولو قال ليس لي عليك عقل
زال اللبس فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى في كلامه مثل هذا
الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها
ضرورية (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مؤلفة من أقل الاوزان تركيباً
وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه ثم مثله بقول أبي الطيب المتنبي

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها
وقال ان لانتظة سويداواتها طويلاً فلهذا قبحنا وليس الامر كما ذكره فان
قبح هذه الانتظة لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها في نفسها قبيحة وقد كانت
وهي مفردة حسنة فلما جعلت قبيحة بسبب الطول والدليل على ذلك أنه قد ورد
في القرآن الكريم الفاظ طوال وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى فيكم فيكمهم
الله فان هذه الانتظة تسعة أحرف وكقوله تعالى ليستخلفهم في الارض
فان هذه اللفظة عشرة أحرف وكانها ما حسنة رائقة ولو كان الطول
مما يوجب قبحاً القبح هاتان اللفظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من

لفظة سويدا واتما الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية
 أحرف ومع هذا فانها قبيحة ولفظة ليس تختلفهم عشرة أحرف وهي أطول منها
 بحرفين ومع هذا فانها حسنة راقية والاصل في هذا الباب ما ذكره وهو أن
 الاصول من الانفاظ لا تحسن الا في الثلاث وفي بعض الرباعي كقولنا عذب
 وعصف فان هاتين اللفظتين احدهما ثلاثية والاخرى رباعية وإنما الخماسي
 من الاصول فانه قبيح ولا يسكاد بوجود منه شيء حسن كقولنا بحمرش وصه صلق
 وما جرى مجراهما وكان ينبغي على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان
 حسنتين واللفظتان الواردتان في القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة
 وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره وهذا لا يعتبر فيه طول
 ولا قصر وإنما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على
 ذلك ولهذا لا يوجد في القرآن من الخماسي الاصول شيء الا ما كان من اسم نبي
 عزب اسمه ولم يكن في الاصل عرييا نحو ابراهيم واسماعيل (وعمليد خل في هذا
 الباب) أن تجنب الانفاظ الموافقة من حروف يشغل النطق بها سواء كانت طويلة
 أو قصيرة ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي هي من جملة
 القصائد السبع الطوال

غدا نره مستشزرات الى العلا * تضل المدارى في مشنى ومرسل

فاللفظة مستشزرات مما يتبع استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها
 وان لم تكن طويلة لاننا لو قلنا مستشكرات أو مستنفرات على وزن مستشزرات
 لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة ولربما اعترض بعض الجهال
 في هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو اطولها وليس الامر كذلك
 فاننا لو حذفنا منها الالف والتاء وقلنا مستشزرا كان ذلك ثقيلا أيضا وسببه
 أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي فثقل النطق بها والا فلو جعلنا عوضا من الزاي
 راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف لزال ذلك الثقل ولقد رأي بعض الناس
 وأنا أعجب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة
 التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء فحجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة
 الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استقباح ما له من القبح
 ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبحر ولا يمنع طيب

ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب
 حامية للخبث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندي في بعض
 الأيام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل
 اعتقاد لما كان عليه في دينهم وغيره وكان لعمري كذلك فجري ذكر اللغات وأن اللغة
 العربية هي سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكاناً وأحسنهن وضعاً فقال ذلك
 الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخر افتت القبح من اللغات
 قبلها وأخذت الحسن ثم إن واضعها تصرفت في جميع اللغات السالفة فاختصر
 ما اختصر وخفف ما خفف فن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني
 كومييل مما لا على وزن فوعيل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل
 المتبشع وقال جمل فصار خفيفاً حسناً وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر
 أشياء كثيرة واقصد صدق في الذي ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف
 الكلمة) أن تكون مبينة من حركات خفيفة ليخفف النطق بها وهذا الوصف
 يترقب على ما قبله من تأليف الكلمة ولهذا اذا توالي حركات خفيفتان في كلمة
 واحدة لم تستثقل ويخفف لاف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالي منها حركات
 في كلمة واحدة استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة
 على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك
 كأنها حركات ثقيلتان وتثقل لك مثلاً انتهدي به في هذا الموضع وهو أنا نقول
 اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي ج زع فاذا جعلنا الياء مفتوحة
 فقلنا الجزع أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الياء
 مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا والينا حركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن
 من موالاته حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن
 اختلاف حركاتها غير المخارج حروفها حتى يذهب ذلك الى اختلاف تأليف
 المخارج بل وجدناها تارة تكسب حسناً وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فقلنا
 أن ذلك حادث من اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد قوت حركة الضم
 في بعض اللفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقل كقوله تعالى واقد أنذرهم
 بطشتنا فمأروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسع وكقوله تعالى
 وكل نبي فعلمه في الزبر فحركة الضم في هذه اللفاظ متواليبة وليس فيها من ثقل

ولا كراهة وكذلك ورد قول أبي تمام

نفس من يحمته نفس • ودموع ليس تحتبس

ومغان للكرى دثر • عطل من عهد درس

شهرت ما كنت اكتمه • فاطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعة مضمومات كلها وهي مع ذلك
حسنة لا ثقل بها ولا ينبو السمع عنها وهذه لا يتقضى ما أشرنا اليه لان الغالب
أن يكون نوالى حركة الضم مستقلة فاذا شد عن ذلك شئ يسير لا يتقضى الاصل
المقبول عليه (القسم الثاني في الالفاظ المركبة) قد قدمنا القول في شرح
أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما اذا صارت مركبة فان تركيبها حكمها
آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخفى على السامع
أن هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ لا آلى ليست
من ذوات القيم العالية فالفها وأحسن الوضع في تأليفها فغفل للناس ببحسن
تأليفه واتقان صنعه أنها ليست تلك التي كانت منشورة مبتددة وفي عكس ذلك
من يأخذ لا آلى من ذوات القيم العالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسنها
وكذلك يجري حكم الالفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف
ينبغي الالتفات اليه والعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الالفاظ تنقسم
الى ثمانية أنواع هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص
بالكلام المنظوم وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع
في الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والترصيع وهو يعم
القسمين أيضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص
بالكلام المنثور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير
الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الاول المسجع) وحده أن يقال
نواطوا فواصل في الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمه بعض أصحابنا
من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأثابه والافلو كان
لهم وما لا ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه لا يؤتى بالسورة
جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل
منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم

المسجع

سعيهم خالدين فيها أبدا لا يجدون وليسا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه
طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض
والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض
وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا
هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم
فهم فى أمر مرجح أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من
فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج
وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فأما وريات قدحا فالغديرات ضبحا فأثرن به
نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الأسلوب من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم شئ كثيرا أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا
لنستحي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ
الرأس وماوى والبطن وماحوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة
ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فى الناس لا نظرت اليه فلما تبينت وجهه علمت
انه ليس بوجه كذاب فكان أقول شئ تكلم به أن قال أيها الناس أفشوا السلام
وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل)
إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكمرا عليه وقد كلفه بكلام مسجوع
أسجعا كسجيع الكهان ولولا أن السجيع مكره لما أنكروه النبي صلى الله عليه
وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجيع لما قال
لقال أسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا
كسجيع الكهان صار المعنى معلقا على أمر وهو انكار الفعل لم كان على هذا
الوجه فعلم أنه انما ذم من السجيع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وأنه لم يذم
السجيع على الإطلاق • وقد ورد فى القرآن الكريم وهو صلى الله عليه وسلم
قد نطق به فى كثير من كلامه حتى انه غير الكامة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها
من أجل السجيع فقال لابن ابنته عليها السلام اعينى من الهامة والسامة
وكل عين لامة وانما أراد ملة لان الاصل فيها من ألم فهو ألم وكذلك قوله صلى

الله عليه وسلم ارجع من مأزورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر
 فقال مأزورات لمكان مأجورات طلبة للتوازن والسجع وهذا مما يدل
 على فضيلة السجع على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجع
 الكهان عندي فيه نظرفان الوهم يوجب الى انكاره يقال فاسجع الكهان الذي
 يتعلق بالانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن
 النهي لم يكن عن السجع نفسه وانما النهي عن حكم الكهان الوارد باللفظ
 المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبد
 أو أمة قال الرجل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك
 بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي أتتبع سجعها
 كسجع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاؤا
 بالكلام مسجوعا كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل
 السؤال عن قصتها مرة في مرة فقيل له نريد أبين من هذا فقال حبة بر في احليل
 مهر والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قال سطح فانه قال عبد
 المسيح جاء الى سطح وهو موف على الضريح لرؤيا المؤيدان وارتجاس
 الايوان وأتم الكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة أيضا فلهذا
 اختصرناها فالسجع اذا ليس بمنهى عنه وانما المنهى عنه هو الحكم المتبوع
 في قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي
 احكما حكم الكهان والا فالسجع الذي أتى به ذلك الرجل لا بأس به لانه قال أأدى
 من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من
 حيث السجع واما منكر لافسه وانما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع
 الكاهن أن يدي الجنين بغرة عبد أو أمة (واعلم) أن الاصل في السجع انما هو
 الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الاشياء والنفس قبل
 اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند
 توازن القواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل
 أديب من الادباء سجاعا وما من أحد منهم ولو شدا شيئا يسيرا من الادب
 الا ويمكنه أن يوافق ألفاظا مسجوعة ويأتى بها في كلامه بل ينبغي أن تكون
 الالفاظ المسجوعة حلوة سادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعني بقولي غثة باردة

أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الالفاظ
 المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو
 في الذي يأتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أبواباً من الكرسف أو ينظم
 عقداً من الخزف الملقون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد
 من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلين فإذا
 سنى الكلام المسجوع من الغثاثة والبردقان وراء ذلك مظهر بالآخر وهو أن يكون
 اللفظ فيه تابعاً للمعنى لأن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ فإنه يحى عند ذلك
 كظاهر موه على باطن مشوه ويكون مثله كقوله من ذهب على فصل من
 خشب وكذلك يجري المحكم في الأنواع الباقية الاتى ذكرها من التجهيس
 والترصيع وغيرها • وسأبين لك في هذا ما لا تتبعه فأقول اذا صوّرت
 في نفسك معنى من المعاني ثم أردت أن توه به بلفظ مسجوع ولم يواتك ذلك
 الا بزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان
 وانما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصده يمتدح إلى لفظ يدل عليه واذا دلت
 عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً الا أن تضيف اليه شيئاً آخر أو تنقص منه
 فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف
 والتعسف وأما اذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يحى في غاية الحسن
 وهو أعلى درجات الكلام واذا تم للكاتب أن يأتي به في كتابته كما هي على هذه
 الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلام يستعبد كرامتها ويستولد عقائدها
 وفي مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليستقاعس واصحابه أولى بقول أبي
 الطيب المتنبي

أنت الوحيد اذا ركبت طريقة • ومن الرديف وقد ركبت غصنفرا
 (فان قيل) فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت اليه فكان
 ينبغي أن يأتي القرآن كله مسجوعاً وليس الامر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير
 المسجوع (قلت في الجواب) ان أكثر القرآن مسجوع حتى ان السورة لتأتى
 جميعها مسجوعة وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعاً الا أنه سلك به مسلك
 الإيجاز والاختصار والسجع لا يوافق في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز
 والاختصار فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر هو

أقوى من الأول ولذا ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع
 وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع مجزأ أبليغ في باب
 الإيجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعاً (واعلم)
 أن للسجع سرّاً هو خلاصته المطلوبة فإن عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به
 أصلاً وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيري وسأبينه ههنا وأقول فيه قولاً هو أبين
 مما تقدم وأمثل لك مثلاً إذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل في كلامك
 ليبلغ الشاهد الغائب والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من
 السجعتين المزدوجتين مثلاً على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها
 فإن كان المعنى فيهما سواءً فذلك هو التطويل بعينه لأن التطويل إنما هو الدلالة
 على المعنى باللفظ يمكن الدلالة عليه بدونها وإذا وردت سجتان يدان على معنى
 واحد كانت أحدهما كافية في الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار
 عليه وإذا تأملت كتابة المفلّحين من تقدم كالصابي وابن العميد وابن عباد وفلان
 وفلان فأنك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والقل منه على ما أثرت إليه ولقد
 تصفحت المقامات الحربية والخطب النبوية على غرام الناس بهما وأكبهم
 عليهما فوجدت الأكثر من السجع فيهما على الأسلوب الذي أنكرته فالكلام
 المسجوع إذا احتاج إلى أربع شرائط الأولى اختيار مفردات اللفظ على
 الوجه الذي أثرت إليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه
 الذي أثرت إليه أيضاً فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع
 تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً لللفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين
 المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط
 لا بد منها وسأورد ههنا من كلامي أمثلة تحذى حذوها فاني لما سلكت هذه
 الطريق وأثبت بكلامي مسجوعاً فوجدت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى
 غير المعنى الذي تضمنته أختها ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها وإذا تأملت ما علمت
 محض ما قد ذكرته (فمن ذلك) ما كتبه في صدر كتاب عن بعض المولك إلى دار
 الخلافة وهو الخادم واقف موقف راج هائب لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن
 شخص غائب موجه وجهه إلى ذلك الجنب الذي تقسم فيه أرزاق العباد
 ويتأذب به الزمان تأذب ذوى الاستعباد وتستمد المولك من خدمته شرف

الحدود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه
 اقصرها على خدمة قصره وأظاها من النظر اليه ببرد العيش الذي عمرها
 محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ما جدد فيه حاسد وبتأمله راع
 ساجد والديوان العزيز محسود الاقتراب وهو موطن الرغبات الذي
 الاغتراب اليه ليس بالاغتراب وما ينافس في القرب من أبواب الكريمة الا
 ذوو الهمة الكريمة وقد ودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة
 فضلا عن ندما في جذية (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب يتضمن العناية به
 الناس وهو الكريم من أوجب لساأله حقا وجهل كواذب آماله صدقا
 وكان ترق العطايا منه خلقا ولم يرب بين ذمعه وبين رحمه فرقا وكل ذلك موجود
 في كرم مولانا أبراهام الله من فضله على وتيرة وجهل دمه على تمام كل نقص قديرة
 وأوطأه من كل مجد سريرا كما بواؤه من كل قلب سريرة ولا زالت يده بالكارم
 جديرة ومن الايام مجيرة واضراثرها من البهار والسهاب مغيرة ولا برحت
 تستولد عتاق المعاني وتستجبد أبنيتها حتى تشهد الناس منها في كل يوم
 بحقيقة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال مائثر ويتخذها عند
 السؤال ذخائر فهي تفنى لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن
 أربح منه صفقة وقد باع صامتا بلا طق وما هو معترض لحوادث السرقات
 بالاتصل اليه يدسارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد في ابتداء
 الهام دهم بنائها وعلم أن ماله ليس عند الضنين به الا حجارا وأن غنائه منها
 لا يزيد الا افتقارا فهو لماله عبد يخدمه ولا يستخدمه وأتم رضاه به بعبادتها
 ولا تفرطه (ومنه) ما كتبه في جواب كتاب يتضمن اباغ غلام وهو أول كتاب
 ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة في أمر
 الغلام الا تبق عن الخدمة فقد دبرت المهر من عليه ويطير الفرائس الى حريقه
 وغير بعيد أن ينوبه مضجعه أو يكبويه مطعمه فيرجع وقد خدم من رجوعه
 ماذمه من ذهابه وعلم أن الغنية كل الغنية في اياه فاكل شجرة فحلولذا انقها
 ولا كل دار ترحب بطارقه ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه
 الذي لم يكن له مجانبا فانه يجدم من مفارقة الاحسان ما يجدم من مفارقة معاهد
 الاوطان وهل أضل سعيامن دفع في صدر العافية وغدا يسأل عن الاسقام

والقى التروة من يده ومضى في طلب الاعداد ومع هذا فان الخادم يشكره على
 ذنب الاياق الذي أقدم على اجتراحه وليس ذلك الا لانه صار سببا لاقتراح
 باب المكتبة الذي لم يطمع في اقتراحه ولا جزاء له عنده الا السعي في اعادته
 الى الخدمة التي تقلب في انشائها وهي أبرّ به من أمته التي تقلب في أحشائها
 ومن فضلها أنها تلقاه من حلما بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك
 والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الاسجاع جيعها وأعطاها حق
 النظر حق تعلم أن كل واحدة منها تختص بعنى ليس في أختها التي تليها وكذلك
 وليكن السجيع والافلام وسأورد ههنا من كلام الصابي ما ستراه (فن ذلك)
 فعمد في كتاب فقال الحمد لله الذي لا تدركه الاعين بالمناظرة ولا تحده الاسن
 بالمناظرة ولا تحلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بمرورها ثم انتهى الى
 الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقل لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه
 ولا سيما الأزاله وعفاء ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك
 لا فرق بين محو الاثر وعفاء الرسم (ومن كلامه) أيضا في كتاب وهو وقد علمت
 أن الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام ومواقب الاعوام تعتل طورا
 وتصح أطوارا وثلاث مئة وتسقط مرارا من حيث أصهارها حتى لا يتزعزع
 وبنائها ثابت لا يتضع وهذه الاسجاع كلها متساوية المعاني فان الاعتلال
 والالتباس والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له في
 كتاب كتبه عن عزالدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير عبد الكريم
 ابن المطيع لله فقال وصاني كتابه مفتحا من الاعتزاز الى امارة المؤمنين
 والتقليد لامور المسلمين بما أعراقه الزكية مجوزة لاسيما قراره وأرومته العلية
 موعة لاسيما قراره له ولكل نجيب اخذ بحظ من نسبه وضارب بسهم
 في منصبه اذ كان ذلك جارا على اصول المعهودة فيه والاسباب العاقدة له
 من اجماع المؤمنين كفاة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم في الارض
 وانتشارهم في الطول والعرض فلا بد من اتفاق أشراف كل قطر وأفاضله
 وأعيان كل صقع وأماثلة وهذا الكلام كله متمثل المعاني في اجتماعه فان
 امارة المؤمنين والتقليد لامور المسلمين سواء في المعنى وكذلك الاعراق
 والارومة والتجوز والتسوية والاشراف والاقاضل والاعيان والامائل

• (فهرسة لمثل السائر) •

صفحة	
٤	الفصل الاول في موضوع علم البيان
٤	الفصل الثاني في آلات علم البيان وأدواته
٢٠	الفصل الثالث في الحكم على المعاني
٢٦	الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني
٣١	الفصل الخامس في جوامع الكلام
٣٣	الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن
٣٦	الفصل السابع في الحقيقة والمجاز
٤٠	الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة
٤٤	الفصل التاسع في أركان الكتابة
٤٦	الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة
٨٦	(المقالة الاولى في الصناعة اللفظية)
٨٦	القسم الاول في اللفظة المفردة
١١٤	القسم الثاني في الالفاظ المركبة
١١٤	النوع الاول المسجع
١٥٣	النوع الثاني في التجنيس
١٦١	النوع الثالث في الترصيع
١٦٣	النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم
١٦٩	النوع الخامس في الموازنة
١٧٠	النوع السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها
١٧٧	النوع السابع في المعانلة اللفظية
١٨٣	النوع الثامن في المناقرة بين الالفاظ في السبك
١٨٦	(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)
٢١٤	النوع الاول في الاستعارة
٢٣٢	النوع الثاني في التشبيه
٢٥٠	النوع الثالث في التجريد

صحيحة

- ٢٥٤ النوع الرابع في الالتفات
 ٢٦٣ النوع الخامس في توكيد الضميرين
 ٢٦٧ النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
 ٢٦٨ النوع السابع في التفسير بعد الابهام
 ٢٧٢ النوع الثامن في استعمال العام في النقي والخاص في الاثبات
 ٢٧٥ النوع التاسع في التقديم والتأخير
 ٢٨٣ النوع العاشر في الحروف العاطفة والجملة
 ٢٨٦ النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق

بينهما

- ٢٩٠ النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى
 ٢٩٣ النوع الثالث عشر في عكس الظاهر
 ٢٩٤ النوع الرابع عشر في الاستدراج
 ٢٩٧ النوع الخامس عشر في الایجاز
 ٣٣١ النوع السادس عشر في الاطناب
 ٣٥٤ النوع السابع عشر في التكرير
 ٣٧٢ النوع الثامن عشر في الاعتراض
 ٣٧٦ النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض
 ٣٩٢ النوع العشرون في المغالطات المعنوية
 ٣٩٧ النوع الحادي والعشرون في الاحاجي
 ٤٠٣ النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات
 ٤١٧ النوع الثالث والعشرون في التخاص والاختصاص
 ٤٢٩ النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني
 ٤٤٧ النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط
 ٤٥٥ النوع السادس والعشرون في الاشتقاق
 ٤٥٧ النوع السابع والعشرون في التضمن
 ٤٦٠ النوع الثامن والعشرون في الارصاد

صحيحة

٤٦٥ النوع التاسع والعشرون في التوشيح
٤٦٦ النوع الثلاثون في السرقات الشعرية

والقطر والمقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه في كتاب آخر فقال يسافر
 رأيه وهو دان لم ينزح ويبس يدبيره وهو ثاول لم يبرح وكلا هذين سواء أيضا
 وما أحسن هذا المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح وينخن الجراح
 في عدوه وسيفه في الغم لم يجرح فإنه لو قال مثل هذا سلم من هجنة التكرار
 أمثال ذلك في كلام الصابي كثير وعلى منواله نسج الصاحب بن عباد
 (فن ذلك) ما ذكره في وصف مهزومين فقال طاروا واقيز بظهورهم صدورهم
 وبأصلاهم مخورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله في هذا الكتاب
 يصف ضيق مجال الحرب مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الراح
 والنابل (ومن كلامه) في كتاب وهو لا تتوجه همه إلى أعظم مرقوب الاطاع
 ودان ولا تمتد هزيمته إلى أنفهم مطلوب الا كان واستكان وكل هذا الذي
 ذكره ثني واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه جامعاً من الفوائد أشدها
 للتكرار استحقاقاً وانعمها للحمد استغراقاً وتمرفت من احسان الله فيما وفره
 من سلامته وهناه من كرامته أنفس موهوب ومطلوب وأحمد مرقوب
 ومخطوب وهذا كله متماثل المعاني متشابه اللفاظ وفيما أوردته هنا
 مقنع بأنهم نظروا أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه
 حتى تعلم كيف تأتي بالمعاني في اللفاظ المسجوعة والله الموفق لأصواب
 (فان قيل) انك اشتطت أن تكون كل واحدة من الفقرتين في الكلام
 المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها وانما اشتطت هذه
 الشريطة فراراً من أن يكون المعنيان شيئاً واحداً ونرى قد ورد في القرآن
 الكريم لفظتان بمعنى واحد في آخر إحدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى
 وادكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبي
 (قلت في الجواب) ليس هذا كذا الذي اشتطته أنا في اختصاص كل فقرة بمعنى
 غير المعنى الذي اختصت به أختها وانما هذا هو إيراد لفظة في آخر إحدى
 الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا بأس به لمكان طلب السجع ألا ترى أن أكثر
 هذه السورة التي هي سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء
 وهذا يجوز لصاحب السجع أن يأتي به وهو بخلاف ما ذكرته أنا ألا ترى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قد غير اللفظة عن وضعها طلباً للسجع فقال

مأزورات وانما هي موزورات وقال العيني الملامية وانما هي الملمة الا أنه
 ليس في ذلك زيادة مع في بل يفهم من لفظة مأزورات أنها قائمة مقام موزورات
 وكذلك يفهم من لفظة لامة أنها بمعنى ملة فالسجع قد أجيز مع تغيير وضع
 اللفظة وأجيز مع أن يوردان لفظتان بمعنى واحد في آخر إحدى الفقرتين ومع هذا
 فلم يجز في استعماله أن يورد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين
 الذي ذكرته أنت وبين الذي ذكرته أنا فرق ظاهر (والذي قدمته) من الامثلة
 المسجوعة للصابي والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة أنهم فيها بالتعصب ويقال
 اني التقطتها التقاطا من جملة رسائلهم وقد خرجت من عهد هذه الهممة
 وذلك أني وجدت للصابي تقليدا بنسابة الاشراف العلويين ببغداد وكنت أنشأت
 تقليدا بنسابة الاشراف العلويين بالموصل وقد أوردت التقليدين ههنا لئلا يظن
 الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفاً ويسأل عنهما العارف ان كان
 مقادراً وقد أوردت تقليدا للصابي أولاً لانه المتقدم زماناً وفضلاً وهو هذا ما عهد
 أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته به
 الانساب وتأكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله وإبائه ووضعت
 مخايل فضله ونسبائه ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة
 وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما يمكن له عند أمير المؤمنين من المحل المكين
 ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة
 والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء النقال وحيث رغبه فيه سابقة
 الحسين آية في الخدمة والنصيحة والمواقف المجردة والمقامات المشهودة التي
 طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمد متعلقاً بفضائله وذاهباً
 في طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالحظ
 الجزيل من الفضل الجليل والادب الجزل والتوجه في الالهل والايفاء بالانقاب
 على لدائه وأترابه والابرار على قرائبه وأضرابه فقلده ما كان داخل في أعمال
 آية من نقابة نقباء الطالبين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار
 شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً واختصه ذلك جذباً بصنعه وانافة بقدره وقضاء
 لحق رحمه وترفيه بالآية واسعا فله بإشارته فيه أمر المؤمنين واستخلافه
 عليه من النظر في المظالم وتسيير الجيوش في المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما

أمر ودبر حسن العاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير المؤمنين من الإجابة
 عليه يتوكل واليه ينسب وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسناء
 الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يعتمدها سرًا وجهًا ويعتمدها
 قولًا وفعلاً وبأخذها ويعطى ويسرّتها وينوي ويأتمن ويذكر ويورد
 ويصدر فإنها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب
 والمسلك المفيد إلى دار الثواب وقد ضل الله أولياءه عليها وهداهم في محكم
 كتابها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
 وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبًا وتصفحه مداومًا ملازمًا والرجوع إلى
 أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد
 صرح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه وحجته وجعله نجيماً في الظلمات طالعاً
 ونوراً في المشكلات ساطعاً فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم
 قال الله تعالى وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
 من حكيم حميد وأمره بتزنيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتطلع إليه
 التبعات وأن يضبطها بضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله
 سلطاناً عليها وتعيّزها أمراناً هائلين ولا يجعل لها عذراً إلى صبوته ولا هفوة
 ولا بطلان منها عتناً عند ثوره ولا فوره فإنها أمانة بالسوء منسوبة إلى النقي فمن
 رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالخازم منهم عند تحرك وطره وأربه واحتياج
 غيظه ولا بدع أن يغضها بالشكيم ويعرکہا عرك الأديم ويقودها إلى مصالحها
 بالخزانة ويفتقدوها من مقارفة المآثم والمحارم كما يعز بتذليلها وتأديبها
 ويجعل برياضها وتقويها والمفترط تطمعه إذا طمعت ويجمع معها إذا
 جمعت ولا يلبث أن يورده حيث لا يصدور وتلقه إلى أن يعتذر وتقيمه
 مقام النادم الواجم وتغيب به سبيل الرشاد السالم وأحق من تحلى
 بالمحاسن وتصدى لا كتناب الهامد من ضرب بمنزل سهمه في نسب أمير المؤمنين
 الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة واستظل
 بأوراق الدوحة الفاخرة فذلك الذي تتضاعف به المآثر أن أثرها والمناصب
 أن أسف إليها ولا سيما من كان منذ وباباً بالسياسة ومرشعاً للتقليد على أهله إذ
 ليس نفي بالصلاح لمن ولي عليه ولا نفي بالصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجينة

عليه أن يأمر ولا يأمر ويزجر ولا يزجر قال الله تعالى ذكره أن تأمر
الناس بالبر وتنهون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن
يتصفح أحوال من ولي عليهم من استقرام مذاهبهم والبحث عن بواطنهم
ودخائلهم وأن يعرف لمن تقه ذمت قدمه منهم وتطاهر فضله فيهم منزله
ويوفيه حقه وزينته وينتهي في اكرام جماعتهم الى الحدود التي توجبها أنسابهم
وأقدارهم وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم فان ذلك يلزمه لشيئين أحدهما
يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم والاخر يعمله والمسلمين جميعا وهو قول الله
جل ذكره قل لا أسألكم عليه أبرارا الا المودة في القربى فالموداة لهم الاعظام
لا كبرهم والاشتمال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه
متأكدا للزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتضنكوا عليه
وجذعان لم يقرحوا ومجربين الى ما يروى بأنسابهم ويفض من احسابهم
هذه هم وأنبههم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا وأقلعوا فذلك المراد بهم
والمقصود فيهم وان أصروا وتتابعوا آثارهم من العقوبة بقدر ما يكتف ويردع
فان نفع والاحتجاء وزه الى ما يلذع ويوجع من غير تطرق لاعتراضهم ولا
امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والادالة لا الازالة
واذا وجبت عليهم الحقوق أرتفعت بهم دواعي الخصوم فادهم الى الغفاء بما
يصح منها ويجب والخروج الى سنن الحق فيما يشبهه ويلتبس ومضى لزمهم الحدود
أقامها عليهم بحسب ما أمره الله تعالى فيها بعد أن ثبت الجرائم ونصح وتبين
وتنضح وتجرد عن الشك وتنجلي من الظن والتهمة فان الذي يستحب في حدود
الله عز وجل أن تدرا مع نقصان اليقين والعصاة وأن غضى عليهم مع قيام
الدليل والبيينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
وأمره بجباطة أهل النسب الا طهر والشرف الانحر عن أن يدعيه الادعاء
أو يدخل فيه الدخلاء ومن انتفى اليه كاذبا أو اتحل به باطلا ولم يوجد له بيت
في الشهيرة ولا مصداق عند النساء من المهرة أو وقع به كذبه وفسقه وشهره
شهرة ينكشف بها غشه وابسه وينزع بها غيره عن تسول له ذلك نفسه وأن
يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفؤا لها في شرفها ونفورها حتى لا يطمع
في المرأة الحسبية النسبية الا من كان مثلاها مساويا وتطير موازيا فقد قال الله

تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره
 برعاية متبلي اهل البيت وسجودهم وصلاتهم وبحاوريهم وأراملهم وأصاغرهم
 حتى تستدخله من احوالهم وتدرأ المواد عليهم وتتعدل أقساطهم فيما يصل
 اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويرى اليتامى ويلزمهم المكاتب
 فيتلقوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتأدبوا بالآداب
 اللائقة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق
 ولا حسد لمن شرفه حسبه ومخف أدبه اذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل
 بفضل سعيه ولا طلب ولا اجتهد بل يصنع الله تعالى له ومنزلة المنحة عليه
 وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما
 فيها من المزية واعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن
 الرذائل والمثالب وأمره باجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره
 أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والاخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس
 للمترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا
 بالحاكم رده اليه ليحل المصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم
 والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة وتحزى
 في قضاياء أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب
 المظالم واحدة وهي اقامة الحق ونصرتة واباتته واثارته وانما يختلف سبيلاهما
 في النظر اذ كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفتحص
 عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرذل الحاكم بحكومة ولا يعمل له قضية
 ولا يتعقب ما ينفذه ويعضيه ولا يتبع ما يحكم به ويقضيه والله يهديه ويوفيه
 ويستدده ويرشده وأمره أن يسير بحجج بيت الله عز وجل الى مقصدهم
 ويحكمهم في بدايتهم وعودتهم ويرتبهم في مسيرهم ومساكنهم ويرعاهم
 في ايامهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل اليهم مضرة وأن يريحهم
 في المنازل ويوردهم المناهل وينابو بينهم في النهل والعلل ويكنهم من
 الارقواء والاكتفاء مجتهدا في الصيانة لهم ومعذرا في الذب عنهم ومتلوما على
 متأخرهم ومظلة لهم ومنهضا لضعيفهم ومهيضهم فانهم حجاج بيت الله
 الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان

وفارقوا الجيرة والاخوان وتجشموا المفارم الثقال وتعرضوا للسهولة والجبال
 يلبون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على
 المسلم أن يحرسهم متمبرعا ويحوطهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه
 وتقدمه واعتقبه قال الله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع إليه
 سبيلا وأمره أن يراعى أمور المساجد مدينة السلام واطرافها واقطارها
 وأكافها وأن يجنبى أموال وقفها ويستقصى جميع حقوقها وأن يلم
 شعبها ويستخلصها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزيل رسم جري
 ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها
 ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصلاح أدام قول أمير المؤمنين في ذلك
 تنويه باسمه وإشادة لذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت
 عفته وصيادته فقد قال الله جل من قائل اغمايعمر مساجد الله من آمن بالله
 واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا
 من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال
 في الأمصار الدانية والنائية والبلاด القريبة والبعيدة من يشق به من صلحاء
 الرجال ذوى الوفاء والاستقلال وأن يعهد إليهم مثل ما عهد إليه ويعتمد
 عليهم مثل ما اعقد عليه ويستقصى في ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن
 وجدده محمودا قربه ومن وجدده مدموما صرفه ولم يعمله واعتاس من ترجى
 الأمانة عنده وتكون الثقة معه وودعه منه وأن يختار له كتابته وجماله والتصرف
 فيما قرب منه وبعده عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يفسده ويجعله
 ولا يهينه من الطبقة المعروفة باللطف المتصونة عن اللطف ويجعل لهم من
 الأرزاق الكافية والابرة الوافية ما يصدتهم عن المكاسب الذميمة والمآكل
 الوخيمة فلا يسخط عليهم الخجة الامع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس
 للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن
 يكتب لمن تقوم بينته عنده وتنكشف له حجته إلى أصحاب المعارف بالشدة
 على يده واتصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الطالمة
 عنه اذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا
 عهد أمير المؤمنين إليك وحجته لك وعليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك

وهذا الرشيد وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه والله اليه
ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يجزك الوفاء به وبشبهه عليك الخروج منه
أنهية الى أمير المؤمنين مبادرا وكنت الى ما يأمر بك به صائرا ان شاء الله تعالى
(وأما التقليد الذي أنشأته أنا) فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أما بعد فان
كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو واجب حذم وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بعلم
وعلى هذا فان هذه ينزل من الكلام منزلة الاعضاء من الاجسام واسمه
ينزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جئنا في كتابنا هذا بين التسمية
والحميد وجعلنا احداها مفتاحا للثمين والاخر سببا للمزيد ثم ردقناهما
بالصلاة على سيدنا محمد الذي أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبيل كل
شهيد وعلى آله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحميد ومما يقترب بهذه الصلاة في ثوابها ويحجب على أعقابها النظر في أمر
الاميرة النبوية التي وصل ودها بوته وجعلها احدي الثقيلين الخلفين من بعده
وقد تقدم الان زمانها وتشعبت أغصانها ونسي مالها في الرقاب من عهدة
الامانة ولم توضع فيما وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة
وأولى الناس بها من أضرع ولا عا حقا وأوجب أن يرد معها الخوض حين يقال
لورده صحتا وكان عن تحت يده منها بارز ارفيقا حتى لا يسأله برا ولا رفقنا ونحن
نرجو أن يفوز به فضيلة هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب في الجمعة بيده
ومن أهم أمورها أن يختارها زعيم يرأف بها رافة الوالد بولده ويقوم بأمرها
قيام الرأس بحجسه حتى تألف أصولها كاهها في مغرسها ولا يحكم عليها
من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وفقنا في اختياره وأخذنا فيه
بيان الرأي وحزمه لا بشبهة الهوى واغتراره ولولم يكن من القوم الذين ولوها
لكان استحقاقه لها يذنا والتمويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قدسية
الميلاد ووراثته اياها عن سيادة الجدد ودوسود الابداد وهو أنت
أيها السيد الأجل الشريف الحبيب النسيب فلان بن فلان الحسيني ولوشئنا
لا سندنا هذه النسبة كبراعن كابر ونضدناها آخرنا بعد أول عن أول قبل آخر
حق وصاننا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة وشرف
الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قد عمار أخلاقه

ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرآنا كرم مما تولى الشعراء
 مدحه قصيدا ولا فضل للمعتزى الى هذا النسب حتى تلحق النبوة بالابوة
 ويضيف درجة الفضيلة الى محمد النبوة وحينئذ يبق لى ما أقرب الشبه على
 قدم عهده وهذا ما الورود به مذهب ورده وانت ذلك الرجل الذى ترد
 الشرف فى مناسبه تردد التمر فى منازل وزها الجهد بناقبه زهو الروض
 فى خاتله فلا تى حسبك تغنيك عن سؤال من وما وتلا يودك وحده قلبا
 وقلبا والحسب ما حفظت أو اخره أوائله وأوضحت اللبالي والايام دلالته
 وأقرت به الاعداء غارت فضائله وهذه هي المآثر التى اذا نظمت غارت
 الشعراء عليها من الشعر واذا نثرت وجدت فى محكم الذكر وانت صاحبها
 وابن صاحبها ومن لم يرثها عن أباء عداها بل عن أقاربها ولوجأت رياستها
 مصانعا ومشيت به الصراة تواضعا لدل عليك وصفها وعرف منك عرفها
 وقد قلنا لك أمر هذه الأسرة الطاهرة التى هي أسرتك وأمرناك عليها وأمرتها
 امرتك فتولها تولى من خفض لها جناحه وأفاض عليها سحابة وأنضى فيها
 غدوقه ورواحه حتى يقال انك الراعى الذى تناول ثلثه فاراح حسيها
 وجبر كبرها وارتاد لها خصبا وأوردها رفها لاغيا وأذكى فى كلالهاتها
 عينها وقلبا ومن حقها عليك أن تنظر الى ذات شمالها وذات يمينها وتصفح
 أحوالها فى أمر دينها وأوديتها فأقول ذلك أن تعلمها كتاب الله تعالى الذى
 فى تعليمه شجر الصواب وفى تلاوته ضاعفة حسنات الثواب وقدم مثل
 قارئه بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم
 التنزيل وتولى الله حفظه بن التحريف والتبديل وافتحه بالسبع المثاني التى
 لم ينزل مثالا فى التوراة ولا فى الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به
 فى غياية الظلماء والحبل الممدود من الارض الى السماء والبحر الذى لا يسخرج
 أوامره ومرجانه الا الرامضون من العلماء وكذلك نخذه هذه الأسرة بتعليم
 الفضائل التى تتفاوت بها القيم وسبها برياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا
 تتركها فوضى لا يتسم أحدها بسمه القدر المنيف ولا يرجع الى حسب تليد
 ولا الى سعى طريق وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يقال فلان الشريف
 ومن حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن توفى فضل مكانها وتحالف

بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا تبذل بحال الولاية في انتزاع ظلامة
 ولا في إقامة حد يسلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها فما وجب عليها
 من حق فخذها باقتضائه وأمض فيها حكم الله الذي أمر بما مضاهه وليكن ذلك
 على وجه الرفق الذي يسلس له القياد ويتوطأ له المهاد وإن أمكنك اقتداء شيء
 من هذه الظلمات التي تتوجه عليها ففاد وقد أتم الله فضلها بمنع كرائها الأمن
 كقول أدناءة في عنصره ولا غضاضة في مخيره وهو الذي إن فاته شرف النبوة
 في مغرسه فلم يفته شرف النباهة في معشره وإذا تباينت الأقدار فلا فرق
 بين المناكح المخطوبة وبين الأسلاب المسلوقة فاحفظ لاسرتك حرمة هذه
 المنزل وأجعلها في كتاب الوصايا التي وصيت بها ما كان البسمة وكما أمرناك بالنظر
 في صون أقدارها فكذلك تأمرنا بالنظر في حفظ مادة درهمها ودينارها وقد
 علمت أن لها أوقافا وقفها قوم فخطوا بأجرها واسمها وستخطي أنت بالعدل
 في قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعط كل ذي حق حقه وفي الناس طائفة
 أدعياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون أبا الغيران وابنا
 لغرب أب كل ذلك رغبة في سحت يأكلونه لا في نسب يوصلونه فنقب عن حال
 هؤلاء تنقيبا واجعل النسيب نسيبا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من
 طراقتها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم
 الازدجار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره في الناس حتى ينتهي
 وينتهي غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمرا
 وأعظم أجرا وأجدربأن تكون هي الأولى وتكون هذه الأخرى وهي
 الأخذ على السنة السفها من الخوض فيما شجر بين آل النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه واطهار العصية التي تزحج الحق عن نصابه وترجعه على أعقابها وليس
 مستندها إلا مقالات ذوى الجهل وربما نشأ منها فتنة وأفتنة أشد من القتل
 فوكل هؤلاء قريبا قاطعا ونهيا قامعا وكن في ذلك شارعا لما كان الله شارعا
 فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى
 المحسن في هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم ديناً وأدبا ولا يبلغ
 مدأ أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهباً ونحن نعلم أنك واقف على
 سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقام

من رفقته بنظر جلي ووفى أبابكر وعمر رضي الله عنهما حقهما وإن كان من نسل
على فكل قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله وهؤلاء من صحابته
وهذا من أهله ونعوذ بالله من الأهواء الزائغة والاقوال التي ليست بسائغة
ولا حجة الا بالحق والله الخليفة البالغه وقد جعلنا لك في مالنا عطاء دار استعين به
على لوازم النفقات وتخرج نافلتك في وقاية عرضك التي هي محسوبة من
الصدقات فان من سادقوما يفتقر الى تحمل أثقالهم والافاضة من حاله
على أحوالهم وهذا بر يكون من أصله ومنك فرع و ثواب يكون لك قصده
ولنا شرعه وصاحب الاحسان من سن سبيل الاحسان ولم نرض أن أريناك
مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعظم مالنا وتعلم من سنة افضالنا ولدولتنا
بذلك ثوب جال كلما لبس زاد جدة وعمرز كركلما مضت عليه مدد الايام طال
مدة ولا ملك في الدنيا لمن لم يجعل ملكه حديثا حسنا ويشتري المحامد فيجعلها
ثمنا ومن عرف قدر الثناء جت في تحصيله ولو أنفق الكثير في قليله فكلم من
دولة أعدمت منه فدرست آثار معالمها ولو كانت منه مثرية لما ذهبت مع بقاء
مكارمها واذ ذكرنا هذا فلنختتمه بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد وهو أن
تجرد العناية بوجاهته حتى يلبس ثقتا بذلك التجريد ونحوى ذلك أن يعلم الناس
ماله في الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه فيها ابن جلا غير محتاج الى وضع
العمامة ونحن نأمر ثوابنا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوته الشريفة
وفضيلته التي ردتها فأضحت وهي لها رديفة وأن يعطوه ما شاء من اعلاء شأنه
ويعضوا فعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابي) أيضا تقليدا
أنشأه لفخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي بن بويه عن الخليفة الطائع
رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض على تقليد كتب للملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضي بالله رحمه الله في سنة احدى
وسبعين وخسمائة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسألني بعض الاخوان بمدينة
دمشق أن أعارضه فعارضته بتقليد في معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا
التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهرا ما يظهر من فصاحة وبلاغة
(فأما التقليد) الذي أنشأه الصابي فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع
له أمير المؤمنين الى فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين

حين عرف غناه وبلاه واستصح دينه وبقينه ورعى قديمه وحديثه واستحب
عوده ونجاره وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير
المؤمنين عليه وأشار بالزيد في الصنعة اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به في كل
مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رعى اليه من النصيحة دخولا في زمرة
الاولياء المنصورة وخروجا عن جماعة الاعداء المدحورة وتصرفا على
موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه
مأخوذة مشروطة بقلده الصلات وأعمال الحرب والمأون والاحداث والخراج
والاعشار والضبايع والجهدة والصدقات والجواهر وسائر وجوه الجنائيات
والعرض والعتاء والنفقة في الاولياء والمظالم وأسواق الدقيق والعيار في
دور الضرب والطرد والحسبة بكونهم مدان واسترا باذوالدينور وتوزيع
والامعارين واعمال اذربيجان وأران والسهانين وموقان واثقامن باستقبال
استدامتها والاستزادة بالشكر منها والتجنب لغمطها وبجودها والتكسب
لا يحاشها وتنفيذها والتعمد لما يمكن له الخطوة والزلفى وحرس عليه الاثرة
والقربى بما يظهره ويضمه من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين
والصدر السليم والمقاطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجملة والمواصلة لكل
من حمى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين ودمنه ومع
عز الدولة أبي منصور وفي حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المؤمنين حسن
العقبى فيما أبرم ونقض وسداد الرأي فيمن رفع وخفض ويجعل عزائمهم
امقرونه بالسلامة محجوبة عن موارد الندامة وحسب أمير المؤمنين الله ونعم
الوكيل أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنسة الحصينة والطود
الارفع والمعاد الامنع والجانب الاعز والمبدأ الاحرز وأن يستشعرها سرا
وجها ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا دافعا لنوائب القدر وكهفا
حاميا من حوادث الغير فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعوذها على
العبد بصلحه وأدعائها الى كل مناجحه وأولاهها بالاستمرار على هدايته
والنجاح من غوايته والسلامة في دنياه حين توبق موبيقاتها وتردى مردياتها
وفي آخرته حين تروع رائقاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله
في التواضع والاختبات والسكينة وصدق اللهجة اذا نطق وغض الطرف اذا

رمق وكظم الغيظ اذا حفظ وضبط اللسان اذا أغضب وكف اليد عن المآثم
 وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو
 صائر اليه ويعلم أنه مسؤول عما كتب مجزى عما تزل واحتقب ويتزود
 من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال البر لتنتفعه ومن مساعي الخير
 لتتقده ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزجر عن السيئات قبل أن يزجر
 عنها ويتدبى باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتى ضده
 ولا ينهاهم عما يفترون مثله ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ومرتواته مانعة له من
 شهواته فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع اغذاء الحمية من
 ملأ أزمة الامور واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعاً فيما يرى متبعاً فيما
 يشا يلى على الناس ولا يلون عليه ويقتصر منهم ولا يقتصون منه فاذا اطلع
 الله منه على نقاب جيبه وطهارة ذيله وصحة سيرته واستقامة سيرته أعانه على
 حفظ ما استحفظه وأنفضه بشقل ما حله وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من
 الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم
 مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آى كثيرة فضنا بها على
 أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصيبها ازانها ظره والشقي من نبذها
 وراء ظهره وأشقى منهما من بعث عليها وهو صادف عنها واهاب اليها وهو
 بعيد منها وله ولا مثاله يقول الله تعالى ذكره أنأمرون الناس بالبر وتنسون
 أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتخذ كتاب الله اماماً
 متبعاً وطريقاً متوقفاً ويكثر من تلاوته اذا خلا بذكره ويلا بتأمليه أرجاء
 صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتدى به اذا نهى وأمر ويستعين
 ببيانها اذا استغلقت دونه المعضلات ويستضيء بمصابيحها اذا عظمت عليه
 المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه
 المرشد والكاشف لظلم الخطوب والشافى من مرض القلوب والهادى لمن ضل
 والمتلافى من زل فمن نجابه فقد فاز وسلم ومن اهمل عنه فقد خاب وندم قال الله
 تعالى وانه الكتاب عزيز لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الاوقات قائماً

على حدودها متبعا لرؤسها جامعاً فيها بين نيته وانظفه متوقفاً لمطامح هوى
ولحظه منقطعاً اليها عن كل قاطع لها مشغولاً بها عن كل شاغل عنها متنبهاً
في ركوعها وسجودها مستوفياً عدداً مفروضها ومسنونوها موقراً عليها
ذهنه صارفاً اليها همه عالماً بأنّه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحبيه وعميته
ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه خائفة الاعين وما تخفى الصدور فإذا قضاه على
هذه السبيل منذ تكبيرة الاحرام الى خاتمة التسليم أتبعها بدعاء يرتفع
بارتفاعها ويستمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل الابرار ورغائب الاخيار
من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا
وعوائد الآخرة والأولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً وقال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره
بالسعي في أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفي الاعياد الى المصليات الضاحية
بعد التقدم في فرشها وكنسوتها وجع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها
واستسعاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الالهية متنظفين في البرة
مؤذنين لفريضة الطهارة وبالغين في ذلك أقصى الاستقصاء معتقدين خشية الله
وخيفته مدبرعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله
مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهم
الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال في المغفرة والرحمة
فصيحة فان هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله الذي فضلها ومناسكها التي
نترفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعوذ العائدون وتتهجد المتعبدون
وتتجد المتجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها
ويحرمها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين
ثم لنفسه على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى في هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال في عارة
المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى
الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعى
أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلقهم الارزاق
في أوقات الوجوب والاستحقاق وأن يحسن في معاملتهم ويحمل في

استخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة في غير عنف
 مثيبا المحسنين ما زاد بالاثابة في حسن الاثر وسلم معها من دواعي الاشر ومتعمدا
 لمسيئهم ما كان التعمد له نافعا وفيه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته
 تناولته من عقوبته ما يكون له مصححا ولغيره واعظا وأن يختص أكابرهم
 وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في المهم والاطلاع على بعض
 المهم مستخاضا مخاييل صدورهم بالبسط والادناء ومستشعرا بصائرهم
 بالاكرام والاجتناب فان في مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب
 ونجاة عن غلط الاستبداد وأخذ الجميع بالحزم والامانة وأمان من مفارقة
 الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة
 والسلام وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
 وأمره بأن يصعد بناته من نفعه للمسلمين ورباط المرابطين ويقسم
 لها قسما وافرا من عنايته ويصرف اليها طرقا بل شطرا من رعايته ويختار لها
 أهل الجاد والشفقة وذوى البأس والنجدة ممن يحسنه الخطوب وعركته
 الحروب واكتسب درية بخدع المتنازلين وتجربة بمكاييد المتقارعين وأن
 يستظهر بكشف عددهم واعتبار عددهم واتخاب خيلهم واستحادة
 أسلحتهم غير محجرب عنها اذا بعثه ولا مستكرهه اذا وجهه بل يناوب بين
 رجاله مناوبة تريحهم ولا تغدهم وترفعهم ولا تؤدهم فان في ذلك من فائدة
 الاجسام والعدل في الاستخدام زينا فليست بين رجال النوب فيما عدا علمهم
 بمزالظفر والنهر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما يحق أن
 يكون الولاية به عاملين وللناس عليه حاملين وأن يكثر في أسماعهم ويثبت
 في قلوبهم مواعيد الله تعالى من صبر ورباط وسامع بالنفس من حيث لا يقدمون
 على نور طعنه ولا يحجمون عن انتهاز فرصه ولا يشكصون عن توردهم معركة
 ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمرء أمين
 على دينه وأن يريح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور
 وحادثها وبناء حصونها ومعاقلها واستتراق طرقها ومسالكها وافاضة
 الاقوات والعلوفة في المراتبين بها والمترددن اليها والحاملين لها وأن يبذل
 أمانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه وينق بالعهد اذا عاهد وبالعقد اذا

عاقده غير مخفزة ولا جرح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل
يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث
فإنما ينكث على نفسه وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم فمن كان
اقراره واجبا أقتره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر في الشرطة
والاحداث نظر عدل وانصاف ويختارها من يخاف الله ويتقيه ولا يحابي ولا
يراقب فيه ويتقدم اليهم بجمع الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار
وطلب الزعار مستدلين على أما كنهم متوغلين الى مكائدهم متوغلين
عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منفذين أحكام الله تعالى فيهم
بحسب الذي يتبين من أمرهم ويصح من فعلهم في كبرية ارتكبوها
وعظيمة احتقبوها ومهجة ان اغاظوها واستهلكوها وحرمة ان استباحوها
وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومه أقاموه عليه غير مخفزين منه
وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأثونه حجة ولا
يعترضهم في وجوبه شبهة فان الواجب في الحدود أن تقام بالبيانات وأن تدرك
بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ولا
توقفوا عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحتاط به على مثله
من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته
وثبوتها باقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ولينظر من جوابه ما يكون عمله
بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد الا ما أحاط به علما
وأتقنه فهما وكان ما عاضيه فيه عن بصيرة لا يخالجه اشك ولا يشوبه اريب
ومن ألم بصغيرة من الصغائر وبسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها
ولم يتقدم له أختها وعظمه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن
عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزائه فان عادتنا وله من التقويم
والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم
فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل
ما في أعماله من الحانات والمواخير ويظهرها من القبائح والمناكير ويمنع من
يجمع أهل الخفاف فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل يصلحه التشتيت وجمع يحفظه
التفريق وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوى

اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب
 المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها الله
 معصية وفي اخراجها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم
 خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
 ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولى الحماية في هذه الاعمال
 أهل الكفاية والعناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف ركابه وأسرع
 عند الصريح مرتب اليهم في المسالح وساداتهم ثغرا المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ
 ويأخذهم بالتحفظ ويوضح علامهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم
 وميرهم حتى لا تنقل لهم عن البلاد وطاعة ولا يدعوههم الى تحنقهم وتلهم
 حاجه وأن يحوطوا السابله بادئة وعائدة ويذرقوا القوافل صادرة وواردة
 ويحرسوا الطريق ليسلا ونهارا ويتفصوها رواحا وغدقا وينصبوا لاهل
 العيث الارصاد ويتكلموا لهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون
 التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا الى انفضاضهم ويحجموا حيث يكون
 الاجتماع مطفئا لجزتهم وصادعا لرويتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها
 وسيارة فيها يترددون في جواتها ويتعسفون في عواديتها حتى تكون
 الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن
 حصل في أيديهم من اص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم
 امتثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم
 في الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من اباق
 العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم والبحث عن الاماكن التي
 فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أنفقوا منهم ونشروا عنهم
 وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الضالة ما أمكن
 أن تنشد ويحفظوها على ربه بما جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظهورها
 والانتفاع بأوبارها والبيان ما يحجز ويحلب وأن يعترفوا باللة ويتبعوا أثرها

ويشيعوا خبرها فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم
يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن حرق النار وأمره أن
يؤسى عمله بالشدة على يد الحاكم وتنفيذ ما يصدر عنه من الأحكام وأن
يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة
وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذى عقل ضعيف وحلم ضئيف
نالوه بما يردعه وأحلوا به ما ينزعه ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع
خصم يستدعيه بأمر يوجب له الحكم إليه أو التوى ملتوى بحق يحصل عليه
ودين يستقر في ذمته فادوه إلى ذلك بأزمة الصغار وحزائم الاضطرار وأن
يجبوا ويطلقوا بأقوالهم وينبتوا الأيدي في الأملاك والفروج وينزعوا
بقضاياهم فانهم آمناء الله في فصل ما يقضون وبث ما يبشرون وعن كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون وقد قال الله عز وجل يا داود أنا
جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله هم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب وأن يتوخي بمثل هذه المعاملة أعمال الخراج في استيفاء حقوق
ما استعملوا عليه واستنطاق بقاياهم فيه والرياسة لمن تسوء طاعته من
معاملهم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فمن آداب الله
تعالى للعبد الذي يحق عليه أن يتخذها ويجعلها للرضا عنه سببا قوله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله
شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما ويتطرق في مظالمها نظرا
تاما يساوى في الحق بين خاصها وعامتها ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها
وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد النقص والتأمل والبحث
والتبيين حتى لا يحكم إلا بعدل ولا ينطق إلا بفصل ولا يثبت إلا فيما وجب
تثبيتها فيه ولا يقبضها إلا بما وجب قبضها عنه وأن يسهل الأذن لجماعتهم
ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف وابن المنعطف والاشتمال
والعناية والصون والرعاية ما تعدل به أقسامهم وتتوازي منه أقساطهم ولا
يصل الركين منهم إلى استئصامه ما تأخر عنه ولا ذو السلطان إلى هضمه من حل

دونه وأن يدعوهم الى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحسن
المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويمتد عليهم ظله ولا يسومهم عفا ولا يلحق
بهم حينا ولا يكلفهم شططا ولا يجثمهم مضاعا ولا ينلم لهم معيشة ولا يداخلهم
في جرعة ولا يأخذ برياب سقيم ولا حاضر ابعديهم فان الله عز وجل ينهى أن
تزرؤا زوة وزرا أخرى ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سن عليها من سنة
ظالمة وسلك بها من محجة جائرة وبسته قري آثار الولاية قبله عليها فيما رجوه
من خيرا وشر اليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبت وقبح فان
من غرس الخير يحظى بمسول ثمره ومن زرع الشر يصلى بثمر ورزيقه والله
تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وأمان
الغلات ووجوه الجبايات موفرا ويزيد ذلك ممثرا بما يستعمله من الانصاف
لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذي به قوة عبادته وحماية
بلادهم ودرور حبلهم واتصال مدده وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم ويحمي
الذمار ويزاد الاشرار وأن يجعل افتتاحه اياه بحسب ادرالنا صنافه وعند
حضور موافقته وأمانه غير متسلف شيئا قبلها ولا مؤخر الها عنها وأن يخص
أهل الطاعة والسلامة بالترقية لهم وأهل الاستعصاب والامتناع بالتشديد
عليهم لتلايقع ارهاق لمذعن أو اهمال اطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلال
من الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنبيا احلال الغلظة من لا يستحقها
واعطاء الفسحة من ليس اهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الا ما سعى
وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن يتخير عمله على الخراج
والاعشار والضرائب والجبهضة والصدقات والجواري من أهل الطائف
والتزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك
عليهم بوصية تعيها اسماعهم وعهود يقددها أعناقهم بأن لا يضيعوا
حقا ولا يأكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا
العمارات ويحفظوا ويحترزوا من اقواء حتى لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدبن
في جميع ذلك الامانة محتئين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيناف وزن
المال على تمامه واستجدادة نقده على عيانه واستعمال العهدة في قبض

ما يقبضون واطلاق ما يطلقون وأن يوغروا إلى سعة الصدقات في أخذ
 الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن
 لا يجبهوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها ما خارج عنها ولا
 يضيفوا إليها ما ليس منها من خيل ابل وأكولة راع أو عقيلة مال فإذا اجتنبوها
 على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها في سبيلها وقسموها على أهلها
 الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه العزيز إلا المؤلفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز
 وجل في كتابه الكريم وسقط سهمهم فإن الله تعالى يقول إنما الصدقات
 للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
 سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم وإلى جباة أهل الذمة أن
 يأخذوا منهم الجزية في المحترم من كل سنة بحسب منازلهم في الأحوال وذات
 أيديهم في الأموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود والمعهودات لها
 وأن لا يأخذوها من النساء ولا من لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية
 ولا من ذى علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب مبتدل وأن يراعى جماعة هؤلاء
 العمال مراعاة يسرها ويظهرها ولا يحفظهم ملاحظة يخفيها ويبيدها لئلا
 يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللائق فقد قال الله تعالى
 وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا وأمره بأن يشدب لعرض الرجال
 واعطائهم وحفظ جراياتهم وأوقات اطعامهم من يعرفه بالثقة في متصرفه
 والأمانة فيما يجري على يده والبعده عن الاسفاف إلى الدنية والاتباع للدعاة
 وأن يبعثه على ضبط الرجال وشيأت الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق
 وإيقاع الاحتياط في الاتفاق فمن مع عرضه ولم يبق في نفسه شيء منهم من
 شدب عرض له أو ربيبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها في أيديهم غير
 منلوثة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك
 إلى جهته مورداله على حقيقته وأن يطالب الرجال بأحضان الخيل المختارة
 والآلات المستكملة على ما توجبها مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم
 فإن أخر أحدهم شيئا من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثله قيمته فإن
 المتصرف فيه خائن لأمر المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن

يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات
هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكفاية ومعرفة ورواية وتجربة وحسكة
وحصانة ومسكة فانها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن
يتقدم الى ولاية أسواق الرقيق بالحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره
والتهرؤ من وقوع تخون فيه أو إهمال له أذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج
وتطهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريسة ويقربوا أهل العفة ولا
يمضوا بيعا على شبهة ولا عقد على تهمة والى ولاية العيار بتخليص عين الدرهم
والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من المش وبحسب
الامام المقدّر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المزغلة
وتتناقلها الجهات المنية واثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب ذهباً وفضة
وأجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاية الطرزان بجرو الاستعمال في جميع
المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصمة وأن
يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرزالكسا والفرش والاعلام والبنود والى
ولاية الحسبة بتصفح أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم
ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرروها على التعديل
والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو
بخس ما يوفيه واستفضال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظمتها وخصوه
بوجيعها وألمها واقفين في ذلك عند الحد الذي يرويه لذنبه مجازيا وفي تأديبه
كافيا فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين إذا كالأوعلى الناس يستوفون
وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين اليك وجمته عليك
وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعلما
وتحكما وأقنعك تعلما وتفهما ولم يالك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك
ولم يدخرك ممكنا فيما أصلم بك وأصلحك ولا ترك لك عذرا في غلط تغلطه ولا طريقا
الى تورط تورطه بالقائك في الاوامر والزواجر الى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا
الناس اليه ويحنوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صارقا لك عن
مرديات المهالك مریدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك ويعود بالخط عليك في
آخرتك وأولاك فان اعتدلت وعدلت فقد دقزت وغنت وان تحانتفت

وأعوججت فقد فسدت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك
الزاكي ومنبتك النامي وعودك الانحجب وعنصرك الاطيب أن تكون
لظنه محققا ولخيلته فيك مصدقا وأن تستزيده بالاثرا الجميل قربا وثوابا يوم الدين
وزلني عند أمير المؤمنين وثنا حسنا من المسلمين فخذ ما نبذ اليك أمير المؤمنين
من معاذيره وأمسك يديك على ما أعطى من واثيقه واجعل عهده مثالا
تحتذيه وامامات تقتفيه واستعن بالله يعينك واستهد به يدك وأخلص اليه في
طاعته يخلص لك الخط في معونتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل
عليك من صعب أو بهر لك من باهر أو بهر ظك من باهظ فاكذب الى أمير المؤمنين
منهيا وكن الى ما يرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
(وأما التقليد) الذي أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد
الله الذي يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيده من نعمه التي
جعلت التقوى له زادا وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه
اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فاستورت له حجرا بابا ولا عرضت عليه جيادا
وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا ثم يصلي على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسرى
به الى السماء حتى ارتقى سبع عاشر ادا وتجبلى له ربه فلم يرغ منه بصرا ولا أكذب
فؤادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التي زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور
المتين تلامدا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس
المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف
دركا ولا تخشى نفادا وإذا استوفى القلم مداده من هذه الجملة وأسند القول
فيها عن فصاحته المرسله فانه يأخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله خليفة
لقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكديره من راسه وليس
ذلك الا لافاضته في وصف المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثار
واشتهبه التطويل فيها بالاختصار وهي التي لا يفتقر واصله الى القول المعاد
ولا يستوعر سألوك أطوادها ومن العجب وجود السهل في سألوك الاطواد
وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد
المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك

تحت ثابت كرك و يباهى بك أولياءه تنويعها بذكرك ويقول أنت الذى تستكنى
فتكون للدولة تسهمها الصائب وشهابها الناقب وكثرها الذى تذهب الكنوز
وليس بذهب وماضرها وقد حضرت فى نصرته اذا كان غيرك هو الغائب
فاشكر اذا ساعىك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الأولياء بما فضلك
ولئن شورك فى الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة
فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من أمد يده فى درجات
الامداد وما جعل الله القاعدى كالذين قالوا لو أمرينا بالضربنا أكبادها الى
برك الغماد وقد كفال من المسامح أنك كفيت الخلافة أمر منازعتها وطمت
على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها واقدمضى عليها زمن ومحارب حقها
محفوظ من الباطل بمحاربي ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السوارى الذين أولهم كذا بين فبصر منهم ما واحد تاه بمجرى أنهارها من
تحت ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدري يوم جمعه
من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانته على ذلك قوم رعى الله بصائرهم بالعمى
والصمم واتخذوه صغما بينهم ولم تكن الضلالة هنالك الا بجمل أو صم فقت أنت
فى وجه باطله حتى قعد وجمعت فى جبهه حبل من مسد وقلت ليدته تبت
فأصبح وهو لا يسمى بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجحت
بالين ناجته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال
هذا والخلصة الثانية فإى مقاميك يعترف الاسلام بسبقه أم أيها يقوم
بأداء حقه وههنا فليصج القلم للسيف من الحساد وليقصر مكاتته عن مكاتته
وقد كان له من الانداد ولم يحظ بهم هذه المزية الا لانه أصبح لك صاحبا ونفرك
حتى طال نفرا عما عزجانيا وقضى بولايتك فكان بها قاضيا لما كان حده
قاضيا وقد قلدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمن غورا ونجدا وما اشملت
عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا وما يستنقذ من
مجاوريهام سالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن
الممتنة والمراكز المحصنة مستنما منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين
محمود رحمه الله وهو حلب وأعمالها فقد مضى أبوه عن آثار فى الاسلام ترفع
ذكره فى الذاكرين وتخلقه فى عقبه فى الغابرين وولاه هذا قد هذبه الفطرة

في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جاريد نو
 منه ودادا كما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذي قد مناه
 من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والفلك عن فضيلة الازدياد
 فايالك أن تنظر سعيك بالاعجاب وتقول هذه بلادنا فتحها بعد أن أضرب عنها
 كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ورسوله ثم تخليفته من بعده
 ولامنة للعبد ياسلامه بل المنة لله به بداية عبده وكم سلف من قبلك من لورام
 مارمته لدنا شاسعه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتعطي في الآخرة بمقارنه
 وفي الدنيا برقم طرازه فأتى بذلك عند هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا
 الا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم وقد قرن تقليدك هذا بمجاعة تكون لك
 في الاسم شعارا وفي الوسم فخارا وتناسب محل قلبك وبصرك وخبرم لايس
 الاوليا ما تناسب قلوبا وأبصارا ومن جلته اطوق يوضع في عنقك موضع العهد
 والميثاق وبشير اليك بأن الانعام قد أطاف بك اطاقة الاطواق بالاعناق ثم
 انك خطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالانشرار ولا ملك بالانفساح
 وتؤمر معه بتديك الى العليا لايضعها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها
 هي التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان
 فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الايام
 كريم الانساب واجعله لها عيد او قل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا
 ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور وتضمن
 أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور وهذه المكانة
 قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا انهم لك صاحبة وأنت يوسعها
 فاحرسها عليك حراسة تقضى ببقاها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها
 واعلم أنك قد تقلدت أمر اتعين به نبي الخلوم ولا ينقك صاحبه عن عهده
 المعلوم وكثيرا ما يرى حسنة يوم القيامة وهي مقسمة بأيدي المصوم ولا ينجو
 من ذلك الا من أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم
 أن الولاية ميزان احدي كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تواين
 مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظرم من لم يخدع بجديد الخرص والآمال

ومثل الدنيا وقد سبقت اليك بهذا في غيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد
 اذا جاءته قضى بها أرب الارواح لا أرب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء
 وقد اتخذ الادوية من السموم وما الاغتياط بما يختلف على تلاشي الماء والاصباح
 وهو كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه
 الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولادة أمره من تباعثها التي لا يستهم ولا بسوها
 وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك
 من العناية التي جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التي بسطت من درعك فخذ
 هذا الامر الذي تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن في رعايته بمن اذا نامت
 عيناه كان قلبه يقظان وملا ذلك كله في اسبغ العدل الذي جعله الله ثالث
 الحديث والكتاب وأغنى بشواب وحده عن أعمال التواب وقدر يوم مآمنه
 بعبادة ستين عاما في الحساب ولم يأمر به أمر الا زيدة قوة في أمره وتحصن به من
 عدوه ومن دهره ثم يجيء به يوم القيامة وفي يديه كتابا أمان ويجلس على منبر
 من نور عن عين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوى على ظهره الا من
 أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت له ملكه على لمة شيطانه ومن
 أوكد فروضه أن يعي السنن السيئة التي طالت مدد أيامها وينس الرعايا من
 رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمدا لا قصار ظلامها وتلك السنن هي المكوس التي
 أنشأتها لهم الحقيرة ولا غنى للأيدي الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما
 زيدت الاموال الحاصلة منها قدر ازادها الله محققا وقد استمرت عليها العوائد
 حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا ولولا أن صاحبها أعظم
 الناس جرما لما أغلظ في عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بتأبه وهل أشقى
 ممن يكون السواد الاعظم له خصما ويصبح وهو مطالب بهم بما يعلم وبما لم يحط به
 علما وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات فتنبجي على ابطالها وتطلق اسماءها في
 المحو بأفعالها حتى لا يبقى لها في العيان صور من منظور ولا في الالسنه أحاديث
 مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزات عن الماضي سنة سوء منتهايده وعن
 الآتي متابعة ظلم وجدته نهجا مسلوكا فجري على مدام فبادر الى ما أمرت به
 بمبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر الى الحياة الدنيا بعينه فراها في الآخرة متاعا
 واحدا والله تعالى على أن قبض للإمام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بججزتك

عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عدوك وهذه البلاد المنوطة بطرفك
 تشمل على أطراف متباعدة وتفتقر في سياستها إلى أيدي مساعدة ولهذا
 يكثر بها قضاء الأحكام وأولوتديرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء
 ينبغي أن يقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهدا عدل من أمانة الدوام
 والدينار فما أضل الناس شيء كحب المال الذي فورت من أجله الأديان
 وهجرت بسببه الأولاد وال الإخوان وكثيرا ما نرى الرجل الصائم القائم وهو عابد
 له عبادة الاوثان فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمره فاضرب عليه
 بالارصاد ولا ترض جماعته من بهد إمانه فان الأحوال تنتقل منتقلة
 الأجساد وإياك أن تتخذ بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 بالربيع بن زياد وكذلك أوامر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمر وأيا المعروف
 مواظبين وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين
 جعلهم الله الغالبين ولا يبدؤا وأولا بأنفسهم فيعدوا لوابها عن هواها ويأمروها
 بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب
 لطلب المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد فتنزل بركات السماء الأعلى من خوف
 مقام ربه وألزم التقوى أعمال يده وإيمانه وقلبه وإذا صلت الولاية صلت
 الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بصباحهم وما
 يؤمرون به أن يضيئوا نورهم تحت أيديهم ثم اخوانا في الاصطحاب وجيرانا
 في الاقتراب وأعدوانا في توزع الحمل الذي يثقل على الرقاب فالسلم أخو السلم
 وإن كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا
 وأيسر الولاية لمن يستجيبها كثرة اللقيف ويتولاها بالوطة العنيفة وليكنها
 لمن يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولمن إذا غضب لم ير للغضب عنده
 أثر وإذا ألحف في سؤاله لم يلق إلا الحاف بخلق الضجر وإذا حضر الخوصم بين يديه
 عدل بينهم في قسمة القول والنظر فذلك الذي يكون في أصحاب العبيد
 والذي يدعي بالحفظ العليم والقوى الأمين ومن سعادة المرأة أن تكون
 ولاته متأذنين بأدبها وجارين على نهج صوابها وإذا تطايرت الكتب يوم
 القيامة كانوا أحسنات مثبتة في كتابه وبعد هذه الوصية فان ههنا حسنة هي
 للمعونات كالاتم الولود ولطالما أغنت عن صاحبها الغنود وتيقظت

لنصره والعيون رقود وهي التي تسبغ لها الآلاء ولا يخطأها البلاء
ولا أمير المؤمنين بها عناية تبعتها الرحمة الموضوعة في قلبه والرغبة في المغفرة
لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هي الصدقة التي فضل الله بها بعض عبادهم لزيادة
افضلها وجعلها سبيلا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمر كل من
تفقده أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الارزاق وألبسهم التعفف
ثوب الغنى وهم في ضيق من الاملاق فأولئك أولياء الله الذين هم الضراء
فصبروا وكثرت الدنيا في يد غيرهم فأنظروا اليها أنظروا وينبغي أن يبيهاهم
من أمرهم مرفقا ويضرب بينهم وبين الفقراء موقفا وما أظننا لك القول
في هذه الوصية الا اعلاما بأنهم من المهتم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر
منه ولا يستكثر وهذا يمد من جهاد النفس في بذل المال ويتلوه جهاد العدو
الكافر في مواقف القتال وأمير المؤمنين يعترفك من نوابه ما يجعل السيف
في ملازمته أنا وتسحوله بنفسك ان كان أحد بنفسه حيا ومن صفاته أنه
العمل المحبوب بفضل الكرامة الذي ينبغي أجره بعد صاحبه الى يوم القيامة
وبه تمنح طاعة الخلق على المخلوق وكل الاعمال عاطلة لا خلوق لها وهو
المتخصص دونها برتبة الخلق ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الايمان ولما
جعل الله الجنة له ثمنا وابت لغیره من الاثمان وقد علمت أن العدو هو جارك
الادنى والذي يبلغك وتبلغه عينا وأذنا ولا تكون لادى سلام نعم الجار حتى
تكون له بش الجار ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغربك
الاعذار وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافحا أو تطرق أرضه مما سبها
أو مصابها بل يريد أن تقصد البلاء الذي في يده قصد المنة فلا قصد المغير
وأن تحكم فيها بحكم الله الذي قضاه على ان سعد في بني قريظة والنضير
وعلى الخصوص البيت المقدس فانه تلاد الاسلام القديم وأخو البيت الحرام
في شرف التنظيم والذي توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم
وقد أصبح وهو يشكو طول المدة في أسر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهي
تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وغربته فانفض اليه ثمرة توغل
في قرحة وتبذل صعب قياده بسحبه وان كان له عام حديدية فانه مع بهام
فقه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سداد ما في اليد من ثغر كان مهملا

خفيت موارده أو مستهد ما رفعت قواعده ومن أهله ما كان حاضر الجهر
 فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه
 فجأة حتى يبـ بقرقه برعده فينبغي أن يرتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها
 وتقل أقرانها ويكون قتالها لأن تكون كلمة الله هي العليا لأن يرى مكانها
 وحينئذ يصح كل منها رله من الرجال أسوار ويعلم أهله أن بناء السيف أمتع من
 بناء الاحجار ومع هذا لا يتلها من اصطول يكتر عدده ويقوى مدده فانه
 العدة التي تستعين بها على كشف العماة والاستكثار من سبايا العبيد والاماء
 وجيشه أخوال الجيش السليماني فذا الذي يـ ير على متن الريح وهذا على متن الماء
 ومن صفات خيمه أنها جعت بين العوم والماء وتساوت أقدار خافها على
 اختلاف مدة الاعمار فاذا أشرفت قبل جبال متلفعة بقطع من القيوم
 وإذا انظر الى أشكالها قبل انها أهله غير أنها تهدي في مسيرها بانصوم ومثل
 هذا الخيل ينبغي أن يغالى في جوادها ويستكثر من قيادها وايؤمر عليها أمير
 يلقى الجرح عنقه من سعة صدره وبسلك طرقه لولك من لم تقتله بجعله ما لا يمكن
 قتله بخبره وكذلك فليـ كن عن أفنت الايام تجاربه وزجتها كبه وعن
 يذل الصعب اذا هو سلسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم
 فلا يجب دهره بالرياسة وان كان في الساقه في الساقه أو كان في الحراسة في
 الحراسة واقدأفلحت عصا به اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته
 كما أيقنت بالصر من رايه واعلم أنه قد أدخل من الجهاد بركن بقدر في قتله
 وهو تمامه الذي يأتي في آخره كما أن صدق النية تأتي في أوله وذلك هو قسم
 الفنائم فان الايدي قد تداولته بالاجفاف وخاطت جهادها فيه بقلوبها فلم
 ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم في تعدى حدوده المحدودة وجعل
 الاستقثار بالمغتم من أشراط الساعة المراجعة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا
 هذا زمانه وباسه شرباس ولم يستخلفنا على حفظ أركان دينه ثم نهله اهمال
 مضيع ولا اهمال ناس والذي تأمر لك به أن تجرى هذا الامر على المنصوص
 من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفاتر فوائده وأنت المطالب بانفسه
 وفي أرزاق المجاهد دين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة التي
 تكون غدا أنك لا وحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فتصفح ما سطرنا لك

في هذه الاساطير التي هي عزائم مبرمات بل آيات محسكات وتحيب الى الله والى
 أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وابن لك منها مجد يبق في عقبك اذا أضيفت البيوت
 في أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل في الوصايا التي أوصاها وأنه
 لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعاها أمير
 المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التي تنزل من كل أمر بمنزلة نظامه
 ثم قال اللهم اني أنتم بذلك على من قلده شهادة تكون عليه رقية وله حسية فاني
 لم آمره الا بأوامر الحق التي فيها موعظة وذكرى وهي لمن تبعها هدى ورحمة
 وبشرى واذا أخذهم ابلغ بحجته يوم يسأل عن الحجج ولم يحتج دون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على الخوض في جملة من يحتج وقيل لا حرج عليك ولا
 انما اذنجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام (وهذا الذي ذكرته) من كلامي
 وكلام الصابي في هذه التقاليد الاربعة لم أقصده الوضع من الرجل وانما ذكرت
 ما ذكرته لبيان موضع السجع الذي يثبت على المحمد ولا شأن أن هذا الوصف
 المشار اليه في فتر الاسجاع لم يكن مقصودا في الزمن القديم اما لما كان عصره
 أولانه لم يتنبه وكيف أضع من الصابي وعلم الكتابة قدر فعه وهو امام هذا الفن
 والواحد فيه وادع اعتبر كتاباته فوجدته قد أجاد في السلطانيات كل
 الاجادة وأحسن كل الاحسان ولولم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عن عز الدولة
 مجتبار بن بويه الى سبكنه حين عند خروجه عليه ومجماهرته اياه بالعصيان
 لاستحقاقه فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجوبة لكنه
 في الاخوانيات مقصر وكذلك في كتب التعازي (وعندي فيه رأى) لم يره
 أحد غيري ولى فيه قول لم يقله أحد سوى وذلك أن عقل الرجل في كتابته زائد
 على فصاحته وبلاغته وسأبين ذلك فأقول لينظر الناظر في هذين التقليدين
 اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكات وأوامر ما بين أصل
 وفرع وكل وجزء وقليل وكثير ولا يرى ذلك في كلام غيره من الكتاب الا أنه عبر
 عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات بعبارة في بعضها ما فيه
 من الضعف والرككة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة وزيادة المنطق على
 العلم خدعة ومع هذا فاني أقول للرجل بالتقدم وأنهم دله بالفضل (واذا فرغت)
 مما أردت تحقيقه في هذا الموضوع فاني أرجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام

على السبع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقي ما إذا كرهه هنا وهو أن السبع
قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام (الاول) أن يكون الفصـ لان متساويين لا يزيد
أحدهما على الآخر كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر
وقوله تعالى والعاديات صبحا فالعديان قد صبحا فالعديان صبحا فأثرن به نفعها
فوسطن به جودها ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها
أفرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف
السبع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني
أطول من الاول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كـ يرافانه يقيج عند
ذلك ويستكره ويعتديها فما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا وإذا ألغوا منها كانا ضيعة ما تقرن من دعواهنالك ثبورا ألا ترى أن
الفصل الاول ثمان افعات والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله
تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا أدا تكاد السموات
ينفطرن منه وتنفشق الارض وتختال الجبال هـ دأ وأمثال هذا في القرآن كثيرة
ويستثنى من هذا القسم ما كان من السبع على ثلاث فقرات الفقرتين الاولى
يجب أن في عدة واحدة ثم باقي الثلاثة فينبغي أن تكون طويلة لا يزيد
عليه ما إذا كانت الأولى والثانية أربع افعات أربع افعات تكون
الثالثة عشر افعات أو إحدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق
فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة خالف وإذا بلغته
أذنه وشاية أفلم عليها حد سارق أو قاذف فالأولى والثانية ههنا أربع افعات
أربع افعات لأن الأولى لم يعتض عنك بخالف والثانية لم يعاملك معاملة خالف
وجاءت الثالثة عشر افعات وهذا كذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا
القبيل وإن زادت الأولى والثانية عن هذه العدة فتزاد الثالثة بالحساب وكذلك
إذا نقصت الأولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه إلا أنه لا ينبغي
أن توجه له قياسا مطردا في السبعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم
أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السبعات الثلاث ومن زيادة السبعة
الثالثة ألا ترى أنه قد ورد ثلاث سبعات متساويات في القرآن الكريم كقوله

تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل
 ممدود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها
 خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معها (القسم الثالث) أن يكون الفصل
 الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون
 قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا
 عن الأول فيكون كالأشئ المبتور فيبقى اللسان عند سماعه كما يريد الانتهاء
 إلى غاية فيه ثم دونها (وإذا انتهى بنا إلى ههنا) وينتأ أمام السجع وابه وقشوره
 فمنه قول فيه قولنا كليا وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان
 (أحدهما) يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين
 مؤلفة من ألفاظ قليلة وكما قلت الألفاظ ~~كان~~ أحسن لقرب الفواصل
 المصبوغة من سمع السامع وهذا الضرب أوفر السجع مذهبا وأبعده
 متناولا ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا (والضرب الآخر) يسمى السجع
 الطويل وهو ضيق الأول لأنه أسهل متناولا وإنما كان القصير من السجع أوفر
 مسلكا من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه
 أقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه وأما الطويل فإن الألفاظ تطول
 فيه ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يظن بال وكان ذلك سهلا وكل واحد
 من هذين الضربين تتفاوت درجته في عدة ألفاظ (أما السجع القصير) فأحسنه
 ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين كتولة تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
 عصفافا وقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
 فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك إلى
 العشرة وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل فما جاء منه قوله تعالى والجم
 إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى
 اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
 واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السجع الطويل) فإن درجته
 تتفاوت أيضا في الطول فنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه
 من إحدى عشرة إلى اثني عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كتولة تعالى
 واتنأذنا الإنسان منارحة ثم نزعناها منه أنه ليؤس كفور ولئن أذناه نعاما

بعد ضرامته ليقول ان ذهب السيئات عني انه لفرح نخور فالاولى احدى
عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان قولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن السجع
الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى اذ يريكهم
الله في منامك قليلا ولو اراهم كثيرا لفسدتهم واتنازعتم في الامر واكن الله سلم
انه عليهم بذات الصدور واذ يريكهم وهم اذا اتقيتم في أعينكم قليلا ويقللهم
في أعينهم لم يبقض الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ومن السجع
الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (واعلم)
أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصاين من الكلام المنشور وفائدته في
الشعر أنه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم فائدتها وشبه البيت المصراع
يساب له مصراعان متساويان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة
على سعة القدرة في أفانين الكلام فاما اذا كثرت التصريع في القصيدة فليست
أراه مختارا الا أن هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها
انما يحسن منها في الكلام ما قل وجري مجرى الفرة من الوجه أو كان كالطراز
من الثوب فاما اذا تواترت وكثرت فانها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات
الكلفة (وهو عندي ينقسم الى سبع مراتب) وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه
أحد غيري (فالمرتبة الاولى) وهي أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع
من البيت مستقلا بنفسه في فهمه معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى
التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التمدل • وان كنت قد أزعجت هجرافا جلي
فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه
وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسب المقدم • أكل فصيح قاله رامني
(المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي
يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس
فتأين من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول فحول

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتباً به وكذلك ورد قول أبي تمام

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائث • وأن يتظم الشمل المبتدئ ناظم
وعليه ورد قول المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان • هو أول وهي المحل الثاني
(المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيراً في وضع كل مصراع موضع صاحبه
ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الجراح البغدادي

من شروط الصبوح في المهرجان • خفة الشرب مع خلوا المكان
فإن هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانياً ومصراعه الثاني اولاً وهذه المرتبة
كما الثانية في الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الاول غير مستقل
بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني ويسمى التصريع الناقص وليس بمَرْضِيٍّ
ولا حسن فمما ورد منه قول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المغاني • بمنزلة الربيع من الزمان
فإن المصراع الاول لا يستقل بنفسه في فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثاني
(المرتبة الخامسة) أن يكون التصريع في البيت بلفظة واحدة وسطاً وقافية
ويسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين أحدهما أقرب حالاً من الآخر
فالاول أن يكون بلفظة حقيقية لا مجازية فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد
ابن الأبرص فكل ذي غيبة يؤب • وغائب الموت لا يؤب

القسم الآخر أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبي
تمام فتي كان شرباً للعفاة ومرتعاً • فأصبح للهنديّة البيض مرتعاً

(المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الاول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها
في أول المصراع الثاني ويسمى التصريع المعاق فمما ورد منه قول امرئ

القيس ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي • بصبح وما الاصبح منك بأمنل
فإن المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جداً وعليه ورد قول المتنبي

قد علم البين منا البين أجفانا • تدمي وألف في ذا القلب أحزانا
فإن المصراع الاول معلق على قوله تدمي (المرتبة السابعة) أن يكون
التصريع في البيت محالاً لقافية ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات

التصريح وأقبحها فمن ذلك قول أبي نواس

أقلني قد ندمت على الذنوب * وبالأقرار عدت عن الجود

فصرح بحرف الباء في وسط البيت ثم قفاه بحرف الهال وهذا لا يسكاد يستعمل
الاقليم لا نادرا (النوع الثاني في التجنيس) اعلم أن التجنيس غرة شاذة
في وجه الكلام وقد تعرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغزبوا وشرقوا
لأسماء المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة
واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فنهى عبد الله بن المعتز
وأبو علي الحاتمي والقاضي أبو الحسين الجرجاني وقدامة بن جعفر الكاتب
 وغيرهم وانما يسمى هذا النوع من الكلام مجانسا لأن حروف ألفاظه يكون
تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا
وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء
الأنه قد خرج من ذلك ما يسمى بتجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لأنها دالة على
حقيقة المسمى بعينه (وعلى هذا) فأنى تطرت في التجنيس وما شبه به فأجرى مجراه
فوجدته ينقسم إلى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لأن لفظه
واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الأول) فهو أن تتساوى
حروف الألفاظ في تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فأعرفها
ويروى في الأخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا بين جرير والجرير أي دعوا زمامه وما
جاء منه في الشعر قول أبي تمام

فأصبت غررا لا يام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه
فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والنسدي * وليس بشان يجتدي منه بالجعد
فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السجني والآخر
يوصف به البجيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محي محلي حليه الطعن والضرب

فأضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيوف في الحرب وكذلك قوله
عدا لحر الثغور المستضامة عن * بردا لثغور وعن سلساها الحصب
فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو أيضا البلد الذي على تخوم العدو
ثم قال في هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندى مصلنة * تم-تضمن قضب-تم-ترقى كذب
بيض اذا انتضيت من حبيها رجعت * أحق بالبيض أبدا نانا من الحجب
فالتضب السيوف والتضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض
السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذي لا يتعلق به أحد وكذلك قوله
اذا الخليل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالى فى صدور الكتاب
فلنظما ان صدور فى هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامى وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود
حتى أغادر كل يوم بالفلأ * للطير عيدا من نبات العيد
فالعيد يدخل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد أكثر أبو تمام
من التجنيس فى شعره فنه ما أغرب فيه فأحسن كالذى ذكرته ومنه ما أتى به
كرها مستثقلا كقوله

ويوم أرشقى والهيجاء قد رشقت * من المنبة رشقا وابلاقصغا
وكقوله يامض غنا خالدا لك الشكل ان * خلد حقا عاك في خلد
وكقوله وأهل موقان اذا ما قوا فلا وزر * أنفجاهم ومنك فى الهيجا ولا سند
وكقوله مهلا بنى مالك لا تحلثن الى * حتى الاراقم دولول الله الرقم
(ثم قال فيها)

من الدينية اللآلى اذا عسلت * تشم بوا الصغار الانف ذا الشم
(وكقوله)

قرت بقران عين الدين واشتريت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما
وله من هذا الغث البارد المتكاف شئ كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد أوردنا
منه قليلا يستدل به على أمثاله (ومن الحسن) فى هذا الباب قول أبي نواس
عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع
(وكذلك قوله)

فقتل لابي العباس ان كنت مذنبا * فأنت أحق الناس بالاخذ بالفضل
فلا تيجحدوني ودعشرين حجة * ولا تنفسدوا ما كان منكم من الفضل
(وعلى هذا النهج ورد قول البحتري)

إذا العين راحت وهي عين على الهوى * فليس بسر ما تسمي الاضائع
فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم
وترى سوابق دمعها افترا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا
فالساق ساق الشجرة والساق القمري من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول
بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمرثي في قصيدة قصدها التجنيس في كثير
من أبياتها فن ذلك ما أورده في مطلعها

لوزارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن في حفر الاجداث أحيانا
(ثم قال في أبياتها)
تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لاهوت أجفان أجفانا
(وكذا قال في آخرها)

لم يبق غيب لك انسانا بلاذيه * فلا برحت لعين الدهر انسانا
(ورأيت) الغامض قد ذكر في كتابه بابا وسماه ردالاجاز على الصدور خارجا عن
باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره
ههنا فها أورده الغامض من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشرى بجميل الصنع ذكر طيب النشر
ونفري بسيوف الهنـد من أسرف في النفر
ومجري في شرى الحمـد * على شاكاة البحر
(وكذلك قول بعضهم في الشيب)

يا يابضا اذرى دموعي حتى * عاد منها اسواد عيني يابضا
(وكذلك قول البحتري)

وأغتر في الزمن البهيم محجل * قد وحت منه على أغتر محجل
كألهيكل المبني إلا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
وليس الاخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن
ينصب نفسه لا يراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب الذي

ذكرنا هاد اخلا في الاخر فيذهب عليه ذلك ويحتمل عنه وهو أشهر من فلق
الصباح وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ما ليس منه نظر الى
مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدي سيبقى * رسوماً من يكافى في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء إذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى
وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معاً وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه
ليعرف ومن علماء البيان من جعل له اسماً عاماً وهو التردد أي أن اللفظة
الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتاج أن أعقبه له باباً مفرداً
بالذكر فيه (وأما الأقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الأول) منها أن
تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقى ألا ترى أن هاتين
اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لأن تركيب الخلق
والخلق من ثلاثة أحرف وهي الحاء واللام والقاف إلا أنهم اختلفا في الوزن
إذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول
بعضهم لا تنال غرراً المعالي الأبركوب الغرر واهتبال الغرر وقال البحري
وفتر الخاشن المغرور يرجو * أما أنا أي ساعة ما أمان
بهاب الالتفات وقدئها * للحظة طرفه طرف السنان
(وكذلك ورد قول الآخر)

قد ذبت بين حشاشة ودما * ما بين حرهوى وحرهوا

(القسم الثاني) من المشبهة بالتجنيس وهو أن تكون اللفظ متساوية
في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب
التجنيس (فمما) جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فإن
هاتين اللفظتين على وزن واحد إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد وكذلك
قوله تعالى وهم ينفون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم
تفرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرون وعلى نحو من هذا ورد قول
النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال بعضهم لا تنال
المكارم إلا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيدها عواصم * تصول بأسـياف قراض قواضم
(وقال البحري)

من كل ساجي الطرف أغيد أجد * ومهفهف الكشحين أحوى أحور
وكذلك قوله شواجر أرمح تقطع بينهم * شـواجن أرحام ملوم قطوعها
(القسم الثالث) من المذهب بالتجنيس وهو أن تكون اللفاظ مختلفة في الوزن
والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ
المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى
الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب
النصح على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومجلسه غاص فجلس إلى جانبه ثم أقبل
عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمحتاجين
ولا تسع الدنيا بأسرها متباغضين فقال له أحمد الصديق لا يحاسب والعدو
لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس في كلام أحمد
رحمه الله في قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاءني شيء من ذلك) عليه خفة
الطبع لا ثقل الطبع (فنه ما ذكرته) في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن
ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبي وسيوفه
قد تطلعت أن يقال لها اضربي ومواطن الجهاد قد بعد عهدا باستسقاء
شآبيب النحور وانبأت ربيع الذباب والنسور وما ذاك إلا لأن العدو إذا
طلب تقهص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقلة التي لا فرق
بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم فقلت وقد جعل الله
حرمة ملقى الجفان وملقى الجفان فهو حي لمن جنى عليه زمانه وجاربان
بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة
وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته ما يعنى عنه غيره فإيراه ووجد
من أثره في صلاح دنياه ما استدلت به على صلاح أخراه فهو المرء كـ
المنجي والعـمل المرجو لا المريجى والمعنى المراد به بداية الصراط المستقيم
وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم (ومن ذلك) ما ذكرته في أثناء كتاب إلى بعض الإخوان وذلك وصف
بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين همد وهنيدة

ومن بين نقيته وامانة غيبه بين أم معبد وأبي عبيدة (ومن ذلك) ما ذكرته
في مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عتدها قوم عرضا من
الاعراض وتعالوها حتى قالوا هي سواد في بياض فان لها عند الاخوان وجهها
وسما ومحلا كريما وهي حاتم القلوب اذا فارق حيم حيا ومن أحسنها كتاب
سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم) قول أبي تمام
أيام تدمى عينه تلك الدما * فيها وتقم رابة الاقار

وكذلك قوله يضره من اذارم من سوافر * صوروه من اذارم من صوار
وكذلك قوله بدر أطالت فيك بادرة النوى * ولعا وشمس أولعت بشماس
وكذلك قوله كادوا النبوة والهدى فتمطعت * أعناقهم في ذلك المضمار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار
وكذلك قوله ان الرماح اذا غرسن بشهد * لجنى العوالي في ذرام معالي
وكذلك قوله اذا أحسن الاقوام أن يتناولوا * بالانعمة أحسن أن تتناولوا
وكذلك قوله أرى ربيع يكذب الدهر عنه * وهو ملق على طريق الليالي
بين حال جنت عليه وحول * فهو نضوالا حوال والا حوال
شما استنزلت عن ذمك الأنط * عان حتى استهل صوب العزالي
أرى حسن في الذاهين نولى * وجمال على ظهور الجبال
ودلال مخيم في ذرى الخيم * وحجـل معصم في الجبال
فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتشيل ههنا والايات الباقية
جاءت تبعا ومما جاء من ذلك قول علي بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناء * بذات جفون أو بذات جفان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الحميري)

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فخالك وتوروسيفك وائر

وهذا من الملمح النادر (ومن هذا القسم) قول الجحترى

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابه تقع تحتها الموت نافع

وكذلك قوله نسيم الروض في ربح شمال * وصوب المزن في راح شمول

(وذكر أعرابي رجلا) فقال كان اذا سأل ألحف واذا سئل سوف
يحسد على الفضل ويرهد في الافضال (القسم الرابع) من المشبه بالتجنيس

ويسمى المعكوس (وذلك ضربان) أحدهما عكس الانفاظ والآخر عكس
الحروف (فالأول) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول
الآخر شيم الاحرار احرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط
ابن قريش من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير آكله * وبأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه
(وكذلك) ورد قول أبي الطيب المتنبي

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله * ولا مال في الدنيا لمن قلّ محبّه
(وكذلك) قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان
اسف بمن يطير الى المعالي * وطار بمن يسف الى الدنايا
(وكذلك قول الآخر)

ان اليماني للانام منهاهـ * تطوى وتشرب فيها الاعمار
فصارهن من الهموم طويلة * وطوالهن من السرور قصار
(وأحسن من هذا كله وألطفه) قول ابن الزقاق الاندلسي
غـ * يـر تنابد الزمان * فتـدـد شبت والتي
فاستحال الضحى دجا * واستحال الدجاضى

وهذا الضرب من التجنيس له - لاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر
الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان
مقدما في جزء كلامه الاوّل مؤخرا في الثاني وبما كان مؤخرا في الاوّل مقدما
في الثاني ومثله قدامة بقول بعضهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك
(ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
(وكذلك) ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب
علي بن أبي طالب) رضى الله عنه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه كتابا فقال
أما بعد فإن الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه
فلا تكن بمانات من ديارك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو
الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل وكان قد والسلام (وروى عن أبي
تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصصه مدته

المشهورة التي مطلعها * أهق عوادي يوسف وصواحيبه * أنكر عليه أبو سعيد
الضريرو أبو العميل هذا الابتداء وقال لم لا يقول ما ينهم فقال لم لا يفهم - مان
ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار إليه
(وقد جاء في شيء منه) كقولي في فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان
في اقتراع عذرة الحصن من اقتراع عذرة حصان وكم حيزه من سنان لحظ استرقه
لحظ سنان (وكذلك) قولي في صدر كتاب إلى ديوان الخليفة وهو الخادم يبلغ
خدمته إلى ذلك الجنب التي تطرم الشفاء قبلا وتوسعه العفاة املا وترى
الطول به ملوكا والملوك خولا وطاعته هي محك الاعمال التي أشير إليها بقوله
تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولي أيضا وهو فصل من تقليد
وزير فقلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذي
تضرب به الامثال والمهذب الذي لا يقال معه أي الرجال واذا وازرت
ملكه فقد حظيت منك بشد أزرها وسدت غرها وأصبحت وأنت صدر لقلبها
وقلب صدرها فهي مزدانة منك بالفضل المتين معانة بالقوى الأمين (وأما
النزب الثاني) من هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم
أهديت شيأ بقل لولا * أهدوت الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلو به يسرك
(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأملت مقلوب اقبال
(وأجود من هذا كله) قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا * من فوق خذ مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم نغرها فتمتعت * وتنجبت عني بقلب العقرب
واذا قلب لفظ عقرب صار برقا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع
كلمة تتلب حروفها فهي معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس
ويسمى الجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احدهما كالتبع للآخرى
والجنبية اهما كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب باني * لشيء من حلي الاشعار عاري
فلي طبع كسالم معين * زلال من ذرا الاجمار جاري

وهذا القسم عندى فيه نظرا لانه يلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى
أن التجنيس هو اتساق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الاجزاء من اللفظ
وهو أقله وأما اللزوم فى الكلام المنشورة وتساوى الحروف التى قبل الفواصل
المسجوعة وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويا فى البيت الاول فى قوله
الاشعار وعار والجيم والراء فى البيت الثانى فى قوله الاحجار وجار (القسم
السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوى وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم
وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصفائح فى * متون من جلاء الشك والريب

فالصفائح والصفائح مماثلة تـ حروفه وتأخرت وقد ورد فى الكلام المنشور
كقوله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال لصاحب
القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ
بقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه فى هذا القسم
(النوع الثالث فى الترصيع) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون
فى أحد جانبي العقد من اللآلى مثل ما فى الجانب الآخر وكذلك نجعل هذا
فى الالفاظ المنشورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل
الاول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية وهذا
لا يوجد فى كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فاما قول من
ذهب الى أن فى كتاب الله منه شيء أو مثله بقوله تعالى ان البرار انى نعيم وان
النجار انى جهنم فليس الامر كما وقع له فان لفظة انى قد وردت فى الفقرتين معا
وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه لكنه قريب منه وأما الشعر فانى
كنت أقول انه لا يترن على هذه الشريطة ولم أجده فى اشعار العرب لما فيه من
تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جى به فى الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة
التى تكون اذا جى به فى الكلام المنشور ثم انى عثرت عليه فى شعر المحدثين
ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم

فكارم أوليتها متبرعا • وجرانم ألفيتها متورة

فكارم بازاء جرانم وأوليتها بازاء ألفيتها ومتبرعا بازاء متورة وقد أجاز بعضهم
أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاول مخالفا لما يقابله من الفصل الثانى وهذا

ليس بشئ لمخالفته حقيقة الترميع (فما جاء من هذا النوع) منشورا
 قول الحريري في مقاماته فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع
 بزواجر وعظه فانه جعل الفاظ الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثاني
 وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر
 بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (ومما جاء في هذا النوع) ما ذكرته في جواب
 كتاب الى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستهمله نظما مملعا
 ولا جلبت اليه حسنا منقيا بل أخرجه على رسله وغنيت به مقال حسنه
 عن صقله فجاء كماترا غير مشوط ولا مخطوط فهو يرقل في أبواب بذاته
 وقد حوى الجمال بحملته والحسن ما وشته فطيرة التصوير لا ما حشته
 فكرة التزوير والترميع في قول وشته فطيرة التصوير وحشته فكرة التزوير
 وكذلك ورد قول في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الاولاد فقلت من قوم أود
 أولاده ضرم كم حساده فهذه الالفاظ متكافئة في ترصيعها فقوم
 بازاء ضرم وأود بازاء كم وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم
 في الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع ادبه فأطاع
 بازاء أضاع وغضبه بازاء أدبه وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي
 أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فمن ذلك) قوله في أول
 خطبة الحمد لله عاقد أزمنة الامور بهزائم أمره وحاصد أعنة الغرور بهزائم
 مكره وموفق عبده بلغائهم ذكره ومحقق مواعيدهم بلوازم شكره فالألفاظ
 التي جاءت في الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والتي جاءت في الفصلين
 الآخرين فيها تخالف في الوزن فان مواعيد تخالف وزن عبده ولا تخالف
 قافيتها التي هي الدال (ومن ذلك) قوله أيضا في جملة خطبة أولئك الذين أفلوا
 فنجمت ورحلوا فأنتم وأبادهم الموت كما علمتم وأنتم الطامعون في البقاء
 بعدهم كما زعمتم كلا والله ما أشخصوا لتقرؤا ولا تغصوا لتسرؤا ولا بد أن تمزؤا
 حيث مزؤا فلا تمقوا بهدع الدنيا ولا تعترؤا وهذا الكلام فيه أيضا ملى الذي
 قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا
 في خطبة أخرى أيم الناس أسير القلوب في رياض الحكم وأديموا النقيب على
 ايضاض اللام وأطيلوا الاعتبار باتقاص الزم وأجبلوا الافكار في انقراض

الام (وأما ما ورد في الشعر) على مخالفة بعض الالفاظ بعضا فكقول ذي الرمة
 كحلاء في برج صنراء في عجم • كأنهم أفضة قدمسها ذهب
 وصدر هذا البيت مرصع وعجزه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح
 لأنه مقيد بالوقوف مع الوزن والتافية ألا ترى أن ذا الرمة بنى قصيدته على حرف
 الباء ولورصع هذا البيت الترصيع الحقيقي لكان يلزمه أن يأتي بألفاظه على
 حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويمثل بين ألفاظ هذا
 النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وأرباب هذه الصناعة
 قد قسموا الترصيع إلى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لا أراها صوابا
 لأن حقيقة الترصيع موجودة في القسم الأول دون الثاني (ومما جاء) من هذا
 القسم الثاني قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليفة • مهدي الطريقة نفاع وضرار
 (وكذلك قول الآخر)

سود ذوائبها بيض ترائبها • محض ضرائبها صيفت من الكرم
 (النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها
 مسلكا وذلك لأن وفاءه يلتزم ما لا يلزمه فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى
 مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنشور
 في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة
 حرفا واحدا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روى الأبيات الشعرية
 وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم
 فأتى فيه بالجيد الذي يحمده والردى الذي يذمه وسأذكر في كتابي هذا في هذا
 الموضع أمثلة من المنشور والمنظوم يمتد بها (فإن ذلك) ما ذكرته في جملته كتاب
 في فصل يتضمن ذم جبان فقات إذا نزل به خطب ما يلك الفرق وإذا ضل في أمر
 لم يؤمن إلا إذا أدركه الغرق (ومن ذلك) ما ذكرته في مجلد كتابي بعض
 الإخوان فقلت الخادم يهدي من دعائه وثنائه ما يلك أحدهما سماء
 والآخرة أرضا ويصون أحدهما نفسه والآخرة عرضا وأعجب ما فيه مما أنهما
 توأمان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم
 ههنا في الرأى والضاد (وكذلك) ورد قولي في جملته كتاب الديوان الخليفة

فقلت وقد علم من شيم الديوان العزيز أنه يسر بامتداد الأيدي إلى بابه وإذا
 أغب أحدنا في المسئلة تهناه عن اغتيابه حتى لا يخلو حرمة الكريم من المطاف
 ولا يده الكريم من الاسعاف فاللزوم ههنا في انظمتي بابه واغتيابه (ومن ذلك)
 ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أيضا وهو ومهـ ما شد به عضد
 الخادم من الانعام فانه قوة للبدن التي خواته ولا يقوى تصعد السحب إلا بكثرة
 غيثها الذي أنزلته وغير خاف أن عبيد الدولة لها ~~كالك~~ كالعهد من طرفها
 ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الأبقاعه ولا ينهض الجناح إلا
 بقوامه فاللزوم في هذا الموضع في الرأ والفاء في قولي طرف وأطراف
 (ومن ذلك) ما كتبه في صدر كتاب إلى الملك الأفضل على بن يوسف أهنيبه
 بملك مصر في سنة خمس وتسعين وخمسمائة فقلت المملوك يهني ولا نابغة الله
 المؤذنة باستخلاصه واحتبائه وتمكينه حتى بلغ أشده واستخرج كنز آباره ولو
 أنصف له في الأرض منه بوابلها والامة بكافلها وخصوصا أرض مصر التي
 خصت بشرف سكاه وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض عيانه وكل
 هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التي انشأتها لكافة على كلمات
 اللزوم فيها (وقرأت في كتاب الاغانى) لأبي الفرج أن لقيط بن زرارته تزوج بنت
 قيس بن خالد بن ذى الجدين فخطبت عنده وحطى عندها ثم قتل فآمنت بعده
 وتزوجت زواجا غيره فكانت كثيرا ما تذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت انه
 خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني وبه نضح
 دم فضمني شمة وشمني شمة فليتني مت شمة فلم أر من ظرا كان أحسن من لقيط
 فتواها ضمني شمة وشمني شمة فليتني مت شمة من الكلام الخلو في باب اللزوم
 ولا كافة عليه وهكذا فليكن فان الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وما
 ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجي به مكلفا ومثاله
 في هذا المقام كن أخذ موضوعا رديثا فأجاد فيه صنعة فانه يكون عند ذلك
 قد راى الفرع وأهمل الأصل فأضاع جودة الصنعة في رداة الموضوع (وقد
 سلك ذلك) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان فما جاء من ذلك
 قوله في حرف التاء مع الخاء

بنت عن الدنيا ولا بنت لي * فيها ولا عرس ولا أخت

وقد تحببت من الوزرما • تهبزان قه • له البخت

ان مدحوني ساءني مدحهم • وخات أني في الثرى سحت

(وله من ذلك الجيد كقوله)

لا تطلبين بآلة لك حاجة • قلم البليغ بغير جدم غزل

سكن السماء كان السماء كلاهما • هذالريح وهذالاعزل

ومذا بين الاسترسال وبين الكلفة وأقامات كلف له تكلفا ظاهرا وان أجاد فقوله

تنازع في الدنيا سواك وماله • ولالك نبي في الحقيصة فيها

ولم تحب من ذلك النزاع بطائل • يعبر جنوب الارض مرتد فيها

فيا نفس لا تعظم عليك خطوبها • فتفق وهامد بل مختلف فيها

تداعوا الى التزرا القليل فجالدوا • عليه وخلوها المغترب فيها

وما أتم صل أو حيلة ضيغم • باظلم من دنياك فاعترف فيها

تلاقى الوفود القادمة بفرحة • وتبكي على آثار منصرف فيها

وما هي الاشوكة ليس عندها • وجدك أرطاب الخترف فيها

كاتب بذت للطير والوحش رازم • فألفت شرورا بين محبة طففيها

يبات عن الانصاف من ضيم لم يجد • سبيلا الى غايات منتصف فيها

فأطبق فاعنها وكفاومة • وقل لغوى الناس فالكلف فيها

(ومن ذلك)

أرى الدنيا وما وصفت ببر • اذا اغنت فقيرا أرهقته

اذا خشيت اشر عجلته • وان رجيت خير عوقته

حياة كالجمالة ذات مكر • ونفس المرصيدة أعلقته

فلا يخدع بحيلتها أريب • وان هي سورته ونطقته

أذا قته شهيا من جناها • وصدت فاه عما ذوقته

وقد ورد للعرب شيء من ذلك الا أنه قليل فما جاء منه قول بعضهم في أبيات الحماسة

ان التي زعمت فؤادك ملها • خلقت هوالك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها • بآبقة فادقها وأجلها

حجبت تحيتها فقلت لصاحب • ما كان أكثرها لنا وأقلها

واذا وجدت اهاوساوس سلوة • شفع الضمير الى الفؤاد فـلها
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه (ومما يجري هذا الجرى) قول جحر بن حبة
العنبي من شعراء الحماسة أيضا

ولا أدوم قدرى بعد ما فضيت • بجـ لافـتـنـع ما فيها أنافها
حتى تقسم شقى بين ما وسعت • ولا يؤنب تحت الليل عافها
ومما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكري

ألم تر أن المال يكسب أهله • فضوحا إذا لم يعط منه فواسبه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا • وأفضله ما ورث الحمد كاسبه
(وكذلك قول الفرزدق)

وغـير لون واحلقى ولونى • تردى الهواجر واعتملى
أقول لها اذا ضجرت وغصت • بموركة الوراق مع الزمام
سلام تلفتين وأنت تحسنى • وخير الناس كلهـم أمانى
(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها • حدى قلبها النساء مراض
وكانت أفتدة الرجال اذا رآوا • حدى النساء لنبلها أغراض
واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي
في كلامه السهل الذى كأنه ما جاز وانظر الى ما أوردته لابي العلاء المعرى فان
أثر الكلفة عليه باد ظاهرا (ومن) قصيد من العرب قصيده كاه على اللزوم كثير
هزة وهي القصيدة التى أولها

خلى هذا ربيع هزة فاعقلا • قلوبكم كما تم احلالا حيث حلت
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك مـ له لينة تكاد تترقرق من
لينها وسهولتها وايس عليها من أثر الكلفة شئ ولولا خوف الاطالة لا وردت بها
بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد فى أبيات الحماسة وهو
وفيشة ليست كهذى الغيش • قد ملئت من ترف وطيش
اذا بدت قلت أمير الجيش • من ذاقها يعرف طعم العيش
(وهذا) ليس من باب اللزوم لأن اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناثر ما لا يلزمه
كقولنا شرق وشرق مثله فانه لو قيل بدلا من ذلك شرق وحقق لم ياز ذلك وفى

هذه الآيات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيسر وعرش لما جاز وهذا
يقال له الردف في الشعر وهو الياء والواو قبل حرف الروى واذا جى بذلك
في الشعر وفي الكلام المنشور لا يقال انه التزام ما لا يلزم لان الملتزم ما لا يلزم له
مندوحة في العدول الى غيره وهذا لا مندوحة (ومن لطيف ذلك) ما يروى
لامرأة من البصرة مجنت بأبي فواس فقالت

ان حرى حزبل حزاية • اذا قعدت فوقة نيايه

* كالارنب الجاثم فوق الرايه *

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلاء خدمته وهي التي • لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

فاذا ارتقى في قله من سودد • قالت له الاخرى بلغت تقدم

(وعلى هذا الاسلوب قوله أيضا)

ولو جررتني لوجدت خرقا • يصافى الاكرم بين ولا يصادى

جديرا أن يكثر الطرف شزرا • الى بعض الموارد وهو صادى

(وله من أبيات تتضمن مرثية)

لقعد فجعت عتابة وزهيرة • وتعلبة أخرى اللبالي وواثله

ومبتدر المعروف تسرى هباته • اليهم ولا تسرى اليهم غواتله

طواه الردى طى الرداء وغيب • فضائله عن قومه وفواضله

طوى شياكات تروح وتفتدى • وسائل من أعيت عليه وسائله

فباعارضا للعرف أقلع منزله • وبواديا للجود جفت مسائله

ألم ترني أنزفت عيسى على أبي • محمد النجم المشرق آفله

وأخلصته فيه كمال أيتنه • طريد اللبالي اخلصته نوافله

وهذا من أحسن ما يجي في هذا الباب وايسر بتكلف كشعر أبي العلافان

حسن هذا مطبوع وحسن ذلك مصنوع وكذلك أقول في غير اللزوم من الانواع

المذكورة أولا فان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع

وكانت غير متجاجة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى التأنق ولا شك أن صورة

الخلقة غير صورة التخلق (فان قيل) ما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير

المتكلف (قلت في الجواب) أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية وذلك

أن ينضى الخاطر في طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره وغيره المكلف
 يأتي من تريحه من ذلك كله وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته أو الخطيب
 أو الكاتب في إنشاء خطبته أو كتابته فبينما هو كذلك إذ نسخ له نوع من هذه
 الأنواع بالاتفاق لا بالاسم والطلب ألا ترى إلى قول أبي نواس في مثل هذا
 الموضع
 انزلنا لال لا نعبأ بها * انهم من كل يؤس دانيه
 وائعت الراح على تحريمها * انما دنياك دار فانيه
 من عمار من رآها قال لي * صيدت الشمس لنا في آنيه
 (وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذي تحامين * أفسده ناطف ياسين
 وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد (وحكى ابراهيم البندنجي) قال رأيت
 شيخا ضعيفا يبيع ناطفا فقلت له يا شيخ أما زلت في هذه الصنعة قال مذ كنت
 ولم يكن الحال كانت واسعة والسعة فافقة وكنت ممن يشار إلى حتى
 قال أبو نواس في وأنشد هذا البيت فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبي نواس
 في لزومه وما أعراه عن الكلفة وكذلك فلتكن الالفاظ في اللزوم وغيره (واعلم)
 أنه إذا صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر أو من قواصل الكلام المنشور فأن ذلك
 ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوي الحروف التي قبل روى الايات
 الشعرية والحروف التي قبل الفاصلة من النثر (فمن ذلك) قول بعضهم

عز على ليلى بذى سدير * سوء مبيتى ليلة الغميري
 مقبضا نفسي في طميري * تنهز الرعدة في ظهيري
 هم فوالى الزور من صديري * ظمآن في ربيع وفي مطيري
 وازرق ترابيس بالغريري * من لدا ما ظهري الى صيري
 حتى بدت لي جبهة القمير * لا ربيع خيلون من شمير

وهذا من محاسن الصنعة في هذا الباب فاعرفه وأحسن منه ما ورد عن أبي
 نواس وعن عنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيرة غير هذه فقال أبو
 نواس
 أما ترقى لصب * يكفيه منك قطيره
 فقالت عنان
 أياي تعني به هذا * علمك فاجاد عميره
 فقال أبو نواس
 أخاف ان رمت هذا * على يدي منك غيره

فالبیتان الاول والثانی من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد في القرآن
 الكريم شیء من اللزوم الا أنه یسیر جدا (نر ذلك) قوله تعالى اقرا باسم
 ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور
 وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن
 ولا مجنون أم یقولون شاعر ترتبص به ريب المنون وربما وقع بعض الجهال
 في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم
 فاصحاب الجنة بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وهذا لا يدخل في باب
 اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحيم والياء هي من حروف المد واللين فلا یعتد بها
 ههنا (ومن هذا الباب) قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر
 مخضود وطلع منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
 ويكون الدين كله لله فان اتهموا فان الله يماعهم ملون بصير وان تولوا فاعلموا
 ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالى
 في قصة ابراهيم عليه السلام یا ایت انی أخاف أن یمسک عذاب من الرحمن
 فتمسکون للشیطان ولیا قال أراغب أنت عن آلهتی یا ابراهيم ان لم تنس
 لا ربحنک واهجرنی ملیا وعلى فهو هذا جاء قوله تعالى قال قرینه ربنا ما أطغیته
 ولكن کان فی ضلال بعید قال لا تخف موالدی وقد قدمت الیکم بالوعید
 ولا تعبد أمثال ذلك في القرآن الا قليلا (النوع الخامس في الموازنة) وهي
 أن تكون ألفاظ القوافل من الكلام المنشور متساوية في الوزن وأن يكون
 صدر البيت الشعري ومجزه متساوي الالفاظ وزنا وللكلام بذلك طراوة
 ورواق وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء واذا كانت مقاطع
 الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا امر ایه لوضوحه
 وهذا النوع من الكلام هو أخوال السجع في المعادلة دون المماثلة لان في السجع
 اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تمائل أجزاء القوافل لورودها على حرف
 واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تمائل في قوافلها
 فيقال اذا كل سجع موازنة ولا یس كل موازنة سجع وعلى هذا فالسجع
 أخص من الموازنة (فما جاء منها) قوله تعالى وآتيناها ما الکتاب المستبین
 وهدیناهما الصراط المستقیم فالمتبین والمستقیم على وزن واحد وكذلك

الموازنة

قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
 لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم سدا ألم تر أننا أرسلنا
 الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلاتعجل عليهم انما نعذلةم عذرا وكذلك
 قوله تعالى في سورة طه من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالد
 فيه وسألهم يوم القيامة حلا وكذلك ورد قوله تعالى في سورة حم عسق
 والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له بحجهم داحضة عند ربهم وعليهم
 غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل
 الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها
 ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة اني ضلال بعيد الله لطيف
 بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزدله
 في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم
 شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان
 الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
 والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم
 ذلك هو الفضل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديدا
 وقريب وبعيدا وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وان
 اختلف حروف المقاطع التي هي فواصلها وأمثال هذا في القرآن كثير بل
 معظم آياته جارية على هذا النهمج حتى انه لا تخلو منه سورة من السور واقد
 تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة (وأما ما جاء من
 هذا النوع شعرا فتول ربيعة بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشم * بعثية بن الحرث بن شهاب
 بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فدا على الأصحاب

فالبيت الثاني هو المختص بالموازنة فان بأسا وفدا على وزن واحد (النوع
 السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقاتها) وهو من هذه الصناعة بمنزلة علمية
 ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به واقد لقيت جماعة من مدعي
 فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحدا منهم تبين
 معرفة هذا الموضع كما ينبغي وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق إليها وسبأني

اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقاتها

ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغة الالفاظ) فانها اذا نقلت من هيئة الى هيئة
 كنقلها مثلامن وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة
 او كنقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل الى صيغة الاسم
 أو كنقلها من الماضي الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضي أو من الواحد
 الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبجها صار حسنا
 وحسنها صار قبيحا (في ذلك) لفظه خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا نقلت
 الى صيغة الفعل قيل خود على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال
 خود البعير اذا أسرع فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت في النظم
 والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبي تمام
 والى بنى عبد الكريم تواهقت * رتك النعام رأى الظلام لخودا
 وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره الآن هذه اللفظة التي هي خود قد نقلت
 عن الحقيقة الى المجاز فخفف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة
 أقول لنفسى حين خود رأها * رويدك لما تشفق حين مشفق
 رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غيابة هذا البارق المتألق
 والرأى النعام والمراد به ههنا أن نفسه فزت وفزعت وشبهه ذلك بأمراع النعام
 في فراره وفزعه ولما أوردته على حكم المجاز خفف بعض القبح الذي على لفظه خود
 وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة في إيرادها ههنا وإيرادها
 في بيت أبي تمام فانها وردت في بيت أبي تمام قبحة سجيئة ووردت ههنا بين
 (ومن هذا النوع) لفظة ودع وهي فعل ماض ثلثي لا تقل به على اللسان
 ومع ذلك فلا تستعمل على صيغة الماضي الإجماع غير مستحسنة ولكنها
 تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الأمر فتجيب حسنة أما الأمر فكقوله تعالى
 فدعهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت في القرآن الكريم الاعلى هذه الصيغة وأما
 كونها مستقبلة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد واصل في شهر رمضان
 فواصل معه قوم لومتلنا الشهر لو اواصلنا وصالا لا يدع له المتعمقون تعمقه هم
 وقال أبو الطيب المتنبي

يشقكم بفتاها كل سلوبة * والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع
 وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يستعمل الا شاذوا واحسن له كقول أبي

لعتاهية أثروا فلم يدخلوا قبورهم • شيأ من الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لأنفسهم • أعظم نفعاً من الذي ودعوا
 وهذا غير حسن في الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شيء وهذه لفظة واحدة لم يتغير
 من حالها شيء سوى أنها نقلت من الماضي إلى المستقبل لا غير وكذلك لفظة وذّر
 فإنها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا
 ويتمتعوا وتستعمل مستقبلية أيضاً كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدر الناس سقر
 لا تبقى ولا تذّر فهي لم ترد في القرآن إلا على هاتين الصيغتين وكذلك في فصيح
 الكلام غير القرآن وأما إذا جاءت على صيغة الماضي فإنها لا تستعمل وهي
 أقبح من لفظة ودع لأن لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا
 فلا ينعم الخائفون في هذا الفن نظرهم ويعلموا أن في الزوايا خبايا وإذا أنعموا
 الفكر في أسرار اللفاظ عند الاستعمال وأغرقوا في الاعتبار والكشف
 وجدوا غرائب وبجائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخذع فإنها وردت في بيتين
 من الشعر وهي في أحدهما حسنة رائقة وفي الآخر ثقيلة مستكرهة كقول
 ابن الصمة عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نفعوا الحى حتى وجدتنى • وجعت من الاصغاء ليا وأخذعا
 (وكقول أبي تمام)

يأدهر قوم من أخذعك فقد • أخصجت هذا الانام من خرقت
 ألا ترى أنه وجد له هذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع والكراهة
 في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت ابن الصمة عبد الله من الروح والخفة
 والايثاس والبهجة وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة
 في الآخر وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكرهة في حالة التثنية والافاللفظة
 واحدة وانما اختلاف صيغتها فعل بهما ترى (ومن هذا النوع) ألفاظ يعدل
 عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستغنى في ذلك إلا الذوق
 السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره (فن ذلك) لفظة اللب الذي هو العقل
 لاللفظة اللب الذي تحت القشر فإنها لا تحسن في الاستعمال إلا بمجموعة وكذلك
 وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة كقوله
 تعالى ولا يتذكروا أولو الألباب وإن في ذلك لذكرى لأولى الألباب وأشياء ذلك

وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافاً إليها أما كونها مضافاً إليها فمكروهة ولنا لا يعلم ذلك الاذولب وإن في ذلك لعبرة لذي اب وعليه ورد قول جرير

إن العيون التي في طرفها حور • قتلنا ثم لم يحيين قتلاً

يصر عن ذاللب حتى لا حرا ليه • وهن أضعف خلق الله أركاناً

وأما كونها مضافة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من أحدا كن يامعشر النساء فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فإنها لا تأتي حسنة ولا تجدد لبلا على ذلك الا مجرد الذوق الصحيح واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روي فيها الجمع دون الافراد كلفظة كوب فانها وردت في القرآن بمجموعة ولم ترد مفردة وهي وإن لم تكن مستقبحة في حال افرادها فإن الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ آخر تندرج معهن في كسوها ذلك حسناً ليس لها وذلك كقولي في جملة أبيات أصف به الخمر وما يجري معها من آلاتها

ثلاثة تعطى الفرح • كأس وكوب وقدر

ما ذبح الذوق بها • الا والله — تم ذبح

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدر على هذا الاسلوب حسنها وكأنه جلاها في غير لباسها الذي كان لها اذ جاءت بمفردها (وكذلك وردت) لفظة رجا بالقصر والرجا الجانب فانها لم تستعمل موحدة وانما استعملت بمجموعة كقوله تعالى والملاك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما وردت هذه اللفظة بمجموعة ألبسها الجمع نوياً من الحسن لم يكن لها في حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر ولربما أخطأ بعض الناس في هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقتبس وذلك أنه وقف على ما ذكرته ههنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف في القرآن الكريم ولم ترد الا بمجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتات تحفون بها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى

-ين وهذا بخلاف ما وردت عليه في شعر أبي تمام
 كانوا برود زمانهم فتصدعوا * فكأنما ليس الزمان الصوقا
 وهذا ليس كالذي أشرت اليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة
 وانما أذكرى به في قول أبي تمام أنها جاءت مجازية في نسبتها الى الزمان وعلى
 هذا النهج وردت لفظة خبرواخبار فان هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة
 ولم ترد في القرآن الا مجموعة (وفي صد ذلك) ما ورد استعماله من الالفاظ
 مفردا ولم يرد مجموعا كاللفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الا مفردة فاذا ذكرت
 السماء بمجموعة حتى بهام مفردة معها في كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى
 بها مجموعة قبل ومن الارض مثلهن في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
 ومن الارض مثلهن (وما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد
 مجموعا كالنظرة البقعة قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام فلما أتاهانودي
 من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله
 والا حسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعمال مجموعة فالاولى أن
 تكون مضافة كقولنا بقاع الارض أو ما جرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف
 في ذكر طيف الخيال فانها لم تستعمل الا مفردة وقد استعمالها الشعراء قديما
 وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من
 أقبح الالفاظ وأشدها كراهة على السمع وبالله العجب من هذه اللفظة ومن
 اختراعها ووزنا وهي لفظة ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعة وكلاهما
 في الاستعمال حسن رائق وهذا بما لا يعلم السرف فيه والذوق السليم هو الحاكم
 في الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجري مجراهما (وأما جمع المصادر) فانه لا يجيء
 حسنا والافراد فيه هو الحسن (ومما) جاء في المصادر مجموعا قول عنبرة
 فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود
 قوله الفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة
 غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحن في استعمال ما نستعمله من الالفاظ
 واقفون مع الحسن لامع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم
 فان صاحب هذه الصناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب في فنه
 منها استعماله وما لنظمه فنه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم عبارة عن الجمع

الكثير من الناس ويقال الامة بالكسرو هي النعمة فان الامة بالضم لفظه
 حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح (ورأيت صاحب كتاب
 الفصح) قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة وبأيت شعري ما الذي
 رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار الالفاظ أخر ليست بفصيحة
 ولالوم عليه لأن صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسرار الفصاحة لا تؤخذ
 من علماء العربية وانما تؤخذ من كتبهم مستلة نحوية أو تصرفية أو نقل كلمة
 لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها وإذا
 شذعن صاحب كتاب الفصح الالفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة
 ذكرها من الفصح فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم
 صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في القم قيل سهام صواب وصاقيات
 وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس
 ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك العشيبة بي

قتلت انساها كبدي * بسهام للردى صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي يذو عنه السمع ويحيد عنه اللسان ومثله ورد
 قول عريف القوافي من أبيات الحماسة

ذهب الرفاد فما يحس رفاد * مما شجك ونامت العواد

لما أتاني من عيينة أنه * أمست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه
 قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة

الآيات المشهورة التي أولها

ياربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقربا

فقال فيها

ماذا ترين أتدنيهـم لا رحلنا * في جانب البيت أم تبني لهـم قريبا

فانه جمع قبة على قبيب وذلك من المستبشع الكريه والاحسن المستعمل هو
 قباب لا قبيب وكذلك يجري الامر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف

استعماله وان كان متفقا في لفظه واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو
 النبيه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان

اعترض على صاحب الفصح في ذكر لفظ الامة في فيه

وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لا الى جواز الوضع اللغوي وقد شد هذا الموضع
عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر • والخيل في أعيانها قبل

يجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يابى ذلك ولا تجدد له على اللسان
حلاوة وإن كان جائزا ولولا خوف الإطالة لا وردت من هذا النوع وأما مثاله
أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا الفن
لكن في الذي أشرت إليه منبه لأهل الفطانة والذكاء أن يحملوه على أشياء به
وأنتظاره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الألفاظ فتارة تجدد
مفرده حسنا وتارة تجرده حسنا وتارة تجرده ما جميعا حسنين فالأول
نحو حبرور وهو فرخ الحبارى فان هذه اللفظة يحسن مفرداتها لا مجموعها لأن
جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما
الثاني فتصويب لول وبها يسل ولهموم ولها ميم وهذا ضد الأول وأما الثالث
فتصويجه وروجهما وير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف
يختلف في أحواله مفسدا ومجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب
(وهكذا قد جاءت ألفاظ) على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجميعها حسن
في الاستعمال وإذا أردنا أن نثقل وسطها حسنا منها شيء دون شيء (فمن ذلك)
لفظة الثلث والرابع الى العشر فان الجميع على وزن واحد وإذا ثقلنا أو ساطها
فقلنا ثلث ورابع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي
الثلث والخمس والسادس والباقي وهو الرابع والسبع والثمان والتسع والعشر
ليس كالأول في حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع
حسن في الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه
غير حسن وكذلك تجد الامر في أسماء الفاعلين كالثلاثي منها نحو فعل
بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين
فان هذه الأوزان الثلاثة لها أسماء فاعلين أما فعل بفتح الفاء والعين
فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعل لا غير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك
فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعيل ولا يقع فيه
اختلاف إلا ما شذاه من فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع في اسم فاعله

الاختلاف استصاحنا واستقباحا لانه ثلاثة أوزان فهو فاعل وفعل وفعلان
تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح
زيد فهو وفرح وهو الاحسن ولا يحسن أن يقال فارج ولا فرحان وان كان جائزا
لكن فرحان أحسن من فارج وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم
فلا تستعمل الاعلى فرح لا غير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله
تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء
الحماسة في باب المراتى

فما أنما من حزن وان جل جازع * ولا يسرور بعد موتك فارج
وهذا غير حسن وان جازا استعماله وعلى نحو منه يقال غضب وهو غضبان
ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول أنا في تأليف الكلام بصدد
استعمال الحسن والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (وعما يجرى
هذا المجرى) توأما فعل واقتعل فان لفظه فعل اهما موضع تستعمل فيه ألا ترى
أنك تقول قعدت الى فلان أحدثه ولا تقول اقتعدت اليه وكذلك تقول
اقتعدت غارب الجبل ولا تقول قعدت على غارب الجبل وان جاز ذلك لكن
الاول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه
دليل (وأما فعل وافعول) فاما نقول أعشب المكان فاذا كثر عشبها قلنا
اعشوب فلللفظة افعول للثبوت على أني استقرت هذه اللفظة في كثير
من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا خشوشن
المكان واغرورقت العين والولى الطعم وأشبابها (وأما فعله) فهو حمزة
ولمزة وجمة ونومة ولكنة ولحنة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن
تكون حمزة وهذا أخذته بالاستقراء وفي اللغة مواضع كثيرة ~~هكذا~~
لا يمكن استعمالها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك
أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها فكثيرا ما يقع
في قول الشعراء والخطباء في مثلها وروايف الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به
الفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد
الحسن منها بمجوعا جمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ
(النوع السابع في المعاطلة اللفظية) والمعاطلة معاطلة ان لفظية ومعنوية

(أما المعنوية) فسيأتي ذكرها في باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية
فليؤخذ من هناك (وأما المعاطلة اللفظية) وهي المخصوصة بالذكر ههنا في باب
صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قوله هم تعاطلت الجرادتان اذ اركبت
احدهما الاخرى فسمى الكلام المتراكب في اللفاظه أو في معانيه
المعاطلة مأخوذاً من ذلك وهو اسم لا تقي بسماء ووصف عمر بن الخطاب
رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى فقال كان لا يعاظر بين الكلام (وقد اختلف
علماء البيان في حقيقة المعاطلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب التعاطل في
الكلام هو أن يدخل بهض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك الا فاحش
الاستعارة كقول أوس بن حجر

و ذات هدم عارنوا شرها * تصمت بالماء نوباً جديداً

فسمى الظبي نوباً والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ
اذ لو كان ما ذهب اليه صواباً لكانت حقيقة المعاطلة دخول الكلام فيما ليس
من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو التراكب من قوله هم
تعاطلت الجرادتان اذ اركبت احدهما الاخرى وهذا المثال الذي مثله به
قدامة لا تتركب في اللفاظه ولا في معانيه (وأما) غير قدامة فانه خالفه فيما ذهب
اليه الا أنه لم يقسم المعاطلة الى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب اها مئثلاً
كقول الفرزدق ومما مثله في الناس الامم لك * أبو أمه حتى أبو به يقاربه
وهذا من القسم المعنوي لامن القسم اللفظي ألا ترى الى تراكب معانيه
بتقديم ما كان يجب تأخيرها وتأخير ما كان يجب تقديمه لان الاصل في معناه
ومما مثله في الناس حتى يقاربه الامم لك أبو أمه أبو به وسيجيء شرح ذلك
مستوفى في باب من المقالة الثانية ان شاء الله تعالى * واذا حقت القول في بيان
المعاطلة والكشف عن حقيقةها فاني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها
الذي أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) اني تأملت بالاستقراء من الاشعار قديماً
ومحدثاً ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم الى خمسة أقسام
(الاول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من والى وعن وعلى وأشباهها فان
منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيل على
اللسان ولكل موضع يخصه من السبل (فما جاء منه) قول أبي تمام

الى خالدر احدث بنا أرجبية * مرافقها من عن كرا كرا انكسب
 فقوله من عن **كرا كرا** من الكلام المتعاطل الذي ينقل النطق به على أنه
 قد وردت هاتان اللفظتان وهـ مامن وعن في موضع آخر فلم ينقل النطق بهـ ما
كقول القائل من عن عيين الطريق والسبب في ذلك أنهم ما وردت في بيت
 أبي تمام مضافتين الى لفظة الكرا كرفنقلت منهما ما وجعلتهما مكروهتين كما ترى
 والا فقد وردت في شعر قطري بن الفجاءة فكأنها خفيفتين كقوله

ولقد أرا نى للزماح دريئة * من عن عيين مرة وأما
 والاصل في ذلك راجع الى السبب فاذ اسبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري
 مجراها مامع ألفاظ تسهل منها لم يكن به مامن ثقل كما جاء في بيت قطري وإذا
 سبكت مامع ألفاظ تثقل منها جاءت كما جاء في بيت أبي تمام (ومن هذا القسم)
 قول أبي تمام أيضا

كأنه لا اجتماع الروح فيه له * في كل جراحة من جسمه روح
 فقوله في بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي
 وتعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليا شواهد
 فقوله لها منها عليا من الثقيل الثقيل النقييل وكذلك قوله

تبيت وفودهم تسرى اليه * وجدواه التي سألوها اغتفار
 تخلفهم برد البيض عنهم * وهامهم له معهم معار
 وقوله وهامهم له معهم مما يشغل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حالا من
 الاول ومن الحسن في هذا الموضع قول أبي تمام

دار أجل الهوى عن أن ألم تبها * في الركب الاوعيني من منائحها
 فقوله عن أن في هذا البيت من الخفيف الحسن الذي لا بأس به (القسم الثاني
 من المعاطلة اللفظية) تختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير
 الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما يأتي ذكره في باب التكرير في المسألة الثانية
 وانما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور
 أو المنظوم فينقل حينئذ النطق به (فن ذلك) قول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر * وايس قرب قبر حرب قبر
 فهذه القافات والراآت كأنها في تسابعها سلسلة ولا خفاء بما في ذلك من الثقل

كذا ورد قول الحريري في مقاماته

وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

فوقه وعاف عافى العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا في رسالته اللتين صاغهما على حرفي السين والشين فإنه أتى في أحدهما بالسين في كل لفظة من ألفاظها وأتى في الأخرى بالشين في كل لفظة من ألفاظها فجاءتا كأنهما رقي العقارب أو أخذروفة العزائم وما أعلم كيف خفي ما فيها مما من القبح على من ل الحريري مع معرفته بالجيد والردى من الكلام (ويحكي) عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلامه أوردته جنى جنات وجنات الحبيب فصاح رجل من الحاضرين في المجلس وماد وتغاشى فقال له رجل كان إلى جانبه ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيمافى جيم فى جيم فسمعت وهذا من أقبح عيوب الألفاظ (ومما جاء منه) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها * أتراها لكثرة العشاق

كيف ترى التي ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راقى

وهذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم في قصيدته التي مطلعها داو بخاري بكاس خمر

والزهر والقطر في ربها * ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حل بهم أخيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذي يتذاكره الناس ملئت مطال مولود مفدى * ملج مانع منى مرادى

وهذه الميمات كأنها مقدمة متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الأدب) من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم في ألفاظه كثيرا في كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بأسلوب الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله في وصف رجل ضئى أنت المديح كبد اترجج والمليح ان يجهم المليح بالتكليم عند سائل تلوح بل يفوق اذ يروق مرأى لوح يامقبوق كاس الحمد يامصبوح ضاق عن ندال اللوح ويباك المفنوح تستريج وترجج ذال التبرجج وترفه

الطليح فانظر الى حرف الحاء كيف قدر لزمه في كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء
 كما تراهم من الثقل والغثاثة (واعلم) أن العرب الذين هم الاصل في هذه اللغة
 قد عدلوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرّر الحرف
 عندهم أدغموه استخسنا فقالوا في جعل لك جعلك وفي تضرب يوتق تضربوتق
 وكذلك قالوا استمتع فلان للامر اذا تأهب له والاصل فيه استمتع عدد واستتب
 الامر اذا تهيأ والاصل فيه استتبب وأشبهاء ذلك كثير في كلامهم حتى انهم
 لشدة كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفا آخر
 غيره فقالوا أمليت الكتاب والاصل فيه أمليت فأبدلوا اللام بياء طلبا للتخفة
 وفرارا من الثقل واذا كان قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ
 الكثيرة التي يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاطلة) أن ترد الفاظ
 على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فمنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها
 ما لا يختلف فالاول كقول القاضي الارجاني في آيات يصف فيها الشععة
 وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك أنه قال عن لسان الشع انه
 ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه في بيت واحد وان النار فرقت بينه وبينه
 وانه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روعي

ف قوله نذرت أعود من المعاطلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من
 الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبّي

أقل أنل أقطع أجل على أعد * زدهش يش تفضل أدن سرّصل

فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال افعل افعل
 هكذا الى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة وأن لم يكن تكرير للحروف الا أنه
 أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه الفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو
 لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رعبان

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف والافت شديد الهزال

احل وامر وضر وانفع ولن واخشن وأبرر ثم اتدب للمعالي

ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كثيرا كما في بيت أبي الطيب
 المتقدم ذكره (فان قيل) انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل

التكرار معاطلة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى فاذا انسلك
 الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا
 له (فالجواب عن ذلك) اني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فان هذا الموضع
 ينظر فيه الى الكثير والقليل فاذا كثر كان تعاطلا لتركبه وثقله على النطق
 وقد عرفت ان ما يفصل بين صغيه يواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل
 والذي أنكرته من ذلك هو أن تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها قد
 متصلة فحينئذ يشغل النطق بها ويكره موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتنبى
 وأما هذه الآية المشار اليها فانها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنها لما وردت
 ألفاظها على صيغة واحدة فترق بينها يواو العطف ثم مع التفريق بينها يواو
 العطف لم يرد التكرير فيها الا بين اثنين وهما خذوهم واحصروهم وأما
 الصيغة الاولى فانها أضيف اليها كلام آخر فقبل اقتلوا المشركين حيث
 وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة
 أضيف اليها كلام آخر أيضا فقبل واقعدوا لهم كل مرصد لا يجرم أن الآية
 جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة الامر فيها أربع مرار وهذه
 رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الالفاظ اذا جاءت هكذا (القسم الرابع
 من المعاطلة) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقوله سرج فرس غلام زيد
 وان زيد على ذلك قبل لبد سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبحا وأثقل على
 اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر في مفتتح قصيدته

سحابة جرعاحومة الجندل امجبي * فانت بمرأى من سعاد ومسمي
 (القسم الخامس من المعاطلة) أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي
 تمام في قصيدته التي مطلعها * ما الكتيب الحبي الى عقده * فقال يصف بجلا
 سائر قرق الخرق بابن خرقاء كالشهبان اذا ما استحم من نجده
 مقابل في الجديل صلب القرى * لو حلك من عجبته الى كتده
 تامكه نهمه مداخله * ملومه محزله أجده
 فالبيت الثالث من المعاطلة التي قلع الاسنان دون ايرادها وكذلك قال من هذه
 القصيدة يصف رجلا

ومرتهم فوذوا بآبائه على * أسمر متن يوم الوغى جسده
 مارنه لدنه مثقفه * عراضه في الاكف مطرده
 وهذا كالأول في قبضه وثقله فتقاتله الله ما آمن شـ عره وما أسخفه في بعض
 الاحوال وعلى هذا جاء من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح
 اليك عن سبل عارض خضل الشؤبوب يأتي الحمام من نضده
 مسـفه ثرته مسـحه * وابله مـهـه تـله جرده
 ولولم يكن لأبي تمام من القبيح الشنيع الا هذه الابيات لخطت من قدره وعلى
 هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

دان بعيد محب مبغض تهج * أغتر حلوم رلين شرس
 ندأبي غـرواف أخى ثقة * جعد سري نه ندب رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة بلاشك وقليل لما يوجد في أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا
 الا في شعر الفرزدق وتلك معاملة معنوية وسيأتي بيانه في بابها وهذه معاملة
 لفظية وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيرا (النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ
 في السبك) وهذا النوع لم يحقق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية ما يقال
 انه ينبغي أن لا تكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير
 بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاملة وكل منها نوع مفرد
 برأسه له حقيقة تخصه الا أنهم ما قد اشتبهوا على علماء البيان فكيف على جاهل لا يعلم
 (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاملة وضربت له أمثلة يستدل بها على
 أخواتها وما يجري مجراها وجملة الامران مدارسبك الالفاظ على هذا النوع
 والذي قبله دون غيرهما من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصل سبك
 الالفاظ وما عداها ما فرع عليهما واذا لم يكن النثر أو الناظم عارفا به ما كان
 مقاتله تبدو كثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذي هو المنافرة أن يذكرا لفظ أو الالفاظ
 يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر وعلى هذا فان الفرق بينهما وبين
 المعاملة أن المعاملة هي التراكم والتداخل اما في الالفاظ أو في المعاني على
 ما أشرت اليه وهذا النوع لا تراكم فيه وانما هو ايراد الالفاظ غير لائقة
 بوضعها الذي ترد فيه (وهو ينقسم قسمين) أحدهما يوجد في اللفظة الواحدة
 والاخر في الالفاظ المتعددة فاما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فانه اذا ورد

في الكلام أمكن تبدليه بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو نظاما
وأما الذي يوجد في الالفاظ الممتدة فانه لا يمكن تبدليه بغيره في الشعر بل يمكن ذلك
في النثر خاصة لانه يعسر في الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم ان قول قول
أبي الطيب المتنبي فلا يبرم الامر الذي هو حال * ولا يحلل الامر الذي هو يبرم
فالنظرة حال نافرة عن وضعها وكانت له مندوحة عنها لانه لو استعمل عوضا
عنها للنظرة ناقض فقال

فلا يبرم الامر الذي هو ناقض * ولا ينقض الامر الذي هو يبرم
لجاءت اللفظة قارة في مكانها غير قامة ولا نافرة (وبلغني) عن أبي العلاء
ابن سليمان المعري أنه كان يتعصب لأبي الطيب حتى انه كان يسميه الشاعر
ويسمى غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس في شعره لفظة يمكن أن يقوم
عنها ما هو في معناها فيجب حسمنا مثلها في البيت شعري أما وقف على هذا
البيت المشار اليه لكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين
خلقة وأعمالها عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التي هي حال
وما يجبرى مجراها قبيحة الاستعمال وهي فك الادغام في الفعل الثلاثي
وتنقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلا يصح أن يقال بل الثوب فهو وبال ولا
سل السيف فهو وسال ولا أن يقال هم بالامر فهو هام ولا خط الكتاب
فهو خاطط ولا حق الى كذا فهو حان وهذا لو عرض على من لا ذوق له لا أدركه
وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة
وأنشد بعض الادباء بيتا الدعبل وهو

شفيحك فاشكر في الحوائج انه * يصونك عن مكروها وهو يخلق
فقلت له بحجز هذا البيت حسن وأما صدره فقصيح لانه سببك قلنا نافرا وتلك الفاء
التي في قوله شفيحك فاشكر كأنها ركة البعير وهي في زيادتها كزيادة الكرش
فقال لهذه الفاء في كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المذثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدركه بالعلم أولا
وبالذوق ثانيا أما العلم فان الفاء في وربك فكبر وثيابك فطهر فهي الفاء العاطفة
فأنها واردة بعد قم فأنذر وهي مثل قولك امش فأسرع وقل فأبغ وإيست الفاء
التي في شفيحك فاشكر كركهذه الفاء لان تلك زائدة لا موضع لها ولو جاءت

ودعني أبي العلاء المعري

في السورة كما جاءت في قول دعبل وحاش لله من ذلك لا بتدئ الكلام فقيل ربك
فكبر وثيابك فطهر لكنها لما جاءت بعد ثم فأنذر حسن ذكرها فيما يأتي بعدها من
وربك فكبر وثيابك فطهر وأما الذوق فانه ينبوع عن الفاء الواردة في قول دعبل
ويستثقلها ولا يوجد ذلك في الفاء الواردة في السورة فلما سمع ما ذكرته أذعن
بالتدليع ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظما كان أو نثرا لا يتقطن لها الا
الراعي في علم الفصاحة والبلاغة (ومن هذا القسم) وصل همزة القطع وهو
محسوب من جائزات الشعر التي لا تجوز في الكلام المنثور وكذلك قطع همزة
الوصل لكن وصل همزة القطع أقبح لانه أثقل على اللسان (فما ورد من ذلك)
قول أبي تمام

قراني اللهث والودحى كأنما • أفاد الغنى من نائي وفوائدي
فأصبح يلقي الزمان من أجله • بأعظام مـ ولودورأفة والد
فقوله من أجله وصل همزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي
نوسطه المفاوز كل يوم • طوبى الطالبين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار كلام نافر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين
الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول الجعفي

حلفت لها بالله يوم التفرق • وبألوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي
المتعلق بالضمير الذي هو بها أقبح ذلك ولو كان قال من قلبها متعلق زال ذلك
القبح وذهبت تلك الهجنة (ومن هذا القسم أيضا) أن تزداد الالف واللام في
اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلو عاينتهم والزائرهم • لما نزلت البعيد من الحميم

فقوله الزائر اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره
الزائرين أرضهم وأودارهم أو الزائرين إياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام
قبیح جدا وإذا حذف زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا
(ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الألفاظ المتعددة قول أبي الطيب
أيضا

لا خلق أكرم منك الأعارف • بك راہ نفسك لم يقل لك ذاتها

قرأ ورش من أجل ذلك كتبنا وهذا كالبيت من باب التلخيص والبيان بهدوء من أجل لا قطع

فان يجر هذا البيت فافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)

وهي تنقسم قسمين الاول منها في الكلام على المعاني بجملا والثاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لا بد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعاني الخطائية قد حصرت أصوارها وأقول من تكلم في ذلك حكماء اليونان وغير أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها لاجرم أن ذلك الحصر لا يستفيد من رفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر إليه فان البدوى البادي راعى الابل ما كان يمر شي من ذلك يفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الخلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا (فان قيل) ان ذلك البدوى كان له ذلك طبعاً وخلقاً والله فطره عليه كما فطر ضر وب نوع الادعي على فطر مختلفة هي لهم في أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان في الرمي والاصابة فيه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان في صنعة اليد فيما يشارونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا الانزع فيه فانه مشاهد (فالجواب عن ذلك) أني أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والقطرة اذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحذروا وسكوا البلاد ولم يروا البادية ولا خلقوا بها وقد أجادوا في تأليب النظم والشعر وجاءا بعنان كثيرة ما جاءت في شعر العرب ولا نطقة وائباها (فان قلت) ان هؤلاء وقصوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه (قلت لك في الجواب) هذا شيء لم يكن ولا علم أبونواس شيأ منه ولا مسلم بن الوائد ولا أبو غنم ولا البصري ولا أبو الطيب المتنبي ولا غيرهم وكذلك جرى الحسبكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان ادعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا فاني لم أعلم شيأ مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فانا نظر الى كلامي فقد أوردت لك نبذة منه في هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي وهي عدة مجلدات وعرفت أني لم أنعرض لشي مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر يتجوز من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبدا وفي كتابي

هذا ما يغنيك وهو كاف (ولقد فاضى بعض المتفلسفين في هذا) وانساق الكلام
الى شيء ذكره لابي علي بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر
اليوناني يسمى اللاغورديا وقام فأحضر كتاب الشفاء لابي علي ووقفني على
ما ذكره فلما وقفت عليه استجبهت له فانه طويل فيه وعرض كانه يخاطب بعض
اليونان وصكل الذي ذكره اغورا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا
ثم مع هذا جميعه فان معقول القوم فيما يذكرون من الكلام الخطابي أنه يورد على
مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يخطر لابي علي بن سينا يبال فيما صاغه من شعر
أو كلام مسجوع فان له شيئا من ذلك في كلامه وعندا فاضته في صوغ ما صاغه
لم يخطر المقدمتان والنتيجة له يبال ولو أنه أفكر أو لا في المقدمتين والنتيجة ثم أتى
بمنظم أو ثمر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به ولطال الخطب عليه بل أقول شيئا
آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموا من أشعارهم لم ينظموه في وقت
نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ونتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها
مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر وهي كما يقال تعاقب ليس لها طائل كأنها شعر
الايوردي • وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوص في تقسيم المعاني فاني
راجع الى شرح ما أجمتسه فأقول (أما القسم الاول) فان المعاني فيه على
ضربين أحدهما ما يتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا
الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة
ولنشر في هذا الموضع الى نبذة تكون مثالا للمتوهم لهذه الصناعة (فمن ذلك)

ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصلين

بكررو وأسرروا في متون ضوامر • قيدت لهم من مربوط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم • أبدا على سفر من الاسفار

وهذا المعنى مما يكثر عليه عند الحوادث المتجددة والطارئة في مثل هذا المقام
ينساق الى المعنى المخترع عن غير كبير كقوله شاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال
في هذه القصيدة في صفة من أحرق بالنار

ما زال مر الكافرين ضلوعه • حتى اصطلى سر الزناد الواري

فأربساور جسمه من حرها • لهب كجاءه ففرت شق ازار

طارت لها شعل يه تم لقمها • أرككانه هدم ما يغير غبار

الكل في المقدمة من غير أن يقتدي فيها بن سينا

فصل منه ~~كل~~ مجمع مفصل • وفعلن فاقرة بكل فقار
 مشبوبة رفعت لاعظام مشرك • ما كان يرفع ضوأها للشارى
 صلى لها حيا وكان وقودها • ميتا ويدخلها مع الفجار
 وهذا ما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحرى) على
 ما ذكره أبو تمام فى وصف المصلين فقال

~~حكم~~ عزير أباد فغدا يركب عودا مراكبى فى عود
 أسلمته الى الرقاد رجال • لم يكونوا من وترهم يرقود
 قصد الطير فيه صنع البوادي • وهو فى غير حالة المهود
 غاب عن محبه فلاهوم وجود لديهم وليس بالفقود
 وكان امتداد كفيه فوق الجذع فى محفل الردى المشهود
 طائر مدمستريح جناحيه استراحات متعب مكدود
 أخطب الناس راكبا فاذا أرجل خاطبت منه عين البليد
 وهذه آيات حسنة قد استوعبت أقسام هذا المعنى المقصود الآن فىها معنى
 مأخوذ من شعر مسلم بن الوليد الانصارى وهو قوله

نصبته حيث ترتاب الرياح به • وتحد الطير فيه أضبع البيد
~~الكن~~ البحرى زاد فى ذلك زيادة حسنة وهى قوله وهو فى غير حالة المهود
 (ومن هذا الضرب) ما جاء فى شعر أبى الطيب المتنبى فى وصفه الحمى وهو قوله
 وزائر قى كأن بها حياء • فليس تزور الا فى الظلام
 بذاتها المطارف والحشايا • فعافتها وباتت فى عظامى
 كان الصبح بطردها فتجبرى • مدامعها بأربعة حجام
 أراقب وقتها من غير شوق • مراقبة المشوق المستهام
 وقد نرح أبو الطيب بهذه الايات حاله مع الحمى (ومن يديع ما أتى به فى هذا
 الموضع) أن سيف الدولة بن حمدان كان مخيميا بأرض ديار بكر على مدينة
 ميفارقين فعصفت الرياح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا ذمها أبو
 الطيب بقصيدة يمتدرفها عن سقوط الخيمة أولها • أينفع فى الخيمة العذل • فنه
 ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها • ويركض فى الواحد الخفل

وتقصر ما كنت في جوفها • وترزف فيها القنا الذبيل
وكيف تقوم على راحة • كأن البحار لها أغمل
فليت وقارك فترقسه • وحملت أرضك ما تحمل
فصار الانام به سادة • وسدتهم وبالذي يفضل
رأت لون نورك في لونها • كالون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذنا • وأن الخيام بهم تتجمل
فلا تنكرن لها صرعة • فن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت • تلحاتهم وحوالك الارجل
ولما أصرت بتعذيبها • أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضا • ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه • وأنت في نصره ترفل
فما العائدون وما أثلوا • وما الحاسدون وما قولوا
هم يطلبون فن أدركوا • وهم يكذبون فن يقبل
وهم يتمنون ما يشتمون • ومن دونه جذل المقبل

وهذه الايات قد اشتملت على معان بدیعة وكفى المتنبي فضلا أن ياتي بعثها وهذا مقام يظهر في مثله براعة الناظم والناثر (وقرأت في كتاب الروضة) لابي العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس ثم عني كان في زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورده من شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح في عسجدية • حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها • مهاثورتها بالعشيق الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها • وللماء ما دارت عليه القلائس
وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكي عن الجاحظ) أنه قال ما زال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى فان أبانواس انفردها بداعه وما أعلم أنما أقول لها ولا ي سوي أن أقول قد تجاوز بهم هذا الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا يساع الحمار وفصاحة هذا الشعر عندي هي الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبانواس رأى

كأن من الذهب ذات تصاوير فحكاها في شعره والذي عندي في هذا أنه من
المعاني المشاهدة فإن هذه الحجر لم تحمل الماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا
الكاس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلائس التي على رؤسها
وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله في النهر أيضا

يا شقيق النفس من **حكم** • نمت عن ليلى ولم تسم

فاسقى النهر الذي اخمرت • بجوار الشيب في الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لا يقته أن يلتحق بالمعاني التي
تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبالغنى) أنه اختلف في هذا المعنى بحضرة
الرشيد هرون رحمه الله فقبيل انه يريد بجوار الشيب في الرحم أن النهر تكون
في جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعي ان أبانواس أطف خاطر
من هذا وأستغرض أفاضلوه فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجري فيه
الماء يخرج شبيهًا بالقطنه وهي أصل العنقود فقال الاصمعي ألم أقل لكم ان
الرجل أطف خاطرًا وأستغرضًا وقد جاء لابن جديس العجلي في الهمال لا نهر
له رمالم يأت به غيره وهو من الحسن واللطافة في الغاية القصوى وذلك قوله

كانما أدهم الظلاء حين نجا • من أنهب الصبح ألقى نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع في التشبيه وأمنال هذا
كثيرة في أقوال المجيدين من الشعراء (وجله الامر في ذلك) أن الشاعر أو
الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني كما فعل
الناطقة في مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فأت رجل منهم قبل أن يوفدهم
فلما وفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال الناطقة
في ذلك حبا شقيق فوق أحجار قبره • وما كان يحجي قبله قبر واقد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل الناطقة في هذا المعنى (وكذلك)
ورد قول أخت جساس زوجة كايب فانه لما قتل جساس كليباجتمع النساء
اليها وتدينه فحدث بعضهم الى بعض وقلن هذه ليست ناكلة وانما هي شامة
فان أخاهما هو القاتل فتم ذلك اليها فقالت

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا • تعجلي باللوم حتى تسألني

فاذا أنت تبينت الذي • يوجب اللوم فلومي واعذلي

ان أختالا مرئ ليمت على • شفق منها عليه فافعل على
 جل عندى فعل جساس فوا • حسرتا عم انجلت أو تيجلى
 فعل جساس على وجدى به • قاطع ظهري ومدن أجلي
 لو بعين فقتت عين سوى • أختافا فانتأت لم أحفل
 يا قتيلا قوس الدهر به • سقف بيتي جميعا من عل
 هدم البيت الذى استهدنته • واثنى فى هدم بيتي الاول
 يشتقى المدر لك بالشاروفى • دركى ثارى ثكل مشكلى
 انى قاتلة مقتولة • ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الايات لونها قبح الفصول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف
 امرأة وهى خزينة فى شرح تلك الحال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من
 المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع (فمن ذلك) قول الشاعر المعروف بابن
 السراج فى الفهد

تنافس الليل فيه والنهار معا • فقمصاه بجلباب من المقل
 وليس هذا من المعانى الغريبة ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده
 شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مهران فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا
 فقال ونقطته حباء كى يسالمها • على الما يانهاج الرمل بالحدق
 وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليلا ما يقع فى
 هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو وضع ينبغى أن يوضع اليد عليه ويتنبه له
 وكذلك فلتسكن سياقة ما جرى هذا البحرى (وقد جاء فى شئ من ذلك) فى الكلام
 المنشور (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف نساء حسان وهو أقبلت ربائب الكاس
 فى مخضرة اللباس فتبيل انما يضترن الخضرة من الألوان ليصبح تشبيه هت
 بالاغصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبق اليه الا أنه لم يبلغنى بل
 ابتدعته ابتداء (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بدار
 فذكرت القتال بالمنجنيق وهو قنزل أجبر أى منه ومسمع واستدراجه استدارة
 الخاتم بالاصبع ونصبت المنجنيقات فأنشأت محبا صعبة القياد مختصة بالربا
 دون الوهاد فلم تزل تذف السور بوبل من جلودها وتفجؤه برعودها قبل
 بروقها وبروق السهب قبل رعودها حتى غادرت الحزن منه هلا والعامر بلقما

مخلي وفي هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه السحب تخص الريادون الوهاد
 والآخر أن رعودها قبل بروقها وكل ذلك يتفطن له بالمشاهدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب فقلت اذا تخلق المربى بخلق البأس والتسدى لم يحق
 عرضه دنسا كما أن الماء اذا بلغ قلتي لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لي وهو
 مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتي
 لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف مفازة فقلت مفازة لا توطأ بأرجقان
 ساهر ولا تقتل باقحام خابر ولولا سبيل الهلال من فوقها لما عرفت قتال حافر
 (ومن ذلك) ما ذكرته في كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد
 المكتوب عنه وكان ذلك في زمن الشتاء فسقط على العدو ثلج كثير صار به محصورا
 فقات وقد عاب له قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول
 بينه وبين الخنادق والشتاء قد ادى عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته
 بأضبر وجهها بالأخضره والارض كأنها قرصة النقي وعسى أن تكون ارض
 محشرة والمعنى المخرع من هذا الكلام قولي والارض كأنها قرصة النقي وعسى
 أن تكون ارض محشرة وهو مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله
 عليه وسلم انكم تحشرون على ارض بيضاء كقرصة النقي يريد الخبزة البيضاء ولما
 كان الثلج على الارض مماثل لذلك ومثابها له استنبطت أنه هذا المعنى المخرع
 فجاء كما تراه وهو من المعاني التي يدل عليها شاهد الحال (وأحسن من هذا كله)
 ما كتبه في فصل من كتاب الديوان الخلافة بيغداد فقلت ودولته هي الضاحكة
 وان كان نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة
 أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الاتفاؤلا بأهل الأتهرم وأنها
 لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحلب الذي لا يسلي والوصل الذي لا يصرم
 وهذا معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخط به الاقلام في خطها
 ولا أجالته انطوا طرفي أفكارها وغرابية هذا المعنى ظاهرة ولم يأت بها أحد قبلي
 (ويلغى) من المعاني المخرعة أن عبد الملك بن مروان بنى بابا من أبواب المسجد
 الأقصى بالبيت المقدس وبنى الخجاج بابا الى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب
 الذي بناه عبد الملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الخجاج فكتب اليه كتابا بلغني
 كذا وكذا فليهن أ. يراؤه وير أن الله تقبل منه وما مثلي ومثله الا كابي آدم

اذقربا قربانا فقتبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه
سرى عنه وهذا معنى غريب استخرجه الحاج من القرآن الكريم وهو من
المعاني المناسبة لما ذكرت فيه ويكنى الحاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده
استعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعاني) التي تستخرج من غير شاهد حال
متصورة فإنها أصعب مثالا عما يستخرج بشاهد الحال ولا مرثا كان لا يكرها
سرا لا يهجم على مكانته الاجتنان الشهم ولا يفوز بمحاسنه الامن دق فهمه حتى
جل عن دقة الفهم وللهموم على عذارى المغناني المحبة بحجب البواتر أيسر من
التهجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب الخواطر وما ذلك مما يلقيه اليك
الاستاذ وليس يقوم به الا الفذولا أقول الافذاذ وأين الذي ينشئ فيحسن فيها
الانشاء ويرزفها صور ايركها كيف يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر
وأخذ فيه بالعين دون الاثر علم أنه مقام يرتقى بعارف الافهام فكيف بواقف
الاقدام وليست المعاني فيه الا كالارواح ولا الالتاظ الا كالأجسام فمن شاء
أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الاناسي لا على صورة الانعام فان
من القول الغاية التي هي أحسن من الغاية ومنه البهيمية التي لا تشبهه الا
بالسانية (فما جاء في هذا الباب) قول أبي نواس

شرايك في السراب اذا عطشنا • وخبرك عند منقطع التراب
ومارتوحتنا لـ ذب عنا • ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار اليه بأنه معنى مبتدع ويحكى عن الرشيد
هريرة رحمه الله أنه قال لم يهج باد ولا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب)
قول مسلم بن الوليد

تنال بالرفق مانعيا الرجال به • كالت مستهلا يأتى على مهل
(ومن هذا الباب) قول جلي بن جبلة

تكفل ساكن الدنيا جيد • فقد أضحت له الدنيا عيالا
كان أباه آدم ~~ص~~ كان أوصى • اليه أن يعوا له مفعالا

وهذا معنى دندن حوله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل
إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداءا للمعاني وقد عدت معانيه المبتدعة
فوجدت ما يزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من

مثل أبي تمام بكبير فاني أناعدت معاني المبتدعة التي وردت في معكاتباني
فوجدتها أكثر من هذه المدة وهي مما لا أنزع فيه ولا أدافع عنه فاما ما ورد
لابي تمام فن ذلك قوله

يا أيها الملك النافي برويته • وجوده لم راى جوده كذب
ليس الجواب بمقص عندك لي أملا • ان السماء ترجى حين تحتجب
(وكذلك قوله) رأينا الجود فيك وما عرضنا • لسجل منه بعد ولا ذنوب
ولكن دائرة القمر استمت • قد اتنا على مطر قريب
(وكذلك قوله في الهجاء

وأنت تدبر قطب رحا عليا • ولم ير لرحا العليا قطبا
ترى قطرب كل صراع قرن • اذا ما كنت اسفل منه جنبا
(وكذلك قوله) واذا أورد الله نشر فضيلة • طويت اتاح لها لسان ح سود
لولا اشتعال النار فيما جاورت • ما كان يعرف طيب عرف العود
(وكذلك قوله) لا تشكروا ضربى له من دونه • مثلا شرودا في الندى والباس
فألقه قد ضرب الاقل لتوره • مثلا من المشكاة والبراس
(وكذلك قوله)

لا تشكروا عطل الكريم من الغنى • فاليل حرب لا مكان العالى
(وكذلك قوله في الشيب)

شعلة في المفارق استودعتني • في صميم الفؤاد ثكلا صميما
يستثير الهموم ما اكن منها • صعدا وهي تستثير الهموما
فالبيت الثاني من المعاني المخترعة وقد تفته فيه فجعله مسئلة من مسائل الدور
وهذا من اغراب أبي تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانالم
نستقصها ههنا (ومن هذا الباب) قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرأ النواله • وأطال فيه فقد أساء هجاء
لوم ية تدرثم بعد المستقى • هندا الورود لما أطال رشاء
(وكذلك قوله)

مدوك من صديقتك مستفاد • فلا تستكثر من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه • يكون من الطعام أو الشراب

(وكذلك قوله) لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والأخايب ~~كفيه~~ منها دانه • لا توسع عما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كانه • بما هو لاق من أذاها يم تد
(وكذلك قوله) رددت على مدحى بعد مظل • وقد دنست ملبسه الجديد
وقلت امدح به من شئت غيرى • ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وهل للحنى فى أكفان ميت • لبوس بعد ما امتلئت صديدا
(وقد ورد لابي الطيب المتنبي) من ذلك كقوله

أجزنى إذا أنشدت مدحا فاعلم • بشعري أنا لك المادحون مرّدا
ودع كل صوت بعد صوتى فأنى • أنا الصائح المحكى والآخر الصدى
فالبيت الأول قد توارد على معناه الشعراء قديما وحديثا لكن البيت الثانى
فى التمثيل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

بهجر سيموفك أنعمادها • تنفى الطلى أن يكون الغمودا
الى الهام تصدر عن مثله • يرى صدراعن ورود وورودا
(وكذلك قوله) فى بدر بن عمار يهنيه ببرئه من مرض

قصدت من شرقها ومغربها • حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تبق الا قليل عافية • قد وفدت تجتديكها العمل

(وقد وقفت) على ما شاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحديثا فلم أجد
لا حدم منهم فى ذكر المرض ما يعنى مختصرا لابل لم أجد من أقوالهم شيئا مرضيا
ماعدا المتنبي فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثانى
من هذين البيتين معنى مختصرا له وقد أحسن فيه كل الاحسان (ومما ابتدعه)
باجماع قوله فى مدح عضد الدولة فى قصيدته النونية التى مطلعها
مغاني الشعب طيبا فى المغاني • فقال عند ذكره

فما شاء عيشة القمرين يحيا • بضوئهم ما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى • ولا ورتنا سوى من يقتلان
وكان ابن سعد وكأثره • له ياءى حروف أنيسيان

أى جعل الله ابنى عدو كأثره يعنى ابنى عضد الدولة يكاءى حروف تصغيرا لسان
فان ذلك زيادة وهو نقص فى المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوقه وأذهب

خلاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله
فان تنفق الانام وانت منهم • فان المسك بعض دم الغزال
وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بنغميس أنت غزته • وسهمه ريته في وجهه غم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم • يسقطن حولك والارواح تنهزم
وهذا من أعاجيب أبي الطيب التي برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان)
في هذا الباب قول بعضهم

وقد أشقى الحجاب المصعب ماذيه • دوني وآبي ولوجافيه ان طرقا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحها • وليس يدخله الا اذا انطبقت
(ورأيت ابن جردون) البغدادي صاحب كتاب التذكرة قد أورد هاتين البيتين
في كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان
الطيف لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة
الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندي الا كما يحكى عن ملك الروم اذا أنشد عنده
بيت المتنبي الذي هو

كان العيس كانت فوق جفني • منساخت فلما نزلت سالا
فسأل من المعنى ففسره فقال ما سمعت بأ كذب من هذا الشاعر رأيت من
أناخ الجمل على هينه لا يهلكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم
تخبره الله من آدم • فما زال منحدر ابرتي
(وكذلك قول الآخر)

بأبي غزال غارته مقلتي • بين الغوير وبين شطى بارقي
عاطيته والليل يصعب ذيله • صهباء كالمسك الفتيق لناشقي
وضمته ضم الكمي لبيقه • وذو ابتاه حائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى • فحزنته شيئا وكان معانقي
أبعدته عن اضلع تشنقه • كي لا ينام على وساد خافقي
وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى واقد خفت معانيه على القلوب
حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله
أقزت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين بهجو

انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * طوعا الى الاقرار بالاقدار

ما أوقد ابن طليل قط بداره * نارا وكان هـ لا كهبا بالنار

(وكذلك) ورد قول ابن قلاقس من شعراء مصر

زد رضة ان قبل أن تغض وان تغض ان قبل أن ترى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا وينأى ما تعرى

وهذا من المعاني الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحافظ

في تشبيه البهار وهو

عيون تبركا غامرقت * سوادا أحدا قهما من الغسق

فان دجا ليلها بظلمته * ضمن من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافة على ما لا يخفى به (ومن هذا

القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لاتضع من عظيم قدر وان كنت مشارا اليه بالتعظيم

فالشريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدي على الشريف العظيم

ولع الخمر بالعقول رعى الخمر بتنجيسها وبالتحريم

(ومن غريب ما سمعته في هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرقى قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعدما * قد كن طوع يمينه وشماله

فليحذر البدر المنير نجومه * اذ بان غدر منالها بجماله

(وكذلك) جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكلماتها

ثقلت زجاجات أتننا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بحاوت * وكذا الجسوم تحف بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ويروق كما رقت لطفًا

ويفوح كما فاحت نشرا (وكذلك) ورد قول ابن حمديس الصقلي

يا سالباً قر السماء جماله * ألبستني للعز نوب سمائه

أضمرت قلبي فارقتي بشرارة * وقعت بجذلك فانطلقت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت في الخيال) ما شاء الله أن أسمع فلم أجده مثل هذا

وقد جاءني في الكلام المنثور من هذا الضرب شيء وسأذكره هنا منه تيسرة

(فمن ذلك) ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس
وخاق من طينة غير طينة الناس وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا واتفقت
فيه الالهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا فلو صافح الورد اتعطرت أوراقه وأومر
على النيلوفر لابتفتحت أحداقه (والمعنى) الغريب ههنا أن الشمس اذا طلعت
على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم انى سمعت هذا في شعر الفرس
لبعض شعرائهم فحصل عندي منه تعجب (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الشيب فقلت
الشيب اعدام لا يسار وظلام لا دنوار وهو الموت الاول الذي يصلى نار من الهم
أشد وقودا من النار ولئن قال قوم انه جلالة فانهم دقوا به وما جالوا وأقتوا في
وصفه بغير علم فضلووا وأضلووا وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار
قوم الاذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بعده والخلق الذي يذكره
نزع برده ولما نقد الشيب كان عنه عوضا ولا عوض عنه في فقدته (والمعنى)
المخترع ههنا في قولي وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الاذلوا
وهو مستنبط من الحديث النبوي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى آلة
حرث فقال ما دخلت هذه دار قوم الاذلوا فأخذت أنا هذا ونقلته الى الشيب
فجاء كما ترامى في أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة
لأن الشيب يفعل في البدن ما يفعله المحراث في الارض واذا نزل بالانسان أحدث
عنده ذلا (ومن هذا الباب) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الناس أعبت به
فقلت واذا كتبت مثالبه في كتاب اجتمع عليه بنات وردان وحرم على أن أبدأ
فيه بالبسملة لانهم من القرآن وهذا معنى لطيف في غاية اللطافة وهو مخترع لي
(وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت في فصل منه
ما أذكره وهو ينبغي له أن يشكرني على وصحه بهجائي دون امتداحي فاني لم أسمه
الا تحرم به الاضحية في يوم الاضاحي ولا شك أن سيدنا معدود في جملة الانعام
خير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصام وهذا معنى ابتدعته ابتداء
ولم أسمه لاحد من قبلي (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار
وذلك فصل منه فقلت وكانت الواقعة يوم الاحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو
اليوم الذي قصيره الكفار من أيام الاسبوع ونصبوه موثما للشرع كفرهم المشروع
فحصل ارتياحهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا

عبدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام
 وأن أولياءهم هم المسلمون وهذا معنى انفردت بآية راعه ولم يأت به أحد من
 تقدمني (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة بيغداد وهو
 في وصف القلم لم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذي يخفض ويرفع ويعطى ويمنع
 وهو المطاع بل يدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي الاجدع
 ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعاره ولاء فهو يخضع على عبيده من الكرامة
 ما يخضع في هذه الاوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه
 وهو قولي انه المطاع بل يدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي
 الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوي في ذكر
 الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم أطع ولو عبدا حبشيا بما جدها ما أقام
 عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم يجرد وبقية من
 لباس السواد فصارت حبشيا ما أجدها وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس
 الطائي في قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم وأنه
 استخرجت المعنى من الخبر النبوي كما أريتك وهذا المعنى المشار اليه في وصف
 القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ونهت عليه في كتاب الوثنى المرقوم
 في حل المنظوم وهذا كتاب ألقته في صناعة حل الشعر وغيره (وبعد هذا)
 فسأقول لك في هذا الموضوع قولاً لم يقله أحد غيري وهو أن المعاني المبتدعة
 شبيهة بمساؤل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذاوردت عليك
 مسألة من المجهولات تأخذها وتقلبها تظهر البطن وتنظر الى أوائلها وأواخرها
 وتعتبر أطرافها وأواسطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك
 اذاورد عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تنظر فيه كتنظر في المجهولات
 الحسابية الا أن هذا لا يقع في كل معنى فان أكثر المعاني قد طرق وسبق اليه
 والابداع انما يقع في معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك الا في أمر غريب لم يأت
 مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران
 على مظنة الابداع فيه وقد لا يست ذلك في مواضع كثيرة وسأوردهن ما يحذو
 حذو من استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبه عن نقى الى بعض ملوك
 الشام وأهديت اليه رطباً وهو خلد الله دولة مولانا وهر لها مجد اوجنا

وخلقها السعادة عطاء حسابا وأنشأ الالباب لخدمتها عربا أنربا وأبقى شيعتها
 بقاء لا يستحدث معه خضبا ولا جعل لها في محاسن الدول السابقة أسباها ولا
 أنربا وألقى البأس بين أعدائها وحسادها حتى يعث لهم في الارض غربا اذ
 أراد العبيد أن يهدوا والمواليهم قصرت بهم يد وجدهم وعلوا أن كل ما عندهم
 من عندهم لكن في الاشياء المستظرفة ما يهدى وان كان قدره خفيفا ولولا
 اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شيء من الاشياء طريقا وقد أهدى المملوك
 من الرطب ما يتجلى في صفة الوارس ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس
 وما سمى رطب الا لاشتقاقه من الرطب الذي هو ضد اليابس وقد أتى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء بما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أتما ولئن
 عدم عرفنا لذيذا فإنه لم يعد منظر الذبذبا ولا طعما وله أوصاف أخرى هي لفضله
 بمنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود
 وأحسن من ذلك أنه مع دود من الحلوا وان كان من ذوات الغراس ولا فرق
 بينهم سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس واذا أنصف واصفه قال ما من
 ثمرة الا وهي عنه فاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها قامت أرض العراق به
 فائرة وها قد سار الى باب مولانا وهو مجنى المنابت سار الى مجنى الكرم وملأ
 الفاكهة وقد على ملك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من
 الفواكه أربا وما منها الا من قال يا ليتني كنت رطبيا ولئن كان من الثمرات التي
 تختلف في الصور والاسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء
 فكذلك تلك الشيم العريضة تتحد في عنصرها وهي مختلفة الوتيرة ومن أفضاها
 سمية السماح التي تنبل القليل من عبيدها وتسمع لهم باعطايا الكثيرة وقد ضرب
 لها المملوك مثلا فقال هي بكنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوي وهي
 نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذي طاب سمعنا وزكا أصلا وفرعا
 وتصرف في أساليب البلاغة فجاء به وتراوشفعا والسلام (وهذا كتاب غريب) في
 معناه وقد اشتغل على معان كثيرة فمن جلتها أن الرطب مشتق من الرطب الذي
 هو ضد اليابس ومن جلتها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمي النخلة أتما فقال أتمكم
 النخلة ومن جلتها أنه كان صلى الله عليه وسلم يقطر على رطبات فان لم يجد فتمر
 ومن جلتها أنه كان يلوك التمرة ويحنك بها المولود عند ميلاده والولد عبد الله بن

الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ووضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نمت ووضعتها في فيه ومن جملتها أنه والخلو أمشي واحدا لا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها أن العباس رضي الله عنه قال يا رسول الله إن قريشا منذ ~~أكثر~~ أحسابها فاضربوا لك مثالا بنحلة بكبوة وكل هذه المعاني حسنة واردة في موضعها ومن كتب في معنى من المعاني فليكتبه هكذا ولا فليدع (ومن ذلك) رقعة كتبها إلى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت لي وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم وهي

ما من صديق وإن صحت صداقته * يوما بأفجع في الحاجات من طبق
إذا تلمس بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
الهدية مشتقة من الهدى غير أنها ترف إلى القلب لا إلى الندى وصهارتها أنفع
من الصهارة وكلما ترددت كانت بكرافهي لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها
أنها تمسك بعروق أمن من السراح وإذا رامت فتح باب لا تنفكر في علاجه إلى
مفتاح وقد قيل إنها الحناء المتأنتة في عمارة بيتها التي توصف بأن القنديل
يضيئ بزيته وقد أرسلتها إلى المولى وهي تنهادي في أعجابه وتدل بكثرة
دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة في قومها الشريفة في أنسابها وأحسن
ما فيها أنها جاءت سرا لم تعلم بها اليد اليمنى من اليسرى فغذاها مولاى واكشف
نقابها وأمط عنها جلبابها وقد كانت منك حرة وهي الآن في حيز الملكة ومن
السنة في مثلها أن تؤخذ بالناصية ويدهى بالبركة والسائر بها فلان وهو في
الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار إلى دار ولربما نطق لسان حالها
الذى هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها وحاشى فطانة
الكريم من التبيان وإيسر المطلوب الأفضلية من الجاهت ففر بين السائل
والمسؤل وتنقل البعيد إلى درجة القريب والممنوع إلى درجة المبدول فإذا
فعل المولى ذلك كان له منة السفارة ومنة الانعام وإن جمع بأن سعيها واحدا فاز
بشكرين اثنين ففي مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب
السلطان ثقل في منعه وهل ههنا الاكلمات تقال والكلام ماعون لارخصة
في منعه ولم يدر أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه
أثقل من ثقل الجبال وأن صاحب الحاجة يحظى بجلاوة النجاح والحاجب يلقى

مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايجابا لاحسان المولى الذى هو احسان شامل ولا يعلمه الا عالم بفضله ولا يجهله الا جاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة بيا به حتى لا تنفك في الدين من امداد شكره وفي الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر في كتابي هذا الى ما اشتملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما تكتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهي الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل أخت السحر في ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج الى نفثها ولا الى عقدتها وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة الاخطار حسنة لدى الاسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجودا وتجعل قربا مكان بعدا وتقول لنار الاخرة يا نار كوني بردا ولهذا قيل تهادوا وتحايروا ولا شك أنها وصاله بين المودات فاذا تواصل الناس تقاربوا وقد أرسل الخادم منها شيئا اذا كتبه ذاع واذا خزته ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع وبما زاد منزلة على منيته أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمي الى كرم محمدها وهو ينتمى الى سرر الغزلان فاذا ورد على مجلسه قيل هذا عطر ورد على جونة عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشر لك في الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوي بأنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها واذا نظر الى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمرا وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم في إرساله واذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها (فما اشتملت عليه من المعاني) قولي وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعني حريرة بيضاء وفيها صورة عائشة رضي الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرمت على الصدقة وأحللت لي الهدية (ومما اشتملت عليه أيضا) قولي وقد أرسل الخادم منها

شأ إذا كتمه ذاع وإذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لأن المسك إذا كتم ذاعت رائحته وإذا خزن ضاع أي فاح ويقال ضاع الشيء إذا ذهب فالمغالطة ههنا في الجمع بين الضدين (وكذلك) قولي وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج من الخبر النبوي أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك أما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه وأما أن تجرد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل نافخ الكبر أما أن يحرق ثوبك وأما أن تجرد منه رائحة كريهة (ومما اشتملت عليه) من المعاني أيضا قولي أنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوي أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والدهن (ومن ذلك) رقعة كلفت بعض أصدقائي أملأها عليه وهي رقعة من عاشق إلى معشوق وهي

وإذا قيل من تحب تخطا * لئلا نفي وأنت في القلب ذاك

يا من لا أمميه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذي أعنيه لا تسكن عن أوقى ملكا فلم ينظر في زواله وعرف مكانه من القلوب فخار في ادلاله ولا تغتر بقول من رأى الحسن للإساءة ماحيا واعلم أن اللاسحى يقول كفى بالتذلل لاحيا وكثيرا ما يزول العشق بمجنيات الصدود والزيادة في الحد نقصان في المحدود وقد قيل أن الحسن عليه زكاة كزكاة المال وليست زكاته عند علماء المحبة الا عبارة عن الوصال وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول في إيجابها فهي مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام هؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تتحرر بالكتاب فأخرج يا مولاي من هذا الحق الواجب والاقتات لطاب مني ومطالب ولا تقل هذا غريم أكثر عدل ليالي في مطله وأعدده المواعيد زاد لمنله فهذه سلعة قد عاملتني بهامة ساخر او مرة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله التجربة ماهرا وعمرى ان ممارسة الحب تجدد لصاحبه علما وتبصره وان كان كما يقال أعشى وقد كذب القائل

عزضن للذي تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فما أراه صنع في الذي صنع وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ولا شك أنك لم تدم ما يشيده من

البناء أو أنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء وأنا الآن له عاتب
وعليه عاتب فأين نفشاته التي هي أخدع من الحياتل وأين قوله لا تينهم من عن
الايان والشمائل وأين جنوده المسترقة ما في السما التي تجرى من بنى آدم مجرى
الدماء وكل هذا قد بطل عندى خبره كما بطل عندى أثره فان أدركته النخوة بأنى
أستهزئ بتصديق أفعاله فليحمل معقول حاجتى هذه حتى أعلم أنه قادر على حل
عقاله والا فليخف راسه وليمح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليقوض
من عرشه وليعلم أن الصحرايس في عقده ونفثه ولكنة في الاصفر ونفثه
وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولا والودع مبدولا وما أقول الا انى
بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب بل القلب من جهة ما مخلوق
وما أكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله
وما وصفه واصف الا كان مارا منه فوق مارواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها
أنه لم يرد وجهين وجهها سواء لاجرم أنه اذا أسفر في أمر تلمظ في فتح أبوابه
وتناول وعره فبثله بسهله وبعد فبثله باقترايه ولو بعثت غيره لخفت أن
لا يصحكون في سفارته صادقا أو أنه كان يمضى سفيرا ويعود عاشقا فليس على
الحسن أمانة وفي مثله تعذر الخيانة ولالوم على العقول اذا نسبت هناك عزية
رشدتها ورأت ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن الذى يقوى درعه على تلك السهام
أو يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذى منعه أن أرسل الاكيسا
وكابا فأحدهما يكون في السفارة والاخر على السر حجابا والسلام ان شاء
الله تعالى (وفي هذه الرقعة) من المعاني الغريبة ما أذكره فالاول ما ذكرته في قسم
الصدقات وفك الرقاب والثاني ما ذكرته في وصف الدينار وهو أنه وجهه
ذو وجهين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجهها وهذا معنى
لم يسبقنى أحدا اليه وقد وصف الحريري الدينار في مقامة من مقاماته ولم يظفر
بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التي ذكرها بمثله والثالث أنى بعثت معشوقا
الى معشوق (ومن ذلك ما كتبه) وكان فوفيت زوجة بعض الملوكة وتوفى معها ولد
لها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من الملوكة أيضا فكتب
اليه من الاطراف المهاجرة يعزونه وحضر عندى بعض الادباء ممن يجب أن يكون
كتابا وعرض على نسخة ما كتبه به ذلك الملك في التعزية بزوجه وولدها

فوجدتها كتباً باردة غثة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها بعد المشرقين
ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مضمناً في المعنى المقصود والتعازي
مختلفة الانحاء فتعازي النساء غير تعازي الرجال وهي من مستصعبات فن
الكتابة والشعر وتعازي الرجال أيضاً تختلف فلا يعزى بالبيت على فراشه كما يعزى
بالبيت قتيلاً ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجري الحكم في
المعاني جميعها وهذا شيء لا يتنبه له إلا الراسخون في هذا الفن من أرباب النثر
والنظم وسألني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار إليها في المرأة وولدها الصغير
وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأملت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى
لا يتضمنه الكتاب الآخر (فما جاء منها) كتاب أنفا ذكره ههنا وهو أنصبي
التعازي ما أتبع فيه المفقود بعفود لاسيما إذا جمع بين سعد الاخبية وسعد
السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا وهذا يحسر عن الوجوه خرا وهذا
يأق عن الرؤس تيجانا ولم يوفهم أحدهما من ذكي ولا من ندب ولا من شعر ولا من
كتب وليت فدى أحدهما بصاحبه فعاش درهم المقتدى بالذهب

ولو كان خطيباً واحداً خف كلمة * ولكنه خطب أعيد على خطب

وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج في ثوب من الحداد وان يتعزى في
أذيال كلمة والكتاب عنوان الفؤاد ونغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامي
الملك الاجل السيد علي أن هذا الدعاء قد شهدت الحال بلحنه وكيف يملك قلبه
عزاء وقد أوثقه الهم في سجنه وصار له ولد ادون وولد وخذ نادون خذنه لكن
يدعي له بامتداد البقاء وأن تعامله الجرادث بعده هذه معاملته الابقاء ثم تتبع ذلك
بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الخدور وجعلته في بطون القبور ولمن
فاجأت الأيام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرقته فواها الهما
وقد نزل الجنزل عديم اليناس وان كان مأهولاً بأكثر الناس فهو القريب دارا
البعيد من ارا الذي يحجب من اليأس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المنجمة
لذل التراب فمن كان مسعداً للمجاس قلياً خذ بوله الجزع لا بعزيمة الاصطبار
وليقل هذا حادث بان فيه تحامل الاقدار وجرت همومه مجرى الخواطر من
لقلوب والرقاد من الابصار فالاسوة الا فيه معدودة من الاحسان والسوة
الاعنه داخله في حيز الامكان والخادم أولى من لقي المجلس فيه بالاسعاد وقام

بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وإن كان على شقة
من البعاد وقد أرسل من ينوب عنه في التعزية وإن لم يكف فيه المناب وكما رخص
العذر في قصر الصلاة فكذلك رخص في الاقتصار على الرسول والكتاب وقد و
لو حضر بنفسه فاستسقى لذلك الضريح صحابا وعقر عنده ركبا وسأل الله له مغفرة
وتوابا والسلام (في هذا الكتاب معنى غريب) وهو قول سعد الأخبية كناية
عن المرأة وسعد السعد كناية عن ولدها لأن سعد الأخبية اسم منزلة من منازل
القوم والأخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب في الأخبية فهي سعداها
وهذا من المعاني الغريبة في مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الأخبية وسعد
السعد معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أني كتبت كتابا عن الملك الأفضل على
بن يوسف إلى أخيه الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب في أمر شخص
كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الأمير
أيوب جد الملك الأفضل والملك الظاهر وأولدها ولد صلاح الدين يوسف أباهما
وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لا موطأ لهم وجاء إلى
الموصل ثم إلى الشام وهناك سعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما
أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعاني المبتدعة لأن الأمر المكتوب
فيه غريب لم يقع مثله فحينئذ كتبت هذا الكتاب وهو رفع الله شأن مولانا الملك
الظاهر ولا زال الدهر فخر اجباثر سلطانته ناطما مناقبه في جيبه ومحامده في
لسانه ناسخا بمساعي دواته ما تقدم من مساعي آل بويه وآل حمداته كتاب الخادم
هذا وارد من يد الأمير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهي أول أرض مس
جلد الوالد تراها ورقت بها السعادة على جيبه كتابها ومنها ظهر نور البيت
الأيوبي مشرقا وأشام اذ خرج معرقا وكناه بذلك وسيله يكتنفها الاحسان
والارعاء ويكفي صاحبها أن يقول لأسقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنها بوسيله قصد
الخدمة التي توجب لقاصدها ما ما وتقول له سلاما اذا قال سلاما ثم ثلث هاتين
الوسيلتين بكتاب الخادم أخذ بالسنه النبوية في الدعاء وعدده وتفاؤلا بتلث
النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولا قدح في كرم الكريم اذا استكثر
طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب
الخادم على انفراد كاف لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر بخاطبا عن

فحوى ضميره فانما تحقق السفارة اذا قعد بكل طالب سعى سفيه وهو مع ذلك خفيفة
 صفحته وجيزة لمحتة واذا وجد لدى مولانا معولا فليس عليه أن يرد مطولا. اذ
 التعويل على نخب مصدره لاعلى كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب
 وأعطه حقه من التأمل حتى ترى ما شتمل عليه من المعاني وانظر كيف ذكرت
 الاول ثم الثاني ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بذكر سعادة البيت الايوبى
 ومنشئها وأنها ولدت بتكريرت وهذا الرجل ينبغي أن يرعى بسببهم اذ كان أبوه
 صاحبها وأما المعنى الثانى فانه قصدا لخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانية
 فوجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم انى
 منلت ذلك بالدعاء النبوى وتبليث النجوم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
 دعا دعا ثلاثا وانما منلت ذلك بالدعاء لاهرين أحدهما أنه موضع سؤال
 وضراعة والاخر أن الكتاب وسيلة لثلاثة والدعاء ثلاث مرار وأما تبليث
 النجوم فان التبليث سعد والتربيع فخر وأحسن المعاني الثلاثة التى تضمنها هذا
 الكتاب هو الاول والثالث وأما الثانى فانه متبدا اول فتأمل ما أثرت اليه
 واذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت فى هذا الكتاب ان كان الامر الذى
 تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع فى غير أمر غريب
 الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقائع الغريبة التى هى مظنة المعانى
 المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أوردته فى جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق
 وحاملها وهو فاذا تناولوها فى أيديهم قيل أهله طالعة من أكف أقمار واذا
 مثل غناؤها وغناؤها قيل منما يامسوقة بأيدي أقدار وتلك قسى وضعت
 للعب للفضال ولردى الاطيار لالردى الرجال واذا نعمتها ناعت قال انها جمعت
 بين وصنى اللين والصلابة وصنعت من نوعين غريبين فخازت معنى الغرابة
 فهى مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهما على بعد الشئان فهذا
 من سكان البحر وسواحه وهذا من سكان البر ومجاهاه ومن صفاتها أنها
 لا تتمكن من البطش الا حين تشد ولا تنطلق فى شأنها الا حين تعطف وترد ولها
 نشار أحكم تصويرها وصحح تدويرها فهى فى لونها صندلية الالهاب وكأنما
 صيغت لقوتها من حجر لامن تراب فاذا قدفتها الى الاطيار قيل ويصعد من
 الارض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الا قتيل ولكن بالمشقة الذى

لا يجب في مثله قود فهي كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جود
السماء على اتم روسها (هذا الفصل) يشتمل على معاني غريبة منها قولي انها
لا تمكن من البطش الا حين تشاء ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ومنها
قولي ويصعد من الارض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعاني التي تبدع
بالنظر الى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب اذا افكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا
على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه الا ان القادر على
ذلك من اقدرة الله عليه فما كل خاطر حكيم ولا كل من أوحى اليه بكليم وفي
الاقلام هاشم بن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه في هذا الموضع) على طريق يسلك
الى شيء من المعاني المخترعة وهو ما استخراجته وانفردت باستخراجها دون غيري
فان المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة الى طريق يسلك فيها لان ذلك مما
لا يمكن ومن ههنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلم وافيه كما تكلموا في غيره
وكيف تتعبد المعاني المخترعة بغيره أو يفتح اليها طريق تسلك وهي تأتي من قبض
الهي بغير تعليم ولهذا اختص به بعض النادرين والناظمين دون بعض والذي
يختص به يكون فذا واحدا يوجب في الزمن المتطاوول ولما مارست أنا هذا
الفن أعنى فن الكتابة وقلبيته ظهر البطن وقتشت عن دقائقه وخباياه وأكثرت
من تحصيله وادته والاسباب الموصلة الى الغاية منه سخلى في شيء من المعاني
المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه
صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب وذلك أنه ترد
الآية من كتاب الله وأحاديث النبوى والمراد به ما معنى من المعاني فأتخذ
أنا ذلك وأنقله الى معنى آخر فيصير مخترعا لي وسأورد ههنا منه نبذة يسيرة يعلم
منها كيف فعلت حتى يسلك اليها في الطريق الذي سلكته (فن ذلك) قصة
أصحاب الكهف والرقيم فاني أخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر
ألا ترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشياء ذلك والشكر
كلمات يقال في التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب
فهو والشكر متمثلان والذي أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب الى
بعض المتعممين الخادم يشكر احسان المولى الذي ظل عنده مقبلا وغدا
بخطابه زعيما وأصبح يتواليا اليه مغرما كما أصبح له غريبا ولما تمثل في الاشتغال

عليه كه فاصدا وشكره فيه رقيما فانظر كيف فعلت في هذا الموضع لتعلم اني
قد فقت لك فيه طريقا تسلكه (وأما الحديث النبوي) فاني أخذت قصة قتلى
يدرس كأي جهل وعتبه وشيبة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم وقف على القلب الذي ألقاهم فيه وناداهم باسمائهم فقال
يا عتبة يا شيبة يا أباجه ل يا فلان يا فلان والحديث مشهور فلا حاجة الى استقصائه
والذي أنبت به في وصف القلم هو أني قلت واقد مرح القلم في يدي وحق له أن
يمرح وأبدع فيما أتى به وكل انا بالذي فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على
أعواد المنبر فلا ينتهي من خطبتها الى فصلها ويقف على جانب القلب الا أنه
لا ينادي من المعاني أباجه لها فالدواة قلب والقلم يقف عليه والمعاني التي ينشأها
من باب العلم لا من باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التي ذكرتها فانها الطيفة جدا
وهي مختصرة الى وهذا القدر كاف في طريق التعليم فليحذر حذوه ان أمكن
والله الموفق للصواب (وأما الضرب الآخر) من المعاني وهو الذي يحتذى
فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة
ولذلك قال عنتره * هل غادر الشعراء من مترم * الا أنه لا ينبغي أن يرمى
هذا القول في الازهان لئلا يؤيس من الترقى الى درجة الاختراع بل يقول
على القول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام

لازلت من شكري في حلة * لا بسم اذ وسلب فاخر

يقول من تفرع أوعاعه * كم ترك الاول للآخر

وعلى الحقيقة فان في زوايا الافكار خبايا وفي أبكار الخواطر سبايا لكن قد
تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر ان يتبع الاول وليته
تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح
البغدادي قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة والعراقيين بها
حناية وهم واصفون لها وممكنون عليها ولما تأملتها وجدت فيها قشورا لآل
تحتها الان غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا
أو كقول الأعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر أو آياتا وما بهذا تعرف
حقيقة الفصاحة حتى اذا وردت في كلام عرقنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقة
الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته في كتابه

قوله في حلة في الدوان في فحمة

أنه قال أما المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء وإنما اختص بها المحدثون
ثم ذكر للمحدثين معاني وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان
وهو غريب وتلك الأقوال التي خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا إليها فاما
أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب وأما أنه لم يقف على أقوال الناظمين
والناثرين ولا يجبر فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله أنه ليس
للعرب معنى مبتدع وإنما هو للمحدثين فبالتشعري من السابق إلى المعاني من
تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أورد ههنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره
وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازل تمثلت في القلوب فإذا عفت آثارها
لم تعف صورها من القلوب وأقول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من
آيات الحماسة

أني وإن نحر وأغدا مني * عند الجمار يؤدها العقل
لو بدأت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعالو
لعرفت مغناها بما ضمنت * مني الضلوع لاهلها قبيل
ثم جاء المحدثون من بعدهم فأنسحبوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام
وقفت واحشائي منازل للآسي * به وهو قفر قد تعفت منازل
(وقال البحتري)

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب
وقال المتنبي لك يا منازل في القلوب منازل * أقفرت أنت رهن منك أو اهل
وهذا المعنى قد تدأوله الشعراء حتى أنه ما من شاعر إلا ويأتى به في شعره (وكذلك)
ورد لبعضهم من شعراء الحماسة

أناخ اللوم وسط بني رماح * مطيته وأقسم لا يريم
كذلك كل ذي سفر إذا ما * تناهى عن دعايته بقيم
وهذان البيتان من آيات المعاني المبتدعة وعلى أثرهما مشى الشعراء
(وكذلك) ورد لبعضهم في شعر الحماسة
تركت ضائي نود الذئب راعيها * وأنها لا تراني آخر الأبد
الذئب بطرقها في الدهر واحدة * وكل يوم تراني مدية يدي
(وكذلك) ورد قول الآخر

قوم اذا ما جنا جانيهم موأمنوا • لاوم أحسابهم أن يقتلوا قودا
وكم للعرب من هذه المعاني التي سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ما ذهب
اليه من أن المحدثين هم المختصون بآية دواع المعاني أن أول من بكى على الديار
في شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدئ لهذه المعنى أولا وقد ذكره
امرؤ القيس في شعره فقال

عوجا على الطلل انخيل اعلنا • نبكي الديار كما بكي ابن حرام

وقد أجمع نفعه الاشعار أن لا مرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق
اليها ولا قبلت من قبله ويكفي من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب
السابقون بالشعر وزمانهم هو الاول فكيف يقال ان المتأخرين هم السابقون
الى المعاني وفي هذه الامثلة التي أوردتها كفاية في نقض ما ذكره ولو قال
ان المحدثين أكثر آية دواع الله ماني والطف مأخذا وأدق نظر المكان قوله صوابا
لان المحدثين عظم المالك الاسلامي في زمانهم ورأوا ما لم يره المتقدمون وقد قيل
ان الله افتتح اللهها وهو كذلك فان اتفاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة)
من متخاقي هذه الصناعة يحسمون همهم مقصورا على الافراط التي لا حاصل
وراءها ولا كبير معنى تحتها واذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان
من الغثاثة والبرديعة قد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك في أنه صار كاتباً مقلداً
واذا نظر الى كتاب زماننا وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذي يعيش في أيدي
الجهال الانحمار ولا يعلم أنه كجواد يعيش تحت حمار ولو أنه لاية طاول اليه الا أهله
لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرخ الذي اذا اعتقله حامله بين الصفيين
بان به المقدم من الناقص وقد أصبح اليوم في يد قوم هم أحوج من صبيان
المكاتب الى التعليم وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهي اليه سقم السقيم
وهؤلاء لا ذنب لهم لانهم لو لم يستخدموا في الدول ويستكتبوا والا ما ظهرت
جهااتهم وفي أمثال العوام لا تعمر الا حتى شيا فيظننه له وكذلك يجري الامر مع
هؤلاء فانهم استكتبوا في الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بامر حق واجب
(ومن أعجب الاشياء) أني لا أرى الاطامعا في هذا الفن مدعياله على خلقه
عن تحصيل آياته واسبابه ولا أرى أحدا يطعم في فن من الفنون غيره ولا يدعيه
هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهي اليه

ويحتوى عليه فسبحان الله هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب
أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فإذا كان العلم
الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله في سنة أو سنتين من الزمان لا يدعيه
أحد من هؤلاء فكيف يحسب إلى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته إلا في سنين
كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (ومما رأيت من المدعين) لهذا الفن الذين حصلوا
منه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفاظ المسجوعة الغثة التى لا حاصل
وراءها أنهم إذا أنكرت هذه الحال عليهم وقيل لهم إن الكلام المسجوع ليس
عبارة عن نواطى الفقر على حرف واحد فقط اذ لو كان عبارة عن هذا وحده
لا يمكن أكثر الناس أن يأثروا به من غير كثرة وانما هو أمر ورأى هذا وله شروط
متعددة فإذا سمعوا ذلك أنكروا وخلقواهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأثروا به
على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ المسجوعة لاحتاجوا إلى شرط آخر قد
نهت عليه في باب السجع وإذا أنكر عليهم لم الاقتصار على الالفاظ المسجوعة
وهدوا إلى طريق المعاني يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة
فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يهتموا بالمعاني اعتناء كم بها فلم يكفهم جهلهم فيما
ارتكبوه حتى ادعوا الاسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكر
ههنا) في الرد عليهم ما اذا تأمل الناظر في كتابنا عرف منه ما يؤتقنه ويذهب به
الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالالفاظ
فصلحها وتهذيبها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا
في نفوسها فأقول ذلك عنانيها بالفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها
وطريقها إلى اظهار أغراضها أصلها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك
أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام إذا كان
مسجوعا لئلا يسمع حفظه وإذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه في حالة السجع
فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا
أطرافها فلا تظن أن العناية اذ ذاك انما هي بالفاظ فقط بل هي خدمة منهم
للمعاني وتطهير ذلك ابراز صورة الحسناء في الحلال الموشية والاثواب المحببة فانا
قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذلة لفظه وسوء العبارة عنه
(فان قيل) اننا نرى من الالفاظ العرب ما قد حسنته وزخرفوه واسننا

نرى تحته مع ذلك معنى شريف فافهم ما جاء منه قول بعضهم
 ولما قضينا من معنى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ما مسح
 أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح
 ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقلته وتديج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس
 مدانياله ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحجج بيننا الطريق راجعين
 وتحذثنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ خسيصة المعاني
 (فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التثبيت به من لم ينعم النظر
 فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لخصاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن
 في قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل التسيب والرقه والاهواء
 والمقة ما لا يستفيد غيرهم ولا يشاركونهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن حوائج
 معنى أشياء كثيرة فتم التلاقي ومنها التشاكي ومنها التخلي للاجتماع الى غير
 ذلك مما هو تال له ومعه قد يكون به فكان الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي
 أو ماله وعقد غرضه عليه بقوله في آخر البيت ومسح بالاركان من هو ما مسح
 أي انما كانت حوائجنا التي قضيناها وآراينا التي بلغناها من هذا النحو الذي
 هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار في القربة من الله مجرا أي لم نتعد هذا
 القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح
 وأما البيت الثاني فان فيه أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وفي هذا ما نذكره
 لتعجب به وبمن عجب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا في أحاديثنا
 أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل التسيب فانه قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم
 علو قدر الحديث بين الالفين والجدل يجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول
 بعضهم وحديثي يأسعد عنهما فزدني * جنونا فزدني من حديثك يأسعد
 وقول الآخر وحديثها السهر الحلال لو أنه * لم يحجن قتل المسلم المتحسر
 فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا
 بأطراف الاحاديث فان في ذلك وحيا خفيا ورعا حلوا ألا ترى أنه قد يريد
 بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح
 والايحاء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون
 كشافا ومصارحة وجهرا وان كان الامر كذلك فعنى هذين البيتين أعلى عندهم

وأشدّ تقدماً في نفوسهم من لفظها وإن عذب ولذستهم نعم في قول الشاعر
وسالت باعناق المطى الأباطح من طائفة المعنى وحسنه ما لا يخفاه وسأبه
على ذلك فاقول إن هؤلاء القوم لما تحذوا وهم سائرون على المطايا شغلهم
لذة الحديث عن أمثال الأزمات فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من
يشمره وتغلبه الشهوة في أمر من الأمور ولما كان الأمر كذلك وارتخت الأزمات
عن الأيدي أسرع المطايا في المسير فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه
الأرض في سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذي لا ينعم
نظرة فيه لا يعلم ما اشتغل عليه من المعنى فالعرب إنما فهمت أن أفعالها وتزخر فيها
عناية منها بالمعاني التي تحتها فالألفاظ إذا خدم المعاني والمخدوم لا شدة أشرف
من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه (النوع الأول في الاستعارة) ولنقدم قبل
الكلام في هذا الموضع قولاً جامعاً فنقول اعلم أن للفصاحة والبلاغة أوصافاً
خاصة وأوصافاً عامة فالخاصة كالتهجيس فيما يرجع إلى اللفظ وكإطابقة فيما
يرجع إلى المعنى وأما العامة فكالسجع فيما يرجع إلى اللفظ وكالاستعارة
فيما يرجع إلى المعنى وهذا الموضع الذي نحن بصدده ذكره وهو الاستعارة كثير
الاشكال غامض الخفاء * وسأورد في كتابي هذا ما استخرجته ولم أسمع فيه قولاً
لغيري وكنت قد مت القول في الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص
بأثبات الجواز والرد على من ذهب إلى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأتت
الدليل على ذلك ولا حاجة إلى إعادته فهنا بل الذي أذكره هنا هو ما يختص
بالاستعارة التي هي جزء من المجاز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها
وميزتها عن التشبيه المضمحل والأداة والكلام في هذا يحتاج إلى إعادة ذكر الجواز
وإدخاله فيه ليتقرر ويتبين والذي أنشأه لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم
قسمين توسع في الكلام وتشبيهه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف
فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه
دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام
والأفكلهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق عليه اسم
الاستعارة لا شترأ كهما في المعنى وأما التوسع فانه يذكّر للتصريح في اللغة
لألفائدة أخرى وإن شئت قلت إن المجاز ينقسم إلى توسع في الكلام وتشبيهه

واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الاقسام الثلاثة فأيهما وجد كان مجازا
 (فان قيل) ان التوسع شامل لهذه الاقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى
 المجاز اتساع في الاستعمال (قلت في الجواب) ان التوسع في التشبيه والاستعارة
 جاء ضمنا وتبعيا وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها وأما القسم الاخر
 الذي هو لاتشبيه ولا استعارة فان السبب في استعماله هو طاب التوسع لا غير
 وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هي الاصل وإنما
 يعدل عن الاصل الى الفرع لسبب اقتضاه وذلك السبب الذي يعدل فيه عن
 الحقيقة الى المجاز اما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه في وصف من
 الاوصاف واما أن يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما أن يذكر المنقول
 والمنقول اليه معا واما أن يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول
 والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيها والتشبيه تشبيهان تشبيه مظهر الاداة
 كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمرا الاداة كقولنا زيد أسد وهذا التشبيه المضمرا
 الاداة قد دخله قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض وسأوضح
 وجه الخطا فيه وأحقق القول في الفرق بينهما ما تحققتا جلليا (فأقول) أما
 التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره هنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن
 نذكر التشبيه المضمرا الاداة الذي وقع فيه الخلاف فنقول اذا ذكر المنقول
 والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمرا الاداة قيل فيه زيد أسد أي كالاسد فأداة
 التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدر في الكلام الذي
 أظهرت فيه ولا تزال عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه
 دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه ومتى أظهرت أزيلت عن
 ذلك الكلام ما كان متصفا به من جنس فصاحة وبلاغة وهذا هو الاستعارة
 ولنضرب لك مثلا لنوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاً ان نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره عجل كالقضيبي وأبطأ
 ردق كالدعص وبين ايراده على هذا التقدير وبين ايراده على هيئته في البيت
 بون بعيد في الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمرا الاداة بحسن اظهار
 أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة

لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول اليه ويكتفى بذكر
المستعار الذي هو المنقول (فان قيل) لان سلم أن الفرق بين التشبيه وبين
الاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأدائه كالسكاف
وكان وما جرى مجراها فإلم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون
استعارة فاذا قلنا زيد اسد كان ذلك استعارة واذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك
تشبيها (قلت في الجواب) عن ذلك اذا لم يجعل قولنا زيد اسد تشبيها مضمرا لاداة
استحالة المعنى لان زيد ليس أسدا وانما هو ~~ك~~ الاسد في شجاعته فأداة
التشبيه تقدر ههنا ضرورة كي لا يسهل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا اذا لم
تقدر أداة التشبيه في الاستعارة استحالة المعنى لانا اذا قلنا يجعل القضيب
وأبطأ الدعص فإلم تقدر فيه أداة التشبيه والاستحالة المعنى (قلت في الجواب)
عن ذلك تقدير أداة التشبيه لا بد منه في الموضعين لكن يحسن اظهارها
في التشبيه دون الاستعارة وبجمله الامر أن ترى أداة التشبيه يحسن اظهارها
في موضع دون موضع فعلمنا أن الموضع الذي يحسن اظهارها فيه غير الموضع
الذي لا يحسن اظهارها فيه فسمينا الموضع الذي يحسن اظهارها فيه تشبيها
مضمرا لاداة والذي لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما علمنا ذلك لان تسمية
ما يحسن اظهارها أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهارها أداة
التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد اسد يحسن اظهار أداة التشبيه فيه
بأن نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وابطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا (فان قيل) اذا
أجرت اضممار أداة التشبيه وقدرت اظهارها في قولك زيد اسد أي كالاسد فحسن
نضمرا أيضا المستعار له ونقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر عجل القضيب وأبطأ
الدعص اضممار المستعار له وهو الة تدور الردف واذا أظهر قيل عجل قد كالقضيب
وابطأ ردف كالادعص ولا فرق بين الاضممارين فكما يسهل اضممار أداة التشبيه
في قولك زيد اسد فكذا يسهل اضممار المستعار له في قول الشاعر
(فالجواب عن ذلك) أني أقول نحن في هذا المقام واقفون مع الاستحسان لامع
الجواز ولو تأملت ما أوردته في أول كلامي بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا

الاعتراض هـ هنا فاني قلت التشبيه المضمحل الاداة يحسن اظهار الاداة التشبيه فيه
والاستعارة لا يحسن اظهار الاداة التشبيه فيها ولو قلت يجوز أولاً يجوز لورد
على هـ هذا الاعتراض الذي ذكرته وقد علم وتحقق أن من الواجب في حكم
الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعار له وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من
الحسن والرونق (ألا ترى) أنا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو

فأمطرت أولوا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
وجد عليه من الحسن والرونق ما لا يخفاه وهو من باب الاستعارة فإذا أظهرنا
المستعار له صرنا الى كلام غث وذلك أنا نقول فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عين
كالنرجس وسقت خذا كالورد وعضت على أنا مل مخضوبة كالعناب بأسنان
كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للامتثال واسع وهكذا يجري الحكم في البيت
المتقدم ذكره الذي هو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * بجعل القضيبي وأبطأ الدعص
فان هذا البيت لا يخفاه بما عليه من الحسن وإذا أظهر فيه المستعار له زال ذلك
الحسن عنه لا بل تبدل بضده وليس كذلك التشبيه المضمحل الاداة فانا إذا
أظهرنا أداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء إذا فرق بين قولنا زيد أسد وبين
قولنا زيد كالأسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلا عن
عالم والمعول عليه في تأليف الكلام من المنشور والمنظوم انما هو حسنه وطلاوته
فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن في الذي نورد في هذا الكتاب واقفون مع
الحسن لامع الجواز ثم لو تنزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن الى درجة
الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضممار أداة التشبيه ظاهر في قولنا زيد
أسد أي كالأسد وهو مضمحل واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها
فانه لا يضر فيه أداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعار له وحينئذ يكون فيه
اضماران أحدهما المستعار له والآخر أداة التشبيه وضممار واحد أي سر
من اضممارين أحدهما معلق على الآخر وإذا كان الامر كذلك فالفرق
بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون
الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فتأمل ما أشرت اليه وتدبره حتى تعلم أني ذكرت
ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه (وانما سمي هذا القسم) من الكلام

استعارة لان الاصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي
 هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيأ من الأشياء
 ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهم سبب معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من
 الآخر شيئاً واذا لم يكن بينهم سبب معرفة بوجهه من الوجوه فلا يستعير
 أحدهما من الآخر شيئاً اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار
 في استعارة اللفاظ بعضها من بعض فالشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من
 أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشئ المستعار من أحدهما الى
 الآخر (واعلم) أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه
 المضمرا لاداة معاباختلف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من
 تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالا (فما جاء منه) قول الجحترى
 اذا سقرت أضاءت شمس دجن * ومالت في التعطف غصن بان
 فلما قال أضاءت شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله
 أضاءت كأنه قال أضاءت هي وهذا تشبيه لان المشبه مذكور وهو الضمير
 في أضاءت الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت
 شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون
 الكلام مرتجلا ويكون البيت

اذا سقرت أضاءت شمس دجن * ومالت من التعطف غصن بان
 وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن في الاول دون الثاني
 (وأما القسم) الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لا غير مشاركة بين
 المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب
 صالح اذا توسع في الكلام مطلوب (وهو ضربان أحدهما) يرد على وجه
 الاضافة واستعماله قبيح لبعدهما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلحق
 بالتشبيه المضمرا لاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان
 ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة
 والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول
 أبي نواس
 يحج صوت المال بما * منك يشكو ويصيح
 فقوله يحج صوت المال من الكلام النازل بالمرّة ومراده من ذلك أن المال ينظم

من اهانته اياه بالتزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال
مسلم بن الوليد في هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لازال للمال والاعداء ظلاما
(وكذلك) ورد قول أبي نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فاضافة الرجل الى المال أقبح من اضافة الصوت (ومن هذا الضرب) قول أبي
تمام وكما أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد
فاضافة القد الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين
القد والقده وهذا دأب الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى أنه
يخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأخشاه (وكذلك) ورد قوله

بلونك أتما كعب عرضك في العلا * فعمال وأتماخذ مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخذ مالك مما يستقبح ويستفكر ومراده من ذلك أن عرضك
مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا
(وأما الضرب الآخر من التوسع) فإنه يرد على غير وجه الاضافة وهو حسن
لا عيب فيه وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى
السماء والارض من باب التوسع لانهما جاد والنطق انما هو للانسان لا للبهائم
ولامشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فابكت عليم-م
السماء والارض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم
فانه نظر الى أحد يومها فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فاضافة المحبة الى الجبل من
باب التوسع اذ لامشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جاد (وعلى هذا) ورد
مخاطبة الطلول ومساءلة الاحجار كقول أبي تمام

أميدان لهوى من اتاح لك البلى * فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبي الطيب المتنبي اثلث فانا أيم الطلل * نيبكي وترزم تحتنا الابل
فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأحجارا دارسة ولا وجه لها ههنا الامساءة الال
كالذى في قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وكل هذا توسع في العبارة
اذ لامشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال

قوله وكما أحرزت في الديوان وكما ملكن اه

أبو الطيب المتنبى في أمره الطلل بأن يكون ثالثاً له - ما أى الركب والابل وهذا
 واضح لا نزاع فيه - فاذ قد تبين وتحقق ما أنشئت اليه من هذا الموضع فالجواز
 لا يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذ احققنا
 النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمر اقياسهما في حل فرع على أصل
 لمناسبة بينهما وان كانا يفترقان بجدتهما وحقيةتهما (فأما حد الاستعارة) فقبيل
 انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان
 التشبيه يشارك الاستعارة فيه ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد أى كانه أسد
 وهذا نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما لاننا قلنا حقيقة الاسد الى
 زيد فصار مجازاً وانما قلنا لمشاركة بين زيد وبين الاسد في وصف الشجاعة
 والذي عندي من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ
 لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه لانه اذا احتراز فيه هذا الاحتراز
 اختص بالاستعارة وكان حد الها دون التشبيه وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء
 بالشيء مظهر او مضمرا وتجيء الى المشبه فتعير ما سم المشبه به وتجريه عليه مثال
 ذلك أن تقول رأيت أسدا وهذا كالبيت الشعر المتقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * بحل القضيب وأبطأ الدعص

فإن هذا الشاعر أراد تشبيه القتب بالقضيب والردف بالدعص الذي هو كشيء
 الرمل فترك ذكر التشبيه مظهرا ومضمرا وجاء الى المشبه وهو القتب فأعاره
 المشبه به وهو القضيب والدعص وأجراه عليه الآن هذا الموضع لا بدله من قرينة
 تفهم من خوى اللفظ لانه اذا قال القائل رأيت أسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان
 هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالاسد
 لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام
 بما أراد ألا ترى الى قول الشاعر بحل القضيب وأبطأ الدعص فانه دل عليه
 من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القتب والردف لان
 القضيب والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها وكذلك كل ما يجيىء
 على هذا الاسلوب لان المـ استعاره وهو المنقول اليه مطوى الذكر (وكنـ
 تصفت) كتاب الخصائص لابي الفتح عثمان بن جنى فوجدته قد ذكر في المجاز شيئا
 يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا لمعان ثلاثة

وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدت الثلاثة كانت الحقيقة البتة
 (فن ذلك) قوله تعالى فأدخلناه في رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما
 الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال أسماء الرحمة وأما التشبيه
 فانه شبه الرحمة وان لم يصح دخولها بما يصح دخوله وأما التوكيد فهو أنه أخبر
 عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعالى بالخبر عنه وتفخيم حاله اذا صير بمنزلة
 ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص
 (والنظر بطرق اليه من ثلاثة أوجه الاول) أنه جعل وجود هذه المعاني
 الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده ألا ترى أنه اذا
 وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا
 ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا
 لعدمه ألا ترى أنا اذا قلنا لا يوجد الانسان الا بأن يكون حيوانا ناطقا
 فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون
 انسانا وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشيء فان وجودها بوجوده
 وعدم واحد منها يوجب عدمه (وأما الوجه الثاني) فانه ذكر التوكيد والتشبيه
 وكلاهما شيئا واحدا على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك
 بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحتها التوكيد الذي هو اخبار
 عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده
 في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به لانه لا يوفق به في اللغة العربية للمعنيين أحدهما
 أنه يرد أبا فيما استقرى بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكاه وما أضيف اليها مما
 استقرى وهو مذكور في كتب النحاة وقد كفيت مؤنته الاخر أنه يرد على وجه
 التكرير نحو قام زيد قام زيد كثر اللفظ في ذلك تحقيقا للمعنى المقصود أي توكيدا
 والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحدهما من المعنيين
 المشار اليهما ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالاة في ابراز المعنى الموهوم الى
 الصورة المشاهدة فعبّر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة له في تعبيره واذا أراد به ذلك
 فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه
 (وأما الوجه الثالث) فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات
 والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه

أن يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهم جناح الذل زيادة في أسماء
الطيور وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسمها هو الذل وهكذا يجري الحكم
في الأقوال الشعرية كقول أبي تمام

لبست سواه أقواما فكانوا * كما أغفى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسمها هو الادمي وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل
والاتساع في المجال لا يقال فيه كذا وانما يقال هو أن تجري صفة من الصفات على
موصوف ليس أهلا لأن تجري عليه بعد ما يذنبه وينها كقول أبي الطيب المتنبي
اثنت فانا أيها الطائل * نبكي وترزم تحته الأبل

فانه أجري الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع في أساليب الكلام
للمناسبة بين الصفة والموصوف اذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان
ضربا من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك
تشبيها أو استعارة على ما أشرت اليه من قبل (وكنتم اطلعت) في كتاب من
مصنفات أبي حامد الغزالي رحمه الله ألفه في أصول الفقه ووجهه قد ذكر
الحقيقة والمجاز وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما وتلك الأربعة عشر ترجع الى
الثلاثة التي أشرت اليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا يخرج عنها
والتقسيم لا يصح في شيء من الأشياء الا اذا اختلف كل قسم من الاقسام بصفة
لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه * وسأورد ما ذكره وأبين
فساده (فالقسم الاول) من الاقسام التي ذكرها هو ما جعل للشيء بسبب
المشاركة في خاصية كقوله لهم للشجاع أسد وللبلبد حمار وهذا القسم داخل
في الاستعارة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا مثل أن يقول القائل رأيت أسدا
ومراده رجلا شجاعا أو رأيت حمارا ومراده رجلا بليدا ودخل في التشبيه
المضمرا لاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أي
كالأسد أو حمار أي كالحمار (القسم الثاني) تسمية الشيء باسم ما يؤل اليه
كقوله تعالى اني أراني أعصر خرا وانما كان يعصر عنبيا وهذا القسم داخل في
القسم الاول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة
لا بل أو غل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب و ليس الأسد من الرجل
ولا الرجل من الأسد (القسم الثالث) تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الانومة وتشوق * وتقر على رأس النخيل وما

فسمى الرطب تريا وهذا القسم والقسم الذي قبله سواء لان ههنا يسمى العنب
خرا وههنا يسمى الرطب تريا فالعنب أصل والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر
فرع وكلا هذين القسمين داخل في القسم الاول وهب أن الغزالي لم يحقق أمر
المجاز وانقسامه الى تلك الاقسام الثلاثة التي أشرت اليها ألم ينظر الى هذين
القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ويعلم أنهم ما شئ واحد لا فرق
بينهما (القسم الرابع) تسمية الشئ باسم أصله كقوله هم للآدمي مضغة وهذا
ضد القسم الذي قبله لان ذلك جعل الأصل فيه فرعاً وهذا جعل الفرع فيه أصلاً
وهو داخل في القسم الاول أيضاً (القسم الخامس) تسمية الشئ بدواعيه
كتسميتهم الاعتقاد قولاً لا شوق قولاً هم هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله أي
يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل في القسم الاول لان بين القول وبين
الاعتقاد مناسبة كالمنااسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر
(القسم السادس) تسمية الشئ باسم مكانه كقوله هم للمطر سما لانه ينزل منها
وهذا القسم داخل في الاول لصفة المنااسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو
النزول من عال وكل ما عللاً فأظلال فهو سماء على أن الاغلب على ظني أن هذا
القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسماء حقيقة فيه وليس من المجاز
في شئ (القسم السابع) تسمية الشئ باسم مجاوره كقوله هم للمزادة راوية وانما
الراوية الجمل الذي يحملها وهذا القسم من باب التوسع لامن باب التشبيه
ولامن باب الاستعارة لان على قياسه ينبغي أن يسمى الجمل زاملاً لانه يحملها
(القسم الثامن) تسمية الشئ باسم جزئه كقوله لمن تبغضه أبعد الله وجهه عنى
وانما تريد سائر جثته وهذا القسم داخل في القسم الاول وهو شبيه بتسمية الشئ
باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشئ باسم ضده كقوله هم للأسود والابيض
جون وهذا القسم ليس من المجاز في شئ البتة وانما هو حقيقة في هذين القسمين
معاً لانه من الاسماء المشتركة كقوله هم شمت السيف اذا سلطته وشتمه اذا أغمدته
فدل الشيم على الضدين معاً بالوضع الحقيقي وفي اللغة من هذا شئ كثير فكيف
يجعل هذا القسم من المجاز ولا شك أن الغزالي نظر الى أن الضدين لا يجتمعان
في محل واحد فقياس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد

كما أنهم لا يجتمعان في محل واحد (فان قيل) لأن سلم أن اللفظ المشترك حقيقة
 بالوضع في المعنيين مع الالان ذلك يخل ببناء اللفظ الذي هو البيان وانما هو حقيقة
 في أحد معنيتين مجاز في الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم
 الكلام عليه في الفصل الثاني من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذي يشتمل على
 آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هنالك فاني قد أشبعت القول فيه أشباعا
 لا مزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشيء بفعله كسمية الخمر مسكرا وهذا
 القسم داخل في القسم الاول وأي مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان
 الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد لانه يمكن أن يكون
 زيد ولا شجاعة ولا يمكن أن يكون خمر ولا اسكار ألا يرى أنهم لم تسم خمر الا
 لاسكارها فانها تخمر العقل أي تستره (القسم الحادي عشر) تسمية الشيء بكلمة
 كقولك في جواب ما فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا
 القسم لا ينبغي أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان
 القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضي والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا
 من أقرب أقسام المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضي والمصدر
 أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل في القسم الاول (القسم الثاني عشر)
 الزيادة في الكلام لغبر فائدة كقوله تعالى فيمارحمة من الله انت لهم فهاهنا
 زائدة لا معنى لها أي فيرحمة من الله انت لهم وهذا القول لا أراه صوابا
 وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة
 اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة وهذا غير موجود في الآية وانما هي دالة
 على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة الوجه الآخر أني لو سلمت أن ذلك
 من المجاز لانكرت أن لفظة ما زائدة لا معنى لها واسكنها وردت تفعيلا لا من
 النعمة التي لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهم وهي محض الفصاحة ولو
 عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها في كلام العرب كالذي
 يحكي عن الزباء وذلك أن الوضاح الذي هو جذية البرش تزوجها والحكاية
 في ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ضفرت الشعر
 من فوقه ضفيرتين وقالت اذات عروس ترى أمانه ليس ذلك من عوز المواس
 ولا من قلة الأواس ولكنه شيمة ما أناس فعني الكلام ولكنه شيمة أناس

وانما جاءت لفظة ماه هنا تفخيماً لثأن صاحب تلك الشجرة وتعظيماً لامره
ولو أسقطت لما كان للكلام ههنا هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك إلا أهله
من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالي رحمه الله تعالى فانه معذور عندي
في أن لا يعرف ذلك لانه ليس فنه ومن ذهب الى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى
له فإما أن يكون جاهلاً به هذا القول وإما أن يكون متسحفاً في دينه واعتقاده
وقول النحاة أن ما في هذه الآية زائدة فانما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن
العمل كما يسمونها في موضع آخر كافة أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله
كقولك انما زيد قائم فاقدر كفت أن عن العمل في زيد وفي الآية لم تمنع عن العمل
ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة (القسم الثالث عشر)
تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد
النبي أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل في القسم الاول
لأن النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هيئة مخصوصة والهبة
تمكينه من الشيء الموهوب على غير عوض فشاركت الهبة النكاح في نفس
التمكين من الوطء وان اختلفا في الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذي
لا يطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن
يكسب خطيئة أو انما نيرم به بريئاً أي شخصاً بريئاً وكحذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واستل القرية أي أهل القرية وهذا القسم
داخل في القسم الاول أما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلأن الصفة
لازمة للموصوف وأما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلانه دل
بالمسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام الجواز التي ذكرها
الغزالي رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع الى ثلاثة
أقسام هي التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث انتهت بي الكلام الى ههنا)
وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ما أردت بيانه فإني أتبع ذلك بضرب الامثلة
للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيد به ذكر الحد والحقيقة (فما جاء من
ذلك في القرآن الكريم) قوله تعالى في أول سورة ابراهيم صلوات الله عليه
الكتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور فالظلمات
والنور استعارة للكفر والايمان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر

كأنه قال لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور
 وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضا وقد مكر وامكروهم وعند الله
 مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول منه الجبال ليست
 من باب الاستعارة ولكنها في نصب تزول واللام لام كي والجبال ههنا استعارة
 طوى فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به
 من الآيات والمهجرات أي أنهم مكرروا مكرهم لكي تزول منه هذه الآيات
 والمهجرات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى
 والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يميمون وأنهم يقولون
 ما لا يفعلون فاستعار الاودية للفنون والاعراس من المعاني الشعرية التي
 يقصدونها وانما خص الاودية بالاستعارة ولم يستعرا الطرق والمسالك أو
 ما جرى مجراها لان معاني الشعر تستخرج بالفكرة والروية والفكرة والروية
 فيها خفاء وغموض فكان استعارة الاودية لها أشبه وأليق والاستعارة
 في القرآن قليلة لكن التشبيه المضمرة الاداة كثير وكذلك هي في فصح الكلام
 من الرسائل والخطب والاشعار لان طي المستعار له لا يتيسر في كل كلام
 وأما التشبيه المضمرة الاداة فكثير سهل لمكان اظهار المشبه والمشبه به معا
 (وما ورد من الاستعارة في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تستضيؤا بنار المشركين فاستعار النار للرأي والمشورة أي لا تهتدوا
 برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه
 دخل يوما مصلا ف رأى أناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر
 هاذم الذات لشغلكم عما أرى وهازم الذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر
 (وبلغني عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لامر حبابا للجبين مقرب
 أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر المستعار له (وكذلك بلغني
 عن الجاحظ بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدومه العراق في أول ولايته اياه
 والخطبة مشهورة من جملتها أنه قال ان أمير المؤمنين نثل كتابه وعجمها عودا
 عودا فرأى أصلها نجارا وأقومها عودا وأنفذها نصلا فقوله نثل كتابه
 وعجمها عودا عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا حتى
 اختباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفاتحة (وقد

جاءني من الاستعارة في رسائي) ما أذكر شيئا منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه
سأني بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان بهما واهما وكان أحدهما
يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسرته
أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال في أحدهما هذا أخطر وقد
هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف إذا حمل هوى
اثنين ومما شجبتني أنهما يتلوانان في أصباغ الثياب كما يتلوانان في فنون التحريم
والعتاب وقد استجدا الآن زبالا مزيدا على حسنهما في حسنه فهذا يخرج
في ثوب من حرة ختم وهذا في ثوب من سواد جفنه وما أدري من دلهما على
هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة الحب أهدي من حبيب وهذا الفصل بجملته
مما توأصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فلكقول مسكين
الداري من شعراء الحماسة

لما في لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه أن الحديث من القرى * وتعلم نفسي أنه سوف يجمع
فالغزال المقنع هنا استعارة للمرأة الحسنة (وكذا ورد) قول رجل من بني
يسار في كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسي حين حق زوالها * رويدك لما تشقى حين مشفق
رويدك حتى تنظري عم تجلي * نغمة هذا العارض المتألق
فالعارض المتألق استعارة للعرب أو الذي أطل به كروحه كالبارق المتألق
(ويحكي) أن امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر إلى قتال مصعب بن
الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظري عم تجلي وأنشد البيت
(ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رعبان المعروف بديك الجن

لما نظرت إلى عن حديق المها * وبسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف * وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في أثرى لك طائعا * وعزمت قبلك على دخول النار
وهذه الأيات لا تجد لها في الحسن شريكا ولأن يسمى قائلها شحروا أولى من
أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله

لا و مكان الصليب في الهرم * كن ومجري الزنار في الحمر

والحال في الحد إذا شبهه * وردة منك على ثرى تبر
وحاجب مذ خطه قلم الحسب * بحجر البهاء لا الحبر
والقوان بفضلك منتظم * على شبيهه من رائق الخمر
فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (ومما
ورد لآبي تمام) في هذا المعنى قوله

لما غدا منظم الاحشاء من أشر * أسكنت جانحتيه كوكبا قد
فالسكوكب استعارة للريح (وكذلك ورد قوله) في الاعتذار
أسرى طريق اللحياء من التي * زعموا وليس لرهبنة بطريد
وغدا تبين ما براءة ساحتي * لو قد انقضت تهائمى ونجودى
والتهائم والنجود هما استعارة مما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد
قوله كم أحرزت قضب الهندى مصلته * تهتم من قضب تهترى كشب
فالقضب والكشب استعارة للقود والارداف وكذلك ورد في هذه القصيدة
أيضا عند ذكر ملك الروم وانهم زامه لما فتحت مدينة عمورية فقال
ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحها من كثرة الحطب
فالحطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال
أحذى قرايينه صرف الردى ومضى * يحث أنجى مطايا من الهرب
موهكلا يفسح الارض يشرفها * من خفة الخوف لامن خفة الطرب
ان يعد من حرها عدو الظليم البيت وأحسن من هذا كله قوله

نطل الطلول الدمع في كل منزل * وتغسل بالصبر الديار الموائل
دوام لم يحف الربيع ربوعها * ولا تر في اغفالها وهوا غافل
بعضين من زاد العفاة اذا اتقى * على الحى ضرب الازمة التحامل
فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال
بعضين من قوم هم زاد العفاة (وله في الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة
والرقة وذلك في قصيدته التي مطلعها * ان عهد الوتعلمان ذميا * فقال
قدمرنا بالداروهى خلاء * فبكينا طلولها والرؤما
وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وما سالنا حكما
كنت أرعى النجوم حتى اذا ما * فارقوني أمسيت أرعى النجوم

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول الجحترى
وأغتر في الزمن البهيم محجل * قدرحت منه على أغتر محجل
والاغتر المحجل الاول هو الممدوح والاغتر المحجل الثاني هو الفرس الذي أعطاه
اياة (وكذلك) ورد قوله

وصاعقة في كفه تنكفي بها * على أروؤس الاعداء خمس سمائب
وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى
استعارته والمراد بالسمايب الخمس الاصابع (وكذلك) ورد في أبيات الحماسة
دلتود الكفر دكا * صاعق من وقع سيفك
أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر ركفك
(وكذلك) ورد قوله في أبيات يصف فيها السيف

جالت حمائله القديمة بقله * من عهد عاد غضة لم تذبل
وهذا من الحسن على ما يشهد لنقسه كأنه قال جلت حمائله سيفاً أخضر الحديد
كالبقلة (وعلى هذا الأسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي
في الخلدان عزم الخلد طر حبالا * مطر ترزيبه الخلدود محولا
وكذلك ورد قوله يتديبه في المفاضة ضيغم وأحسن من هذا قوله في قصيدته
التي مطلعها * عقي اليمين على عقي الوغى ندم

وأصحت بقرى هنزيط جائله * ترجى الطي في خصيب نبتة اللهم
فما تركن به خلداله بصر * تحت التراب ولا بازاله قدم
ولا هزبراله من درعه لبد * ولا مهاة لها من شبهها حشم
وهذا من المثلج النادر فان الخلد استعاره ان اختفى تحت التراب خائفاً والباز
استعاره لمن طار هارباً والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء
من السبايا (ومن هذا الباب قوله)

كل جريح ترجى سلامته * الاجري محادهته عيناها
تبل خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه ثايباها

والبيت الثاني من الايات الحسان التي تتوافت وقد حسن الاستعارة التي
فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (وبلغني عن أبي الفتح بن جني) رحمه الله أنه شرح
ذلك في كتابه الموسوم بالمفسر الذي ألفه في شرح شعر أبي الطيب فقال انها كانت

رد على ابن سنان وغيره في خطاهم الاستعارة بالتشبيه المضمر الاداة

تبرز في وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويضع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره وإذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد اليه الرحال فما يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب (وكذلك) ورد قول الشريف الرضي

إذا أنت أفنيت العرانيين والذرى * رمتك الليالي من يد الخامل الغمر
وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى * فن ليد ترميك من حيث لا تدري
فالعرانيين والذرى ما عظماء الناس وأشرافهم كأنه قال إذا أفنيت عظماء
الناس رمت من يد الخامل (واذ قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث
يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجيء الا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة
ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له
ولو طويت ولم يكن هنالك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها
ولم يكن المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى
قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الاداة ولم يفرق بينهما ما وتأسى في ذلك بغيره من
علماء البيان كابي هلال العسكري والغنمي وأبي القاسم الحسين بن بشر
الآمدي على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدما في فن
الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين شعر الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم
كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الاداة (ومما أورده ابن
سنان) في كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس في صفة الليل
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وما بكل كل

وهذا البيت من التشبيه المضمر الاداة لان المستعار له مذكور وهو الليل وعلى
الخطا في خلطه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ في الرد على الآمدي ولم يوفق
للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه بل أنزل
معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الآمدي
قال في كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد
وسطه وتناقل صدره وترادف اعجازه فلما جعل له وسطا تمتد او صدرا ثقيل
واعجازا رادفة لوسطه استعار له اسم الصلب وجعله متطيا من أجل امتداده

واسم الكل كل وجعله نائباً للتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان
 الخفاجي معترضاً عليه أن هذا الذي ذكره الأمدى ليس بمرضى غاية الرضا وأن
 بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فإن
 الأمدى قد أفصح بأن امرئ القيس لما جعل الليل وسطاً عمدت استعارته لاسم
 الصلب وجعله متمطياً من أجل امتداده وحيث جعل له آخر أو أول استعارته
 عجزاً وكل كلا وهذا كله انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلب انما يحسن من
 أجل العجز والوسط والتمطى من أجل الصلب والكل كل لمجموع ذلك وهذه
 استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه في الاعراض على
 الأمدى (وقيه تظرم وجهين الأول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة
 الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى
 وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعد الاستعارات وذلك أنه قسم
 الاستعارة الى قسمين قريب مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه
 وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح والبعيد مطرح اما أن يكون لبعده
 مما استعير له في الأصل أو لانه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك
 هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيم الاستعارة وإذا كانت الاستعارة
 المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطرح فكيف جعلها وسطاً هذا تناقض
 في القول (الوجه الثاني) أنه لم يأخذ على الأمدى في موضع الأخذ لأنه لم يختار
 الا ما حسن اختياره وذلك أن هذا الاستعارة على ما رآه الأمدى وابن سنان
 هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح
 في هذا الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكن في هذا الموضع
 أنزل معهم ما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما ما في بيت امرئ
 القيس وإذا حددنا الاستعارة بهذا الحد فيه يفرق على رأي ابن سنان بين
 الاستعارة المرضية والاستعارة مطرحه فإذا وجدنا استعارة في كلام ما
 عرضناها على هذا الحد فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول
 اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة وبيت
 امرئ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن لليل صدر أعنى أو لا
 ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار

لوسطه صلبا وجعله متطويا واستعار لصدره المتماثل أعنى أوله كالكلا وجعله ناقيا
واستعار لآخره عجزا وجعله رادقا لوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة
وأما قول ابن سنان الخفاجي أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة
مطرحة فإن في هذا القول نظرا وذلك أنه قد ثبت لنا أصل نقيس عليه في الفرق
بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن تنجي استعارة
مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة
المرضية فإنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بأنم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات
يقبني بعضها على بعض فالأولى استعارة القرية للأهل والثانية استعارة الذوق
للناس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث
من التناسب على ما لا يخفاء به فكيف يذم ابن سنان الخفاجي الاستعارة المبنية
على استعارة أخرى وما أقول أن ذلك شذذه إلا لأنه لم ينظر إلى الأصل
المتيسر عليه وهو التناسب بين المنقول عنه والمنقول إليه بل نظر إلى التقسيم
الذي هو قسمه في القرب أو البعد ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى
تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح وإذا كان الأصل انما هو التناسب فلا فرق
بين أن يوجد في استعارة واحدة أو في استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشباه
وتطائر في غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقي يقول في المقدمة والنتيجة كل
إنسان حيوان وكل حيوان نام فكل إنسان نام وكذلك يقول المهندس
في بعض الأشكال الهندسية إذا كان خط اب مثل خط ب وخ ط ب ح مثل خط ج د
نخط اب مثل خط ج د وهكذا أقول أنا في الاستعارة إذا كانت الاستعارة
الأولى مناسبة ثم بنى عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب
وهذا أمر برهاني لا يتصور إنكاره وهذا الكلام الذي أوردته ههنا هو اعتراض
على ما ذكره ابن سنان الخفاجي في الاستعارة فلا تظن أنني موافقه في الأصل وانما
موافقه قصده التبيين وجه الخطأ في كلامه وكيف يسوغ لي موافقته وقد ثبت
عندي بالدليل أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته
من الكلام كفاية (النوع الثاني في التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا

بين التشبيه والتشليل وجعلوا هذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهو ما شئ واحد
لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال شبهت هذا الشئ بهذا الشئ كما يقال مثلته به
وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت
القول في باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ولا حاجة الى اعادته ههنا
مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين) مظهر او مضمرا وفي المضمرا أشكال في تقدير
أداة التشبيه فيه في بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالأول) يقع
موقع المبتدأ والخبر مفردين (والثاني) يقع موقع المبتدأ المفرد والخبر جملة
مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين
(والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب
وهذان القسمان الأخيران هما أشكال الأقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه
(أما الأول) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره وإذا قدرت أداة التشبيه فيه
كان ذلك بيديه النظر على الفور فقل زيد كالأسد (وأما القسم الثاني والثالث)
فإنهما متوسطان في تقدير أداة التشبيه فيهما فالثاني كقول النبي صلى الله عليه
وسلم الكأفة جدرى الأرض وهذا يتنوع نوعين فإذا كان المضاف اليه معرفة
كهذا الخبر النبوي لا يحتاج في تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان
شئنا قدمناه وان شئنا أخرناه فقلنا الكأفة للأرض كالجدرى أو الكأفة
كالجدرى للأرض وإذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة
التشبيه فن ذلك قول البحترى

نعمام سماح لا يجب له حيا * ومعه حرب لا يضيع له وتر
فإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يستدرا لاهكذا والمبتدأ
في هذا البيت محذوف وهو الإشارة الى الممدوح كأنه قال هو غمام سماح
(ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن
كقول أبي تمام أي مرعى عين ووادي نسيب * طيبته الأيام في ملحوب
ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال
بأن العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاز السائمة بالمرعى فانه كان يشيب به
في الأشعار لحسنه وطيبه وإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى
ولتسبب منزلا ومألفا وإذا جاء شئ من الآيات الشعرية على هذا الأسلوب

أو ما يجري مجراه فانه يحتاج الى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فلك قول النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصادا أنتهم كأنه قال كلام الالسننة كحصاد المناجل وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكورا فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وانما ذكرت صفته وهي الحصد وكل ما يجي من هذا القسم فانه لا يرد الا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكال الاقسام المذكورة في تقدير أداة التشبيه فهما فالاية فطن لهما أنهما ما تشبيه (فما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه في هذا الموضع أن يقال هم في ايمانهم كالتبوء دارا أي أنهم قد اتخذوا الايمان مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه (وعلى هذا) ورد قول أبي تمام

نطقت مقلة الفتى الملهوف * فتشكت بفيض دمع ذروف

واذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أو قلنا العين الباكية كأنما تنطق بما في الضمير (وأما ما جاء من القسم الخامس) فيقول الفرزدق يهجو جريرا

ماضرت تغلب وائل أهجوتها * أم بليت حيث تناطح الجبران

فتشبه هجاء جرير تغلب وائل يؤوله في جمع البحرين فكأن أن البول في مجمع البحرين لا يؤثر شيئا فكذلك هجاء أوله القوم لا يؤثر شيئا وهذا البيت من الايات الذي أقره الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضا

قوارص تأتي بني وتحتقرونها * وقد يلا القطر الاناء فيفهم

فانه شبه القوارص التي تأتيه محتقرة بالقطر الذي يلا الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى أن الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيرا وهذا الموضع بشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول الجعفي في التعزية بولد تعز فان السيف يمضي وان وهت * جاتله عنه وخلاه قائمه

وهذا ليس من التشبيه وانما هو استعارة لان المستعار له مطوى الذكرو هو المعزى كانه قال تعز فانك كالسيف الذي يمضي وان وهت جاتله وخلاه قائمه (فان قيل) انك قدمت القول في باب الاستعارة بأن التشبيه المضمرا الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق

بين التشبيه المضمرا الاداة وبين الاستعارة وقررت ذلك تقرير اطويل اعريضاً ثم نزلت
 قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمرا الاداة ما يشكل تقديراً اداة التشبيه
 فيه وانه يحتاج في تقديرها الى تتركهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجري
 مجراها (فالجواب) عن ذلك اني أقول هذا الذي ذكرته لا ينقض على شيأ مما
 قدمت القول فيه في باب الاستعارة لاني قلت ان التشبيه المضمرا الاداة يحسن
 تقدير الاداة فيه أي لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بها من فصاحة
 وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت اداة التشبيه فيها تغيرت عن صفتها
 التي اتصفت بها من فصاحة وبلاغة وأما الذي ورد ههنا من بيتي الفرزدق وما
 يجري مجراه ما من التشبيه المضمرا الاداة فان اداة التشبيه لا تتقدر فيه وهو على
 حالته من النظم حتى يتبين هل تغيرت صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة أم لا
 وانما تتقدر اداة التشبيه فيه على وجه آخر وهذا لا ينقض ما أنثرت اليه في باب
 الاستعارة (واذا ثبتت هذه الاقسام الاربعة فأقول) ان التشبيه المضمرا يبلغ من
 التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة اداة
 فيكون هو اياه فانك اذا قلت زيد أسد كنت قد جعلته أسداً من غير اظهار اداة
 التشبيه وأما كونه أوجز فلحذف اداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين
 من المظهر والمضمرا كليهما في فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد
 أسد أن يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجرأة الاقدام
 وغير ذلك مما يجري مجراه الا أنالم نجد شيئاً يدل به عليه سوى أن جعلناه شبيهاً بالاسد
 حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف
 وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جري الجنان وأشباه ذلك لما قد
 عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به أعنى الاسد وأما زيد الذي هو
 المشبه فليس معروفاً بها وان كانت موجودة فيه وكلا هذين القسمين أيضاً يختص
 بفضيلة الایجاز وان كان المضمرا أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أو كلاً لا يسد
 مسد قولنا زيد من حاله كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما
 يطول ذكره فالتشبيه اذا يجمع صفات ثلاثة هي المبالغة والبيان والایجاز كما
 أريتك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل
 البلاغة وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة اما صورة واما معنى يعز

صوابه وتعمير الابداع فيه وقلما أكثر منه أحد الاثر كما فعل ابن المعتز من أدباء
العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهما أكثر من ذلك لاسيما في وصف الرياض
والانهار والازهار والثمار لاجرم انهما اتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك
الصواب فعليك أن تتوقى ما أشرت اليه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهي
أنك اذا مثلت الشيء بالشيء فانما تقصده اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به
أو بعينه وذلك أو كد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ألا ترى أنك اذا شبهت
صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعوى الى
الترغيب فيها وكذلك اذا شبهتها بصورة شئ أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس
خيالا قبيحا يدعوى الى التنفير عنها وهذا الانزعاج فيه ولنضرب له مثلا ليوضح
فنقول قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو

تقول هذا مجاج النحل غدحه * وان تعب قلت ذاق الزناير

ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحد بتصرف التشبيه المجازي المضمرا لاداة
الذي خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده تارة ويقبحه أخرى ولولا
التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما
أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجي مصدريا كقولنا اقدم اقدم الاسد
وقاض قبض البحر وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول أبي نواس في
وصف النحر

واذا ما من جوها * وثبت وثب الجراد * واذا ما شربوها * أخذت أخذ الرقاد
وقيل ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ومن
هنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له
فقلا هامة عليها من الغمامة عمامة وانملة خضها الاصيل فكان الهلال منها
قلامة وهذا الكاتب حفظ شيئا وغابت عنه أشياء فانه أخطأ في قوله انملة وأي
مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب في المناسبة بين ذكر
الانملة والقلامة وتشبيهها بالهلال (فان قيل) ان هذا الكاتب تأمى فيما ذكره
بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح
فمثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قد رنا مناظر حتى عاد
كالعرجون القديم فمثل الهلال بأصل عذق النخلة (فالجواب) عن ذلك أني

أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمسكة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال تو قد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفاتها وإضاءتها وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فإنها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار منيرة من قبل مصالحة الأنوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية (وأما الآية الأخرى) فإنه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك في هيئة نحوه واستدارته لا في مقداره فإن مقدار الهلال عظيم ولانسيبة للعرجون إليه لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فإن تشبيهه ليس على هذا النسق لأنه شبه صورة الحصن بأعملة في المقدار لا في الهيئة والشكل وهذا غير حسن ولا مناسب وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامه مع ذكر الاعملة فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه (والقول السديد) في بلاغة التشبيه هو ما ذكره وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الأصغر بالأكبر غير سديد فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح وتارة في معرض الذم وتارة في غير معرض مدح ولا ذم وإنما يأتي قصد اللابانة والإيضاح ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر كما ذهب إليه من ذهب بل القول الجامع في ذلك أن يقال إن التشبيه لا يعبه إذا لم يضرب من المبالغة فاقما أن يكون مدحا أو ذما أو بياناً وإيضاحاً ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة وإذا كان الأمر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة أفعل فإن لم تقدر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أننا نقول في التشبيه المضمرا لاداة زيد أسد فقد شبهنا زيداً بالأسد الذي هو أشجع منه فإن لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصاً إذ لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر لاداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لأن خلق السفن البحرية

كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك اذا شبه شئ حسن بشئ حسن فانه اذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس يوارد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا ينبغي أن يكون المشبه به أقبح وان قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح فتقدير لفظة أفعّل لا بد منه فيما يقصده بلاغة التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه (واعلم) انه لا يخلو تشبيه الشئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام اما تشبيهه بمعنى بمعنى كالذي تقدم ذكره من قولنا زيد كالأسد واما تشبيهه بصورة بصورة كقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون واما تشبيهه معنى بصورة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الاقسام الاربعة لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة واما تشبيهه بصورة بمعنى كقول أبي تمام

وقتك بالمال الجزيل وبالعدا * فتك الصباية بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية بفتك الصباية وهو فتك معنوي وهذا القسم أطف الاقسام الاربعة لانه نقل صورة الى غير صورة وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة المشار اليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا اما تشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما تشبيه مركب بمركب والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد يكون تشبيهه شئ واحد بشئ واحد والمركب تشبيه شئين اثنين بشئين اثنين وكذلك المفرد بالمركب والمركب بالمفرد فان أحدهما يكون تشبيهه شئ واحد بشئين اثنين والاخر يكون تشبيهه شئين اثنين واحد ولست أعني بقولي تشبيه شئين بشئين أنه لا يكون الا كذلك بل أردت تشبيه شئين بشئين فافوقهما كقول بعضهم في الخمر

وكأنها و كأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبه الحبيب الذي فوقها بالكواكب (واذينت) أن التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام الاربعة فاني أقول ان التشبيه المضمرة الاداة قد قدمت القول في أنه ينقسم الى خمسة أقسام فالقسم الاول لا يرد الا في تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثاني لا يرد الا في تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد الا في تشبيه مركب بمركب

والقسم الرابع والخامس لا يردان الا في تشبيه مركب بمركب ألا ترى أنا اذا قلنا
في القسم الاول زيد أسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد واذا قلنا في القسم الثاني
ما مثلنا به من الخبر النبوي وهو الحكمة جدرى الارض كان ذلك تشبيه مفرد
بمركب وكذلك بيت البحتري وبيت أبي تمام المشار اليهما قيمتا تقدم واذا قلنا في
القسم الثالث ما أشرنا اليه من الخبر النبوي أيضا الذي هو وهل يكب الناس
على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد أسنتهم كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا
قلنا في القسم الرابع والخامس ما مثلنا به من بيتي الفرزدق والبحتري كان ذلك
تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاء لشيء من التشبيه المضمحل
الاداة وهو من القسم الاول فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاء لشيء من القسم
الثاني فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب واذا جاء لشيء من القسم الثالث فاعلم أنه
تشبيه مركب بمركب وكذلك اذا جاء لشيء من القسم الرابع والخامس
فانهم ما من باب تشبيه المركب بالمركب ولترجع الى ذكر ما أشرنا اليه أولا في
تقسيم التشبيه الى الاربعة الاقسام الاخرى التي هي تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه
مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمركب (فالقسم الاول
منها) كقوله تعالى في المضمحل الاداة وجعلنا الليل لباسا فشبه الليل باللباس
وذلك انه يستتر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدوا وثباتا لعدو
أو اخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها
الا القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام
المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباسا هن تشبيه المرأة
باللباس للرجل وشبه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى
نساء وكم حث لكم وهذا بكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز الى الحقيقة والحرف
هو الارض التي تحث للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدرعا كما يزدرع
البذر في الارض (ومن هذا الاسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فشبه تبرأ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت
هو ادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك
أولى من أن لو قيل يخرج لان السلخ أدل على الالتحام من الانخراج وهذا تشبيه
في غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشبه انتشار

الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيأ فشيأ حتى
يحميه الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الجسم وتسرى فيضه حتى
تحميه الى غير حاله الاولى وأحسن من هذا أن يقال انه شبه انتشار الشيب باشتعال
النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه وفي عظم الالم في القلب به وأنه لم يبق بعده
الا الخود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشب به وذلك في الغاية
القصوى من التناسب والتلاؤم (وقد ورد في الامثال) الليل جنة الهارب وهذا
تشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمحل الاداة وعماء ورد منه شعرا
قول أبي الطيب المتنبي

واذا اهتز للندى كان بحرا * واذا اهتز للوغي كان نصلا
واذا الارض أظلمت كان شمسا * واذا الارض أمحلت كان وبلا
فحرف التشبيه ههنا مضمحل وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال
في البيت الثاني كان كأنه شمس وكان كأنه وبلا وهذا تشبيه بصورة بصورة وهو
حسن في معناه وكذلك ورد قول أبي نواس وهو في تشبيه الحبيب
فاذا ما اعترضته العيون من حيث استدارا
خلته في جنبات الشكاس واوات صغارا
وهذا تشبيه بصورة بصورة أيضا وقد أبرز هذا المعنى في لباس آخر فقال
واذا علاها الماء ألبسها * حبيباً تشبيهه جلاجل الجبل
حتى اذا سكنت جوامحها * كتبت بمنى أكارع النمل
(ومن هذا) قول البحترى

تبسم وقطوب في ندى ووغي * كالرعد والبرق تحت العارض البدر
وهذا من أحسن التشبيه وأقربه الا أن فيه اخلافا من جهة الصنعة وهي ترتيب
التفسير فان الاولى أن كان قد تم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال
كالبرق والرعد فانظر أيها المنتهي الى هذا الفن كيف ذهب على البحترى مثل هذا
الموضع على قربه مع تقدمه في صناعة الشعر وليس في ذلك كبيراً مرسوياً ان كان
قد تم ما أخر لا غير وانما يعذر الشاعر في مثل هذا المقام اذا حكم عليه الوزن
والقافية واضطر الى ترك ما يجب عليه وأما اذا كانت الحال كالتي ذكرها
البحترى فينبذ لا عذر له وسيأتي لذلك باب مفرد في موضعه من هذا الكتاب

ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحتري
 في معرك ضنك تخال به القضا • بين الضلوع اذا انحنى ضلوعا
 (ومن تشبيه المفرد بالمفرد قول أبي الطيب المتنبي)

خرجن من النقع في عارض • ومن عرق الركض في وابل
 فلما نشقن لقين السياط • بمثل صفاء البلاد الماحل

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ
 (وأما القسم الثاني) وهو تشبيه المركب بالمركب فما جاء منه مضمرا لاداة ما يروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو
 حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة الى ايراد ههنا على
 نصه بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم است
 عليك هذا وأشار الى لسانه فقال معاذ أو نحن مؤاخذون بما تكلم به فقال
 ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد
 ألسنتهم فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الالسنه وما
 تمضى فيه من الاحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تمصده النباتات من الارض
 وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم (وعما ورد منه)
 شعرا قول أبي تمام

معشرا أصبحوا حصون المعالي • ودروع الاحساب والاعراض

فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك أنه شبههم في منعهم المعالي
 أن ينالها أحد سواهم بالحصون في منعها من بها وجانيته وكذلك قوله دروع
 الاحساب (وأما المظهر لاداة) فما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا
 كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأك كل الناس والانعام حتى
 اذا أخذت الارض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا
 ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس فشبهت حال الدنيا في سرعة
 زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه
 حطاما بعد ما التف وتكاثر وزين الارض وذلك تشبيه صورة بصورة وهو
 من أبدع ما يجي في باب (ومن ذلك أيضا) قوله تعالى في وصف حال المنافقين
 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم

في ظلمات لا يبصرون تقديره ان مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أو قد نارا
 في ليلة مظلمة بمقازة فاستضاء بها ما حوله فأتى ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك اذ
 طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها
 واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في
 العذاب والنقمة (ومما ورد منه في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب
 ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل
 المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق
 الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظل لا ريح لها وطعمها مر وهذا من باب تشبيه
 المركب بالمركب ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القاري وهو
 متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالاترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح
 وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القاري وفي المنافق القاري والمنافق غير
 القاري (وقد جاء في شيء من ذلك) أو رده في فصل من كتاب أصف فيه البر
 والمسيرة قلت ولم أزل أصل الزميل بالزميل وألف الضمى بالاصيل
 والارض كالبحر في سعة صدره والمطايا كالجواري راكدة على ظهره فكان
 الركب منها ككنهم من الاكوار ومسيرهم فيها على كرة لا تستقر بها حركة
 الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول البصري

خلق منهم مورتد فيهم * وليته عصاية عن عصايه
 كالخسام الجرازي بقي على الدهر ويغني في كل حين قرايه

وكذلك ورد قول ابن الرومي

ادرك ثقاتك انهم وقعوا * في نرجس معه ابنة العنب
 فهم وجمال لو بصرت بها * سجت من عجب ومن عجب
 ربحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع الا أن تشبيه البصري أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن
 صورة مشاهدة وذلك انما استنبطه استنباطا من خاطره واذا شئت أن تفرق بين
 صناعة التشبيه فانظر الى ما أشرت اليه هنا فان كان أحد الشبيهين عن صورة
 مشاهدة والاخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذي هو عن صورة غير

مشاهدة أصنع واعمرى ان التشبيهين كليهما لا بد فيهما من صورة تحكى لكن
أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والاخر استنبطت له صورة لم تشاهد
في تلك الحال وانما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومي نظر الى النرجس
والى الخرفشبه وأما الجعترى فانه مدح قوما بأن خلق السماح باق فيهم سم يتقل
عن الاول الى الاخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأذاه فكره الى السيف وقربه الى
تقنى فى كل حين وهو باق لا يفنى بقناتها ومن أجل ذلك كان الجعترى أصنع
فى تشبيهه (وسأورده هنا من كلامى نبذة يسيرة ففى ذلك) ما كتبه من جملة
كتاب الى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو والكافر على ثغر عكا فى سنة خمس
وثمانين وخمسمائة فقلت وأحاط بها العدو وأحاطة الشفاء بالثغور ونزل عليها
نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت الى ذكر
قتال المسلمين اياه وازالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الاسلام
والكفر ابن شمام والتقى من عجاظهم ما ظلام وعند ذلك أخذ العدو فى التحيز
الى جانب وكان الحجاب على عين فصار كعين فى حجاب واذ تزعزع البناء فقد
هوى واذ اقبض من طرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه فى مناسبة
كالاول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان
فقلت وما شبهت كتابه فى وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب فى اقباله واعراضه
وكلا الامرين كالسهم فى ألم وقعه وألم نزعته والمشوق من استوت صباه
فى حالتى وصله وقطعه وما أزال على وجل من ارسال كتبه واحمامها واشتباها
لها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) فى الشعر قول بكر بن النطاح
تراهم يتظرون الى المعالى * كما نظرت الى الشيب الملاح
يحدثون العميون الى شذرا * كائن فى عيونهم سم السماح
وهذا بديع فى حسنه بليغ فى تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبى تمام
خلط الشجاعة بالحياة فأصبحا * كالحسن شيب لمغرم بدلال
وهذا من غريب ما يأتى فى هذا الباب وقد تغالت شبيعة أبى تمام فى وصف هذا
البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله
كم نعمة الله ~~كانت~~ عنده * فكأنها فى غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضائلت * كتضائل الحسناء فى الاطمار

قوله ولم تصدق الخ في الديوان فلم تصدق موثقه وان صحاح ابن ابي عمير

(وكذلك قوله)

صدفت عنه ولم تصدق مواهبه * عني وعاوره ظني فلم يحجب
كالغيث ان جثته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه بلج في الطلب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول علي بن جبلة

اذا ما تردي لامة الحرب اعدت * حشا الارض واستدى الرماح السوارع
واسفر تحت النقع حتى كانه * صباح مشى في ظلمة الليل طالع
وقد احسن علي بن جبلة في تشبيهه هذا اكل الاحسان وكشله في الحسن قوله
ايضا في تشبيه الحبيب فوق النهر

تري فوقها غشا للمزاج * تباذير لا يتصلان اتصالا
كوجه العروس اذا خططت * على كل ناحية منه خلا

(ومن هذا القسم) قول مسلم بن الوليد

تلقى المنية في امثال عذتها * كالسيل يقذف جلودا يجلود

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول العباس بن الاحنف

لاجرى الله دمع عيني خيرا * وجرى الله كل خير لسانى
ثم دمعى فليس يحكم شيئا * ووجدت اللسان ذا كتمانى
كنت مثل الكتاب اخفاء ماى * فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى ان ابانواس) لما دخل مصر ماد حاله الحبيب

جلس يوما في رهط من الادباء وتذكروا منازره بغداد فانشد مرثجلا

ذكر الكرج فازح الاوطان * فصبا صبوة ولات اوان

ثم اتم ذلك قصيدا مدح به الحبيب فلما عاد الى بغداد دخل عليه العباس بن

الاحنف وقال انشدني شيئا من شعرك بعصر فانشده ذكر الكرج فازح الاوطان

فلما استتم الايات قال له لقد ظلمك من ناواك وتختلف عنك من جارك وحرام

على احديته فوه بقول الشعر بعدك فقال له ابونواس وانت ايضا يا ابا الفضل

تقول هذا آلت القاتل لاجرى الله دمع عيني خيرا وانشد الايات ثم قال

ومن الذي يحسن ان يقول مثل هذا (ومن تشبيه المركب بالمركب) قول البحتري

جدة يذود البخل عن اطرافها * كالبحر يمنع ملحه عن مائه

وهذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

وترام في ظلم الوغى فتحاله * قرا يكثر على الرجال بكوكب
وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة والمجدوح
بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله
يمشون في زغف كان متونها * في كل معسكر متونهم
يض تسيل على السكة نصولها * سبل السراب بقفرة يبداء
فاذا الاسنة خالطتها خلتها * فيها خيال كواكب في ماء
فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنتا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت
الاول سياقة الى معناهما وهو من التشبيه الذي أحسن فيه البصري - وأغرب
(ومن هذا الباب) ما ورد لبعض الشعراء في وصف النحر فقال
كانت سراج أناس يهتدون بها * في سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز في الكأس من ضعف ومن هرم * كأنها قبس في صكف مقرر
وقد يندر لناظم أو الناثر شيء من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمده فوقها وهذا
البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ما سمعته في هذا الباب) قول الحسين بن
مطير يرقى معن بن زائدة

فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجرا مرثعا
(القسم الثالث) في تشبيه المفرد بالمركب (فما ورد) منه قوله تعالى الله نور
السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه
كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية
وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استنجاذا فقلت وهو
إذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجه وهم كالقوس الممتلى بتزع سهمه
ويرى أن صريحه لم يخب وأنه إذا لم يجبه بالسيف فكأنه لم يجيب فهو
مغري جواده وحسامه وسمع العدو صرير رمح قبل قعقة لحامه (وكذلك)
أيضا ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان أذم الفراق فقلت والفراق شيء
لا كالاشياء وصاحبه ميت لا كالاموات وحى لا كالحياء وما أراه الا
كأرق الله الموقدة التي تطلع على الاقداس وما يجعل صاحبها في ضحضاح
منها الا نوار المكتب التي تقيه بعض الوقاء وتقوم له وان لم يسبق مقام الاسقاء

(وأما ما ورد منه في الشعر) فكقول أبي نواس
 إذا امتحن الدنيا ليبي تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق
 (وكذلك) قول أبي تمام يصف قيده
 خذها مئة الف في ربه * لسوابغ النعماء غير كنود
 كالدر والمزجان ألف نظمه * بالشذ في عنق الفتاة الرود
 وكذلك ورد قول الجعفي وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف فيها
 الفرس والسيف وأولها * أهلا بذا لكم الخيال المقبل * فقال فيها من أبيات
 تضمنت وصف السيف بيتا أجاد في تشبيهه
 وكانما سود النمل وجرها * دبت بأيدي في قواه وأرجل
 فشبه فرس السيف بديب النمل سودها وجرها وذلك من التشبيه الحسن (وأما
 ما ورد منه هضمير الاداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن
 العزل فقال هو الواد الخفي وهذا تشبيه بليغ والواد هو ما كانت العرب
 تفعله في دفن البنات أحياء فجعل العزل في الجماع كالواد لأنه خفي وذلك
 أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع فانما يفعل
 ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الواد الصغرى
 وهذا من الحسن الى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهي الوصف اليها
 فيه كون ترك وصفها كوصفها (ومما جاء في من ذلك) فصل من جملة كتاب
 ضمنته وصف القلم فقلت جدع أنفه فصار في الكيد قصيرا وأرهف صدره
 فصار في المضاء مضيا شهيرا وقص لباس السواد وهو شعار الخطباء فنطق
 بفصل الخطاب ونكس رأسه وهي صورة الاذلال فاختلف في مشبه من
 الاعجاب وأوحى اليه بنجوى الخطوط وهو الاصم فافضى بسماعه الى الكتاب
 وهذه الاوصاف غريبة جدا ومن أغربها ذكر قصير عند جدع الانف
 (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة
 الى الاقسام الثلاثة وليس ذلك الا لعدم النظير بين المشبه والمثبه به وعلى
 كثرة ما حفظته من الاشعار لم أجدها أمثل به هذا القسم الامثالا واحدا وهو
 قول أبي تمام في وصف الربيع
 يا صاحبي تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور

تريانهارا مشمساً قد شابه * زهر الربا فكأنما هومة - مر
فتشبه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع
في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة (ولربما اعترض في هذا الموضع معترض)
وقال انك أوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فإن
تشبيه شيئين بشئ واحد كثير كقول أبي الطيب المتنبي

تشرق أعراضهم وأوجهم * كأنها في نفوسهم شيم
فتشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الجواب عن ذلك) اني أقول
هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني أردت أن يشبه
شيان هما كشيء واحد في الاشتراك بشئ واحد ألا ترى أن نور الشمس مع
بياض الزهر وهما شيان مشتركان قد شابه بضوء القمر وأما هذا البيت الذي
لأبي الطيب المتنبي فإنه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشئ واحد لانه
شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما أردت أنا
ليكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد يتقسم قسمين أحدهما تشبيه
شيئين مشتركين بشئ واحد كالذي أوردته لأبي تمام وهو قليل الاستعمال
والآخر تشبيه شيئين منفردين بشئ واحد كالذي ذكرته أنت لأبي الطيب المتنبي
وهو كثير الاستعمال (واذا ذكرنا أقسام التشبيه) وبيننا المحمود ومنها الذي ينبغي
اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلم يتبعه بضده مما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على أنه
قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به
فاذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذي يطرح
ولا يستعمل والذي يرد منه مضمر الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من أقسام
المجاز وهو التوسع وقد قدمت القول في ذلك في أول باب الاستعارة وضربت
له أمثلة منها قول أبي نواس

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا
فجعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى إعادة ذلك الكلام هنا بحملته
لكن قد أشرت اليه إشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبي تمام
وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنامه
وتركت للناس الاهاب وما بقي * من فرثه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني وكل هذا التعريف في التشبيه البعيد دندنة
حول معنى ايمس بطائل فان غرضه ان يقول ذهب بالا على وترك للناس الادنى
او ذهبت بالجيد وترك للناس الردي وقد عيب عليه قوله

لا تسقى ماء الملام فاني * صب قد استعذبت ماء بكائي

وقيل انه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما به هذا التشبيه عندي من باس
بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد
من وجه اما سبب قربه فهو ان الملام هو القول الذي يعنف به الموم لاهرجاء
وذلك مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى السقيا التي هي مختصة بالخلق كانه قال
لا تذقني الملام ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا ولكنه جاء
بذكر الماء فخط من درجته شيبا ولما كان السمع يتجرع الملام أولا أولا كيجرع
الخلق الماء صار كانه شبيه به وهو تشبيه بمعنى بصورة واما سبب بعده هذا التشبيه
فهو ان الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه
فهذا التشبيه ان يعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته
من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة ان
بعض أهل الجبالة أرسل الى أبي تمام قارورة وقال ابعث في هذه شيئا من ماء الملام
فأرسل اليه أبو تمام وقال اذا بعثت الى ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيئا
من ماء الملام وما كان أبو تمام ايد ذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه
ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسب وذلك
ان الطائر اذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الارض
والانسان أيضا جناح فان يديه جناحاه واذا اخضع واستكان طأطأ من رأسه
وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسباً
وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمحل
الاداة) من هذا الباب فقد أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله
فان ذكر المثل فائدة لا تكون لذكر الحدة وحده (فن ذلك) قول بعضهم
ملاحج بيلك الشيب حتى كانه * طبا بحت منها سنج وبارح
(وكذلك) قول الآخر يصف السهام
كساها رطب الریش فاعده لته * قد اح كاهناق الطبا الفوارق

فانه شبه السهام بأعناق الطيلاء وذلك من أبعاد التشبيهات وعلى فهو منه قول
الفرزدق يمشون في حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل
فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الحرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان
أراد الوادقلا مقاربة بينهم - حافي اللون لان لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك
سميت السيوف بالبعض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه مخيف
(ومن التشبيهات الباردة) قول أبي الطيب المتنبي

وجرى على الورق النجيع القاني • فكانت النار نج في الاغصان
وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم واذ اقيمت التشبيهات بعد البعد والبرد حاز
طريق ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبي نواس في الخمر

كان بواسار رواكد حواها • وزرق سنانير تدبر عيونها
(والعجب) أنه يقول مثل هذا الغث الذي لا ملامعة بينه وبين ما شبه به ويقرنه
بالبديع البارد الذي أحسن فيه وأبدع وهو

كأنما حلول بين كثاف روضة • اذا ما سلبناها مع الليل طينها
فانظر كيف قرن بين ورده وسعداته لا بل بين بعره ومرجانه وقد أكثر في تشبيه
الخمر فأحسن في موضع وأساء في موضع ومن أساءته قوله أيضا في أبيات لامية

واذا ما الماء واقعها • أظهرت شكلا من الغزل
لؤلؤات ينحدرون بها • كأنحدار الذر من جبل
فشبه الحب في انحداره بفعل صغار ينحدرون من جبل وهذا من البعد على غاية
لا يحتاج الى بيان وإيضاح (واعلم) أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس
وهو أن يجعل المشبه به مشبها والمشببه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع
على الاصول ولا تجد شيئا من ذلك الا والغرض به المبالغة (فما جاء من ذلك)
قول ذي الرمة

ورمل كارداف العذارى قطعته • اذا ألبسته المظلمات الحنادس
ألا ترى الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك أن العادة
والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكتبان الانقاء وهو مطرد في بابها فعكس
ذو الرمة القصة في ذلك فشبه كتبان الانقاء بأعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة
أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لا أعجاز النساء وصار كأنه الاصل - في شبهت

قوله كان بواسار رواكد حواها في الدويران ويحذر

به كتمان الانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول الجحترى
 في طلعة البدر شئ من محاسنها * وللقضيب نصيب من ثنائها
 وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها
 سقى المطيرة ذات الطل والشجر * فقال في تشبيه الهلال
 ولاح ضوء قيركا يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
 ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه هو الاصل وهو موضع من علم
 البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب
 الخصائص وأورده هكذا مهمل (ولما نظرت أنا في ذلك) وأنعمت نظري فيه
 تميز لي ما أذكره وهو أنه قد تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه أن
 يشبه الشئ بما يطلق عليه أقلية أفعال أي يشبه بما هو أبيض وأوضح أو بما هو
 أحسن منه أو أقيح وكذلك يشبه الأقل بالأكثر والادنى بالأعلى وهذا الموضع
 لا ينقض هذه القاعدة لأن الذي قد مرنا ذكره مطرد في بابيه وعليه مدار الاستعمال
 وهذا غير مطرد وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك أن تجعل المشبه
 به مشبها والمشبه مشبها به ولا يحسن في غير ذلك مما ليس بمتعارف ألا ترى
 أن من العادة والعرف أن تشبه الأجهار بالكتبان فلما عكس ذوارقة هذه القضية
 في شعره جاء حسنا لا تقا وكذلك فعل الجحترى فان من العادة والعرف أن يشبه
 الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس الجحترى القضية في ذلك
 جاء أيضا حسنا لا تقا ولو شبه ذوارقة الكتبان بما هو أصغر منها غير الأجهار لما
 حسن ذلك وهكذا الوشبه الجحترى طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير
 قدحها لما حسن ذلك أيضا وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال
 بالقلامة لأن من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا
 حسن عكس القضية فيه

(النوع الثالث في التجريد) وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد
 في الكلام حسن ثم سكت فسأله عن حقيقة فقال كذا سمعت ولم يزد شيئا
 فأنعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام فأنت في روعي أنه ينبغي أن يكون
 كذا وكذا وكان الذي وقع لي صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل إلى
 ما ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى وقد أوردته هنا وذكر ما أتيت به

من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي
 (فأما جد التجريد) فإنه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب
 نفسه لأن أصله في وضع اللغة من جردت السيف اذ انزعته من غمده وجردت
 فلانا اذ انزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لا مد ولا تجريد وذلك في
 النهي عند إقامة الحد أن يمد صاحبه على الأرض وأن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا
 المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملت فوجدت له فائدتين) أحدهما
 أباح من الأخرى (فالاولى) طلب التوسع في الكلام فإنه اذا كان ظاهره خطابا
 لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فإن ذلك من باب التوسع وأظن أنه شيء اختصت به
 اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهي الإبداع وذلك أنه
 يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ
 يكون مخاطبا بها غيره ~~ليكون~~ وأعذروا برأس العهدة فيما يقوله غير محجور عليه
 (وعلى هذا فإن التجريد ينقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والآخر تجريد غير
 محض (فالاول) وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك
 وذلك ~~كقول~~ بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحبيص بيص في مطلع
 قصيدته الامير الجهد في زى شاعر * وقد نخلت شوقا فروع المنابر
 كمت بعيب الشعر حلما وحكمة * ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
 أما وأبيك الخيرانك فارس السهم قال ومحبي الدارسات الغوابر
 وانك أعيت المسامع والنهي * بقولك عمافي بطون الدفاتر
 فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي
 يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعدما عده من الفضائل التامة
 وكل ما يجيئ من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ما قصد به التوسع خاصة)
 فكقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسيك باعدت * هنارك من ريا وشعبا كما معا
 فما حسن أن تأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصباية أسعيا
 وقد ورد بعده هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال
 وأذكر أيام الحسى ثم أنثى * على كبدي من خشية أن يصدعا
 بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمترعا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يرضى عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الاخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن يتقن عن نفسه سمعة الهوى ومعزة العشق لما في ذلك من الشهرة والغضاضة ~~مكن~~ قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولا الى خطاب النفس (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تعد الحال
وابرز الامر الذي نعمة فاجئة * بغير قول ونعمى القوم أقوال
وهذان البيتان من مطلع قصيدة يدح بها فاتكالاخشيدي بحصر وكان وصله
بصلة سنية من نثقة وكسوة قبل أن يدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي
من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياها بالصلة قبل
المدح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا
على تركبتها بالمديح كما ورد في الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع
لا غير (وأما القسم الثاني) وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك واتن
كان بين النفس والبدن فرق الا أنهم ما كانوا حاشي واحدا للاقعة أحدهما بالآخر
وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذلك أولى بأن يسمى تجريدا لان التجريد
لا تقى به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تحرد به عن نفسك شيئا وانما خاطبت نفسك
بنفسك ~~كما أنك~~ فصلتها عنك وهي منك (فما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة
أقول لها وقد جشأت وجاشت * رويدك فحمدى أو تستريحي
وكذلك قول الآخر

أقول للنفس نأساء ونعزية * احدى يدي أصابتني ولم تزد
وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطابا لغيرك كالأول وانما الخطاب هو الخطاب
بعينه وليس ثم شيء خارج عنه (وأما الذي ذكره أبو علي الفارسي رحمه
الله) فانه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كما منافيه كانه حقيقة
ومحصله فتخرج ذلك المعنى الى الفاضلها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو
بعينه نحو قولهم اثن اقيت فلانا لتلقين به الاسد واثن سألتك لتسألن منه البحر
وهو عينه الاسد والبحر لأن هنالك شيئا منفصلا عنه أو متميزا منه ثم قال وعلى

قوله ونعمى القوم في الدعوى ونعمى الناس

هذا اللفظ كون الانسان يخاطب نفسه حتى كانه يقاويل غيره كما قال الاعشى
وهل تطيق وداعا أيها الرجل وهو الرجل نفسه لا غيره هذا خلاصة ما ذكره
أبو علي رحمه الله (والذي عندي فيه) أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الاول لأن
الثاني هو التجريد ألا ترى أن الاعشى جرد الخاطب عن نفسه وهو يريد ها واما
الاول وهو قوله لئن اقيمت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لئسا أن منه البحر
فان هذا تشبيه مضمرا الاداة اذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه وبيان ذلك أنك
تقول لئن اقيمت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سألته لئسا أن منه كالبحر وليس
هذا بتجريد لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه وانما هو تشبيه مضمرا الاداة
ألا ترى أن المذكور هو كالاسد وهو كالبحر وليس ثم شئ مجرد عنه كما تقدم في
الايات الشعرية ويبطل على أبي علي قوله أيضا من وجه آخر وذلك أنه قال
ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقة ومحموله فتخرج
ذلك المعنى الى الفاظها مجردا من الانسان كانه غيره وهو هو كالمثال الذي مثله
في تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الاسد لترين
منه هضبة ولئن اقيمت لتلقين منه الموت فان الصورة التي أوردناها في الانسان
وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثله في الاسد فتخصيصه
ذلك بالانسان باطل وكلا صورتين ليس بتجريد وانما هو تشبيه مضمرا الاداة
وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخاطب على غيرك ولا يكون هو المراد
وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمرا الاداة بل المخاطب هو هو
لا غيره فلا يطلق عليه اذا امم التجريد لانه خارج عن حقيقة ومضاف لموضوعه
فاذا قال القائل لئن اقيمت لتلقين به كالاسد ولئن سألته لئسا أن منه كالبحر لم يجرد
عن المقول عنه شئ وانما شبهه تارة بالاسد في شجاعته وتارة بالبحر في سخائه وما
أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبي علي رحمه الله حتى خاطبه بالتجريد وأجراه مجراه
وأما قوله ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقة ومحموله
فأقول وغير العرب أيضا تعتقد ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى الانسانية
الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع فهاهنا من الشئ الغريب الخفي الذي
علمته العرب خاصة وانفردوا باستخراجه أبو علي رحمه الله وان عنى بالمعنى
الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء في المثال الذي ذكره حتى يشبه

هذا اللفظ كون الانسان يخاطب نفسه حتى كانه يقاويل غيره كما قال الاعشى

بالاسد تارة وبالبجر أخرى فليس الانسان مختصاً بهذا المعنى الكامن دون غيره من
الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الانسان ولهذا اذا
بواخ في وصف الانسان بالشجاعة شبهه بالاسد وكذلك في بعض الحيوانات من
السخاء ما ليس في الانسان ومن الامثال أكرم من دينك لانه اذا ظفر بجعبة من
الحنطة أخذها في منقاره وطاف به على الدجاج حتى يضعها في منقار واحدة
منهن قال اخلاق اذا مشتركة بين الانسان وبين غيره من الحيوانات غير أن
الانسان يجتمع فيه ما تفرق في كثير منها وما أعلم ما أراد أبو علي رحمه الله بقوله
أن في الانسان معنى كامناً فيه كانه حقيقة ومحصوله الآن يكون أحدهذين
القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة
والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال في حده
حيوان شجاع ولا سخي بل يقال حيوان ناطق فالنطق الذي هو الاستعداد
للعلوم والصنائع هو حقيقة الانسان فبطل اذا قول أبي علي رحمه الله في تمثيله
حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجه في كلامه من وجهين أحدهما
أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والاخر أنه أدخل في التجريد
ما ليس منه وهذا القدر كاف في هذا الموضع فليتأمل

(النوع الرابع في الالتفات) وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان
التي حوله ايدندن واليهاتس تند البلاغة وعنها يمنعن وحقيقة مأخوذة
من التفات الانسان عن عينه وشماله فهو يتقبل بوجهه تارة كذا وتارة
كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة
الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى
حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك
مما يأتي ذكره مفصلاً ويسمى أيضاً شجاعة العربية وانما سمى بذلك لان
الشجاعة هي الاقدام وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه
غيره ويتورده ما لا يتورده سواء وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة
العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام
القسم الاول في الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم
أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب

فوله على أن هذا الترتيب شاذ بكان

الالتفات

وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشري رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظ الالاصغاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال في الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظ الالاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع عيّل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا مأملا ولو سلمنا الى الزمخشري ما ذهب اليه لكان انما يوجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانين معا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصدا للتحذيق بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصدا لاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه جميعه لا يجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعا في موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بقرينة الفصاحة والبلاغة (والذي عندي في ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا فائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنهم لا يحدّد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فاقدرأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الا قول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى به على حسب الموضوع الذي ترد فيه وسأوضح ذلك في ضرب من الامثلة الاتي ذكرها فاما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فمكة وله تعالى في سورة الفاتحة الحمد لله رب

العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب ومما
يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد و اياك نستعين بعد قوله الحمد لله
رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة
الاترالى محمد نظيرك ولا تعبدوه فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد
لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة
التي هي أقصى الطاعات قال اياك نعبد و مخاطب بالعبادة اصراحيها وتقرى بامنه عز
اسمه بالانتهاء الى محدود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط
الذين أنعمت عليهم فاصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المقضوب عليهم
عطف على الاول لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر
الغضب جاء باللفظ منصرفا عن ذكر الغاضب فاستند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ
الغضب تحسنا ولطفنا فاقطر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني الشريفة التي
الاقدام لا تكاد تطوؤها والافهام مع قريها صالحة عنها وهذه السورة قد انتقل
في أولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من
الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب أيضا لان مخاطبة
الرب تبارك وتعالى باسم النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته
باسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من
القصاحة والبلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (ومن هذا
الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا وانما قيل لقد
جئتم وهو خطاب للعاشر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي
زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لخطئه وتنبه لهم على
عظم ما قالوه كانه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكر اعليهم ومو بخصالهم
(ومما جاء من الالتفات) مراراً على قصر متنه وتقارب طرفيه قوله تعالى أول
سورة بنى اسرائيل سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته انه هو السميع البصير فقال أول سبحان
الذي أسرى بلفظ الواحد ثم قال الذي باركنا بلفظ الجمع ثم قال انه هو السميع
البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الاول لكان سبحان الذي

أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي يارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفاً على أسرى فلما خواف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صبغة الى صبغة كان ذلك اتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام ولما قصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ما سخر لي فيه فأقول) لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذي أسرى اذ لا يجوز أن يقال الذي أسرى فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الاول بالثاني فقال باركنا ثم قال ليريه من آياته شأناً بذلك على نسق باركنا ثم قال انه هو عطا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركن فيهما ما غيره وتلك حال متوسطة تخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بهما يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط في هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض اني انا طوبى وما أكرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا وإنما ليست حفظاً ولا رجوماً فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهمته من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للعقيدة المكذوبة المعتقد بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة (ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى وما لى لأعبد الذى فطرني واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم لئلا يملطف بهم ويدارهم لان ذلك أدخل في المحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله وما لى لأعبد الذى فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذى فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرني

واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون
(فانظر) أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تتر عليها في آيات القرآن
الكريم وأنت تظن أنك فهمت خواها واستنبطت رموزها وعلى هذا
الاسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله
تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق
كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع
العليم والفائدة ههنا في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه وان لم
يكن ذلك صريحاً لكن مفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوى القرآن
الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الامثلة
المختصرة ليقاس عليها ما يجري على أسلوبها وقد ورد في فصيح الشعر شئ من
ذلك كقول أبي تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقدأكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالـكعاب الرود طلعة نائر * وبالعزم من الوجناء غيرة آتب
كان بها ضغنا على كل جانب * من الارض أوشق الى كل جانب
اذا العيس لاقت بي أباداف فقد * تقطع ما بيني وبين النواذب
هنالك تلقى الجود من حيث قطعت * ثمائه والمجد من نحي الذواذب
ألا ترى أنه قال في الاول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا
العيس لاقت بي مخاطبة لنفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة
المدوح والتعجب باسمه خاطب عند ذلك نفسه بمبشرها بالبعد عن المكروه
والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه الى
خطاب غيره وهو أيضاً خطاب لحاضر فقال هنالك تلقى الجود والفائدة بذلك أنه
يخبر غيره بما شاهدته كأنه يصف له جود المدوح وما لاقاه منه اشادة بذكره وتنويعها
باسمه وحملها لغيره على قصده وفي صفة جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة
وهي قوله حيث قطعت ثمائه ما يقتضي له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد

قوله وصارت لهم في نسخة من الديوان وصارت لها اشباحهم وفي أخرى فصار لهم اشباحها انتهى مصححه

بذلك أن محل الممدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو
أن هذا الجود قد آمن عليه الآفات العارضة لغيره من المآل والمطل والاعتذار
وغير ذلك إذا التأم لا تقطع إلا عن أمانت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول
أبي الطيب المتنبي في قصيد يمدح به ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في
ذلك اليوم حمل الهدايا إلى ملوكهم فقال في آخر القصيد

كثير الفكر كيف نهدي كما هـ * دت إلى ربك المليك عبادة
والذي عندنا من المال والحيـ * ل فخره هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهاراً * كل مهر مبداه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه * أربا لا يراه فيما يزاده
فارتبطها فان قلبنا غماها * مربوط تسبق الجياد جياده

وهذا من احسان أبي الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب إلى
الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص أسيانه بالاربعين دون غيرها من العدد
بجدة غريبة وهي أنه جعلها كعدد السنين التي يرى الإنسان فيها من القوة
والشباب وقضاء الاوطار ما لا يرام في الزيادة عليها فاعتذر بالطف باعتذار في
أنه لم يزد القصيد على هذه العدة وهذا حسن غريب (وأما الرجوع من الخطاب
إلى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل
مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين إنا أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي أنه
ذكر لغيرهم حالهم ليحجبهم منها كالخبراء هم ويستدعي منهم الانكار عليهم ولو قال
حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم
إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف
عن نقدة الكلام (ومما يخرط في هذا السلك) قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلنا راجعون الاصل في تقطعوا
تقطعتم عطفاً على الاول الا أنه حرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة
الاتفات كأنه ينعي عليهم ما أفندوه إلى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه
ويقول ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى فجعلوا أمر دينهم

فيما بينهم قطع ما وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن
 هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا (ومما يجرى هذا
 المجري) قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات
 والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
 بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل
 فآمنوا بالله وبني عطف على قوله اني رسول الله اليكم لكي تجرى عليه الصفات
 التي أجزيت عليه وايضا لم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص
 الموصوف بأنه النبي الاتي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا وغيري
 اظهارا للنصقة وبعد ان التعصب لنفسه فقد رأوا في صدر الآية اني رسول
 الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين
 الاول منهما ابراء تلك الصفات عليه والثاني الخروج من تهمة التعصب لنفسه
 (القسم الثاني في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل
 الماضي الى فعل الامر) وهذا القسم كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من
 صيغة الى صيغة طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط بل لامر وراء ذلك وانما
 يقصد اليه تعظيما لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفضيلا لامر وبإضافة
 من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الامر (فما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئنا بينة
 وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك
 بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله وأشهدوا أنني بري مما تشركون فانه انما
 قال أشهد الله وأشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له وبعنا لان اشهاد
 الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فها هو الاتهامون بهم
 ودلالة على قلة المبالة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف
 ما بينهما اوجى به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن ييس الثرى بينه وبينه أشهد
 على اني أحبك تكا به واستهانته بحاله وكذلك يرجع عن الفعل الماضي الى فعل
 الامر الا أنه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك توكيدا لما أجرى عليه فعل الامر
 لكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند
 كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط
 وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعناية بتوكيده

في نفوسهم فان الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالاخلاص الذي
 هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهذا قال النبي صلى
 الله عليه وسلم الاعمال بالنيات (واعلم) أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول
 عن صيغة من الالفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك
 وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على
 أسرارهما وقتس عن دقاتهما وما وائغضها طريقا (القسم الثالث في الاخبار
 ضروب علم البيان وأدقها فهمها وأغضها طريقا) (القسم الثالث في الاخبار
 عن الفعل الماضي والمستقبل وعن المستقبل بالماضي) فالأول الاخبار بالفعل
 المستقبل عن الماضي اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به في حالة الاخبار عن
 وجود الفعل ~~كان~~ ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي وذلك لان الفعل
 المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع
 يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه
 جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماضٍ يجار هذا المجرى وسأبين
 ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضي ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغي وهو
 اخبار عن ماضٍ بمستقبل وهو الذي أنا بصدد ذكره في كتابي هذا الذي هو
 موضوع لفصل ضروب الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغي وليس اخبارا
 بمستقبل عن ماضٍ وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماضٍ ويراد به
 أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يعض ~~ف~~ فالضرب الأول كقوله تعالى والله الذي
 أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميث فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك
 النشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذي أشرنا
 اليه وهو ~~حكاية~~ الحال التي يقع فيها اثاره الريح السحاب واستحضار تلك
 الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز
 وخصوصية كحال تستغرب أو تهتم الخطاب أو غير ذلك وعلى هذا الاسلوب
 ما ورد من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه في غزوة بدر فانه قال لقيت
 عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامة كاملة لا يرى منه الا عيناه
 وهو يقول أنا أبو ذات الكؤس وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ
 برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعققة فتقوله فاطعن بها في عينه وطأ برجلي

معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها
ما فعل من الاقدام والجرأة على قتل ذلك الفارس المستلثم ألا ترى أنه قال
أولاً لقيت عبيدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف
كلامه على أوله لقال فطعنت بها في عينه وعلى هذا ورد قول تأبطشراً
بأنى قد لقيت الغول تهوى • بشهب كالصحيفة صححان
فأضربهم ابلا دهش فخرت * صريعاً لبيدين وللجران
فانه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يصبرهم
أياها مشاهدة للتعجب من جرأته على ذلك الهول ولو قال فضربت بها عطفاً على
الأول زالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان الفعل الماضي أيضاً يتخيل
منه السامع ما يتخيله من المستقبل (قلت في الجواب) ان التخيل يقع في الفعلين معا
لكنه في أحدهما هو المستقبل أو كد وأشد تخيلاً لانه يستحضر صورة الفعل
حتى كان السامع ينظر الى فاعلهما في حال وجود الفعل منه ألا ترى أنه لما قال
تأبطشراً فأضربهم يتخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بأزاء الغول وقد رفع
سيفه ليضربهم وهذا لا يوجد في الفعل الماضي لانه لا يتخيل السامع منه الا فعلاً
قد مضى من غير احضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا الاختلاف
فيه وهكذا يجري الحكم في جميع الآيات المذكورة وفي الاثر عن الزبير رضى الله
عنه وفي الآيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضاً وهو ذلك ومن يعظم حرمات
الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من
الاولثان واجتنبوا قول الزور رحمنا الله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما
ختر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق فقال أولاً ختر من
السماء بلفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل الذي هو فتخطفه وتهوى وانما عدل
في ذلك الى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير اياه وهوى الريح به والفائدة
في ذلك ما أشرت اليه فيما تقدم وكثيراً ما راعى أمثال هذا في القرآن * وأما الضرب
الثاني الذي هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فانه
انما عطف المستقبل على الماضي لان كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفراً
ثانياً وصدتهم متجدد على الايام لم يحض كونه وانما هو مستقر يستأنف في كل حين
وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة

ان الله لطيف خبير ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ههنا الى المستقبل فقال
 فتصبح الارض مخضرة ولم يقل فأصبحت عطفا على أنزل وذلك لافادة بقاء أثر
 المطر زمانا بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الارض باق لم يمتض
 وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدوشا كراهه ولوقات فرحت وغدوت
 شاكرا له لم يقع ذلك الموقع لانه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع
 حسن ينبغي أن يتأمل (واما الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل) فهو عكس
 ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم
 يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده لان الفعل الماضي
 يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وانما يفعل ذلك اذا كان الفعل المستقبل
 من الاشياء العظيمة التي يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل
 المستقبل عن الماضي أن الغرض بذلك تبين هيئة الفعل واستحضار صورته
 ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض به ذاهو الدلالة على ايجاد الفعل الذي لم
 يوجد بعد فمن أمثلة الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله تعالى ويوم ينفخ
 في الصور فنفزع من في السموات ومن في الارض فانه انما قال فنفزع بلفظ الماضي
 بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لان الفعل
 الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك جاء قوله تعالى ويوم
 نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نقادر منهم أحدا وانما قيل
 وحشرناهم ماضيا بعد نسيرو ترى وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل
 التسمير والبروز ليشاهدوا تلك الاحوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك لان
 الحشر هو المهم لان من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك
 ذكر بلفظ الماضي (ومما يجرى هذا المجرى) الاخبار باسم المفعول عن الفعل
 المستقبل وانما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد سبق الكلام عليه
 (فمن ذلك) قوله تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع
 له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما آثر اسم المفعول الذي هو مجموع على الفعل
 المستقبل الذي هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه
 الموصوف به هذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم نجمة معكم
 ليوم الجمع فانك تعثر على صحة ما قلت (النوع الخامس في تو كيد الضميرين)

(ان قيل) في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحوف أي حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يعترضون اليه وانما يذكر عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك وأما أنا فاني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الامر النحوي وأعني بقولي تو كيد الضميرين أن يؤكدا المتصل بالمنفصل كقولك انك أنت أو يؤكدا المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكدا المتصل بمتصل مثله كقولك انك انك لعالم أو انك انك لجواد وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (ولنقدم في ذلك قولنا يحصره ويجمع أطرافه فنقول) اذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا في النفوس فأنت بالخيار في تو كيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ أن يؤكدا أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقرره وثبته (فما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمنزلة الى تو كيد ما هولهم بالضميرين اللذين هما ان يكون ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والاقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمنزلة أن كان قالوا اما أن تلقى واما أن تلقى لتكون الجملتان متقابلتين بحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله (واما تو كيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى في سورة الكهف فانطلقا حتى اذا اقبعا لاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الاولى فقال في الاولى ألم أقل انك وقال في الثانية ألم أقل لك انك وانما جيء بذلك للزيادة في مكاشفة العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان مانهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس انك تزيد في لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قيل في الملامة أولا ألم أقل انك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك انك وهذا موضع يدق عن العنور عليه ببادرة النظر

ما لم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمنفصل) فتحق قوله تعالى
 فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين
 ههنا في قوله انك أنت الاعلى أني للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة
 والقهر ولو حال لا تخف انك الاعلى أو قأنت الاعلى لم يكن له من التقرير
 والاثبات لاني الخوف ما لقوله انك أنت الاعلى (وفي هذه الكلمات الثلاث)
 وهي قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الاولى) ان المشددة التي من شأنها
 الاثبات لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيد قائم ففي قولك ان
 زيد قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم (الثانية) تكرير
 الضمير في قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان به هذه المكانية
 في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف في قوله الاعلى
 ولم يقل أعلى ولا عال لانه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحا لكل واحد من
 جنسه كقوله رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت
 الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته عالما فيهم وكذلك جاء قوله
 تعالى انك أنت الاعلى أي دون غيرك (الرابعة) لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل
 ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلولان الغرض من قوله الاعلى
 أي الاغلب الآن في الاعلى زيادة وهي الغلبة من عال (السادسة) الاستئناف
 وهو قوله تعالى لا تخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل
 عليه اتقاء الخوف عنه كقوله عالبا وانما اني الخوف عنه أو لابقوله لا تخف
 ثم استأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ في ايقان موسى عليه
 السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك في نفسه (وربما وقع لبعض الانحمار
 أن يعترض على ما ذكرناه) في توكيد أحد الضميرين بالاخر فيقول لو كان
 توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه
 حيث هو أولى بما هو أبلغ وأؤكد من القول وقد رأينا في القرآن الكريم
 مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله
 عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء
 وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ولم يقل انك أنت على كل شيء قدير
 فما الموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالاخر أبلغ من الاقتصار على

أحدهما (الجواب عن ذلك) أنا نقول قد قدسنا القول في أول هذا النوع
 أنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخير في تأكيد أحد
 الضميرين بالآلة خرقاً أن أكد فقد أتى بفضل بيان وإن لم يؤكّد فلان ذلك المعنى
 ثابت لا يفتقر في تقريره إلى زيادة تأكيد كهدم الآلة المشار إليها وهي قوله
 تعالى قل اللهم مالك الملك فإن العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر إلى تأكيد
 يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكداً كقوله تعالى وإذا قال
 الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال
 سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
 نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب فوكّد في هذه الآية ولم يؤكّد
 في الآية الأخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك وأما إذا كان المعنى المقصود غير
 معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى أن يؤكّد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله
 تعالى قلنا لا تحفانك أنت الأعلى فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالب للسحرة
 فلذلك وكّد خطابه بالضميرين ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه (وأما تأكيد
 المنفصل بمنفصل مثله) فكقول أبي تمام

لأنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى ونوات الاوطار

فقوله لأنت أنت ولا الديار ديار من الملمح النادر في هذا الموضع لأنه هو هو
 والديار الديار وانما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الاوطار زالت فبقى
 ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار
 وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

قبيل أنت أنت وأنت منهم * وجدك بشراً الملك الهمام

فقوله أنت أنت من تأكيد الضميرين المشار إليهما وفائدته المبالغة في مدحه
 ولو مدحه بما شاء الله لما سدمت قوله أنت أنت أي أنك المشار إليه بالفضل دون
 غيرك وأما قوله وأنت منهم فخارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق
 بتوكيد الضميرين كأنه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل
 يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم أمثل به اختياراً واستجدادة وانما مثلت
 به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والافاليت ليس من المرضى لأن سبكه
 سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت في كتاب الاغانى) لابي الفرج

ان عمرو بن ربيعة قال لزيد بن الهبولة يا خير القتيان اردد علي ما اخذته
 من ابل فردها عليه وفيها فخلها فثا زعه الفحل الى الابل فصمرعه عمرو فقال له
 زياد لو صرعت يا بني شيان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم فقال عمرو له
 لقد اعطيت قليلا وسميت جديلا وجررت علي نفسك وبلا طويلا فقوله لكنتم
 انتم انتم أي انتم الاشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ماجري هذا
 المجري الآن في انتم الثانية تخص بصلالهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال
 لكنتم انتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم من وصف
 البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعني انتم الثانية وهذا
 موضع من علم البيان تتكثر محاسنه فاعرفه (النوع السادس في عطف المظهر
 على ضميره والافصاح به بعده) وهذا انما يعمد اليه الفائدة وهي تعظيم شأن
 الامر الذي أظهر عنده الاسم المضمرا أولا ومثال ذلك قول القائل ولما تلاقينا
 وبنو عيم أقبلوا ونحن نأير كضون فرأينا منهم أسودا نكلنا تسابق الاسنة الى
 الورود ولا ترتد على أعقابها اذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو عيم
 علينا بجملته فلذنا بالقرار واستبقنا الى قولية الادبار فانه انما قيل وتناجد
 بنو عيم مصرحاً باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من
 اقدامهم عند الحلة ونباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أورد ذلك بقوله لذنا
 بالقرار واستبقنا الى قولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك القريسان المشاهير
 واليكامة المناكير وجملوا علينا حلة واحدة فوليها مدبرين منهم زمين (وعما جاء
 من ذلك) قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على
 الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
 الآخرة ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة مع
 ابتداءه مبدئاً في قوله كيف يبدئ الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف
 يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة والفائدة في ذلك أنه لما كانت الاعادة
 عندهم من الامور العظيمة وكان صدور الكلام واقعا عندهم في الابداء وقررهم
 أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذي
 لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فلللدلالة والتبسيه
 على عظم هذا الامر الذي هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبدئاً ثانياً وعلى

هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين اذا عجزتكم كثرته لكم فلم تغن عنكم
شيأ وضافت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنود الم ترها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين ألا ترى أنه قال أولا ويوم حنين اذا عجزتكم كثرته لكم فذكر مضرا
تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذي هو له وهو قوله ثم أنزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو أضمر كما أضمر الاول ليقيل ثم أنزل الله
سكينته عليكم وأنزل جنود الم ترها وفائدة الاظهار هنا للمعطوف بعد
اضماره أولا التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين أولان
الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفراق فأى الامرين قد ركان لاظهار المعطوف
مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فانه يستند الى فائدة يهتم ذكرها
فان لم يكن هناك مثل هذه الفائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك
جاء قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن بصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم ان هذا الاسحرميين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يزل وقالوا
كاذب قلنا لا دلالة على صدور ذلك من انكار عظيم وغضب شديد وتعجب
من كفرهم بليغ لاسيما وقد انضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في ذلك من المبادهة كانه قال
وقال أولئك الكفرة المتمرّدون بجراهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين
قبل أن يتدبروه ان هذا الاسحرميين وعلى نحو من ذلك ورد قوله تعالى ص
والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن
فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذور منهم وقال الكافرون هذا
ساحر كذاب وكان القياس أن يقال وقالوا هذا ساحر كذاب عطفنا على عجبوا
وانما أتى باسم الكافرين مظهرا بعد اضماره للاشعار بتعظيم ما اجترأ عليه
من القول في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أولان هذا القول كان أهم
عندهم وأرجح في نفوسهم فصرح باسمه فانه دلالة على ما كان في أنفسهم منه
(النوع السابع في التفسير بعد الابهام) اعلم أن هذا النوع لا يعود الى استعماله
الا لضرب من المبالغة فاذا جئ به في كلام فانما يفعله ذلك لتفخيم أمر المبهم

التي تليها

واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كتوله
تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصحين ففسر ذلك الامر
بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي ايهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر
وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان يهذه المكانة
من النخامة فان الابهام أولا يوقع السامع في حيرة وتفكير واستعظام لما قرع
سمعه وتشوق الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى
قال قد أوتيت سؤلك يا موسى واقدمنا عليك مرة أخرى اذا وحيانا الى أمك
مايوسى أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم ففسر ما يوسى بقوله أن اقدفيه
وهذا كالا قول في ايهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى في سورة
أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك
ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما في الاول من التنبيه والاشعار
بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل
أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه
بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك تثبت
ذكره بمجمل لاومفصلا فجعلته علما في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلا
جامعا للخصالتين جميعا فعليه بفلان (فان قيل) فما الفرق بين عطف المظهر على
ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمحلهم (فالجواب عن ذلك)
أنى أقول ان كان سؤالك عن فائدتهم فانهما في الفائدة سواء وذلك أنهم
انما يراد ان لتعظيم الحال والاعلام بفخامة شأنها وان كان سؤالك عن
الفرق بينهما فما في العبارة فاني أقول المضمحل ياتي بعد مظهر تقدم ذكره أولا
ثم يعطف المظهر على ضميره أى على ضمير نفسه كالمثال الذي ضربناه في بنى تميم
وأما التفسير بعد الابهام فان المبهم يقدم أولا وهو أن يذكر نبي يقع عليه محتملات
كثيرة ثم يفسر بإيقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على
ضميره (ونما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم
اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة
هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الامثاله ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال

أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذكر الدنيا وتصف غير شأنها ثم ثنى ذلك تعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة ~~كل~~ منها ما لينبسط عما يتلف وينشط لما يرتاف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع من الأعمال السيئة خوف المقابلة عليم أو المسارعة إلى الأعمال الصالحة رجاء الجازاة عليها وكذلك ورد قوله تعالى وأذيرفع إبراهيم المقواعد من البيت واسمعيلى فإنه انما قال القواعد من البيت ولم يقل قواعد البيت لما في إبهام القواعد أولا وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين مما ليس في الإضافة (وعما يجري هذا المجرى) قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب السموات فأطلع إلى إله موسى فإنه لما أراد تفخيم ما أطل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولا ثم فسر هانثانيا ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه عليه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشتوق إليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الأسلوب) ورد قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد فإنه قال أولا أعظكم بواحدة فأبهم الواحدة ثم فسرهابقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تفكروا وهذا في القرآن الكريم كثيرا الاستعمال (وأما الإبهام من غير تفسير) فكثير شائع في القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى وفعلت فعلتك التي فعلت وكذلك ورد قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أى للطريقة أو الحالة أو الملة التي هي أقومها وأسدّها وأى ذلك قدرت لم تجده مع الافصاح ذوق البلاغة التي تجده مع الإبهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا كقول القائل لو رأيت عليا بين الصفيين فإنه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات وإقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يتراعى إليه الوهم مع الإبهام وهذا للعارف بزموز هذه الصناعات وأسرارها (وعلى هذا الأسلوب) ورد قوله تعالى فغشهم من اليمّ ما غشهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى والمؤتفة كهوى فغشاها ما غشى فإنه قال في تلك الآية فغشهم من اليمّ

ما غشهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذي غشهم انما هو منه خاصة وقال في هذه
 الآية فغشاها ما غشى فأبهم الامر الذي غشاها به وجعله عاما وذلك أبلغ لأن
 السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأما ما جاء من ذلك شعرا فكقول البحتري
 بعيد مقبل الصدر لا يقبل التي • يحاولها منه الاريب المخادع
 فقوله التي يحاولها من الابهام المتقدم ذكره في الآية (ومما ينتظم بذلك)
 قول الشاعر في أبيات الحماسة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه • فلما علاه قال للباطل ابعن
 فقوله صبا ما صبا من الابهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفهيمه لم تجده من
 فضيلة البيان ما تجده مع الابهام (وعليه ورد) قول أبي نواس
 ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم • وأسمت سرح اللخط حين أساموا
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه • فإذا عصارة ~~كل~~ كل الذائما
 فقوله وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه من هذا الخط المشار اليه وهو من الملمح القادر
 (ومما يجري على هذا النهج) قول الآخر في وصف الحجر

مضى بها ماضى من عقل شاربها • وفي الزجاجة باق يطالب الباقي
 والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذي قبله (ومثله ورد) قول
 بعض المتأخرين فؤاد فيه ما فيه وعلى هذا ورد قول في فصل من تقليد لبعض
 الوزراء فقلت وأنت مؤهل لواحدة متخلقها غررا الجياد وتتادى بها العليا
 بلسان الاسجاد وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فأبسط يدك لاخذ كتابها
 واسمع لطيب ذكرها بعد سعيك في طلبها واعلم أن الخطاب اليها كثير لكنها
 صدت بك عن خطابها ولقد مضى عليها زمن وهي تفور حتى استقادها الآن
 تأنيبك ولم تسبق الاقدار باسمك الاتكون سليمانها وهي بقلبك وهذا
 الوزير كان اسمه سليمان فسقت المعنى اليه فجاء كما زاه من الحسن والطفافة
 وأما قولى وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف
 ما ورد في الآية المتقدم ذكرها لأن تلك من التفسير بعد الابهام (ومما ينتظم
 في هذا السلك) الاستثناء العددي وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وقائده
 أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو
 شبه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل

أعطيته مائة الا عشرة أو أعطيته ألفا الامانة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته
 تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث
 فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما لفائدة حسنة وهي
 ذكر ما ابتلى به نوح من أمته وما كابد من طول المصايرة ليكون ذلك تسلية
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من أمته وتثبيته فان ذكر رأس
 العدد الذي هو منتهى العقود وأعظمها وقع وأوصل الى الغرض من استطالة
 السماع مدة صبره وما لاقاه من قومه (النوع الثامن في استعمال العام في النفي
 والخاص في الاثبات) اعلم أنه اذا كان الشبان أحدهما خاصا والاخر
 عاما فان استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الاثبات وكذلك
 استعمال الخاص في حالة الاثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي (ومثال ذلك)
 الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب
 نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يوجب
 اثباتها اثبات الانسانية (ومما ينظم بذلك) الاسماء المفردة الواقعة على الجنس
 التي يكون بينها وبين واحداتها التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال
 واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها أبلغ (وكذلك يصل بهذا
 النوع) الصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذا لزم من وجود احدهما
 وجود الاخرى اکتفي بها في الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانه يجيء ضمنا وتبعاً
 أو أن يبدأ بها في الذكر أو لا ثم تجيء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه
 ينبغي أن يبدأ في الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها الى أن ينتهي الى
 آخرها هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكست القضية فالاول
 وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت
 ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لان
 ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث ان الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة
 فلما قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهب تلك الزيادة وبقا ما يسمى
 نورا لان الاضاءة هي فرط الانارة قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
 والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً فالغرض من قوله تعالى ذهب الله
 بنورهم انما هو ازالة النور عنهم أصلاً فهو اذا ازاله فقد أزال الضوء

وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد أذهب به وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به لأن الذهاب بالشئ هو استصحاب له ومضى به وفي ذلك نوع اختيار بالمذهب به وامسالك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الذهاب للشئ لزوال معنى الاختيار عنه (وعما يحمل على ذلك) الاوصاف الخاصة اذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذي أشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا في حالة الاثبات ولو أريد النفي لكان له أسلوب غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض (وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فهو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام قال الملأ من قومه انا لراى في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بي ضلالة ولم يقل ليس بي ضلال كما قالوا لاني الضلالة أبلغ من نبي الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فتلت في الجواب ما لي تمر وذلك أننى للتمر ولو قلت ما لي تمر لما كان يؤدى من المعنى ما أذاه القول الاول وفي هذا الموضع دقة تحتاج الى فضل تام فينبغي لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به (فان قيل) لا فرق بين الضلالة والضلال وكلاهما مصدر قولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذيلا لذلة (فالجواب) عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة أى مرة واحدة كما تقول ضرب يضر بضرية وقام يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة في هذه الآية انما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفي ما فوقها من المراتب والمرار الكثيرة (وأما الصفتان الواردتان على شئ واحد) فكقول الاشترا النحى

حلقت وفدى وانحرفت على العلى • واقبت أضيا فى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة • لم تحل يوما من نهاب نفوس
خيلا كما مثال السعالى شرما • تعدو ويبيض فى الكريمة شوس
حتى الحديد عليهم وفكا نه • لعمان برق أو شعاع شوس

ألا ترى أنه رقي في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال لمعان برق أو شعاع شمس
لأن لمعان البرق دون شعاع الشمس (ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم)
قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فأتى وجود
المواخضة على الصغيرة يلزم منه وجود المواخضة على الكبيرة وعلى القياس
المشار إليه أولاً فينبغي أن يكون لا يغادر ~~كبيرة~~ ولا صغيرة لأنه إذا لم يغادر
صغيرة فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة وأما إذا لم يغادر كبيرة فإنه يجوز أن يغادر
صغيرة لأنه إذا لم يعف عن الصغيرة فيقضى القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة
وإذا لم يعف عن ~~الكبيرة~~ فيجوز أن يعفو عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم
أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه
الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى) فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما لأن التأنيف أدنى درجة وقد تقدم قولي في أول هذا النوع أنه إذا
جاءت صفتان يلزم من وجود أحدهما وجود الأخرى أن يكتفى بذكرها دون
الأخرى لأن الأخرى تجبى ضمنا وتبعا وأن يبدأ بها في الذكر ثم تجبى الأخرى
بعدها وعلى هذا فيقال أولاً فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن إذا لم يقل لهما
أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندي حتى وجدت كتاب الله
تعالى قد ورد بخلافه وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات
المتعددة الواردة على شيء واحد) فكقول أبي عبادة الجعفي في وصف نحول
الركاب يترقرق كالسراب وقد خضت من غمار من السراب الجماري
كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

ألا ترى أنه رقي في تشبيه نحولها من الأدنى إلى الأعلى فشبها أولاً بالقسي ثم
بالأسهم المبرية وتلك أبلغ في النحول ثم بالأوتار وهي أبلغ في النحول من الأسهم
وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمال في مثل هذا الباب وقد أغفل كثير
من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبي في قوله

يأبدر يا بحر يا غمامة يا * أيت الشرى يا حمام يا رجل

وينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فإنه إذا فعل ذلك كان كما رفع من محل
إلى محل أعلى منه وإذا خالفه كان كالمختص من محل إلى محل أدنى منه فأتى قوله
يأبدر فإنه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا أيت

يا غمامة يا بحر يا حمام لأن اللبث أعظم من الرجل والبصر أعظم من الغمامة
والحمام أعظم من البحر وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة إلى منزلة
حتى ينتهي إلى المنزلة العليا آخرها ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله
ورد قول أبي تمام يفتخر

محمي أوس في الفخار وحاتم * وزيد القنا والازرمان ودافع

نجوم طوارق جبال قوارق * غيوث هوامع سبول دوافع

فإن السبول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما أخر لما اختل النظم

بأن قال سبول دوافع غيوث هوامع * جبال قوارق نجوم طوارق

وهذا عندى أشد ملامة من المتنبي لأن المتنبي لا يمكنه تقديم الفاظ بيته

وتأخيرها وأبو تمام ممكن من ذلك وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع

مع معرفته بالمعاني (النوع التاسع في التقديم والتأخير) وهذا باب طويل

عريض يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومنها ما وجدته في أقوال

علماء البيان وسأورد ذلك مبيناً (وهو ضربان) الأول يختص بدلالة اللفاظ على

المعاني ولوأخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى والثاني يختص بدرجة التقدم

في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولوأخر لما تغير المعنى (فأما الضرب

الأول فإنه ينقسم إلى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ والاخر

يكون التأخير فيه هو الابلغ (فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الابلغ)

فمكة تقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال

أو الاستثناء على العامل فن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا

ضربت وضربت زيدا فإن في قولك زيدا ضربت تخصيصاً بالضرب دون غيره

وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه

على أي مفعول شئت بأن تقول ضربت خالداً أو بكراً أو غيره ما وإذا أخرته

لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه كقولك زيدا قائم وقائم

زيد فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره وقولك زيدا قائم أنت بالخيار

في إثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا

يجرى الحكم في تقديم الظرف كقولك إن إلى مصير هذا الأمر وقولك إن مصير

هذا الأمر إلى فإن تقديم الظرف دل على أن مصير الأمر ليس إلا إليك وذلك

بجـ لاف قولك ان مصيره هذا الامر الى اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف
على غيرك فيقال الى زيد أو عمرو أو غيره ما وكذلك يجري الامر في الحال
والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشري رحمه الله ان تقديم هذه
الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذي عندي فيه
انه يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والاخر مراعاة نظم الكلام
وذلك ان يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا آخر المة تقدم ذهب ذلك الحسن
وهذا الوجه أبلغ وأؤكد من الاختصاص فأما الاول الذي هو الاختصاص
فحق قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أياها الجاهلون واقدأوصي اليك
والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله
فاعبد وكن من الشاكرين فانه انما قيل بل الله فاعبد ولم يقل بل اعبد الله لانه
اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل اعبد لجاز ايقاع
الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام
فحق قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقد ذكر الزمخشري في تفسيره ان التقديم
في هذا الموضع قصده الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على
الفعل للاختصاص وانما تقدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك
لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد واياك نستعين ألا ترى أنه تقدم قوله
تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فجاء بعد ذلك قوله اياك
نعبد واياك نستعين وذلك مراعاة حسن النظم السجى الذى هو على حرف النون
ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير
خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله
تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى وتقدیر
الكلام فأوجس موسى في نفسه خيفة وانما تقدم المفعول على الفاعل وقصص بين
الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصد التحسين للنظم وعلى هذا فليس كل
تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فيبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشري
وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان
تقديم الجحيم على الصلوة وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا أنه لم يكن
ههنا للاختصاص وانما هو لافضيلة السجعية ولا مراعى في أن هذا النظم على هذه

الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صالوه الجحيم (فان قيل) انما قدمت
 الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت لما زوقوا الفعل على غيرها كما يقال
 ضربت زيداً أو زيداً ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب) عن ذلك
 أن الدرك الاسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخص بالذ كردون الجحيم على
 ما ذهب اليه لانه أعظم وهذا لا يذهب اليه الا من هو بنحوه عن رموز الفصاحة
 والبلاغة واللفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها لانها جاءت
 ملائمة لنظم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير والظى وجهنم ولو وضع
 بعض هذه الاسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاقة والحسن ما للجحيم
 والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار اى صالوه النار وهكذا يقال في ثم في سلسلة
 ذرعهما سبعون ذراعاً فاسلكوه فانه لم يقدّم السلسلة على السلك للاختصاص
 وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل
 ثم اسلكوه في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً والكلام على هذا كالكلام على
 الذى قبله وله في القرآن تطاير كثيرة ألا ترى الى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
 منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
 والقمر قد رنأ منازل - قى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قد رنأ
 منازل ليس تقدير المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو
 من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس
 تجري فاقضى حسن النظم أن يقول والقمر قد رنأ ليكون الجميع على نسق
 واحد في النظم ولو قال وقد رنأ القمر من منازل لما كان تلك الصورة في الحسن
 وعليه ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما قدمت
 المفعول لمكان حسن النظم السجى (وأما تقديم خبر المبتدأ عليه) فقد تقدمت
 صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى
 وظنوا أنهم ما نعتمهم - حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن
 حصونهم تمنعهم أو ما نعتمهم لان في تقديم الخبر الذى هو ما نعتمهم على المبتدأ
 الذى هو حصونهم دليل على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها
 اياهم وفي تصويب ضميرهم اسمالات واسماء الجمله اليه دليل على تقريرهم
 في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض

وليس شيء من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدأ) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهي يا إبراهيم فإنه انما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله أراغب أنت ولم يقل أنت راغب لأنه كان أهم عندهم وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة إبراهيم عن آلهته وإن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال أنت راغب عن آلهي (ومن غامض هذا الموضع) قوله تعالى واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخته أبصار الذين ~~كفروا~~ فإنه انما قال ذلك ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخته لأمريين أحدهما تخصيص الأبصار بالشخص دون غيرها أما الأول فلو قال فاذا أبصار الذين كفروا شاخته لجاز أن يضع موضع شاخته غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخص بالابصار دون غيرها وأما الثاني فإنه لما أراد أن الشخص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانياً كأنه قال فاذا هم شاخته دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار إليهما لقال فاذا أبصار الذين كفروا شاخته لأنه أخصر بحذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لأن الالف واللام ههنا بمعنى الذي (وأما تقديم الطرف) فإنه إذا كان الكلام مقصوداً به الإثبات فإن تقديمه أولى من تأخيره وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الطرف دون غيره فاذا أريد بالكلام النفي فيجوز أن فيه تقديم الطرف وتأخيره وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به فإما تقديمه في النفي فإنه يقصده تفضيل المنفي عنه على غيره وإما تأخيره فإنه يقصده النفي أصلاً من غير تفضيل فإما الأول وهو تقديم الطرف في الإثبات فكذلك في الصورة المقدمة إلى مصير هذا الأمر ولو أخرت الطرف فقلت إن مصير هذا الأمر إلى لم يعط من المعنى ما أعطاه الأول وذلك أن الأول دل على أن مصير الأمر ليس إلا إليك وذلك بخلاف الثاني إذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الطرف على غيرك فيقال إلى زيد أو عمرو أو غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما

وما في الارض له الملك وله الحمد فانه انما تقدم الظرفين ههنا في قوله له الملك وله
الحمد ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بانه لا يغيره (وقد استعمل
تقديم الظرف في القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
أى تنظر الى ربها دون غيره فتقدم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو
كلاذى أشرت اليه في تقديم المفعول وأنه لم يقدّم للاختصاص وانما تقدم من
أجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة أحسن
من أن لو قيل وجوه يومئذ ناظرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر
وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا
روى فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف وفي القرآن واضع
كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى
وردت للاختصاص وليست كذلك ففهمنا قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق
وقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت
واليه أنيب فان هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وانما قدمت
لمراعاة الحسن في نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثانى وهو تأخير الظرف
وتقدمه في النفي) ففهمنا قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله تعالى
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما أخر الظرف في الاول لان القصد
في ايلاء حرف النفي الى ريب نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل
وكذب كما كان المشركون يدعون له ولو أولاه الظرف لقصد أن كتابا آخر فيه
الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول فتأخير الظرف يقتضى النفي
أصلا من غير تفضيل وتقدمه يقتضى تفضيل المنفى عنه وهو خير الجنة على غيرها
من جور الدنيا أى ليس فيها ما في غيرها من القبول وهذا مثل قولنا لا عيب
في الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول نفي للعيب عن الدار فقط والثانى تفضيل
لها على غيرها أى ليس فيها ما في غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا
الباب (وأما تقديم الحال) فكذلك جاء را بكازيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد
راكبا اذ يحتمل أن يكون صاحبا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) بخار
هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيدا أحد أو ما قام أحد الا زيدا والكلام
على ذلك كالكلام على ما سبق (وأما القسم الثانى) فهو أن يقدم ما الاول به

التأخير لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاطلة المعنوية وقد
قدمنا القول في المقالة الأولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاطلة تنقسم
قسمين أحدهما اللفظي والاخر معنوي أما اللفظي فذكرناه في بابها وأما
المعنوي فهو هذا بابها وموضعها وهو تقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف
وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه (فإن هذا القسم) قول بعضهم
فقد والشئ بين لي عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح
فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو مفعول يصيح ويصبح صفة لصرد على صرد
وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم
وانما يجوز وقوع المفعول بحيث يجوز وقوع العامل فكلا لا يجوز تقديم الصفة
على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها ومن هذا
التحوقول الآخر

فأصبحت بعد خطب جبتها * كان قفرا رسوما قلما
فانه قدم خبر صكان عليها وهو قوله خط وهذا وامثاله مما لا يجوز قياس عليه
والاصل في هذا البيت فأصبحت بعد جبتها قفرا كان قلما خط رسوما إلا أنه
على تلك الحالة الأولى في الشعر مختل مضطرب والمعاطلة في هذا الباب تتفاوت
درجاتها في القبح وهذا البيت المشار إليه من أقبحها لأن معانيه قد تداخلت
وركب بعضها بعضا (ومما يجري هذا المجرى) قول الفرزدق
إلى ملك ما أمته من محارب * أبوه ولا كانت كليب نسا هره
وهو يريد إلى ملك أبوه ما أمته من محارب وهذا أقبح من الأول وأكثر اختلالا
(وكذلك جاء قوله أيضا)

ولمست خراسان التي كان خالد * بها أسدا كان سيفاً أميرها
وحديث هذا البيت طريف وذلك أنه فيما ذكره خالد بن عبد الله القسري
ويجوأ أسدا وكان أسدا وإياها بعد خالد وكانه قال ولمست خراسان بالبلدة التي
كان خالد بها سيفاً كان أسدا أميرها وعلى هذا التقدير في كان الثانية ضمير
الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما أضافه إليه وهو أسد
عليها وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا يخفى به
وأيضا فإن أسداً أحد جزأى الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره إلا من

بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير
المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضا

وما مثله في الناس الا مملكا * أبواته حتى أبوه يشاربه

ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حتى يقاربه الاملكا أبواته أبوه وعلى هذا
المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من
التعاطل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لأن مثله لا يجي الامتكافا مقصودا
والا فاذ اترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيته وطبعها في الاسترسال
لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا
الضرب المشار اليه اذا المتصود من الكلام انما هو الايضاح والايانة وافهام المعنى
فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عنه ذلك
بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما واعلم أن هذا الضرب
من الكلام هو ضد الفصاحة لأن الفصاحة هي الظهور والبيان وهذا عار عن
هذا الوصف (وأما الضرب الثاني) الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر
لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصر وحد ولا ينتهي اليه شرح وقد أشرنا
الى تسمية منه في هذا الكتاب ليستدل بها على أشباهها ونظائرها (فن ذلك
تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما قدم
العبادة على الاستعانة لأن تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة انجح
لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك نعبد لكان
جائزا الا أنه لا يستدلك المستدل ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على النصف من
أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا
لنجي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناس كثيرا فقدم حياة الارض
واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلات حياة الارض هي
سبب حياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما
كانت الانعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس
لأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقي ما هو سبب غنائهم ومعاشهم
على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر على الاقل) كقوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفى منا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخبرات وانما قدم الظالم لنفسه للايدان بكثرة وأن معظم الخلق عليه ثم أتى
 بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل
 أعنى من المقتصدين فقدم الأكثر وبعده الأوسط ثم ذكر الأقل آخر اولو عكست
 القضية لكان المعنى أيضا واقعا في موقعه لانه يكون قد روعي فيه تقديم الأفضل
 فالأفضل (ولنوضح لك في هذا وأمثاله طريقا تقتضيه فنقول) اعلم أنه اذا كان
 شيان كل واحد منهما محتصا بصفة فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر
 كهذه الآية فإن السابق بالخبرات محتص بصفة الفضل والظالم لنفسه محتص
 بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس)
 قوله تعالى والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى
 على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فانه انما قدم الماشى على بطنه لانه أدل على
 القدرة من الماشى على رجلين اذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى ثم ذكر
 الماشى على رجلين وقدمه على الماشى على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث
 كثرت آلات المشى في الأربع وهذا من باب تقديم العجيب فالعجب (فان قيل)
 قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي ذكرته كقوله
 تعالى في سورة هود وما تؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا بإذنه
 فمنهم شقي وسعيد فآما الذين شقوا في النار ثم قال وآما الذين سعدوا في الجنة
 فقدم أهل النار في الذكر على أهل الجنة وهذا مخالف للاصل الذي أصلته في هذا
 الموضع (فالجواب عن ذلك) أن هذا الذي أشرت اليه في سورة هود وما أشبهه له
 أسرار تحتاج الى فضل تأمل وامعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان
 الكلام موقفا في ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاولين وما فعل
 الله بهم من التعذيب والتدمير كان الاليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى
 وهو ذكر أهل النار في أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة واذا رأيت
 في القرآن شيئا من هذا القبيل وما يجري مجراه فتأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين
 لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني
 ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المنضول مناسبا
 لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الأفضل فهو
 في موضعه من التقديم وان قدمت المنضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر

الشيء مع ما يناسبه أيضا وورد في موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وأنا إذا أذقنا
 الإنسان منارحة فرحهم أو ان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور
 لله ملك السماء والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء
 الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير فانه أعلم
 قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى
 وقران الانسان بنسبانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه
 ومشيئته وذكر قصة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء
 لا ما يشاءه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاءه الانسان
 ولا يختاره أهله والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
 ذكر البلاء ولما أخر ذكر الذكور وروهم أحقاه بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم
 لان التعريف تنويه بالذم كركائه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام
 المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من
 التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ولكن لما اقتضى آخر
 فقال ذكرانا وإناثا وهذه دقائق لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها
 (ومن هذا الباب) قوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
 ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
 مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فانه انما قدم الارض في الذكر على السماء
 ومن حقها التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الارض وأحوالهم
 ووصل ذلك بقوله وما يعزب لاهم بينهم ما يلي المعنى المعنى (فان قيل) قد جاء
 تقديم الارض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا
 جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقدمها من سبب اقتضاء وان خفي ذلك السبب
 وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض (النوع العاشر في الحروف العاطفة
 والجمارة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المعزى وما رأيت أحدا من علماء
 هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من
 الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور في كتب العربية جميعها ولست أعنى
 بإيراده ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه
 في الاعراب ولأن الجمارة تجر ما تدخل عليه بل أمر اوراء ذلك وان كان

المرجع فيه الى الاصل النعوى (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها فيجعلون ما ينبغي أن يجزّ بعلى بنى في حروف الجزوفى هذه الاشياء ذاتى أذكرها لك أما حروف العطف فتحو قوله تعالى والذي هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يعيتنى ثم يحيين قالوا عطفه بالواو التي هي للجمع وتقديم الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز ولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثانى بالفاء لان الشفاء يعقب المرض بلازمان خال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جىء فى عطفه بثم التي هي للتراخي ولو قال قائل فى موضع هذه الآية الذى يطعمنى ويسقين ويعرضنى ويشفين ويعيتنى ويحيين لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كعنى الآية اذ كل شئ منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعا للخلقة وملازماتها عطفه عليها بالفاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره فى بطن أمه وبين اخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره لان بين اخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفها بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يفتن لاستعماله كما ينبغي (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى فى قصة مريم وعيسى عليهما السلام فحملته فانتبذته مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفى هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الاخرى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره قلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فانها

عطف بالفاء وقد اختلف الناس في مدة جملها فقبل انه كان كعمل غيرها
من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة ايام وقيل اقل وقيل أكثر وهذه الآية
منزلة للخلاف لانها دلت صريحا على أن الحمل والوضع كاستقرار بين علي الفور
من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاء عادت عليه الآية
(ومما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحاشا ثم أنشأناه خلقا آخر ففي الآية المتيقن
ذكرها قال من نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له
ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله فبدأ
بالتلق الاوّل وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق
النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه
بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق
عطفه بثم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقه في هذه الآية بالفاء
وفي أخرى بثم وهي قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

في
الآية

(واعلم) أن في حروف العطف موضعا يلتبس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه
الى فصل تامل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء دون الواو وقد
يجي من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطى ظاهرا أنه كذلك الا أن معناه
يكون مخالفا لمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو لا بالفاء كقوله تعالى
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله أغفلنا قلبه ههنا بمعنى
صادقنا غافلا وليس منقولاً عن غفل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان
كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعا
وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقوله أعطيتهم فاخذوا دعوتهم فاجاب
ولا تقول أعطيتهم وأخذوا لدعوتهم وأجاب كما لا يقال كسرته وانكسر وكذلك
لو كان معنى أغفلنا في الآية صددنا ومنعنا لكان معطوفا عليه بالفاء وكان
يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان

العطف عليه بالواو فطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطع من فعل كذا وكذا يعنى تدأفعاله التى توجب
ترك طاعته فأعرف ذلك (وأما حروف الجر) فان الصواب يشذ عن وضعها
في مواضعها وقد علم أن في اللوعاء وعلى للاستعلاء كقوله هم زيد في الدار وعمر
على الفرس لكن اذا أريد الاستعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يشك
استعماله عدل فيه عن الاولى (فما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم
من السموات والارض قل الله وأنا اياكم لعل هدى أو في ضلال مبين ألا ترى
الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ههنا فانه انما خواف بينهما
في الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كانه مستعمل على فرس
جواديركض به حيث شاء وصاحب الباطل كانه منغمس في ظلام منخفض فيه
لا يدرى أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام وكثيرا
ما سمعت اذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الامور فيقول
له أنت على ضلالك القديم كما عهدك فيما تى بعلى في موضع في وان كان هذا
جائزا الا أن استعمال في ههنا أولى لما أشرنا اليه ألا ترى الى قوله تعالى
في سورة يوسف قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى)
انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فانه انما عدل عن الادم الى في في الثلاثة
الاخيرة للايدان بأنهم أرسخ في استحقاق الصدق عليهم عن سبق ذكره باللام لان
في اللوعاء فنبه على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في اللوعاء
وأن يجعلوا ظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخاص وتكرير
في في قوله وفي سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسياق
الكلام أن يقال وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جى
بني مرة ثانية وفصل بهابن الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أكد
في استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد الا في هذا الكلام
الشريف فأعرفها وقس عليها (النوع الحادى عشر في الخطاب بالجملة الفعلية
والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لان يجرى الامر فيه

على ما يجري مجراه فقط بل لان يقاس عليه مواضع أخرى مما مثاله وتشابهه
ولو كان شهما بعيدا وانما يعدل عن أحد الخطابين الى الآخر لضرب من
التاكيد والمبالغة (فن ذلك قولنا) قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد
معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد
بالقيام أيضا الآن في الثاني زيادة ليست في الاول وهي تو كيد به بان المشددة
التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها واذا زيد في خبرها اللام فقيم ان زيدا
لقائم كان ذلك أكثر تو كيدا في الاخبار بقيامه وهذا مثال ينبغي عليه
أمثلة كثيرة من غير هذا النوع (فما جاء من ذلك) قوله تعالى واذا قالوا
الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فانهم انما
خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحقة بان
المشددة لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على
اعتقاد الكفر والبعث من أن يزولوا عنه على صدق ورغبة وفور نشاط فكان
ذلك مئة بل منهم ورائجا عند اخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه
تكلفا واطهارا للايمان خوفا ومدا جاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأو كد
لفظ وأسد لما راجحهم عند المؤمنين الارواجا ظاهر الا باطنا ولأنهم ليس لهم
في عقائدهم باعث قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به
اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين آمنا وفي خطاب
اخوانهم انا معكم وهذه نسكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة
والبلاغة (ومما يجري هذا المجرى) ورود لام التوكيد في الكلام ولا يجي ذلك
الاضرب من المبالغة وفائدته أنه اذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه
جى باللام تحقيقا لذلك (فما جاء منه) قوله تعالى في أول سورة المنافقين اذا
جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبرات والاولى
وردت في قول المنافقين وانما وردت مؤكدة لانهم أظهروا من أنفسهم
التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوا له وبالغوا في التلق وفي باطنهم
خلافه وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام في الثانية
التصديق رسالته وفي الثالثة كذب المنافقين فيما كانوا يظهرونه

من التصديق الذين هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا ترتع ونلعب وإنا له لحافظون فإنه انما نجي باللام ههنا زيادة التوكيد في اظهار المحبة ليوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليبلغوا الغرض من أيهم في السماحة برسالة معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفرأيتم ما تخرجون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناهم حطاما ما فظلمت تفكهمون ثم قال أفرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل امكانا في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيرا ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة أحالتها الى الملوحة فلم يحتاج في جعل الماء العذب ملحا الى زيادة تأكيد فلهذا لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فأن جعله حطاما من الاشياء الخارجة عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن مخط من الله شديد فلهذا لم يدر بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجابه (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى وإنا لنحن فجي ونعت ونحن الوارثون فاللام في نحن هي اللام المشار اليها (وكذلك) ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولينصبن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا فان هذه اللام في قوله ليستخلفنهم ولينصبنهم وليبدلنهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته في نفوس المؤمنين وأنه كائن لا محالة (ومما يجري هذا المجرى في التوكيد) لام الابتداء المحقة لما يأتي بعدها **كقوله تعالى** اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فاللام في ليوسف لام الابتداء وقائدها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أي ان زيادة حبه اياهما أمر ثابت لا مرأ فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم) والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس لم ينتقص من المشيب قلامة * ولما بقي مني ألب وأكيس فتقوله ولما بقي مني تقديره وما بقي مني وانما أدخل على ما هذه اللام قصد التأكيد

المعنى لانه موضع يحتاج الى التاكيد ألا ترى أن قوة العزم في الشباب ولما
 أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وإنما يذم أتى باللام لتؤكد
 ما قصده من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من أبيات الحماسة
 أنا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفه العدو والأصميد
 ومقى نجد يوم ما فساد عشيرة * فصلح وان نر صالحا لا نفع سد
 وهذا كثير ساغ في الكلام لأنه لا يتأتى لما كان العناية بما يعبر به عنه ألا ترى
 الى قول الشاعر أنا لنصفح عن مجاهل قومنا فإنه لما كان الصفع مما يشق على
 النفس فعله لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان أكد باللام تحقيقه قاله فان
 عرى الموضع الذي يؤتى فيه به هذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها وما يجري
 مجراها فان ورود اللام فيه اغير بسبب اقتضاه وأكثرت استعمال هذه اللام في
 جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك في الايجاب دون النفي لانها
 لا تستعمل في النفي ألا ترى أنه لا يقال والله لا لاقت وإنما يقال والله لاقت لكن
 في الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لا قوم فان أضيف
 اليها النونان الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ في التاكيد كقولك والله لا قوم من
 وعلى ذلك وردت الآية المقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
 وعملوا الصالحات وان لم يكن جواب القسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة
 في التاكيد وهما تأكيديان أحدهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون
 الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما يقصد به التاكيد (فما
 جاء منها) قول البحترى في معاتبة الفتح بن خاقان

هل تحلين الى عطفتك موقف * ثبت لديك أقول فيه وتسمع
 ما زال لي من حسن رأيك موئل * آوى اليه من الخطوب ومفرع
 فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * نحوى جناب الكاشحين تطلع
 وأقام يطمع في ضم جانبي * من لم يكن من قبل فيه يطمع
 الا يمكن ذنب فعذلك واسع * أو كان لي ذنب فعذلك أوسع
 وهذه أبيات حسنة مليحة في بابها يحكى بها حر الصدود ويستقال بها صعر
 الحدود وإنما ذكرتها بجملة المكان حسنها والبيت الاول هو المراد ألا ترى أنه
 قال هل تحلين الى عطفتك موقف فالنون جاءت قصد التاكيد وهو في هذا المقام

متن فأحب أن يؤكده هذه الامنية وكل ما يجي من هذا الباب فانه واقع هذا
الموقع واذا استعمل عبثا الغير فائدة تقتضيه فانه لا يكون استعماله الا من جاهل
بالاسرار المعنوية وأما ما ينسب به النحاة في قول القائل والله لا قوم من فانه منال
نحوي يضرب للجواز والافاد قال القائل والله لا قوم من وأكده كان ذلك
لغو الا انه ليس في قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى
التأكيدي بل لو قال والله لا قوم من اليك مهتداله لكان ذلك واقعا في موقعه فافهم
هذا وقس عليه (النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد
ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أورده أنا ولا نبيه على
ما نهت عليه من النكت التي تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامه
(فأقول) أعلم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر
منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أو لا لأن اللفظ أدلة على
المعاني وأمثلة للإبانة عنها فاذا زيد في اللفظ أوجببت القسمة زيادة المعاني
وهذا النزاع فيه ابيانه وهذا النوع لا يستعمل الا في مقام المبالغة (فن ذلك)
قوله هم خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير
العين وزيادة الواو نحو فعل وافعل وكذلك قولهم أعشب المسكان فاذا رأوا
كثرة العشب قالوا اعشوشب (ومما ينتظم بهذا السلك) قدر واقدر فمعنى اقدر
أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فقدره هنا
أبلغ من قادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر
الا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة فان المقتدر أبلغ في البسطة من
القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقدر وقادرا اسم فاعل من قدر ولا
شك أن اقعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبي نواس

فعفوت عن عفو مقتدر • حات له نعم قالها

أي عفوت عن عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن امضاء قدرته وأمثال
هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا فان غفارا أبلغ في المغفرة من غافرا لان فعلا لا يدل على كثرة
مسدور الفعل وفاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فالتواب هو الذي تكثر منه التوبة مرة على مرة وهو

ففعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب
فهو تائب أى صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قبل تواب كان صدورا للتوبة
منه مرارا كثيرة وهذا وما يجري مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد
ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه
نحو قوله تعالى فكذبك بما فيه اهـم والغاؤون فان معنى كذبكوا من الكذب وهو
القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لانه
موضع يتقضى ذلك ولربما نظر بعض الجهال في هذا فقام عليه زيادة التصغير
وقال انها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه يزداد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي
في رجل رجيل وفي الرباعي في قنديل قنيدل فالزيادة وردت ههنا فنقصت من
معنى هاتين اللفظيتين وهذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى
الفعلية والزيادة في اللفاظ لا توجب زيادة في المعاني الا اذا تضمنت معنى الفعلية
لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحال معناها ألا ترى أنا
لو نقلنا الفظة عذب وهي ثلاثية الى الرباعي فقلنا عذيب على وزن جعفر لاستحال
معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو نقلنا الفظة عسجد وهي رباعية الى الخماسي
فقلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستحال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية
كقادر ومقدر فان قادر اسم فاعل قدر وهو ثلاثي ومقدر اسم فاعل اقتدر
وهو رباعي فلذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشد من معنى القدرة في قدر وهذا
لانزاع فيه وهذا الباب بجملة لا يقصده الا المبالغة في ايراد المعاني وقد يستعمل
في مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابي كرام التميمي من شعراء
الحماسة وهو قوله

لله تميم أى ربح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد

ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غدير مكدب جباد

فلفظة جباد قد وردت ههنا وانما أوردناها هذا الشاعر وقصده المبالغة في وصف
شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذي قصده لان جبادا من جيد فهو
جباد أى وجد منه الجيد دودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أى وجد منه القتل
مرارا واذا كان هذا الرجل غير جباد كان جائدا أى وجدت منه الجيد دودة مرة
واحدة واذا وجد من مرة كان ذلك جينا ولم يكن شجاعة والاولى أن كان

قال غير مكذب جائد (وينبغي) أن يعلم أنه اذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذي هو طريق المبالغة وحملها على غيره أن يتطرق فيها فان اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فمن ذلك) قول البحري في قصيدته التي مطلعها مني النفس في أسماء لو تسطيعها * وهي قصيدة مدح به الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بني تغلب فما جاء فيها قوله

رفعت بضبي تغلب ابنة وائل * وقد يثبت أن يستقل صربها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاه فتح يوم ذاك شقيها
تألفتهم من بعد ما شردت بهم * حفاظ أخلاق بطى رجوعها
فأبصر غاويها الحجة فاهتدى * وأقصر غاليها وداني شسوعها

فقوله تألفتهم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تنقل والتثقل هو الوجه لانه في مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختافوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجي من الالفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجري هذا المجرى (وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا بد من تقسيم اللفظ الى صيغة الى صيغة أكثر منها كقول الثلاثي الى الرباعي والا فاذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي الى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه اذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل الى الرباعي فقتل قتل بتشديد التاء فان الفائدة من هذا النقل هي التكثير أي أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فان كلم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه اياه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذلك أن تكون كلم من الجرح أي جرح ولها ثلاثي وهو كلم مخففا أي جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وانما المراد بها أنه تكون القراءة على هيئة التأنى والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه الى

رباعى وانما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا
فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن أعلى
منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذو الصواب عن شذو عنه في عالم وعليم فان
جهور علماء العربية يذهبون الى أن علما أبلغ في معنى العلم من عالم وقد
تأملت ذلك وأنعمت تطري فيه فحصل عندي شك في الذي ذهبوا اليه والذي
أوجب ذلك الشك هو أن علما وعليما على عدة واحدة اذ كل منهما أربعة
أحرف وليس بينهما ما زيادة ينقل فيها الادنى الى الاعلى والذي يوجب به النظر أن
يكون الامر على عكس ما ذكره وذلك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن
علما اسم فاعل من علم وهو متعد وان علما اسم فاعل من علم الا أنه أشبه وزن
الفعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا
الوزن لا يكون الا في الفعل القاصر فلما أشبه به عليم القاطع عن رتبة عالم الذي هو
متعد الا ترى أن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا فهو علم واحد ويكون
قاصرا غير متعد نحو غضب وشبع وأما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون
الا قاصرا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدى
والقاصر وكان فعل بفتح الفاء وضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر
أضعف مما يدور بين المتعدى والقاصر وحيث كان الامر كذلك وأشبه به
وزن المتعدى وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله في الرتبة دون المتعدى
الذي ليس بتاخر هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب اليه غيري من
علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا اليه لا مرخفي عني ولم أطلع عليه
(النوع الثالث عشر في عكس الظاهر) وهو نقي الشيء باثباته وهو من مستطرفات
علم البيان وذلك أنك تذكر كلاما يدل ظاهرا أنه نقي لصفة موصوف وهو نقي
للموصوف أصلا (فما جاء منه) قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفي فلتاته أي لا تذاع سقطاته قطا ههنا
اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم
فلتات فتنتي وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد في الشعر كقول
بعضهم * ولا ترى الضب بها ينحجر * فان ظاهرا المعنى من هذا البيت أنه كان هنالك
ضرب ولكن غير منبحر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هنالك ضرب أصلا وهذا

النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد ياباه ولا يقبله إلا بقرينة خارجية عن دلالة لفظه على معناه وما كان عارياً عن قرينة فانه لا يفهم منه ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتى فلتاته فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك فلتات الا أنها تطوى ولا تنشروته ~~كم~~ ولا تذاع ولا يفهم منه أنه لم يكن هناك فلتات الا بقرينة خارجية عن اللفظ وهي أنه قد ثبت في النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزوع عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأقر فلما قيل انه لا تنتى فلتاته فهم مناهمه أنه لم يكن هناك فلتات أصلاً وأما قول القائل * ولا ترى الضب بها ينجر * فانه لا قرينة تخصه حتى يفهم منه ما فهم من الاول بل المفهوم أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجر واقدم ~~مكثت~~ زماناً أطوف على أقوال الشعراء قصد اللطيف بأمثله من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد الا بيتاً لا مرئ القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمنازه * اذا ساقه العود النياطي تجرجرا
فقوله لا يهتدى لمنازه أي أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له يهتدى به ولي أنا في هذا بيت من الشعر وهو

أدين جلاباب الحياء فلن يرى * لذيولهن على الطريق غبار
وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً أي أنهن مخبات لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذا لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بياناً من قوله * ولا ترى الضب بها ينجر * فن استعمل هذا النوع من الكلام فليست عمله هكذا والا فليدع على أن الاكثر من استعماله عسر لانه لا يظهر المعنى فيه (النوع الرابع عشر في الاستدراج) وهذا الباب أنا استخراجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بآراء الالفاظ المليحة الرائقة ولا

المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة بلوغ غرض المخاطب بها
 والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلايه لا قصيرا في خطابه فاذا لم
 يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى القايدة والافليس بكاتولا شبيهه له
 الا صاحب الجدل فكما أن ذلك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا
 يتصرف في المغالطات الخطائية وقد ذكرت في هذا النوع ما يعلم منه سلوك هذه
 الطريق (فن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه
 أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
 كذبه وان يك صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
 كذاب ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطفه فانه أخذهم بالاحتجاج
 على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود
 عليه ولا يعتد به أو يكون صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له
 وفي هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكره لك فأقول انما قال
 يصبغكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما بعدهم به لا بد وأن
 يصيبهم لا بعضه لانه احتاج في مقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يملك معهم
 طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى الى
 سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه
 فقال وان يك صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة غير
 المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما بعده
 لكنه أردف بقوله يصبغكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
 فيرى م أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقدم
 الكاذب على الصادق من هذا القبيل كانه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه لئلا
 يتفروا منه وكذلك قوله في آخر الآية ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي
 هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفي
 هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا يخفى به وقد تضمن من اللطائف
 الدقيقة ما اذا تأملته حق التأمل أعطيت حقه من الوصف (وما يجري على هذا
 الاسلوب) قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لايه
 يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جاءني من

العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
 كان للرجن عصبيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
 للشيطان وليا هذا كلام بهزأ عطف السامعين وفيه من الفوائد ما أذكره
 وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينضح أباه ويعظه ويتقذه بما كان متورطا
 فيه من الخطا العظميم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن
 نظام مع استعمالات المجاملة واللفظ والادب الحميد والخلق الحسن مستنصحا في
 ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطيئته طلب منه على عقابه
 موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حيا مميذا سمعا بصيرا مقتدرا على الثواب
 والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية
 ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والأنبياء فكيف بمن جعل المعبود جادا
 لا يسمع ولا يصري عنى به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به فلم يسم أباه
 بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق وإنما كنهه قال إن معي لطائف من العلم
 وشيا منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أنى وإياك
 في مسير وعندى معرفة به داية الطريق ودونك فاتبعني أنجح من أن تضل ثم ثلث
 ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيته فقال إن الشيطان الذى استعصى على ربك
 وهو عدوك وعدوايك آدم هو الذى ورطك في هذه الورطة وأقالك في هذه
 الضلالة وإنما ألغى ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في
 نصيحة أبيه لأنه لا معاناه في الاخلاص لم يذكر من جنائى الشيطان إلا التى
 تختص بالله وهى عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداة آدم وذريته ثم
 ربيع ذلك بتخويفه إياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال
 اني أخاف أن يمسك عذاب فتذكر العذاب ملاطفة لايه ومدرك لنصيحة من هذه
 النصائح بقوله يا أبت تو سلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال
 أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فأقبل عليه بهظاظ الكفر وغلظ العناد فناداه
 باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بنى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله أراغب أنت
 لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفى
 القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما فى مخاطبات الانبياء صلوات
 الله عليهم للكفار والرد عليهم وفى هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقتنع

(وبلغنى)

أبواب معاوية للحسين بن علي فوافقه في أمر يزيد

الايجاز

(وبلغني حديث) تفاوض فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان في أمر ولده يزيد وذلك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فانها خير من أمته وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب وأما يحيى يزيد فاني لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فانهم ماتوا كما إلى الله فحكم لا ييه على أيك وهذا كلام من معاوية كلما أمر ربه بذكرى عجب من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معاوية علم ما على رضي الله عنه من السبق إلى الاسلام والاثرفيه وما عنده من فضيلة العلم فلم يعرض في المناقرة إلى شيء من ذلك ولم يقل أيضا أن الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم لأن هذا الفضل فيه إذا الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله إن أباك وأباهما كما إلى الله فحكم لا ييه على أيك وهذا قول أيها يوهم شبهة من الحق وإذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر في الايجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلى وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر امكانه والنظر فيه انما هو إلى المعاني لا إلى الالفاظ ولست أعني بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدارا للنظر في هذا النوع انما يختص بالمعاني فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فمن ينظر إلى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفسيتها ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدنا ما يسيرا وامت من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرهما من السور الطوال فعلنا حينئذ أن ذلك لا مبرر يرجع إلى معانيها (والكلام في هذا الموضع) يخرج بنا إلى غير ما نحن بصدده لأنه يحتاج فيه إلى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سورة وآياته إلى حصر أقسام معانيه لكانت شريفة ذلك إشارة خفيفة (فنقول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى ولذلك انحصرت سورة وآياته في ستة أقسام ثلاثة منها هي الاصول وثلاثة هي النروع (أما الاصول) فالأول منها تعريف المدعو إليه وهو الله تعالى ويشتمل هذا الأصل

على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والاصل الثاني تعريف الصراط المستقيم الذي
يجب ملازمته في السلوك الى الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على التبتل بعبادة الله
بأفعال القلب وأفعال الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول
الى الله تعالى أعني بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار
الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشباه ذلك فهذه الاصول
الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف
صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمخادنين
لها وكيفية صنع الله في التدمير عليهم والتسكين بهم والفرع الثاني ذكر مجادلة
الخصوم ومحاجتهم وحلهم بالمجادلة والمحاججة على طريق الحق وهؤلاء هم
اليهود والنصارى ومن يجرى مجراههم من أرباب الشرائع والفلاسفة والمحدثين
من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية
أخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك قياس الشريعة وتبيين الحكمة في
أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها
هي التي يدور معاني القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب
فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا الى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعاني
وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبي
صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه قال ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن
واذا نظرنا في الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بمنزلة ثلث القرآن وكذلك
قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي سبحة آي القرآن ويروى أنه سأل أبي
ابن كعب رضي الله عنه فقال أي آية معك في كتاب الله أعظم فقال الله لا اله الا هو
الحق القيوم فضرب في صدره وقال ايها العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع الى المعاني
لا الى اللفاظ فاعرف ذلك وبينه لموزنه وأسراره (واعلم) أن جماعة من مدعي
علم البيان ذهبوا الى أن الكلام ينقسم قسمين فمنه ما يحسن فيه الایجاز كالاشعار
والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح
التي تقرأ في ملا من عوام الناس فان الكلام اذا طال في مثل ذلك أثر عندهم
وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الایجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال
في ذكر الحرب التي الجمعان وتطاعن الفريقان واشتد القتال وحى النصال

وما جرى هذا المجرى والمذهب عندي في ذلك ما ذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام لانه لو كان شرطاً لوجب على قياسه أن يستعمل في الكلام الالفاظ العامة المبتدلة عندهم ليكون ذلك أقرب الى فهمهم لأن العلة في اختيار تطويل الكلام اذا كانت فهم العامة اياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام فانه لا خلاف في أن العامة الى فهمهم أقرب من فهم ما يقل ابتذالهم اياه وهذا شيء مدفوع وأما الذي يجب توخييه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني بحيث لا تزيد هذه على هذه مع الايضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه فان نور الشمس اذا لم يره الاعمى لا يكون ذلك نقصاً في استنارته وانما النقص في بصر الاعمى حيث لم يستطع النظر اليه

على نخت القوافي من معادنها * وما على بأن لا تفهم البقر
(وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع) فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمنا من الكلام على الايجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك ايضاً حاشياً والله الموفق للصواب فنقول حدة الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه كقول العجير السلولي من أبيات الحماسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق * الى غاية من يتدريها يقدم
فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فان لفظة المطايا فضلة لا حاجة اليها وبيان ذلك أنه لا يخلو الامر فيهما من وجهين اما أن يريد انه سابق الهمة الى معالي الامور كما قال الخجاج على المنبر عند وصوله العراق أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا الرجل المشهور السابق الى معالي الامور فان أراد العجير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت اليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لأن معالي الامور لا يرقى اليها بالمطايا وان أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الاسفار فاختصاصه الثنايا بالذكور دون الارض من المقارن وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فان ذكر المطايا فضلة لا حاجة اليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجري مجراه من التطويلات التي اذا أسقطت من الكلام بقي على حاله لم

يتغير شيء وكذلك يجري الامر في الفاظ يوصل بها الكلام فتارة تبقى لفائدة وذلك قليل وتارة تبقى لغیر فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد في الاشعار ليزن بها الايات الشعرية وذلك نحو قولهم لعمرى ولعمرى ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات وأشبه ذلك ونحو يا صاحبي ويا خليلي وما يجري هذا المجرى (فما جاء منه) قول أبي تمام أقر والعمرى لحكم السيوف • وكانت أحق بفصل القضاء

فإن قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهي حشو في هذا البيت لفائدة فيه الاصلاح الوزن لا غير ألا ترى أنها من باب القسم وانما يرد القسم في موضع يؤكد به المعنى المراد أمالانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا المجرى وهذا البيت الشعري لا يفتقر معناه الى تأكيد قسمي إذ لا شك في أن السيوف

حاشية وأن كل أحد يقتر لحكمها ويذعن اطاعتها وكذلك قوله أيضا

إذا نال ألم عثرات دهر • بليت به الغداة فن ألوم

فقوله الغداة زيادة لا حاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها لأن عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشي وانما نالت به ونيلها الياء لا بد وأن يقع في زمن من الزمن كائنًا ما كان ولا حاجة الى تعيينه بالذكر (وعلى هذا) ورد قول البحتري

ما أحسن الأيام الأني • يا صاحبي إذا مضت لم ترجع

فقوله يا صاحبي زيادة لا حاجة بالمعنى اليها الا انها وردت لتعصيم الوزن لا غير وهذه الفاظ التي ترد في الايات الشعرية لتعصيم الوزن لا عيب فيها لانها لو عيبتها على الشعراء لتعجزنا عليهم وضيقنا الوزن يضطر في بعض الاحوال الى مثل ذلك ~~لكن~~ اذا وردت في الكلام المنشور فانها ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد في الايات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول البحتري

قوم أهاونا الوفر حتى أصبحوا • أولى الانام بكل عرض وافر

فقوله أصبحوا بمعنى صاروا أي أنهم صاروا أولى الناس بالاعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشوا كما وردت في بيتي أبي تمام المقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضع بيانًا) بمثال أضربه للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذي أضربه هو حكاية أوردت بمحضر مني وذلك أنه جلس الى في بعض الايام جماعة من الاخوان وأخذوا في مفاوضة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر

حكاية زينة بجعفر الثالث حكاياتنا هذه للتطويل

غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئا فقال شخص منهم اني
كنت بالجزيرة العمرية في زمن الملك فلان وكنت اذا ذهبت صغيرا فاجتمعت أنا
ونفر من الصبيان في الحارة القلانية وصعدنا الى سطح طاحون ابني فلان وأخذنا
نلعب على السطح فوق صبي منا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغل
الطاحون نخفنا أن يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطمه البغل
نخفته ختانه صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها فقال له
شخص من الحاضرين والله ان هذا عي قاحش وتطويل كثير لا حاجة اليه فانك
بصد أن تذكر أنك كنت صغيرا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوق صبي
منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغل الطاحون نخفته ولم يؤذه ولا فرق
بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق
أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قد حاق غرابتها وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة
العمرية في الحارة القلانية في طاحون بنى فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل
هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أي الناظر
في كتابي هذا أن التطويل هو زيادات الالفاظ في الدلالة على المعاني ومهما أمكن
حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فان ذلك اللفظ هو التطويل
بعينه (وأما الایجاز) فقد عرفت أنك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه
(وهو ينقسم قسمين أحدهما) الایجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة
لدلالة لغوي الكلام على المحذوف ولا يكون الایجازا دمعناه على لفظه (والقسم
الآخر) ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى
التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الأول)
الذي هو الایجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجهم لمكان المحذوف
منه (وأما القسم الثاني) فان التنبيه له عسر لانه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة
لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الا من رست قدمه في ممارسة علم البيان
وصار له خلية وملاكة ولم أجدا أحدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيد هـ ما
يقيد وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ
من هنالك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذي قسمته في المحذوف وغير المحذوف ليس
بصحيح لان المعاني ليست أجساما كالالفاظ حتى يصح التقدير بينهما ما ثم لو سلمت

جواز التقدير في المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى
 زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة
 عن اللفظ وقد علم أن اللفظ انما وضعت للدلالة على افهام المعاني فان قال انها
 فهمت من شيء خارج عن اللفظ قيل له فلك الزيادة بازاء ذلك الشيء الخارج عن
 اللفظ والباقي مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه
 وهي زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ
 قيل اللفظ يتدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب
 يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها
 زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة
 من دلالة اللفظ المركب عليها أو من دلالة شيء خارج فان كانت مفهومة من دلالة
 عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة
 من دلالة الشيء الخارج عنه فهي بازاء ذلك الشيء الخارج والباقي مساو للباقي
 (فالجواب عن ذلك) أن نقول هذا الذي ذكره كلام شبيهه بالسفسطة وهو باطل
 من وجهين أحدهما أن المعاني اذا كانت لا تزيد على اللفظ فيلزم من ذلك
 أن اللفظ لا تزيد أيضا على المعاني لانهم مامتلا زمان على قياسك ونحن نرى
 معنى قد دل عليه باللفظ فاذا أسقط من تلك اللفاظ شيء لا ينقص ذلك المعنى بل
 يبقى على حاله والوجه الآخر أن لا يجوز بالحذف أقوى دليل على زيادة المعاني
 على اللفظ لاننا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة
 لا بد منه فعلنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالة عليه
 (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل
 عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدّر (قلت في الجواب عن ذلك) هذا لا ينقض
 ما ذهب اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال
 عليه مضمّر واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ
 يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك كل ما يعلم من
 المعاني بفهوم الخطاب ألا ترى أنك اذا قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم
 أن الأهل والسهل منصوبان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت
 سهلا الا أن لفظي وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذي دلالة عليه باق

فصار المعنى حينئذ مفهوماً مع حذفه ما فهو اذا زاد لا محالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتسبع مقاصدها وهذا النزاع فيه لبيانها ووضوحه (وقد سنح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات دليل أنا ذاكره) وهو اننا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة واللفظ واحد والمعاني التي تحته متعددة فأما الذي يدل على معنيين فالكليات جميعها كالذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم لم كانوا اذا خرجوا من عنده لا يفرقون الا عن ذواق وهذا يدل على معنيين أحدهما اطعام الطعام أى أنهم لم يخرجون من عنده حتى يطعموا الاخر أنهم لا يفرقون الا عن استفادة علم وأدب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم وأما الذي يدل على ثلاثة معان فكقول أبي الطيب المتنبي

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الاول أنه يحسد من أنعم عليه الثاني ضد الاول الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كأنما من كان أى يحسد من بات في نعمائه نفسه يتقلب وهذا وأمثاله من أدل الدلائل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شئ استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلنتبعه بذكر أقسام الایجاز المشار اليها أقول وما ينصرف اليه (فنقول) أما الایجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبيه بالسحر وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدر أن نطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون مبينا اذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والاصل في المحذوفات جميعها على اختلافها ضروريها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أقول من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلاً وسهلاً فان نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى أى أنه

يجل الامور ويعقدها والذي يظهر بالاعراب يقع في المفردات من المحذوفات
 كثيرا والذي لا يظهر بالاعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر في
 كتابي هذا ما وصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والاخر
 حذف المفردات وقد ورد كلام في بعض المواضع ويكون مشتقاً على القسمين
 معاً (فأما القسم الاول) وهو الذي تحذف منه الجمل فانه ينقسم الى قسمين أيضاً
 (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها ككلاما وهذا أحسن
 المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا في كتاب الله تعالى
 (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد وردا ههنا مختلفين (وجملتهما أربعة
 أضرب الضرب الاول) حذف السؤال المقدور يسمى الاستئناف (ويأتى على
 وجهين الوجه الاول) اعادة الاسماء والصفات وهذا يجي تارة باعادة اسم من
 تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجي
 باعادة صفة كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو
 أحسن من الاول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فما
 ورد من ذلك) قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
 يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل
 اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك
 هم المفلحون والاستئناف واقع في هذا الكلام على أولئك لانه لما قال الم ذلك
 الكتاب الى قوله وبالاخرة هم يوقنون اتجه لسائل أن يقول ما بال المستقلين بهذه
 الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن
 يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً (الوجه الثاني) الاستئناف بغير
 اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى وما لى لأعبد الذي فطرني واليه
 ترجعون أتأخذون دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا
 ينقدون انى انا فى ضلال مبين انى آمننت بربكم فاسمعون قىل ادخل الجنة قال
 يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فخرج هذا القول مخرج
 الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه وكان قائلاً قال كيف
 حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخرى لوجهه بروحه
 فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصياب الغرض الى المقول لا الى المقول له

مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال
سائل عما وجد ومن هذا الحق قوله عز وجل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وار تقبوا اني معكم رقيب
والفرق بين اثبات الفاء في سوف كقوله تعالى قل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني
عامل ف سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وبين حذف
الفاء ههنا في هذه الآية أن اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصول وحذفها
وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب السؤال وقد ذكرناهم قالوا فماذا
يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة
بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف
وهو قسم من أقسام علم البيان تشكائر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب
الثاني) الاستئناف بالسبب عن السبب وبالسبب عن السبب (فأما الاستئناف
بالسبب عن السبب) فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فقتلناهم العمرى ما كانه
قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى له وعليه ولكنا اوحينا اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على السبب الذي هو الوحي على عادة
اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى
عهد قرونا كثيرة فقتلناهم على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيه العمرى أما
انقطاع الوحي فاندست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وعرفناك العلم
بقصص الانبياء وقصة موسى فالحذف حذف اجملة مفيدة وهي جملة طويلة دل
السبب فيها على السبب وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضا وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوم ما آتاهم من نذير من قبلك
لأنهم هم يتدنون فان في هذا الكلام محذوفوا لولا ما فهم لانه قال وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لا بد له من محذوف حتى يستقيم
نظم الكلام وتقديره ولكن عرفناك ذلك وأوحينا اليك رحمة من ربك لتنذر
قوم ما آتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التي هي سبب ارساله الى الناس
ودل به على السبب الذي هو الارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من
هذا الضرب فهو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى

غلام ولم يمسس في بشر ولم التبغيا قال كذلك قال ربك هو عني هين واجعله آية
للناس ورجة منا وكن كان أمراً مقضياً فقوله واجعله آية للناس تعليل معمله
محذوف أي وانما فعلنا ذلك لنجعل آية للناس فذكر السبب الذي صدر الفعل من
أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذي هو الفعل (ومما ورد من ذلك)
في الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصاري الذي
خاصمه في شراج الحرة التي يسقى منها النخل فلما حضر ابي بن يدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال
يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق
يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر وفي هذا الكلام محذوف تقديره أن
كان ابن عمك حكمت له أو قضيت له أو ما جرى هذا المجرى فذكر السبب الذي هو
كونه ابن عمه ودل به على المسبب الذي هو الحكم أو القضاء دلالة الكلام عليه
(وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم أي اذا أردت قراءة القرآن فاكتفي بالمسبب الذي هو
القراءة عن السبب الذي هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة
والذي دلت عليه أنهم ابعد القراءة كقول القائل اذا ضربت زيداً فاجلس فان
الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا أولى من تأويل من ذهب الى أنه أراد
فاذا نعوذت فاقرأ فان ذلك قلباً لا ضرورة تدعو اليه وأيضاً فليس كل مستعبد
واجبة عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لا عند القيام اليها لأن القيام اليها هو
مباشرة لا فعلها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد
الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكتفي بالمسبب عن
السبب (وكذلك ورد) قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة
فليتوضأ أي اذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل
لأن الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فكان منه بسبب
وملابسة ظاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه
اثنا عشرة عيناً أي فضرب فانفجرت منه فاكتفي بالمسبب الذي هو الانفجار عن
السبب الذي هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير

ذكر تخالف الزبير بن العوام الانصاري في سقي النخل

وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤثر به في آخره فيكون الاختراع ليل على
 الأول (وهو ينقسم إلى ثلاثة أوجه الأول) أن يأتي على طريق الاستفهام
 فتذكر الجملة الأولى دون الثانية كقوله تعالى أفنشرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين
 تقدير الآية أفنشرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه ويدل على المحذوف
 قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثاني) يرد على حد النفي والاثبات كقوله
 تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من
 الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
 وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة
 من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين
 فلا يكون استفهاما ولا نصيا وإثباتا وذلك كقول أبي تمام

يتجنب الآثام ثم يخافها * فكانما حسنة آثام

وهذا البيت يختلف نسخ ديوانه في إثباته فمنها ما يجي فيه

يتجنب الأيام خيفة غيرها * فكانما حسنة آثام

رأى برشي لأن المعنى لا يصح به وكنت سملت عن معناه وقبل كيف ينطبق بحز
 البيت على صدره وإذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسنة آثاما
 فأفكرت فيه وأنعمت نظري فسخ لي في القرآن الكريم آية مثله وهي قوله تعالى
 والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ووجه وفي صدر البيت اضمار مفر في عجزه وتقديره
 أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يخاف تلك الحسنة فكانما حسنة آثام
 آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبي
 نواس
 سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستمكن

فحذف لفظ الاستمكانة من الأول وذكره في الثاني أي سنة العشاق واحدة وهي
 الاستمكانة فإذا أحببت فاستمكن ومن الناس من يقول فإذا أحببت فاستتن وهذا
 لا معنى له لأنه إذا لم يبين سنة العشاق ما هي فبأي شيء يستثنى الممتن منها ~~فكان~~
 ذكر السنة في صدر البيت من غير بيان ثم يبينها في عجزه (الضرب الرابع) ما ليس
 بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف (فأما ما حذف فيه
 من الجمل المفيدة) فكقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون

سبع سنين دأبأ فاحصاً قد تم فذروه في سنبلة الاقليل عماً تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدا دأبأ كلن ما قد تم لهم الاقليل عماً فحصدون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك اثثوني به قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف ففججوا لها أوفصة قوه عليها وقال الملك اثثوني به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشيتنا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى في هذه السورة أيضاً فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبا ناس استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين قد حذف أيضاً من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم كثيراً) قوله تعالى في سورة القصص وحترمنا عليه المراضع من قبل فقالت هن أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كي تقر عينها في هذا المحذوف وهو جواب الاستفهام لانهم لما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم بما بعده من رده الى أمه والجواب فقالتوا نعم فداتهم على امر أمي بها وهي أمه ولم يعلموا بمكانها فأرضعته وهذه الجملة النائية أعققت قوله تعالى فرددناه الى أمه تدل على المحذوف لان رده الى أمه لم يكن الا بعد رد الجواب على أخته ودلائلها اياهم على امرأة ترضعه ويكنى هذا الموضع وحده لمن يتبصر في واقع المحذوفات وكيفيةها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدى في إرساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظراً صدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانتظروا ماذا يرجمون قالت يا أيها الملأ اني أتيت الى كتاب كريم وفي هذا المحذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملتها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التي حذف منها ثم اذا قدر تلك المحذوفات سهل

تقديرها يديمه النظر والذي ذكره الا ان ليس كذلك بل اذا تأمله المتأمل وجدده
غير متصل المعنى واذا اراد ان يقتدر المحذوف عمر عليه (فما جاء منه) قوله
تعالى وما يتطهر هؤلاء الا صحيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عمل لنا قطن اقبل
يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الایداه اقواب فهذا
الكلام اذا تأمله المتأمل لم يجد منه متصل المعنى ولم يتبين له محيى ذكر داود عليه
السلام راد قال قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا اراد ان يتطهر ههنا محذوف
يوصل به المعنى عمر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال اصبر على
ما يقولون وخوفهم أمر معصية الله وعظمها في عيونهم بذكر قصة داود
الذى كان نبيا من الانبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظيم ثم لما
زل زلة قبل بكذا وكذا انظر بكم أنتم مع كثركم (الوجه الآخر) أنه قال اصبر
على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزل في نبي مما كلفته من مصابرتهم واحتمال
أذا هم واذا ذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة فاق من توبخ الله
ما في هذا الكلام كاترا يحتاج الى تقدير حتى يتصل ببعضه ببعض وهو من أغض
ما يأتي من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا
الضرب في حذف الجمل التي ليست بصفيحة فحق قوله تعالى يا زكريا اننا نبشرك بغلام
اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل
ولم تكن شيئا قال رب اجعل لى آية قال آية ان أتكلم الناس ثلاث ايام سويا فخرج
على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناه الحكم صبيا هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو
البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يحيى خذ الكتاب
بقوة فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى
قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتهم وات ربكم الرحمن فاتهمونى وأطيعوا
أمرى قالوا ان نبرح عامه عا كفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ
رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسمى
انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقد حذف من هذا
الكلام جملة الا أنهم لا غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى ورآهم على تلك الحال

من عبادة الجمل قال لآخيه هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعهم (وكذلك)
ورد قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل قال أيكم يأتيني بعرشها
قبل أن يأتوني . سليمان قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك
واني عليه لقوى . أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك
طرفك فلما رآه متقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن
شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإني عني كريم قال نكروا الهاعرشها
تنظروا تهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاء به
قال نكروا الهاعرشها لا تنكبره لم يكن الابدع أن يحى به اليه وقد أغنى
عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك
شعرا) قول أبي الطيب المتنبي

لا أبغض العيس لكفى وقيت بها * قلبي من الهـم أو جسمي من السقم
وهذا البيت فيه محذوف تقديره لا أبغض العيس لانه انى اياها فى الاسفار ولكفى
وقيت بها كذا وكذا قال الثانى دليل على حذف الاول وهذا موضع يحتاج فى
استخراج واستخراج أمثاله الى فكرة وتدقيق نظر (ومما يمل بهذا الضرب)
حذف ما يجىء بعد أفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج الى تمام أى أكبر
من كل كبير أو أكبر من كل شئ يتوهم كبيراً أو ما جرى هذا المجرى ومثله يرد
قولهـم زيد أحسن وجهاً وأكرم خلقاً تقديره أحسن وجهاً من غيره وأكرم
خلقاً من غيره أو ما يبدل هذا المسمى من الكلام وعليه ورد قول البحترى .

الله أعطاك الهبة فى المورى * وحبالها الفضل الذى لا ينكر
ولأنت أملا فى العيون لديهم * وأجل قدر فى الصدور وأكبر
أى أنت أملا فى العيون من غيرك (وأما القسم الثانى) المشتمل على حذف
المفردات فانه يتصرف على أربعة عشر ضرباً (الاول) حذف الفاعل والاكتفاء
فى الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهـم يريدون جاء المطر ولا
يذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوى ما يغنى اثراء عن الفقى * اذا حشر جت يوما وضاقت بها الصدر
يريد النفس ولم يجزها ذاكر (وعلى هـذا ورد) قوله تعالى كلا اذا بلغت
التراقى وقيل من راق والضم يرقى بلغت للنفس ولم يجزها ذاكر وقد نص عثمان

ابن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الآية وهذا البيت الشهري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه الآن حذف الفاعل لا يجوز على الإطلاق بل يجوز فيما هـ ذا سبيله وذلك أنه لا يكون الاقيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند الموت فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب) أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذا يقولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجي المطر ولم ترد في شيء من أشعارهم ولا في كلامهم المنشور وانما يؤولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقي ظاهر وذلك أن حشرجت وبلغت التراقي يفهم منها أن النفس التي حشرجت رأنها هي التي بلغت التراقي وأما أرسلت فلولا شاهد الحال والالم يجوز أن تكون دالة على مجي المطر ولو قيل في معرض الاستسقاء انا خرجنا نسأل الله فلم نزل حتى أرسلت افهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يلتفت اليه (الضرب الثاني) حذف الفعل وجوابه (اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المفعول عليه كقوله في المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقديره الحق أهلك وبأدراك الليل وهذا مثل يضرب في التحذير (وعليه ورد) قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه في الاخبار النبوية أن جابر تزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال ثيبا فقال له فهو لا جارية تلاعبها ولا لعبك يريد فهو لا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الكافية التي يتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطامها * فدى لك من يقصر عن مداكا * وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع ولم يأت غيره مثلها وهي

إذا التوديع أعرض قال قلبي • عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكنر مائة • معاودة لقلت ولا منساكا
قد استشفيت من داء • وأقتل ما أهلك ما شفاكا

فا كنتم منكم نجبوا نأوا خفي * هم وما قد أطالت لها العراكا
 اذا عاميتها كانت شدا اذا * وان طبا وعتها كانت ركا كا
 وكم دون الذوية من حزين * يقول له قد وحي ذابذا كا
 ومن عذب الرضاب اذا انخما * يقبل رحل تروك والورا كا
 يحترم أن عيس الطيب بمدى * وقد علق العبير به وصا كا
 يحدث مقلته النوم عني * فليت النوم حدث عن ندا كا
 وما أرضى لمقلته بحلم * اذا انتهت نومه ابتشا كا
 ولا الابان يصني وأحكي * فليتك لا يتيه هوا كا

فقوله ولا منا كافيه محذوف تقديره ولا صاحب منا كما وكذلك قوله ولا الابان
 يصني وأحكي فان فيه محذوف تقديره ولا أرضى الابان يصني وأحكي (وأما
 القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه
 وانما يظهر بالظن الى ملاممة الكلام (فما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك
 هذا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى اضماع رفعه
 أي فقبل لهم لقد جئتمونا وفقولنا لهم وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير
 موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في
 حياتكم الدنيا فقوله أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل
 المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
 على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لا يتلوه من
 اضماع القول أي وقائله ان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
 تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لا جداهما كقوله
 تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لا امركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم
 وادعوا شركاءكم لانه معنى أجمعوا من أجمع الامراض انواء وعزم عليه وقد قرأ
 أبي رضى الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أشرت
 اليه وكذلك هو مثبت في معصف به الله بن مسعود رضى الله عنه (ومن
 حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر مقام الفعل) وانما يفعل ذلك لضرب
 من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتهم الذين كفروا فاضرب الرقاب قوله
 فاضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا يحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه

وفي ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدري (وأما حذف جواب الفعل) فانه لا يكون في الامر المحتوم كقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا فجزم يخوضوا ويلعبوا لانهم ما جواب أمر فذرهم وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الایجاز لاننا اذا قلنا ذرهم أي اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب وكذلك ما يجري مجراه وانما يكون الجواب بالغاء في ماض كقوله انا قلت له اذهب فذهب وحذفه فيظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فقدرناهم تدميرا ألا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الآية فان تقديره فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهب اليهم فكذبوه ما قدرناهم تدميرا فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها لانها المقصود من القصة بطولها أعني الزام الحجة بعبث الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب أيضا) قوله تعالى قالوا يا أبا ناسا مالك لاتأمننا على يوسف وانا له لناصرون أرسله معنا غدائرتع ونلعب وانا له لما قظون قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا ان أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يرجعوا له في غيابة الحب فجواب الامر من هذا الكلام محذوف تقديره فأرسله معهم ويدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به كما حذف أيضا في قوله عز وجل وقال الذي نجا منهم ما وادكر بعد أمة انا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتناني سبع بقرات سمان الآية فجواب الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأنا فقَالَ له يوسف أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاستأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكم يدهن عليهن قال ما خطيكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففي هذا الكلام حذف واختصار استغنى عنه بدلالة الحال عاينه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطيكن (وهكذا ورد قوله تعالى) اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب الامر ههنا وتقديره فأؤتم به فلما كلمه وفي سورة يوسف عليه السلام محذوفات كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا

التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانها ودلالة الحال عليه
 وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث)
 حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب
 كقولنا فلان محل ويعقد ويرم وينقض ويضر وينفع والاصل في ذلك
 على اثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى
 وانه هو أخصك وأبكي وأنه هو أمات وأحي ومن بديع ذلك قوله عز وجل
 ولما ورد ماء مدين وجد عليه أئمة من الناس يسقون ووجد من دونهم
 امرأتين تذودان قال ما خطبك كما قالتا الانسى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير
 فسقى إلهما ثم تولى إلى الطل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فان في هاتين
 الآيتين قد حذف المفعول به في أربعة أماكن اذ المعنى وجد أئمة من الناس
 يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهم ما قالتا الانسى مواشيها فسقى
 لهما مواشيها لان الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقى ومن الامرأتين ذود
 وأنهما قالتا لا يكون مناسق حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام
 بعد ذلك سقى فاما كون المسقى غنما أو إبلا أو غير ذلك فنخرج عن الغرض وقد
 ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة
 دعاني يزيد بعد ما ساظنه * وعيس وقد كانا على جد منكب
 وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضرى من حاضرين وغيب
 فالمفعول الثانى من علما محذوف لان قوله أن العشيرة في موضع مفعول علما
 الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيرة سوى محضرى من حاضرين وغيب
 لا غناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبهم أو ما جرى هذا المجرى (ومن هذا
 الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى
 ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ففعلول شاء ههنا محذوف وتقديره
 ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهم أو على نحو من ذلك جاء قوله
 تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ومما جاء على مثال ذلك شعرا قول البحتري)
 لو شئت لم تفسد سماعة طام * كرما ولم تهدم ما أثر خاله
 الاصل في ذلك لو شئت أن لا تفسد سماعة طام لم تفسدها فحذف ذلك من الاول
 استغناء بدلالته عليه في الثانى وقد تقدم أن من الواجب في حكم البلاغة

أن لا تنطق بالمحذوف ولا تطهره الى اللفظ ولو أظهرت لصرت الى كلام غث
ومجىء المشيئة بعدل وبعده حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شيء كثير
شائع بين البلغاء ولقد تكاثرت هذا الحذف في شاء وأراد حتى أنهم لا يكادون
يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا
لاصفى مما يخلق ما يشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولو شئت أن أبكى دما لبكيت * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
فلو كان على حد قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول
ولو شئت لبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق في هذا
الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا عجيبا أن يشاء الانسان أن يبكي دما فلما كان
مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضمر (الضرب
الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام
الاخر وذلك باب عريض طويل شائع في كلام العرب وان كان أبو الحسن
الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى
حتى اذا قمحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف
الى مأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى
واسئل القرية أي أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر
من اتقى أي خصلة من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والاول
أولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ
لان الاتساع يحذف الاعجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف
مكررا في قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أي من أثر حافر فرس الرسول
وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره (ومما جاء منه شعرا) قول بعضهم
من شعراء الجاسة

اذا لاقيت قومي فاسأليه * كني قوما بصاحبهم خبيرا
هل اعفوا عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقطع الصدورا

أراد أنه يقطع ما في الصدور من الضغائن والاونام أي يزيل ذلك باحسانه
من عفوه وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف
اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى الله الامر من قبل ومن بعد

أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة قيل أراد ظهر الأرض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فإن الهاء والالف قائمة مقام الأرض ألا ترى أن قوله ظهرها يريد به الأرض لأنه ضمير راجع إليها وكذلك ورد قول جرير

إذا أخذت قيس عليك وخندف * بأنظارها لم تدر من أين تسرح
وهذا الابسعي إيجازاً وإنما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس)
وهو حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون أطراده
في كل موضع وأكثره يجيء في الشعر وإنما كانت كثرة في الشعر دون الكلام
المنثور لا امتناع القياس في أطراده (فما جاء منه في الشعر) قول الجعفي
من أبيات في صفة أيوان كسرى فقال في ذكر التصاوير التي في أيوان وذلك
أن الفرس كانت تحارب الروم فصوروا صورة مدينة انطاكية في أيوان وحرب
الروم والفرس عليها فذكره في ذلك قوله

وإذا ما رأيت صورة انطا * كبة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأتوشر * وإن يرى المصوف تحت الدرس
في أخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال لأنه لما
قال على أصفر علم بذلك أنه أراد فرساً أصفر والصفة تأتي في الكلام على ضربين
أما التأكيد والتخصيص وأما المدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب
والتطويل لأم من مقامات الإيجاز والاختصار وإذا كان الأمر كذلك لم يلحق
الحذف به هذا مع ما يضاف اليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك إذا
قلت مررت بطويل لم يبين من هذا اللفظ الممرور به إنسان هو أم ربح أم ثوب أم
غير ذلك وإذا كان الأمر على هذا فحذف الموصوف إنما هو شئ قام الدليل عليه
أو شهدت به الحال وإذا استبين كان حذفه غير لائق ومما يؤكده عندك ضعف
حذفه أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك أن تكون الصفة
جمله نحو مررت برجل قام أبوه ولقيت غلاماً وجهه حسن ألا ترى أنك لو قلت
مررت بقمم أبوه ولقيت وجهه حسن لم يحجز (وقد ورد) حذف الموصوف

واقامة الصفة مقامه في غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى وآتيناهم
الناسقة مبصرة فانه لم يرد أن الناقسة كانت مبصرة ولم تكن عيياء وانما يريد آية
مبصرة فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف
في مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه في النداء وفي المصدر أما النداء فكقوله
يا أيها الظريف تقديره يا أيها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى يا أيها الساهر
تقديره يا أيها الرجل الساهر وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا تقديره
يا أيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه
يتوب الى الله متابا تقديره ومن تاب وعمل صالحا وقد أقيمت الصفة الشبيهة
بالجمله مقام الموصوف المبتدأ في قوله تعالى وانما لنا الصالحون ومنادون ذلك
أي قوم دون ذلك (وأما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها) فانه أقل
وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع في الكلام
الا نادرا لما كان استنباهه (فمن ذلك ما حكاه سيدي به رحمه الله) من قوله سيرة عليه
ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذف الصفة في هذا الموضع لما دل من الحال
عليه وذلك أنه يحسن في كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم
والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملت له وهو
أن يكون في مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا أي رجلا فاضلا
أو شجاعا أو كريما أو ماجرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألتهم
فوجدناه انسانا أي انسانا سمعنا أوجوا أو ما أشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف
الصفة فاما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لا يجوز
وقد تأملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا في صفة تقدمها ما يدل عليها أو تأخر عنها
أو فهم ذلك من شيء خارج عنها أما الصفة التي تقدمها ما يدل عليها فقوله تعالى
أما السفينة فكانت لمساكين يعاملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة أي كان يأخذ كل سفينة صحبة
غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيها فان عيها اياها لم يخرجها
عن كونها سفينة وانما لما خوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة ههنا لانه
تقدمها ما يدل عليها وأما التي تأخر عنها ما يدل عليها فقوله بعض شعراء الحماسة
كل امرئ مستنم من العرس أو منها نيم

فانه أراد كل امرئ متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستقيم منه أو منها يقيم اذ
لا تقيم هي الامن زوج ولا يقيم هو الا من زوجة فجاء بعد الموصوف ما دل عليه
ولو لا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ يقيم من عرس ولا تقيم منه عرس
الا اذا كان متزوجا وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شيء خارج عن الكلام
فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة بدار المسجد الا في المسجد فانه قد علم
جواز صلاة بدار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ أن المراد به
الفضيلة والكمال وهذا شيء لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شيء خارج عنه
(الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فتكون
قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فأيام فاعبدون قالفاء
في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة
فان لم تخلصوا الى العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص
(ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه
فقدية أي فخلق فعلية فدية وكذلك قولهم الناس مجزيون بأعمالهم ان خير الخيرا
وان شرافشرا أي ان فعل المرء خير اجزي خيرا وان فعل شر اجزي شرا وعلى
نحو من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر
تقدير ذلك فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهري الى الأخذ
بظاهر الآية ولم يطر الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر
سواء أفطر أو لم يفطر (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون اعلم أن هذه الفاء التي في قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحققتها
أنها في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم ان
خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك هذه
الآية يقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي قد تبين بطلان
قواكم (وأما حذف جواب الشرط) فكذلك قوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند
الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ان الله

لا يهدي القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن
من عند الله وكفرتم به ألسن ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله
لا يهدي القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما
حذف القسم فتحقق قولك لا فعلان أي والله لا فعلان أو غير ذلك من الاقسام
المحذوف بها أو أما حذف جوابه فكذلك قوله تعالى والفجر وبال عشر والشفع والوتر
والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره
ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تركيف فعل ربك بعاد الى
قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل
عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيبي فان معناه
ق والقرآن المجيد لتبينن والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله
أئنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا)
كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجدات
سجدا فالساجدات سبعا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
فجواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبعين أو لتحشرن ويدل على ذلك ما أتى
من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك
الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لoo وجوابها وذلك من أطف
ضروب الایجاز وأحسنها (فأما حذف لoo) فكذلك قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذ ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض تقدير ذلك
اذ لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذ لا رتاب المبطون تقديره اذ لو
فعلت ذلك لا رتاب المبطون وهذا من أحسن المحذوفات (ومما جاء من ذلك)
شعرا قول بعضهم في صدر الحجاسة

لو كنت من مازن لم تستج ابلي * بنو الاقيطة من ذهل بن شيبانا

اذا اقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذولونه لانا

فلو في البيت الثاني محذوفة لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله
لم تستج ابلي ثم حذفها في الثاني وتقدير حذفها اذ لو كنت منهم اقام بنصري

معشر خشن أو اذلو كانوا قومي اقسام بنصري معشر خشن (واما حذف
 جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لو زرتنا لو الممت بنا معناه
 لا تحسنا اليك أولا كرمناك أو ما جرى هذا المجري (ومما ورد منه في القرآن
 الكريم) قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فتوت وأخذوا من مكان قريب قات
 جواب لو ههنا محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة أو غير ذلك مما
 جرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد
 ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
 ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستجملونه وهو وقت
 صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام ولا يقدر على دفعها عن
 أنفسهم ولا يجدون ناصر اينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
 والاستهجال ولكن جهلهم به هو الذي هو عليه (ومما يجري على هذا النهج)
 قوله تعالى لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فجواب لو في هذا الموضع
 محذوف كما حذف في قوله تعالى ولو أن قرآناسيرت به الجبال أي لو أن لي بكم قوة
 لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبهه وكذلك قوله ولو أن قرآناسيرت به الجبال
 لكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهر - والضروب المذكورة
 وأوضحها العلم المخاطب به لان قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لي
 بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يتسارع الفهم الى ان الكلام يحتاج الى
 جواب (ومما جاء منه شعرا) قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يدح بها
 المعتصم عند فتحه مدينة عورية

لو يعلم الكفركم من أعصر كننت * له العواقب بين السمر والتضرب
 فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكفر ذلك لا تخذأهبة الخذار أو غير
 ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ في أي موضع كان من الكلام
 وانما يحذف ما دل عليه مكان المحذوف ألا ترى أنه قد ورد في القرآن الكريم
 غير محذوف كقوله تعالى ولو فكتنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
 انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذي تقدم من الآيات
 لان تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لوحدها حذف الجواب فيها لم يعلم
 مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو لطلبوا ما وراء ذلك

وقد تقدم القول في أول باب الإيجاز أنه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف
 (الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فإن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون
 أزواجهن ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهدوا أنهم أربع شهادات بالله أنه
 من الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه أن كان من الكاذبين ويدرأ عنها
 العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله
 عليها أن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم
 لجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن
 وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله تعالى) إن الذين يحبون
 أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله
 يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم تقديره
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب أو فعل بكم كذا وكذا (الضرب
 العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أمّا (فأما حذف جواب لما) فكقوله
 تعالى فلما أسلموا وتله الجبين ونادى نساءه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك
 نجزي المحسنين فإن جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلموا وتله الجبين
 ونادى نساءه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحلال ولا
 يحيط به الوصف من استبشارهم واغتباطهم ما وشكرهم ما على ما أنعم به عليهم ما
 من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما اكتسب به هذه المحنة
 من عظام الوصف دينا وآخرة وقوله أنا كذلك نجزي المحسنين تعليل
 لتحويل ما خوله ما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف
 جواب أمّا) فهو قوله تعالى فأما الذين أسودت وجوههم أ كفرتم بعد أيمانكم
 (الضرب الحادي عشر) وهو حذف جواب إذا فما جاء منه قوله تعالى
 وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحون وما تأتيهم من
 آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن إذا
 في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا
 قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الأعراض عن
 كل آية وموعظة (الضرب الثاني عشر) حذف المبتدأ والخبر أما حذف
 المبتدأ فلا يكون إلا مفردا والاحسن هو حذف الخبر لأن منه ما يأتي جملة

كقوله تعالى واللاى يتسن من الحيض من نسائككم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاى لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد حذف خبر المبتدا وهو جملة من مبتدأ وخبر وقد يرها واللاى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (ومما ورد منه شعرا) قول أبي عبادة الهذلي
كل عذر من كل ذنب واكن * أعوز العذر من يياض العذار
وهذا قد حذف منه خبر المبتدا الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع أو ما جرى هذا الجرى (الضرب الثالث عشر) وهو حذف لامن الكلام وهي مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا تالله تفتوئذ كرسى يوسف يريد به لا تفتوئذ أى لا تزال فحذفت لامن الكلام وهي مرادة (وعلى هذا) جاء قول امرئ القيس

فقلت عيى الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى ليدى وأوصالى
أى لا أبرح قاعدا فحذفت لافى هذا الموضع وهي مرادة (ومما جاء منه) قول أبي حنبل الثقفى لما نهام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن شرب الخمر وهو
اذنالك فى قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تملك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى * ولا أسقى بها أبدا نديما
يريد لا أشربها فحذف لامن الكلام وهي مفهومة منه (الضرب الرابع عشر) وهو حذف الواو من الكلام وإثباتها وأحسن حذفها فى المعطوف والمعطوف عليه وإذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجازا كقول أنس بن مالك رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتامون ثم يصلون ولا يتوضئون أو قال ثم يصلون ولا يتوضئون فقوله لا يتوضئون يحذف الواو أو بالغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضئون بإثباتها كأنه جعل ذلك حالة لهم لازمة أى أنهم إذا دخلوا فى الجملة وليست جملة خارجة عن الأولى لأن واو المعطوف تؤذن بانفسراد المعطوف عن المعطوف عليه وإذا حذف فى مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة وقد جاء مثل ذلك فى القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جمل من القول كل واحدة منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سر دابغير عطف كقوله تعالى يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا وادوا ما عنتم قد بدت البغضاء
 من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر تقدير هذا الكلام لا يألونكم خبالا
 وادوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذف الواو جاء الكلام
 أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما وأمثاله في القرآن الكريم **كثير**
 (واعلم) أنه قد حذف الواو وأثبتت في مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فنحو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا الهامنذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإثباتها
 في كل موضع وإنما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (والمبين لك
 في ذلك ربما تتبعه فنقول اعلم) أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد الإيجوز
 إثبات الواو في خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلا لا وعليه ثياب وان شئت
 قلت الاعليه ثياب بغير واو فان كان الذي يقع على النكرة ناقصا فلا يكون
 الإيجوز الواو فنحو قولك ما أظن درهما إلا هو كافيك ولا يجوز إلا وهو كافيك
 بالواو لان الظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لانه يصير كالمكتفي من
 الأفعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان وأشباهها فخطأ أن تقول
 ان رجلا وهو قائم ونحو ذلك ويجوز هذا في ليس خاصة تقول ليس أحدا لا وهو
 قائم لان الكلام يتوهم تمامه بليس ويجوز نكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد
 وما من أحد فجاء فيها إثبات الواو ولم يجز في أظن لانك لا تقول ما أظن أحدا
 فأما أصبح وأمسي ورأى فان الواو فيها تأسه ل لانهم توأم في حال وكان وأظن
 ونحوهما مبين على النقص الا اذا كانت تامة وكذلك لا في التنزيه وغيرها نحو
 لا رجل وما من رجل فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب
 قد حذفوا من أصل الالفاظ شيئا لا يجوز القياس عليه كقول بعضهم
 كان ابريقهم طي على شرف * مقدم بسبب المكان مملوم
 فقوله بسبب المكان يريد بسبب المكان وكذلك قول الآخر
 بدر بن جندل حائر لجنوبها * فكأنما تذكي سنا بكمها الحبا
 فهذا وأمثاله مما يقع ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا
 أن نستعمله (وأما القسم الثاني من الإيجاز) فهو ما لا يحذف منه شيء (وذلك
 ضربان أحدهما) ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) ما زاد معناه

على لفظه ويسمى الايجاز بالتقصر (فأما الايجاز بالتقدير) فانه الذي يمكن التعبير
عن معناه بمثل ألفاظه وفي عتتها (وأما الايجاز بالقصر فانه ينقسم قسمين
أحدهما) ما دل لفظه على محتملات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه
وفي عتتها (والآخر) ما يدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه
بمثل ألفاظه وفي عتتها الايل يستحيل ذلك (ولنورد الآن الضرب الاول الذي
هو الايجاز بالتقدير) فما جاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره
كلما يتض ما أمره فقول قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما أكفره تعجب من
افراطه في كفران نعمة الله عليه ولا نرى أسلوباً أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا
أخشن مساوياً أدل على سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأدلة على قصر مثنى
ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أي شيء خلقه
ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره أي هيأ ما يصلح له
ثم السبيل يسره أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار
سلكه من طريق الخير والشر والاول أولى لانه تال لخلقه وتقدره ثم بعد ذلك
يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريق الخير والشر ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر
يواري فيه ثم إذا شاء أنشره أي أحياء كل ردع للانسان عما هو عليه لما
يقض ما أمره أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعني أن انساناً لم يخل
من تقصير قط ألا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة
لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو أن لا يمكنك أن
تسقط شيئاً من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كتدوله تعالى
فإن جاء موعدة من ربه فاتته فله ما سلف فقوله فله ما سلف من جوامع الكلام
ومعناه أن خطايا الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الآن قوله فله ما سلف
أبلغ أي أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى
من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضرر من العذاب
لان من أحاط به كفره فقد أحاط به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قول
تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات

الواردة في القرآن الكريم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على
الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخي أهد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها
عليه فقال له إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق
وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى واقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقين عن اليمين
وعن الشمال فعبد ما يلدنظ من قول الاله رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل
نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على
تخويف وارهاب رفق له القلوب وتكشف عن منه الجلود وهي مشتملة مع قصرها على
حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك
الامر الفظيع في أسهل لفظ وأقربه وما مررت عليها الا جددت لي موعظة
وأحدثت عندي ايقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه لأبي سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته في المهتدين وأخلفه
في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين
مناسبة الحال التي وقع فيها فأوله مفتتح بالمهم الذي يفتقر اليه المدعولة في ذلك
الحال وهو رفع درجته في الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره المدعولة من
صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثه محتتم بالجمع بين الداعي والمدعولة
وهذا من الايجاز البليغ الذي هو طباق ما قصده وكلام النبي صلى الله عليه وسلم
كلمة هكذا كما قال أوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم
يوم يدرفانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ما سلف (ولما جرح
عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الجراحة التي مات بها اجتمع اليه الناس فشاء
شاب من الانصار وقال أبشريا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله
وقدم في الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام شديد قد حوى
المعنى المقصود وأتى به في أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الايجاز فانه
مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل المساءة بشرى وأخرجها من المخرج المسرة
وتلاطف في ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتي بذلك

على هذا الوجه لا عوزه (ومن هذا النقط) ما كتبه طاهر بن الحسين الى
 المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله فكتب اليه كتابي الى
 أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره
 مصترف تحت أمري والسلام وهذا من الكتب المختصرة التي حوت الغرض
 المذكور وما يكتب في هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبي صفرة) أبا الحسن
 المدايني الى الخجاج بن يوسف يخبره أخبار الازارقة كلمة كلام موجزا كالذي نحن
 به عند ذكره ههنا وذلك أن الخجاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك
 ما أمل وأمن مما خاف فقال كيف هو بجنده قال والدرؤف قال كيف بجنده له
 قال أولاد بررة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله قال
 كيف تصنعون اذا القيمم العدو قال نلقاهم بجمعة ناويلا ونابجدهم قال كذلك
 الجداذ الى الجدا قال فأخبرني عن بني المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل
 حمة السرج بالنهار قال أيهم أفضل قال هم كخلة مضروبة لا يعرف طرفاها
 فقال الخجاج جلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذي ليس بمصنوع (وقد ورد
 في الاخبار النبوية من هذا الضرب شيء كثير) وسأورد منه أمثلة يسيرة
 فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
 متشابهات وهذا الحديث من أجمع الاحاديث للمعاني الكثيرة وذلك أنه يشتمل
 على جل الاحكام الشرعية فان الحلال والحرام اما أن يكون الحكم فيهما بينا
 لا خلاف فيه بين العلماء واما أن يكون خافيا يتجاذبه وجوه التأويلات في كل منهم
 يذهب فيه مذهبيا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
 وانما الكل امرئ ما نوى فان هذا الحديث أيضا من جوامع الاحاديث للاحكام
 الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد
 آخر هذا الحديث بالفظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم
 الا أن الأول أحسن لأنه أبلغ معنى فان الأمير واجب الحكم فهو يتبع واذا كان
 المضعف أمير الركب كانوا وتمرين له في سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد
 في قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
 في حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته
 ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقال تعبد الله

كانت تراه من جوامع الكلام لانه ينوب مناب كلام كثير كانه قال تعبد الله
مخلصا في نيتك واقفاعة ادب الطاعة من الخضوع والخشوع اخذ اذهب الخذر
واشبهه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه اسمة قصى في آداب الخدمة
بكل ما يجب اليه السبيل وما ينتهي اليه الطوق (ومما اطر بنى من ذلك) حديث
الحديبية وهو انه جاء بدبل بن ورقاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
اني تركت كعب بن اوى بن عامر بن اوى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون
وصادونك عن البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قرىش قد نكثتم الحرب
فان شاؤا ماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان اظهر عليهم واحبوا ان
يدخلوا فمادخل فيه الناس والا كانوا قد جوا وان ابوا فوالذي نفسي بيده
لاقاتلهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفى هذه ولينفذن الله امره وهذا
الحديث من جوامع الكلام وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهى اليها
وصف الواصف (واما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع
وتخصيصه الليل دون النهار مما يستل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخالاته * على شعث أى الرجال المهذب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول الاعشى في اعذاره الى أوس بن لام عن هجائه

اياه * واني على ما كان منى لنادم * واني الى أوس بن لام لتائب

واني الى أوس ليقبل عذرتي * ويصفح عني ما حبيت لراغب

فهب لي حياقي فالحياة لقائم * بشكر لذيها خير ما أنت واهب

سامح وبعديك اذا أنا صادق * كتاب هجاء سائر اذ أنا كاذب

وهذا من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى

المشهورة (وعلى نحو منه) جاء قول الفرزدق

صحنناهم الشعث الجياد كأنها * قطا هيجته يوم ربح أجادله

الى كل شئ قد خطبنا بناتهم * بأرعن جزار كثير صواوله

اذا ما التقينا أنكحتنا ما حنا * من القوم ابكارا كراما عاقله

وانا لمناعون تحت لوائنا * جانا اذا ما عاذ بالسيف حامله

وهذا من محاسن ما يجي في هذا الباب (ومما يجرى هذا الجرى) قول جرير

تتقى رجال من قديم منيتي * وما زاد عن احسابهم ذائد مثلي
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم * وكان على جهال أعدائهم مثلي
(وكذلك) ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهوموم فبتن غير نيام * وأخواله هوموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام
واقدا أرالد وأنت جامعة الهوى * أثني بعهدك خير دار مضام
طرقته صائدة القلوب فليس ذا * حين الزيارة فارجمي بسلام
تجري السؤال على أغتر كأنه * بردت تحت من متون نعام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا * لو صلت ذاك فكان خير زمام
ولقد أراني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العميون أريتنا * حدق المهاوسو القلأ آرام
واذا صرفن عيونهن بنظرة * نفذت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
وحلاوة هذا الكلام أحسن من إيجازه واقدا عوز غيره أن يأتي بعثله حتى أقتر
بأعوازه (ومن باب الإيجاز الذي يسمى التقدير) قول علي بن جبلة
وما لامرئى حاولته عنك مهرب * ولو سلمته في السماء المطالع
بلى هارب ما يتدى مكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع
فهذا هو الكلام الذي ألفاظه وفاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل
يشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وان صعد السماء ثم ذكر
جميع المهارب في المشارق والمغارب وأشار الى أنه يبلغ الظلام والضياء وذلك
مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب
قول أبي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع

ودارندامى عطلوها وأدبلوها * بها أثر منهنم جديده ودارس
مساحب من جر الرقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويا بس
حبست بها صبي فحدثت عهدهم * واني على أمثال تلك الحابس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قد راد بها كسرى وفي جنباتها * مها تدرىها بالقصى الفوارس

فلأراح مازرت عليه جيوبها * ولأمام ما دارت عليه القلائس
(ومما انتهى الى من اخبار ابن المزعج) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا
يفضل هذه الابيات التي لا تبي نواس واقد أنشدتها أباشعيب القلال فقال والله
يا أباعثمان ان هذا هو الشعر ولو نقرأ طن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار
والخزف ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فتكر والذي ذكره هو الحق
(وعلى هذا الاسلوب) جاء قول أبي تمام

ان القـوافي والمـساعي لم تزل * مثل النظام اذا اصاب فريدا
هي جوهر ثمر فان الفتنة * بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة * يأخذن منه ذمّة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفـراءها * لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى * يدعون هذا سودا محدودا
وتنتدعدهم العـلا الاعلا * جعلت لها مررا القريض قيودا
(وأما الضرب الثاني) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منه
وقد تقدم القول أنه قسمان أحدهما ما يدل على محققات متعددة فمن ذلك قوله
تعالى واقد أوحينا الى موسى أن أسريعبادي فاضرب اهرم طريقا في البحر يسا
لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون يحنوده فغشيهـم من اليم ما غشيهـم
وأضل فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهـم من اليم ما غشيهـم من جوامع
الكلام التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهـم من الامور الهائلة
والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره (ومن هذا الضرب)
قوله تعالى خذ العذو وأمر يا لعرف وأعرض عن الجاهلين فيجمع في الآية جميع
مكارم الاخلاق لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة
وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفي الاعراض عن
الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب) في دعائه اللهم هب لي حقت
وأرض عني خالقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك)
قوله عز وجل أولئك لهم الامن فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك
أنه نفي به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة وزوال النعمة وغير
ذلك من أصناف المكروه وأشباه هذا في القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر في بعض

الصور ويقل في بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم لم من شاء يرتع في الرياض
 الانائق فعليه بالحم (ومن ذلك) قول النبي صلى الله عليه وسلم الخراج
 بالضمان وذلك ان رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم
 البائع الى النبي صلى الله عليه وسلم فردّه عليه فقال يا رسول الله انه استغل غلامي
 فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان ان الرجل اذا اشترى عبدا
 فاستغله ثم وجد به عيبا دلّسه عليه البائع فله ان يردّه ويسترجع الثمن جميعه ولو
 مات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان في مال المشتري وضمانه عليه واذا كان
 ضمانه عليه فخرجه له أى له ما تحصل من أجره (وأما ما ورد شعرا) فقول
 السموأل بن عادي الغساني من جملة آياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها
 وان هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماعة وشجاعة
 وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها
 تجذب بحملها ضيما أى مشقة وعناء وقد تقدم القول ان الايجاز بالقصر يكون
 فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم ان شاعرا
 قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذ أبو تمام فأحسن في أخذه وهو
 وظلمت نفسك طالبا انصافها * فحجبت من مظلومة لم تظلم
 فصار في بيته هذا بالمقابلة بين الضميتين في الظلم والانصاف ثم قال فحجبت
 من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلمت نفسك طالبا
 انصافها أى أنك أكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم أنك
 مع ظلمك اياها قد أنصفتها لانك جلبت اليها أشياء حسنة تكسبها ذكرا جليلا
 ومجيدا مؤثلا فأنت منصف لها في صورة ظالم وكذلك قوله فحجبت من مظلومة
 لم تظلم أى أنك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ما هو جميل حسن وهذا
 القدر في الامثلة كاف في هذا الباب (القسم الاخر من الضرب الثاني
 في الايجاز بالقصر) وهو الذي لا يمكن التعبير عن الفاظه بالفاظ أخرى
 مثلها وفي عنتها وهو أعلى طبقات الايجاز مكانا وأعوزها مكانا واذا وجد
 في كلام بعض البلغاء قائما بوجده شاذنا درنا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن
 الكريم كقوله تعالى ولكم في القصص حياة فان قوله تعالى القصص قصص حياة

لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معناه أنه اذا قتل القاتل امتنع غيره
عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ولا يلتفت الى ما ورد عن العرب من قوالهم -م
القتل أننى للقتل قاتن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية و ليس كذلك بل
بينهم ما فرق من ثلاثة أوجه (الاول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أننى
للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثاني) أن فى قوالهم القتل أننى للقتل تكرير ليس
فى الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم القصاص
وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بعض بيت من شعره فقال
وأخافكم كي تغمدوا أسيا فكم * ان الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله ان الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قوالهم القتل أننى
للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيما أحب
اليك دولتنا أو دولة بنى أمية فقال ذاك اليك فقوله ذاك اليك من الإيجاز
بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معنى قوله ذاك اليك
وهو لفظتان أنه ان زاد احسانك على احسان بنى أمية فأنتم أحب الى - وهذه
عشرة ألفاظ (فان قيل) كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظ بألفاظ أخرى مثلها
وفى عدتها وفى المترادف من الألفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل
راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواء وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة
(قلت) فى الجواب ليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض
الأتى أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها
بالقتل فى قول العرب القتل أننى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية فى قوله
تعالى ولكم فى القصاص حياة فالذى أردته أنا انما هو الكلام الذى لا يمكن
التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفى عدتها فان كان كذلك والافليس
داخلا فى هذا القسم المشار اليه (النوع السادس عشر فى الاطناب) هذا
النوع من الكلام أنعمت تطرى فيه وفى التكرير وفى التطويل فاكنتى حيرة
الشبه بينهما طويلا وكنت فى ذلك كعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الكلالة
حيث قال قد أعيانى أمر الكلالة وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها كثيرا حتى ضرب فى صدرى وقال ألا يكفيك أنه الصنف وبعد أن أنعمت
تطرى فى هذا النوع الذى هو الاطناب ووجدت ضربا من ضروب التأكي

الاطناب

قوله أنه الصنف كذا فى الاصل ولعجز

التي يؤتى بها في الكلام قصد المبالغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه
لا يشاركة فيه غيره لأن من التأكيدي ما يتعلق بالتقديم والتأخير كقيد المفعول
بالاعتراض كالأعتراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه
وأشياء ذلك وسبأ في الكلام عليه في بابيه وهذا الضرب الذي هو الاطناب ليس
كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألقاه بالتطويل الذي هو
ضد الإيجاز وهو هذه قسم غيره فأخطأ من حيث لا يدري كآبي هلال
العسكري والغامدي حتى أنه قال إن كتب الفتوح وما جرى مجراها مما يقرأ على
عوام الناس ينبغي أن تكون مطولة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لأنه إن
عنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة
من فتح أو غيره فذلك مسلم وإن عنى بذلك أنها تكون مكررة المعاني مطولة اللفاظ
قصد الإفهام العمامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب إليه من عنده أدنى
معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى فإنه لم يجعل
لخواص الناس فقط وإنما جعل لعوامهم وخواصهم وأما كثرة لابل
جميعه مفهوماً اللفاظ للعوام الكلمات معدودة وهي التي تسمى غريب القرآن
وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى المختصة باللفاظ وعلى هذا فينبغي
أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة
مفهومة وكذلك الأشعار والخطب ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه بنجوة عن هذا
الفن وعلى هذا فإن الاطناب لا يختص به عوام الناس وإنما هو للخواص كما
هو للعوام وسأبين حقيقة في كتابي هذا وأحق القول فيه بحيث تزول الشبهة
التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذي
عندي فيه) أنه إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقها وجدناها هذا الاسم مناسبا
لمسماه وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه ويقال أطنبت
الريح إذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير إذا اشتد فيه وعلى هذا فإن
حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني وهذا لا يختص
بنوع واحد من أنواع علم البيان وإنما يوجد فيها جميعا إذا ما من نوع منها
الأو يمكن المبالغة فيه وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها
ولا يتحقق أفرادها إلا بذكر حده الدال على حقيقته (والذي يحتمل أن يقال)

هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حذو الذي يميزه عن التطويل اذا التطويل
هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى
مرتدا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مرتد واللفظ واحد
وسيرد بيان ذلك مفصلا في باب بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب
ثم التكرير وهي أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى
مرتدا فانه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة فأما الذي يأتي لغير فائدة فانه
جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لفائدة فهو
اطناب وليس كل اطناب تكرير يأتي لفائدة وأما الذي يأتي من التكرير لغير
فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لغير
فائدة تطويل وليس كل تطويل تكرير يأتي لغير فائدة وكنت قد مت القول
في باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا
تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل
مثال مقصود يسلك اليه في ثلاثة طرق فالأول ايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه
والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد اليه الا أن طريق
الاطناب تشتمل على منزله من المنازه لا يوجد في طريق التطويل وسيأتي بيان ذلك
بضرب الامثلة التي تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة في الجملة الواحدة
من الكلام ويوجد تارة في الجمل المتعددة والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ
لا تساع المجال في ايراده (وعلى هذا فانه يجملته ينقسم قسمين القسم الاول)
الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام (وهو يرد حقيقة ومجازا أما الحقيقة)
فمثل قولهم رأيته بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بفمي وكل هذا
يظن الظان أنه زيادة لا حاجة اليها ويقول ان الرؤية لا تكون الا بالعين والقبض
لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم والذوق لا يكون الا بالفم وليس الامر
كذلك بل هذا يقال في كل شيء يعظم مثاله ويعز الوصول اليه فيؤكد
الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيته والحصول عليه كقول أبي عبادة الجعري
تأمل من خلال السيف وانظر * بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الى من الرحيق الخسرواني
ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعز وجوده وكان الساقى فيه على هذه

الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه اقراء عظم الله تعالى على قائله ألا ترى الى قوله تعالى في قصة الافك اذ تلافونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح في هذه الآية بما أشرت اليه من تعظيم الامر المقول وفي مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أتهاتكن وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته أنت على كظهر أمي ويقول المملوك يا بني فضرب الله لذلك مثالا فقال كيف تكون الزوجة أمًا وكيف يكون المملوك ابنا والجمع بين الزوجية والامومة وبين العبودية والبنوة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف وهذا تعظيم لما قالوه وانكار له ولما كان الكلام في حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف والا فقد علم أن القلب لا يكون الا في الجوف والتمثيل يصح بقوله ما جعل الله لرجل من قلبين وهو تام سكن في ذكر الجوف فائدة وهي ما أشرت اليها وفيها أيضا زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صور نفسه جوفًا يشتمل على قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى نفخ في الصور السقف من فوقهم فكما أن القلب لا يكون الا في الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذلك مقام انكار وتعظيم ألا ترى الى هذه الآية بكما لها وهي قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فألقى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولذا كرر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سعة فناء على أولئك من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكا دكة واحدة وقوله أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها باتأ كيد لمعان اقتضتها فان النفخ في الصور الذي تقوم به الاموات من القبور مهول

عظيم يدل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا بهذه
الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أى ان هذا الامر الموهل العظيم
سهل يسير على الله تعالى يفعل ويعضى الامر فيه بنفخة واحدة ودكة
واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كلفة مشقة فجئى بذكر الواحد لتأكيده
الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد في القرآن
الكريم ويتوهم بعض الناس أنها ترد لغـير فائدة اقتضتها وليس الامر كذلك
فإن هذه الاسرار البلاغية لا يتنبه لها الا العارفون بها وهم كذا يريد
ما يرد منها في كلام العرب (وههنا نكتة لا بد من الإشارة اليها) وذلك أنى تطرت
في قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفي قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى
فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول ان قوله تعالى
ومناة الثالثة الاخرى انما جئى به لتوازن الفقراتى نظمت السورة كلها عليها
وهي والتجيم اذا هوى ولو قيل أفرأيتم اللات والعزى ومناة ولم يقل الثالثة
الاخرى لكان الكلام عارياً عن الطلاوة والحسن وكذلك لو قيل ومناة الاخرى
من غير أن يقال الثالثة لانه نقص في الفقرة الثانية عن الاولى وذلك قبيح
وقد تقدم الكلام عليه في باب السجع لكن التأكيدي في هذه الآية جاء ضمناً
لتوازن الفقرتين وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما جئى به لفظ الواحد
فيه ما وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة لكان نظم الكلام
لان السورة التي هي الحاققة جارية على هذا المنهاج في توازنها السجعي ولو قيل
نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدهما فيومئذ وقعت الواقعة
لكان الكلام منشوراً محتاجاً الى تمام لكن التأكيدي جاء فيه ما ضمنا وتبعاً
واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه ظاهر وذلك ان نفخة هي واحدة ومناة هي
الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل المجاز) فقوله تعالى فانها لا تعصى الا بصار ولكن
تعصى القلوب التي في الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن
العمى على الحقيقة ~~ممكن~~ كانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها
واستعماله في القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من
نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة

تصوير وتعريف ايجزة رآن مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا
موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة
لمكان زيادة التصوير في اثبات وصف الحقيقي للجباري ونفيه عن الحقيقي
(وأما القسم الثاني المختص بالجميل) فانه يشتمل على ضروب أربعة (الاول)
منها أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بعمان متداخلة الا أن كل معنى يختص بخصيصة
ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام

قطعت الى الراثين هباته * الثالث. أمور السحاب المسبل

من منة مشهورة وصنعة * بكر واحسان أغر محجل

فقوله منة مشهورة وصنعة بكر واحسان أغر محجل تداخلت معانيه اذ المنة
والصنعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير لانه لو اقتصر
على قوله منة وصنعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة
من هذه الثلاث بصفة أخرى جتها عن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها
بالاشتهار لعظم شأنها وصنعة بكر فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل
واحسان أغر محجل فوصفه بالغرّة والتعجيل أي هو ذو محاسن متعددة فلما
وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار
ذلك اطنابا ولم يكن تكريرا ولم أجد في ضروب الاطناب أحسن من هذا الموضع
ولا اللطف وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله

زكى سجايا تضيف ضيوفه * ويرجى مرجبه ويسئل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه
وصفه بصفات متعددة فجعل ضيوفه تضيف وراجبه يرجى وسائله يسئل وامن
هذا التكرير لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يرجى راجبه مرجوا
ولا أن يسئل سائله مسؤلا لان ضيوفه يستحب ضيفا طمعا في كرم مضيفه
وسائله يسئل أي يعطى السائل عطاء كثيرا يصير به معطيا وراجبه يرجى أي
أنه اذا تعلق به رجاء راج فقد أيقن بالفلاح والتجاح فهو حقيق بأن يرجى لمكان
رجائه اياه وهذا ابلغ الاوصاف الثلاثة (الضرب الثاني) يسمى النفي
والاثبات وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات
أو بالعكس ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر والا كان

تكريرا والغرض به تأكيده ذلك المعنى المقصود (فما جاء منه) قوله تعالى
 لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
 والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
 قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (واعلم) ان هذا الضرب من الاطناب فائدة
 كبيرة وهو من أوكد وجوهه ألا ترى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون
 بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والمعنى في ذلك سواء الا أنه زاد في الثانية قوله
 وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين
 الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغي أن يتأمل وينم النظر فيه
 (وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم
 سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون
 بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
 غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذي نحن بصدد ذكره
 ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم
 بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا اذ العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما
 العلم هو ما كان بالباطن من الامور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد
 تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبي عبادة البحرى
 ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيدا
 فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدأ والريم طرفا وجيدا
 ألا ترى أن الاول كاف في بلوغ الغاية في الحسن لانه لما قال لو استزادت لما
 أصابت مزيدا دخل تحته كل شئ من الاشياء الحسنة الا أن التشبيه مزينة
 أخرى تفيد السامع تصورا وتخييلا لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من
 أحسن ما يجي في باب الاطناب (وكذلك) ورد قوله

تردد في خلقى • • • • • سما حاصري وبأسامهيبا
 فكما سيف ان جثته صارخا • • • • • وكالبحر ان جثته متشيبا
 فالبيت الثاني يدل على معنى الاول لان البحر والسيف للباس المهيب الآن

في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تخيلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفي
معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب
الاربعة طريقا وأضيقها بابا لأنه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعاني وأرباب
النظم والمثريات وتوفيق فيه وليس الخطا الذي يقذف بالدرر في مثله الا معدوم
الوجود ومثاله ومثال الایجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن
الایجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يسلك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت
ههنا أمثلة لهذه الأساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذي تسلك اليه
الطرق الثلاثة (فمن ذلك) ما ذكرته في وصف بستان ذات فوا كمتعة مودة فإذا
أريد وصفه على حكم الایجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله
تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره وإذا أريد وصف
ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو فصل من كتاب أنشأته
وهو جنة علت أرضها أن تمسك ماء وغنيت بينبوعها أن تستجدي سماء وهي
ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة وما صكل تربة توصف بالنجابة ففيها
المشمس الذي يسبق غيره بدومه ويقذف أيدي الجانين بنجومه فهو يسمى
بطايب الفرج والنجار ولو نظم في جيد الحسناء لاشتبه بقلادة من نضار وله زمن
الربيع الذي هو أعدل الأزمان وقد شبه بسن الصبا في الاسنان وفيها
التفاح الذي رق جلده وعظم قدمه وتورد دخله وطابت أنفاسه فلا بان الوادي
ولارنده وإذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرر الغزلان
أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذي هو أكرم الثمار طينة
وأكثرها ألوان زينة وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند تروجه من
السفينة فقطفه يميل بكف قاطقه ويفرى بالوصف لسان واصفه وفيها
الرمان الذي هو طعام وشراب وبه شبهت نهود الكعباب ومن فضله أنه
لأنوى له فيرمي نواه ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من فاكهة سواء وفيها التين
الذي أقسم الله به تنويرها بذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه إذ كشفت
المعصية من ستره وخص بطول الاعناق فمأري بها من ميل فهو نشوة من
سكره وقد وصف بأنه راق طعم ما ونم جسمها وقيل هذا كنيف لي شهدا
لا كنيف لي علما وفيها من ثمرات الخيل ما يزهى بلونه وشكله ويشغل

بلذة منظره عن لذة أكله وهو الذي فضل ذوات الاقنان بخرجونه ولا تعائل
 بينه وبين الخلواء هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه وفيها غير ذلك
 من أشكال الفساكهة وأصنافها وكما معدود من أوساطها لامن أطرافها
 واقد دخلتها فاستهوتني حسدا ولم ألتصبا على قوله لن تبده هذه أبدا (فهذا
 الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذلك الاول هو
 الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفساكهة (وأما التطويل)
 فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعددا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق
 فيقال مشمش وتذاح وعنب ورمان ونخل و~~كذا~~ وكذا وانظر أيها المتأمل
 الى ما أشرت اليه من هذه الاقسام الثلاثة في الايجاز والاطناب والتطويل
 وقس عليها ما يأتي منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد في باب
 الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون رحمه الله تعالى يخبره به زينة
 عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كتابي الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين
 يدي وخاتمه في يدي وعسكره مصرف تحت أمري والسلام وهذا كتاب
 جامع للامع في شديد الاختصار واذا كتب ما هو في معناه على وجه الاطناب قيل
 فيه ما أذكره وهو ما أنشأته مثلا في هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز
 والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالقصة القليلة على القصة الكثيرة
 وانقلب بالبد الملائى والعين القريرة وكان انتصاره بحد أمير المؤمنين لا بحد نضله
 والحد أغنى من الجيش وان ~~كثرت~~ أمداد خيله ورجله وبجى برأس عيسى
 ابن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال انه يسبح بقدمه
 ولا يد فيقال انه يبطش بيده واقد طال وطوله موذن بقصر شانه وحسدت
 الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم
 الذي كان الامر يجسرى على نقش أسطوره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح
 بختمه فيقال ورود المنية دون مصدره ~~وكذلك~~ البغي مرتعه وويل
 ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل وقد نطق الفأل بأن
 الخاتم والرأس شيان بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس
 لما يستقبل يشاؤه ولا يستقر البناء الاعلى أساسه والعساكر التي كانت على
 أمير المؤمنين حربا صارت له سلما وأعطته البيعة علما بفضل له وليس من تابع

تقليداً كن هو تابع علما وهم الآن مصر فون تحت الاوامر مختصون بكشف
السراير مطيفون باللواء الذي خصه الله باستفتاح المقالدا واستبطاء المنابر
وكاسرت خطوات القلم في اثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب
قبل الطلائع في قلوب الناس وليس في البلاد ما يغلق بمشيئة الله بابا ولا يحسر
نقابا وعلى الله اتمام النعم التي افتتحها واجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التي
اقترحها والسلام وهذا الكتاب يشتمل على ما شتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين
من المعنى الا أنه فصل ذلك الاجال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذي لا فائدة
فيه اقليل أصدر كتابه في يوم كذا من شهر كذا والتقى عسكر أمير المؤمنين وعسكر
عدوه الباغي وتطاعن الفريقان وتراحف الجمعان وحى القتال واشتد النزال
وترادفت الكتاب وتلاحقت المقاتب وقتل عيسى بن ماهان واحترأ رأسه
وقطع وزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع
والذئاب والضباع وانجحت الواقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان
عدوه وقهره والسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لا فائدة فيه لانه كثر
فيه معاني يتم الغرض بدونها وذكر ما لا حاجة اليه في الاعلام بالواقعة فأنظر الى
هذه الكتب الثلاثة وتأملها كما تأملت الذي تقدمها (وبعد ذلك اني أورد لك
كتابا وتقليدا يوضحان لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه كتاب كتبه عن
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد
يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدي الكفار وذلك في معارضة
كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيهقي عنه وكان الفتح في السابع والعشرين
من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسائة خلد الله سلطان الديوان العزيز
النبوي وجعل أيام دولته أزبا ومناقب مجدها ضابا وزادها على مرور
الايام شبابا وأوسعها توشية واذهايا اذا أوسع غيرها تالاشيا وذاهايا ومنحها
في الدنيا والآخرة عطاء وفاء لا عطاء حسابا ومثل جدودها في عيون الاعداء
شيا أعجابا وأراهم منها وراهم في اليقظة أرهايا وارعايا وفي المنام ابلاصعايا
تقود خيلا عرابيا لوجعت العصور في صعيد واحد لكان هذا العصر عابها
فانرا وفاز بسبق أوائلها وان جاء آخرها وليس ذلك الا لحظوته بالدولة
الناصرية التي كسبه حبرا وقلدته دررا ودوت له من الهامد سيرا وجعلت

في كل ناحية من وجهه شمساً وقرا وقبض الله لها من الخادم وليا يوصل يومه
 في طاعتها بأمره ولا يرى الا من نفسه في خدمتها قريب على نفسه وطالما
 سعى بين يديها بمساع تنص بأخبارها محافل القوم ويقال له فيها ما ضررت
 ما صنعت بعد اليوم وقد سلفت منها آيات تمايل في أشباهها وأضرابها
 واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأتم كتابها وهي فتح البيت المقدس الذي
 تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد حق
 الاسلام وطالما سعت الهمم في طلبه بالزاد والماء ومن أحسن ما أتى به أنه
 أنس قبلته الثانية بقبلته الاولى وأطال منه كل ما قصرته يد الكفر وكانت هي
 الطولى وبه صرح لهذا البيت معنى اسمه وانتقل الى الطهارة ونزاهتها عن
 الرجس ووصفه ولم يحزم الخادم حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة
 وكان مركز الدائرتين فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة ولما شارفه نظر
 منه الى ظله من الظلال ورأى بلدا قد استقر على متن الجبل مثل الجبل
 ويظف به وادتسه تزي عصمه بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف
 الحبة على الظهر والمسالك اليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج وهي ضيقة
 مستوعرة يطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا
 أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل الصيد في جوف الفرا الآن لسان حاله
 خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدديدك فليس دونها من حجاب وكان قد برز
 من السلاح في لباس رائع من المنعة وأخرج من السواد الاعظم ما خدع
 العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمي بغوالي
 الاسوار بل بعوالي الصعاد وفي يوم كذا وكد كذا خيم المسلمون في عقد داره
 ونزلوا منه نزول الجار الى جانب جاره ثم ارتادوا موقفا للقتال وان لم يكن هناك
 موقف يقرب مناله ولا يتسع مجاله واتفق الرأي على لسان المنجنيق في خطبة
 عقيلية أبلغ خطابا وأدنى من المطالب طلالا وانه اذا ضرب بعصاه الحجر
 انجبت عيون أهله دماء كما انجبت عيون الحجر ماء هذا والعزائم تنظر الى هذا
 الرأي تظر المستجمل وتصد عنه صدور المستجمل وتقول ما بارتيه اذ السهل
 تملك الصعاب ومن ابتغى السيف صرحا لم يتنا عنه بلوغ الاسباب والحديد
 لا يفلح الا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا برصكن شديد فعندها صم

الخادم أن يلقي البلدة موائب الامواربا وأن يجعل لازف جانبيا وللعجنيق
 جانبيا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأسى برسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الاتقاء به اذا اشتد الباس ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها
 وأن النذال لا تسنة الرماح لا لكعوبها ولا يشتقى من الوغى الامن كان طرفه
 أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه ولما وقع
 الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هزهزة طوته بيمينها
 ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون المعذاب الاكبر من نيكالها
 وبدون ذلك يكون عرك أدبهم وعطف شكيم ولم يكن قتاله بالسهام التي غايتها
 أن تصف أجنتها للمطار وتثال بكومها من فوق الاسوار بل بالسيف التي
 اذا جالت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت في هجمه وأغنت بسرعة خطواتها
 اليه عن المنجنيق وابطاهدمه والسيف ليس يمرق من النفس التي تظل طائشة
 عند اقائها جائشة عند استيفائها فالقلب توصف بأنها تحبش اذا كانت
 أعدادا والنفوس لا تحبش الا اذا كانت عمادا وما يستوى وجوه الاقران
 في اقدامها واجسامها فنها المظلم اذا راها الروح باشرافها ومنها المشرق اذا
 شاها الروح باطلامها وكانت وجوه المؤمنين في هذا المقام أحظى بالبأس
 الاشراف وأنتم ابدرا والبدور لا يكون تمامها في الحاق فاعلمهم الامن عرض
 نفسه ليوم العرض ومشى الى الجنة عرضها السموات والارض حتى اتبع
 المكر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوعار الخنادق وصار الرجاء لمنطقة
 السور كالمناطق ولم يستشهد منهم الا عدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت
 أجنة الملائكة مطيعة بهم فأكرم بالمطاف به وبالطيف وقد أسعد الله أولئك
 بالشهادة التي هي الفوز الاكبر وقرنها بادنام مضاجعهم من الارض المقدسة
 التي هي أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا الى الدنيا الا للاستزادة من
 ثواب الجهاد وأيسر ذلك أن أرواحهم في حواصل طير خضر تعلق من ثمار
 الجنة الى يوم المماد ولما رأى الكفار أن صليهم قد صار خوارا وأن زعيمهم
 قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب
 واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وجامها فأبى السيف أن يترك رقابا تغذى
 باكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وأذكر الخادم أن سلف هؤلاء

انتزع هذا البلد قسرا وقتل من كان به من المسلمين غدرا وذلك تأردخه الله
لأنه حتى تحطى في الآخرة بشوابه وتجمل في الدنيا بزينته أتوا به والمسلم
أخواله لم يأخذ بدمه وان تطاوت أمداد السخين على قدمه فباعد عهد
هذا التأمر من ثأره وباطيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما
تحتق العزم على ذلك أشار ذو الرأي بقبول الفدية المبذولة والايحتمل العدو
على ما لبست نفسه عليه بمعهولة فإن النقة إذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار
واسـتـضـرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهو لاء اذار وأعين القتل تجردوا
للاقتال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطه رشـد فليقبلها
ومن أنشط له عقل الامور فلا يعـقلها وعلى كل حال فإن الفدية للمسلمين
أرغب وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من
أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمة عند الله خير مما
طلعت عليه الشمس ولا يوازي فتحه عنوة أن يتعدى اليهم ماضراره ولا شك
أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره فرأى الخياط عند ذلك أن الرأي
مشـترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودفع
أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آفاقها ولم تطب أنفسهم بفراق قامه حتى
كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم ونشـيل
نعامتهم ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار واسـتـنـصـروه فلم يحظوا منه
بمعونة الانتصار وكيف يرجي النصر من معبود تشرعيته بقتله أم كيف يدفع
عن غيره من كان هو مبتلى بعثله وهذه عقول خفيفة نفذ فيها كيد شيطانها
وأخفى عنها حجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عريض الغبار
رائد العـمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة
للمسلمين والهلاك للكفار وزاده فخرا الى فخره أنه وافق اليوم المفر عن ليلته
المعراج النبوي الذي كان في تلك الارض موعده ومن صغرت همم صغده
وذلك هو الاسراء الذي ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع
الطباقي ولورق في فيه الانبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملق بخير لاق
وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فاطالت من شهرته ونعمته نصره الدين الحنيف
الذي لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يورخ بفتح كـأرـخ للنبي صلى الله عليه

وسلم بدار هجرته واذا أنصف واصفه قال انه لليوم البدرى في اقتراب النسب
وانه العجيبه التي لم تجفل عنها الايام في صفرو انما اجفلت عنها في رجب فما
أكثر الفانز فيه والمغبون والمسرورون والمحزون فنجتوا كب ومن جدر اجل
ومن عز قادم وذلل راحل واطام الحاجه الخادم في السعي له وأبصار العدا
تراقه وألسنتهم تعلقه ومامنهم الامن أكثر الشناعة أن ذلك السعي
للاستكنار من البلاد والله يعلم أنه لم يكن الا للاستكنار من موارد الجهاد
لاجرم أن صدق النية كان له عقيب الدار وتلك الاقوال الكاذبة كان لها عقيب
البوار ويوم هذا الفتح يفتقر قبله الى أيام تجلوي ياضه عن سوادها ويلقى
لها بطون المساعي حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما نظره الخادم لم يكن
لأهل التجابة فيه قول يرتد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على
ذوات السروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على
أنهما وان اتفقارجما فانهما يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه ثغرا لا عنقاق
وعلم هذه يسأل عنه بطون الاوراق ولما دخل البلد وجده أعمالا لولا أن
ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا مكثرة وغالبوا السيوف مصابرة وهم
طوائف مختلفو الالسنه والالوان وان قيل انهم أناسي فأت صورهم صور الجان
وممنهم طائفة استشهدت بحبس نفوسها وفحصت الشعر عن أوساط رؤسها
وتوحشت بالرهباينة حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا
طلعة الاسلام داخله عليهم أعلنوا بالجوار واصطرحوا جميعا كما يصطرخون
غدا في النار وزادهم غمظا الى غمظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار
الناقوس أذانا وكلمة الله كفر ايمانا وأقيمت الجمعة وهي أول جمعة حظي
الاقصى بشهدها وحضرتها الامة الاسلامية بأحمرها وأسودها فمن باليد معة
سروره الباردة ومن مجمل نظره في نعمة الله الواردة ومن شاكر للزمن الذي
أبقىه الى يومه هذا الذي كل الايام له حاسدة من كان مولده تقدم قبله أو بعده
فكانه لم يولد وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان وهو الشهر الذي جعله الله
طليعة لشهر الصيام وليله نصفه هي الليلة المعروفة بأحياء قيامها الى حين وفاة
شخص الظلام والتي يغفر فيها أكثر من شغل غم كلب من ذوى الذنوب
والآثام وجى بالالواء الاسود فركز من المنبر في أعلاه ونطق لسان حاله فقال

من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب
 بأفصح بيانا من لسانه غير أن هذا يزهي بيلاغ وعظته وهذا يزهي بعزة سلطانه
 ولما ذكرت سمات الخلافة المعظمة أتبعها الناس بالدعاء الذي ملا المسجد
 بحججه وسبق الكرام الكاتبون بزميله الى السماء وشججه وكان اليوم
 فضلا والموقف فضلا وذلك الدعاء فرضا لانقلا ولا ينتهي الوصف الى
 ما شوهه بالبلد من الآثار العجيبة التي تستلب العجلان وتستحب الازهان
 وتستنطق الالسننة بالتسبيح لله الذي فطر الانسان ومن جملة ذلك ما تبوهي
 في حسنه من البيع والصوامع ذوات الابنية الروائع التي رقت بالزخارف
 تزهى الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار
 ومامن الا ما يقال انه ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ولقد ألان
 الله لهم الحجارة حتى تخيروا في توسيعها بضروب الاختيار وجعلوها أعاجيب
 للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات جنان لأفنية ديار هذا الى غيره
 مما وجد من معبودات القوم الموصفة بانها آلهة الصلب اللاتي من ذوات
 النصب وأكثر ذلك وجد في المسجد موضوعا وعلى قبته مرفوعا فأنزات على
 قرونها واستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طعن عيونها واستوطن
 المؤمن مكان الكفور وبدأت الظلمات بالنور وقالت الصخرة الآن جمع بيني
 وبين الحجر الاسود ناطب الاسلام والجمع بين الاختين في هذا الامر من
 الحلال لامن الحرام وقال الاقصي سبحان الذي أسرى الى بجنده كما أسرى
 بعبدته وأعاد لي عهد الفتح الاول بهذا الفتح الذي أتى من بعده وعود الذهاب
 ارجاء لاوام أحدا به وخلد الانسان لا يكون الا في ما به وهذا هو الخطب
 الذي جدد للاسلام عهد ابن خطابه رضى الله عنه الآن مستنقذ الطريدة
 أولى بها من صاحبها ولئن غصبتها يد غالبية فقد جاء الله باليد التي غصبتها من
 غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الابانضاء سلاح أنفقه الواقعة الأولى التي
 استأصلت حياة البلاد واستباح أغيالها بقتل الآساد فكانت لهذا الفتح
 عنوانا ولتقرير أصوله بنيانا ولم ينح بها من طواغيت الكفر الا طاغية ترابلس
 فان السيوف أسارته وبفؤاده قلق من أوجالها وفي عينه دهش من أهوالها
 وقد قرن الله هذا الفتح بيشري موته وكفى المسلمين مؤنة الاهتمام لنوته ففر

من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقط له الخوف من وراء
 الجدار ولا فرق بين قتيل خوف السفار وبين قتيل الشفار ولا قد فرق بين
 المكره الى مثله لكنه اتقل من مية عزه الى مية ذله وكذلك آثار الخادم
 في أعداء الله فهم هلكي بسيفه في مواقف الطراد فان فتر وافجخوفه على جنوب
 الوساد وبعده هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء
 لديه من أمكن منها في دتوه ومن امتنع منها في بعاده وكل ذلك مستعد من
 الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرؤيا حقا وأحاديث
 الآمال صدقا وتقترب بعيدات الامور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا
 فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعي في تسهيله والمجاهد
 بنفسه وماله في سبيله فعلى عطف دوائهم اترقم أعلامه وفي أيامها تورخ أيامه
 ولو أبيع للقلم الخلاء في مقام المقال كما أبيع لصاحبه في مقام القتال لاختتمات
 مشيته في هذا الكتاب وإقال وأسهب فليس الاكثر رهنا من الامهات لكنه
 منعه من ذلك أن يكون ممن نخر به فابطله وأرسل خطابه الى الديوان العزيز
 فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقد ارتاد من يبلغ عنه مشاريع هذه الوقائع التي
 اختصرها ويشر صورها لمن غاب عنها كما غمشت لمن حضرها ويكون مكانه
 من النباهة كريما كمكانها وهي عرائس المساعي فاحسن الناس بيانا وهل
 لا يداع حسنها والسائر بها فلان وهو راوي أخبار نصرها التي صعبها
 في تجريح الرجال وعو الى اسنادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالي
 رواية فالتق برواية الايام والليال وستملوه هذه الاخبار الصادقة بشيئة الله
 أخبار مثلها صادقة ومادامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنها
 ناطقة ولا راء العالية مزيد العلوان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه
 تقليد أنشأته لانسب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء المتكئين
 في أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل
 حمله وعدم أهله فقد جى بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه
 غريبا كابدا وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربت
 فيه الامة حتى لم يبق الا مثالة كخالة التمر والشعير ومن أهم ما نقرر ببناءه
 ونقدم عنه ونصلح به الزمن وأبناءه أن غضى أحكام الشريعة المطهرة على

ما قرنته في تعريف ما عرفتته وتنكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر
الحسبة التي تتمثل منه بمنزلة السلوك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا
النية في ارتداد من يقوم فيها ويكفيها ويصافي لها ولا يصطفها وهو أنت أيها
الشيخ الأجل فلان أحسن الله لك الأثر وصدق فيك النظر فتواها غير
مؤكد اليها بل معانا عليها واعلم أن الناس قد آمنوا سنا وأحيوا بدعا
وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعة وأظلم منهم من أقترهم على أمرهم ولم
يأخذهم بقوارع زبرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك
التمسك عنها كالأمر باتباعها ولم يأت بنا الله تعالى إلا بعباد الدين قائما على
أصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمر أن تتصفح أحوال
الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالهم وأمر معاشهم الذي يتميز به
حرامهم من حلالهم فأبدأ أولا بالنظر في العقائد واهد فيها إلى سبيل الفرقة
الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزمو
مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا
أديانا وعبادوا من الأهل والأولاد واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ولونشأ
لا رينا كهـم فلم عرفتهم بسميائهم ولتعرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم
فن انتهى من هؤلاء إلى فلسفة فاقبله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا
ولا عدلا وإيـمـكن قتله على رؤس الأشهاد ما بين حاضر وباد فماتت كثرت
الشرائع بعثت مثاليته ولا تدنس علومها بعثت أثر جهالته والمنتمى إليها يعرف
بنكره ويستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالأبصار
وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الأنوار وما تجده من كتبها
التي هي مسمومة نافعة لأعلوم نافعة وأفاعي ملففة لأقوال مؤلفة
فأستأصل شأفتها بالتزيق وأفعل بهم ما يفعله الله بأهلها من التحريق ولا
يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها والكشف عن مكان أسرارها
فن وجدت في بيته فليؤخذ بها وإينكل به أشهارا وليقل هذا جزء
من استكبر استكبارا ولم يرج الله وقارا وأما من تحدث في القدر وقال فيه
بمخالفة نص الخبر فليس في شيء من رتبة الإسلام وإن تنسك بعبادة الصلاة
والصيام قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية تجوس هذه الامة والمراد

بذلك أنهم ماثلوا بين الله والعبد والضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة أن تجزى
 بأن تحزى فليقابل جمعها بالكسير واسمها بالتصغير وتنقل الى ثقل الحدود
 عن خفة التعزير ومن كان منها ذا مكانة تأبهة فليهبط أو شهادة عادلة
 فليسقط وكذلك يجزى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث
 القرآن القديم ومن ملهدى القرآن فرقة فترقت بين المعنى والخط وفرقة
 قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعيت بصائرهم
 وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التي تطهر أهلها وتجب ما قبلها
 وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقلب لأم في قبضة النسيان بل
 هي عبارة عن الندم على ما فات واستئناف الاخلاص فيما هو آت وقد
 جعل الله النائب من أحبائه ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن
 الملائكة يستغفرون لذنبه ويستغفرون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف
 الاصرارا ولم يزددهم دعاؤك الا فرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم
 طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سماعا
 فخذهم عند ذلك بجذ الجلد فان لم ينجع فبجذ ذوات الحد فان هذه أمراض
 عى لا ترجى لها الافاقة ولا تبرئ منها الا الدماء المراقبة وأما الفرقة المدعوة
 بالرافضة التي هي لما رنعه الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه
 ولا من الاسلام الا رسمه واذا انقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا
 ولغوا به ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن على رضى الله عنه فأسلموه
 وأخروا اذ قد تموه وهؤلاء وضعوا أحاديث فتنقألوها وأقولوها على ما أولوها
 فتببع الاخر منهم الا اول على غمة وقالوا انا ووجدنا آباءنا على أمة وههنا
 غير ما ذكرناه من عقائد محمولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة وبالهدى
 يتبين طريق الضلال وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الا عقيدة
 السنة والكتاب ولادين الا دين الجواز الماء والمحراب واذا فرغنا من الوصية
 بالاصول التي هي للدين ملاك فليمتبعها بالفروع التي هي له مسالك وأول ذلك
 الصلاة وهي في مباني الاسلام الخمس أو كدخسه وآخر ما وصى به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه ومن فضلها أنها العمل الذي ينهى عن
 الفحشاء والمنكر ولا عذر في تركها الا حذر من الناس فيقال انه يعذر فاجمع

الناس اليها واجلهم عليها ومرهم بالاجتماع لها في المساجد ونادفهم بفضيلة
صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقهم عند اوقات الاذان في الاسواق
التي هي معركـة الشيطان فمن شغل بتميم كسبه ولها عنهما بالاقبال على
لهو ولعبه فخذ بالآلة العـرية التي تضع من قدره وتذيقه وبال أمره
ولا يمنعك عن ذي هيبة هيبة ولا عن ذي شبهة شبيته فانما أهلك الذين قبلكم
أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا
عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الايام بمنزلة الاعياد
في الاعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المحجب التي ماصادفها عبيد
الاطفر بالطلاب غر الناس بابتدائه في البواكر والنوز فيه بقربان البدنات
الاخير فانه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل
الكتاب من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولا شتماله على مجموع
فضلها سمي يوم الجمعة وفي الاعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالترابيع
في شهر رمضان والرغائب في أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان
فلما لا المساجد في هذه المواسم التي تـثـرفها شهادات الاقلام في
كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس همها الا أن يتر بها طروقا
ويواعد اليه أخذانه رفقا أو فسوقا فهو لاهم الخلف الذين أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فابعد عليهم قوما يابونهم سلبا ويوجعونهم ضربا
ويعلمون عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فيسوت الله مطهرة من هذه الادناس ولم
تعمر شياطين الانس وانما عرت للناس فلا يحضرها الا راع وساجد أو
ذا كرواحمد وهما عظيمة عضيه وقاحشة يفقهها من ليست نفسه بفقيرة
وهي الربا فانه قد كثر كاه وتظاهريه فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله
وتوصلوا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من أعمى الله قلبه ومحق
كسبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فجعلوها وباعوها وأكوا أنماها ونحن نأمر لك أن تشمر في هذا الامر تشميرا
برهة الباس ولا تدع رباحا حتى تضعه وأول رباح تضعه رباح العباس فتأديب الكبير
قاص بتأديب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف الاسوة بالنظير وجل معاملة
الربا تجرى في سوق الصرف الذي يختلف به النقود وتفترض فيه العقود

ويخاض في نار نيره الى النار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا
وألستها همزا ولما وأصبح الدرهم والدينار عندهم بمنزلة الصنفين اللات
والعزى ولا يرى منهم الا من الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة
بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هؤلاء تعديلا وتحولهم على مرور
الايام تخويلا واعلم أنك قد وليت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهما الامم
السالفة فباشروهم ما بيدك مباشرة الاختيار والاختيار ولا تقل أهلهم ما عثرة
فإن الاقالة لا تنهى عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس ممن لم يزل غرسه
ولا فقهت نفسه وايسرهم الافرجه أوضرسه فخذهم بآلة التعزير التي هي
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أن تخرج أرض الرأس
رجا وتفرج سماء فرجا وبذلك يصاحبه هديا ونهجا وقد كثرت الاسواق
الخلابة والتجش وتلقى الركبان ويبيع الحاضر للبادي وتنفيق الساحة باليمين
الكذابة وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها والنهي
عن توردها مكانها فمن عارف شيئا منها جاهلا بتعريمه فقومه بالتعليم واهده الى
الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترف فأذقه حر التأديب فبطل أن يذاق
هذا حر التعذيب وأعلمه أن الارزاق بيد الله تعالى لا ينفقهها عجز القاعد
ولا يزيد لها حرص الكادح وقد ينقلب الجاهل فيها بصفة الخاسر والواعد
بصفة الراجح ومن سئله الله تعالى أن ينهى الحلال وان كان يسيرا ويعيق
الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله ما لا يقب في الاسواق جنود
ذهبه وورقه واحتكم ما له الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات
وسقه فاصبح فقرا ببلده في ضيق من عدم الرفق ومدد الرزق فليمنع هؤلاء
أن يجعلوا رزق الله محتمرا ومعاش عباد محتمرا وايؤمروا بأن يتزاحوا
ولا يتزاحوا وأن يأخذ الغنى منهم بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يعينه
على الاسعاف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حكرة في سوقنا لا يعمد
رجل بايديهم فضول من اذهب الى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا
فيحتكمرونه علينا ولكن أيعا جالب جلب على عود كبدته فذلك ضيف عمر
فلدبع كيف شاء الله ولمسك كيف شاء الله وأما التسعير فانه وأن أثره
القاطنون وحكم به القاسطون وقيل ان في ذلك لافقير يسير العسير فليس

لاحد أن يكون يد الله في حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أوقفك
 حكم الحق ودع ما يعن لك من مصالحة المطلق ولا تكن ممن تبع الرأي والنظر
 وترك الآيات والخبر فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على السنة رسله وليست
 مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما تأمر له أن تفعل الصغيرة
 كما تفعل الكبيرة فإن لم الذنوب كانت تطر بصير مجتمعة سبيلامة دفقا وكان أوله
 قطرا متفرقا وقد استمر في الناس عوائدهم أو نوايا استقرارها ولم ينظروا إلى ثقل
 أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحديد الذي لم يابسه الأمن عدم عند الله
 خلاقا وإن قيل أنه شعار للغنى فلم يزد صاحبه من الحسنات إلا ملاقا ولللبس
 عبادة مع التقوى أحسن في العيون شعارا وأعظم في الصدور وقارا ويلتحق
 به هذه المعصية صرغ الذهب والنضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق
 يقاتل مانعه ويعصى في استعمالها أمر الله وهو حرم من حدوده يعاقب
 عاصيه ويناب طائعه وكذلك يجري الحكم في الصور المرفوعة في البيوت
 والنياب وعلى السور المعلقة على الأبواب وإخراجها في ضروب أشكال
 الحيوان للملاعبة الصبيان وذلك مما خلق الله في التقدير وإلهذا يؤمر
 صانعه بتفخ الروح فيما صورته من التصوير ومما يغفل عن تكريم أطالة الذبول
 لا جترار والمباهاة لما فيها من عنجهية التبع والاستكبار ولن يخرق صاحبها
 الأرض بأهملها ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي صلى الله عليه
 وسلم إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جرتوبه خيلاء ومما هو أشد تنكيرا أمر
 الحمامات فإن الناس قد أصروا بها على الأجهار وترك الاستتار والتهاون
 بأمر العورات التي لصاحبها اللعنة ولهس ووالدار والنساء في هذا المقام
 أشد تنكرا من الرجال وقد ابتذال أنفهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال
 ولهن محذئات من المنكرات مدتها كثرة الأرفاء والأتراف وأهمل إنكارها
 حتى سرت في الأوساط والأطراف وقد أحدث الآن من الملابس ما لم يخطر
 للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستتر منه أسبال مرط
 ولا دناء جلباب ومن جعلتها أنهن يعتصبن عصائب كالمثال الاسفة ويخرجن
 من جهارة أشكالها في الصور المعجلة وقد أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم

بها فيما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها معدودا من زمرة أصحاب النار
ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان وتلك قراءة تخرج
حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد
أمر الله بترتيبه وإيراده على هيئة تنزيه فنقرأه بالترجيع والترديد وزلزل
حروفه بالتطيط والتديد فقد ألحقه بدرجات الانعاني وذهب بما فيه من
طلاوة الالفاظ والمعاني قال النبي صلى الله عليه وسلم أقرأوا القرآن بلحون
العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجي
بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة
قلوبهم وقلوب الذين يجهلهم شأنهم ويلتحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي
يلعن باللعن قول لعنن بالاسماع ويغنين الشيطان بغنائهن عن رب الجنود
والاشباع وقتل النفس الامارة في ذلك أن تقول هؤلاء املاء يحل نغمة سماعهن
كما يحل ما تحت قناعاتهن وقد علم أن لكل شئ ثامنا وقد ينقلب الحلال فيصير
حراما ومن حرام - حول الحى يوشك أن يقع فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن
وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزات ومن الناس من يشتري لهو الحديث
وكذلك يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح
مستورا ويخذعن نظرا الناظر حتى يجعلنه مسكورا فهن يبدن صدقا
من كذب وجنات من لعب وفعلن هذا من الغش الذي نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة
والواصلة والمستوصلة والواصلة والمستوصلة ومن غش المنكرات أيضا
خضاب الشيب الذي يخالف فيه الظاهر الباطن ويتخلق صاحبه بخلق
الكاذب الخائن وهب أنه أخفى لون شعره وهل يخفى اخلاق لباسه وإذا
استسن ملائم المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد جعل الله الشيب
من نعمه المبشرة بطول الاعمار وسماء نورا للونه وهداية ولا تستوى الظلمات
والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشغل بتغيير صيغة
الكتاب ويدأب في محو سواد العقاب بيباض الثواب ففي بقيه عمره مندوحة
لا ذخار ما يحمد ذخره وتبديل ما قد تم سطره ومما خواف في السنة عقد

مجالس التعازي لحضور الناس واظهار شعاع الاسود والازرق من اللباس
 والتشبيه بالجاهلية في النوح والندب ومجاورة دمع العين وخشوع القلب الى
 الاعلان باستخاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور وجعل
 الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمنادب
 عندهم ما ديب وربما نشأ من ذلك ما يغض طرفا ويجدع أنفا ويوجب حدا
 وقدفا وهكذا أهل مل أمر الاسلام في تشبيه أهل اللذة بأهل ما كانوا
 يشابهوه في زى غزته ويخالفوه في سلوكه ولا بد من الغيار بأن يشد
 النصراني عقدة زناره ويصفر اليهودي أعلى ازاره ولينعوا من الظاهر
 بطغيان النعمة وعلو الهمة ويؤمروا بالوقوف عند ما حكم عليهم من الاحكام
 وأخذوا فيه بالاختناء والاصحاح فمورهم تستر وشعائر دينهم لا تظهر
 وموتاهم تقبر بالحوول قبل أن تقبر فلا يؤخذ خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بدب
 ولا مصباح ومما عرف الناس منكرا اشارة التحريش بين الحيوات وهي ذوات
 الكادر طيبة وأخلاق صعبة ومما منها الا ما يحل أكله ولا يحل قتله كالكبش
 والحجلة والديك والسمانى وما أشبهها وقد أكل الناس من اقتنائها والمواظبة
 على اضرار شحنائها ولربما نشأ من ذلك قنينة تؤل الى خراب وشق ثياب
 واحداث شجاج واثارة عجاج وتغزب الى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه
 المنكرات المذكورة أشياء أخرى تجرى مجراها في التقديم وتنزل منزلتها
 في التحريم فاحكمكم فيها بحكمكم وامض في شبهاتها بدليل علمك ونب عناني
 التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشد
 ويكث في الارض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن علمك الله الذي يسمع ويرى وله
 ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الامر بالمعروف
 عبادة يتعدى تفجع صاحبها الى غيره ونسب تضييف خيرا للمؤمر بها الى غيره وهي
 الجهاد الاكبر الذي تقايل فيه عواصى النفوس وتدمر به رؤس الشهوات التي
 هي أمانع من معاقدة الرؤس فقتله يحيا بقتله وجريحه يوسى بجراحة نصله وبمثل
 هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فاقدم
 عليه ذاعزم باتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تطل لمعاقل الشيطان
 فاتحها وتكون فحين دعا الى الله وعمل صالحا واعلم أنك في صبيحة كل يوم

يتدرك الملك والشیطان وكل منهما يقول يا أيها الإنسان فان أجبت نداء الملك
 كتبك في زمرة من مهد الجنة وخاف مقام ربه وعرج بك الى الله طيبا نشره
 مضاعفا أجره وان أجبت نداء الشیطان كتبك في زمرة من أغواء وقرئك بين
 أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض خبيثا مخبئا وأقبل به على
 اخوانه من الشیاطین محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذي طوقت
 اليوم بكتابه ومتناقض غدا على حسابيه وكما جعلناه لك في الدنيا ذكرا فاجعله
 لك في الآخرة ذنرا ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذي ذكرته في هذين) من
 الكتاب والتقليد يتضمن اطنابا... تتوفي الاقسام ولولا خوف الاطالة التي
 لا حاجة اليها الا وردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلو الموضع من ضرب
 أمثلة من المنظوم والمنثور امكن في الذي ذكرته كفاية لمن يحمله على أشباهه
 ونظائره (فان قيل) ان الاطناب في الكلام قد وضعوه اسماء على غير مسمى فان
 الكلام لا يخلو من حالي ان لا يزيد لفظه على معناه وهو الايجاز أو يزيد
 لفظه على معناه وهو التويل وليس ههنا قسم ثالث فالاطناب اذا قلت
 في الجواب اعلم أن الايجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن
 بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضدادا فالاطناب لا ايجاز هو ولا تطويل
 كما أن الحرة أو الحضرة ليست بياضا ولا سودا وقد قدمنا القول ان الاطناب
 يأتي في الكلام مؤكدا كالذي يأتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة
 واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك
 المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيء
 وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذف منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك
 المعنى وزال ذلك التأكيده عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع
 ما لم يكن الا بها ألا ترى الى قوله تعالى فانها لا تعصى الا بأمر راسك تعصى القلوب
 التي في الصدور وهذا لا يسمى ايجازا لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور
 وقد علم أن القلوب لا تكون الا في الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل
 لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهي ما أشرنا اليه وكذلك باقي أقسام
 الاطناب التي تبينها عليه وهذا النزاع فيه (النوع السابع عشر في التكرير) قد
 تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط به هذا

النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم
البيان وهو دقيق المأخذ وحقه هو دلالة اللفظ على المعنى مرئدا وربما اشتبه
على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالطويل أخرى وقد تقدم الكلام على
الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما
التكرير فله عدة طرق (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد في اللفظ والمعنى
(والآخر) يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك

من تستدعيه أسرع وأسرع ومنه قول بي ا طيب المتنبي

ولم أر مثل جبراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك أطيعني ولا تعصني فإن الأمر
بالطاعة ينهى عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا
أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اتما من الاسم
مع الاسم بشرط أن يكون الأول بالثاني علاقة بمعنى يسع مكلفا جهله واتما من
الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا واتما من حرف النداء
مع الاسم فهذه هو المفيد عند النحاة وأنالم أقصد ذلك ههنا بل مقصودي من
المفيد أن يأتي المعنى وغير المفيد أن يأتي لغير معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتي
في الكلام تأكيده له وتشديد أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ
الذي كررت فيه كلامك اتما ما لغة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك ولا يأتي الا في
أحد طرفي الشئ المقصود بالذكر والوسط عار منه لأن أحد الطرفين هو المقصود
بالمبالغة اتما بدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد
لا يأتي في الكلام الاعيا وخطا من غير حاجة اليه (فأما الاول) وهو الذي يوجد
في اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو
فرعان الاول) اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به
غرضان مختلفان كقوله تعالى واذيعدكم الله احدي الطائفتين أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة تصكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرر في اللفظ والمعنى
وهو قوله يحق الحق وليحق الحق وانما جئ به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن
الاول تميز بين الارادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة

على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض (ومن هــ هذا الباب)
 قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول
 المسلمين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني
 فأعبدوا ما شئتم من دونه فذكر قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له
 الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن
 الأول اخبار بأنه أمر من جهة الله بالعبادة والاخلاص في دينه والثاني
 اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك
 قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول لأن الكلام أولاً واقع في
 الفعل نفسه وإيجاده وثانياً يفمين بفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه
 فأعبدوا ما شئتم من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
 ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين
 يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الأول والثاني أنهما
 سواء في المعنى وليس كذلك لأن الثاني فيه تخصيص غير موجود في الأول
 ألا ترى أنا اذا قلنا زيد الفضل وقلنا الفضل زيد كان في الثاني تخصيص
 له بالفضل وهذا التخصيص لا يوجد في القول الأول الذي هو زيد الفضل
 ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضتها فيقال زيد الاجل أو زيد
 الانقص واذا قلنا الفضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه
 وكذلك يجري المحكم في هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا
 بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب
 الا باذنه وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى في موضع آخر
 انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فإم بصفة غير تلك الصفة
 ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم
 بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن في تكرير المعاني (ومما يعقبن
 هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون
 ما أعبدوا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ذلكم دينكم ولي دين وقد
 ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله
 لا أعبد يعني في المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلبه منكم

من عبادة الهى ولا أنا عبد ما عبدتم أى وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه
 يعنى أنه لم يعبدتمنى عبادة صنتم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى
 فى الاسلام ولا أنستم عابدون فى الماضى فى وقت ما ما أنا على عبادته الآن
 (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
 الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكثرة الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن
 الاولية تعلق بأمر الدنيا والثانى يتعلق بأمر الآخرة فماتة تعلق بأمر الدنيا يرجع
 الى خلق العالمين فى كونه خلقا منهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج
 اليه حتى البقرة والذباب وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما
 ما يتعلق بأمر الآخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم
 الدين وبالجملة فاعلم أنه ليس فى القرآن مكررا لفائدة فى تكريره فان رأيت
 شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنتم تطرق فيه فانظر الى سوابقه ولواحقه
 لتتكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكررا) قوله تعالى كذب
 قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا
 الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله
 وأطيعون ليؤكده عندهم وية تترده فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منها بعله
 فجعل الله الاول كونه آمينا فيما بينهم وجعل الله الثانى حسم طمعه عنهم وخلقوه
 من الاغراض فيما يدعوه اليه (ومن هذا النوع) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
 نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد ونادوا وعود قوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الأحزاب
 ان كل الاكاذب الرسل فحق عقاب وانما كثر تكذيبهم ههنا لأنه لم يأت به
 على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولا فى الجملة
 الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بان كل واحد من
 الأحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى
 تكرير التكذيب وايضا حده بعد ايهامه والتنوع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا
 وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص
 المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير
 اللفظ والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين
 غيره فافهمه ان شاء الله تعالى (الفرع الثانى من الضرب الاول) اذا كان

التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله
 تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره
 واصابته الغرض وهذا كما يقال قتل الله ما أشجع أو ما أشعره وعليه ورد قول
 الشاعر ألا يا أسلى ثم أسلى ثم أسلى • وهذا ما بالغت في الدلالة له بالسلامة
 وكل • هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته (وعليه ورد الحديث النبوي)
 وذال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بني هشام بن النخعة يقرأون ما أدنوني
 أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يطلق علي ابنتي
 وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذي هو أشد
 موقعا من الإيجاز لا نصيب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه
 من التزويج بباينة أبي جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى
 لك فأولى ومن أجل ذلك نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له لأن قولنا لا إله
 إلا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما في المعنى سواء وإنما كثرنا القول
 فيه لتقرير المعنى وإثباته وذال لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى
 واليهودية والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز وأحسن وأشد موقعا
 (ومما في مثل هذا) قوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيه مطر
 في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به
 من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله
 لمبلىين فننوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد
 وتناولوا فتحكم بأسهم وتمدى إبلهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
 بذلك (وعن ذلك ورد) قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ولا يحزنون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر يتوهم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لأن من لا يؤمن بالله ولا
 باليوم الآخر لا يدين دين الحق وإنما كثره في الخطاب على المأمورين به من
 التسجيل عليهم بالذم ورجعهم بالعظام إلى كون ذلك أدعى لوجوب قتالهم
 وحربهم وقد قلنا إن التكرير أغما يأتي لأهم من الأمر الذي يصرف العناية
 إليه ينبت ويتقرب (وكذلك ورد) قوله تعالى وإن تعجب ف عجيب قولهم أنذا كنا ترابا
 أنألقى خلقا جديدا أولئك الذين كذبوا برهم وأولئك الأغلال في أعناقهم

وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرر لفظة أولئك من هذا الباب الذي
أشرنا إليه لكان شدة النكير واغلاظ العذاب بسبب انكارهم البعث (وهذا
هذا ورد) قوله تعالى أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
الآخسرون فانه انما تكررت لفظة هم للايدان بحقيقة الخسار والاضل فيها وهم في الآخرة
الآخسرون لكن لما أريد تأكيده ذلك جئ به بتكرير هذه اللفظة المشار إليها
وكذلك قوله تعالى فكان عاقبتهم ما أنهما في النار خالدان فيهما وأمثال هذا في القرآن
كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى في سورة القصص فأصبح في المدينة خائفا يترقب
فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن
أراد أن يبطش بالذي هو عدوؤه ما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا
بالأمس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى
عليه السلام لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول بل
كان عنده إبطاء في بسط يده إليه فمبرأ القرآن عن ذلك في قوله تعالى فلما أن أراد أن
يبطش (وجرت بيني وبين رجل من النحويين مفاوضة) في هذه الآية فقال ان
أن الأولى زائدة ولو حذفته فقل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى إلى
قوله تعالى فلما أن جاء البشر ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن الواردة
بعد ما وقبل الفعل زائدة فقلت له النحاة لا يفتيها لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة
ولا عندهم معرفة بأسرارهم من حيث أنهم نحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد
ما وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى
بوجودها كالمعنى إذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الأمر كذلك بل إذا وردت
لما وورد الفعل بعدها باسقاط أن دل ذلك على الفور وإذا لم تسقط لم يدلنا ذلك
على أن الفعل كان على الفور وانما كل فيه تراخ وإبطاء (وبيان ذلك من وجهين
أحدهما) أني أقول فائدة وضع اللفاظ أن تكون أدلة على المعاني فاذا أوردت
لفظة من اللفاظ في كلام مشهور دلها بالفصاحة والبلاغة فالأولى أن تحمل تلك
اللفظة على معنى فإن لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقيص والبحث الطويل قبل
هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا في هذه الآية
وجدت لفظة أن الواردة بعد ما وقبل الفعل دالة على معنى وإذا كانت دالة على
معنى فكيف يسوغ أن يقال انها زائدة (فان قيل) انها إذا كانت دالة على معنى

فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت إليه (قلت في الجواب) إذا ثبت أنها دالة على معنى فالذي أشرت إليه معنى مناسب واقع في موقعه وإذا كان مناسباً واقعاً في موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزايدة (الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة ~~لكان~~ ذلك قد حاقى كلام الله تعالى وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليه والمعنى يتم بدونها حينئذ لا يكون كلامه مبهجاً إذ من شرط الأبحاز عدم التطويل الذي لا حاجة إليه وإن التطويل عيب في الكلام فكيف يكون ما هو عيب في الكلام من باب الأبحاز هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فإنه إذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الحبس وإلى أن جاء البشير إلى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم إبطاء بعيد وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة ولولم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاوّل لما جرى بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورر ولا تؤخذ من النصاة لأنها ليست من شأنهم (واعلم) أن من هذا النوع قسم ما يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتي في الأناط المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فنه قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم والرجز هو العذاب وعليه ورد قوله أبي تمام

نموض بثقل العب مضطلع به • وان عظمت فيه الخطوب وجات
والثقل هو العب والعب هو الثقل (وكذلك) ورد قول البحري
ويوم تثنت للسوداع وسلمت • بعينين وصول بالخطه ما السهر
نوهتم ألولى بأجفانهم الكرى • كرى النوم أو مات بأعطافها الخمر
فإن الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه
الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيّد للمعنى
المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أليم عذاب
مضاعف من عذاب وأما بيت أبي تمام فإنه تضمن المبالغة في وصف الممدوح
بجملة لا يقال وأما بيت البحري فإنه أراد أن يشبه طريقه الفتور بالنائم فكثرة
المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه تأكيداً لزيادة في بيانه وهذا

الموضع لم ينبه عليه أحد سوى ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع ما ليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضاً أحد سوى (غنه قوله تعالى) ثم إن ربك للذين علوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها لغفور رحيم فلما تكررت ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهذه الآيات يظن أنهم من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير وذلك أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أقوله يفترق إلى تمام لا يفهم إلا به فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل كي لا ينجى الكلام من ثور الاسمي في أن وأخواتها فإذا وردت أن وصكان بين اسمها وخبرها فصفة طويلة من الكلام فعادة أن أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم من هذه الآيات وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحنابلة

أعجزنا قددا واشتدبا قافا وغربة • ونأى حبيب أن ذا العظيم

وإن امرأ دامت موافيق عهده • على مثل هذا أنه الكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم أن وخبرها أعيدت أن مرة ثانية لأن تقدير الكلام وإن امرأ دامت موافيق عهده على مثل هذا الكريم لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعد أن مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء أما طبعوا وأما علما (وكذلك يجري الأمر) إذا كان خبر أن عاملا في معمول يطول ذكره فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فلما قال اني رأيت ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لي ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكرة مرة ههنا قبل هذه وهي قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فإنه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى ثم إن

ربك للذين علموا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهي ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا (ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى) الدال على معنى واحد قوله عز وجل وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما ههنا الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار فانه انما كثر رداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والابقاظة عن سنة الغفلة ولانهم قوم وعشيرة وهم فيما يوجبهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يقصن لهم ويلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره ونعمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحتهم لهم وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موقعا من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه) جاء قوله تعالى في سورة القمر فذوقوا عذابي ونذروا قد يسرفا القرآن لذلك فسر فهل من مذكر فانه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته أن يجتدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذ كانوا يبقاظة وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الخبر على ذلك والبعث اليه وأن تقرر لهم العصاميات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن فباي آلام ربكم تكذبان وذلك عند كل نعمة عددناها على عباده وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض شعراء الحماسة

الى معدن العزم المؤئل والندى • هنالك هنالك الفضل والخلق الجزل
ف قوله هنالك هنالك من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز لانه في معرض مدح
فهو يترقى بنفس السامع ما عند المدح من هذه الاوصاف المذكورة مشيرا
اليها كأنه قال أدلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومقاده (وكذلك) ورد قول
المساور بن هند

جزى الله عنى غالباً من عشيرة • اذا حدثان الدهر فابت نوابه
فكم دافعوا من كربة قد تلاحت • على وموج قد دعتني غواربه
فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتمالي
الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لانه مقام مدح واطراء ألا ترى أنه يصف
احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير وفي قبائله لو كان القائل

قوله واعلم المنزه من الزكاة ما لا يخفى والمعنى واضح

هاجيا فان الهجاء في هذا كلام مدح والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لافي
الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة المخففة بعدما كانت بجعلها سواء
ألا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالأعنام فان وما يعنى واحد واذا اوردت
من بعدما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا أى ما ما يكون
كذا وكذا واذا اوردت في الكلام فانما ترد في مثل ما أشرنا اليه من التكرير
فان استعملت في غير ما يكون منها لفائدة ينتجها تكريرها كان استعمالها لغوا
لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبي أتى في هذا
البيت بتكرير لا حاجة به اليه وهو قوله

العارض الهمتن ابن العارض الهمتن ابن العارض الهمتن
بوايس في هذا البيت من تكرير فاته كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف
كذا وكذا أى انه عريق النسب في هذا الوصف (وقد ورد) في الحديث النبوى
مثل ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم (واقعد فاضنى في هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ
يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كالخبر
النبوى من جهة المعنى سواء بسواء لكن انظروا ليس بمرضى على هذا الوجه الذى
قد استعمل فيه فان اللفاظ اذا كانت حسنا فى حال انفرادها فان استعمالها
في حال التركيب يزيد حسانا على حسنها أو يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم
الكلام على ذلك في المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولو تم بألأبي الطيب
المتنبي أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أحسن
وكذلك لفظة الهمتن فانها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة
العارض وان كانت قد وردت في القرآن وهى لفظة حسنة فالفرق بين ورودها
في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعرى ظاهر وقد تقدم الكلام
على مثلها من آية وبيت لأبي الطيب أيضا وهو في المقالة اللفظية عند الكلام على
الالفاظ المفردة فليؤخذ من هنالك وكثيرا ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع
وهم الذين قيل فيهم وكذا كل أنى حذقة • ما مشى في يابس الازاق
فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع في وصف كلامه بالاجاز

وكلام بالتطويل أو بالتكرير وإذا طول بأن يبدى سبب الماذكره لا يوجد
عنده من القول شيء إلا تحكما محضاً صادراً عن جهل محض (الضرب الثاني
من التكرير في اللفظ والمعنى) وهو غير المقيد فن ذلك قول مروان الأصغر
مضى الله نجداً والسلام على نجد * ويا حبيذاً نجد على النأى والبعد
تظرت إلى نجد وبغداد دونها * أعلی أرى نجداً وهيها من نجد
وهذا من المعنى الضعيف فإنه كثر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثاً وفي البيت الثاني
ثلاثاً ومراده في الأول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظراً من بغداد
وذلك مرعى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير أما البيت الأول
فيصم على الجواز من التكرير لانه مقام تشويق وتحرق وموجدة بفراق نجد
ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى
الوارد في البيتين معاً من غير أن يأتي به هذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى
هذا الأسلوب) ورد قول أبي نواس

أقنابها يوم ما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس
ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا حبيباً له يأتي بمنزل هذا البيت
السخيف الدال على المعنى الفاحش في ضمن تلك الآيات العجيبة الحسن التي
تقدم ذكرها في باب الإيجاز وهي * ودارندامى عطلوها وأدبلوها * (ومن هذا
الباب أيضاً) ما أوردناه في صدر هذا النوع وهو قول أبي الطيب المتنبى
ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام
فهذا هو التكرير الفاحش الذى يؤثر في الكلام نقصاً ألا ترى أنه يقول لم أر
مثل جيرانى في سوء الجوار ولا مثلى في مصابرتهم ومقامى عندهم إلا أنه قد كثر
هذا المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضاً

وقلقت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل عيس كاهن قلاقل
(وأما القسم الثاني من التكرير) وهو الذى يوجد في المعنى دون اللفظ (فذلك
ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الأول المفيد وهو فرعان الأول) إذا كان
التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه
يسبق إلى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد (فما جاء منه) حديث حاطب بن
أبي بلتعنة في غزوة الفتح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر على بن أبي طالب

والزبير والمقداد رضي الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها طعينة معها
كتاب فأتوني به قال علي رضي الله عنه نخرجنا تنعادي بنا خيلنا حتى أتينا
الروضة واذا فيها الطعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتيناه رسول الله صلى
الله عليه وسلم واذا هو من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم
بعض شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما هذا يا حاطب فقال يا رسول
الله لا تعجل علي اني كنت امرأ مملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من
معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهلهم بمكة فأحببت اذفاتي
ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون به اقرابتي وما فعلت ذلك كفر ولا
ارتداد عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قد صدقكم فتوله ما فعلت ذلك كفر ولا ارتداد عن ديني ولا رضا
بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكرير الفائدة فيه
فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام
وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ هو اني لم أفعل ذلك وأنا كافر أي باق على
الكفر ولا مرتد أي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أي
ولا ايشار الجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في
موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدد ذكره
ههنا وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتي بيانه في الفرع
الثاني الذي يلي هذا الفرع الاول والذي يجوز ان هذا المقام هو مقام اعتذار
وتنصل عما رمي به من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر فكثر المعنى
في اعتذاره قصد الالتأكيد والتقرير لما يتقى عنه ما رمي به (وعما يتنظم به هذا
السلك) انه اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والاخر
عام كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر
بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمر بالمعروف
وذال ان الخير أنواع كثيرة من جلتها الامر بالمعروف ففائدة التكرير ههنا أنه
ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وكقوله تعالى فيهم ما فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى انا

عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها فان الجبال
داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم
شان الامانة المشار اليها وتفضيل امرها (وقد ورد) هذا في القرآن الكريم كثيرا
وعما ورد منه شعرا قول من آيات الحامسة

وان الذي بيني وبين بني أبي • وبين بني عمي لمختلف جدا
اذا اكلوا الحمي وفرت لحومهم • وان هدموا مجددي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غنبي حفظت غيوبهم • وان هم هو واغني هويت لهم رشدا

فهذا من الخصاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضضيع لغيبه وليس
كل تضضيع لغيبه اكل للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب وأما
تضضيع الغيب فنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي
في كل ما يعود بالنفع كأننا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخصاص والعام
المشار اليه في الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه
لافائدة فيه (الفرع الثاني) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد
لا غير وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب كقولك أطيعني ولا تعصني فان الامر
بالطاعة نهى عن المعصية والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب
والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى
اذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا يجحد شيئا من ذلك يأتي في الكلام الاثنا كد
الغرض المقصود به كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما
كرر العفو والصفح والمغفرة للجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد
عن ولده والزوج عن زوجته وهذا أو أمثاله ينظر في الغرض المقصود به وهو
موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الایجاز وأولى بالاستعمال (وقد
ورد) في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال انما
أشكوي وحرني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون فان البت والحزن بمعنى واحد
وانما كثره ههنا لشدته الخطب النازل به وتصح كثر سهامه النافذة في قلبه وهذا
المعنى كالذي قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة
تنوب من باب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هي ثلاثة وسبعة ثم قال كاملة

وذلك توكيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق
 على الفور لا عند الوصول الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أني أقول
 اذا صدر الامر من الامر على الأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه
 عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا على المبادرة الى امتثال
 الامر على الفور فانك اذا قلت ان تأمره بالقيام قم قم فاعتا ترتيب هذا اللفظ
 المكرر ان يبادر الى القيام في تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير
 الامر ان يتقرر في نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة
 الى امتثال الامر (قلت في الجواب) ان المرة الواحدة كافية في معرفة المأمور
 أن الذي أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تخلو اما أن تكون دالة
 على مادات عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن في المرة الواحدة
 فان كانت دالة على مادات عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا في الكلام لا حاجة
 اليه وقد ورد مثله في القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من
 الآيات والتطويل في الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقرآن مهجوز
 بلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه فينبغي أن تكون تلك
 الزيادة دالة على معنى زائد على مادات عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا فقلت
 الزيادة هي الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لي ذلك والافين معنى
 تلك الزيادة ببيان غير ما ذكرته أنا ولا أرا له أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو
 في قوله تعالى وسبعة اذ ارجعتم لولا أن تؤكده بقوله تلك عشرة لظن أنهم اوردت
 بمعنى أو أي فتلاثة أيام في الحج أو سبعة اذ ارجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا
 الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليست بمعنى أو (قلت في الجواب) هذا باطل
 من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو والعاطفة لا تجعل بمعنى أو أين وردت من
 الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجيح جانبها على جانب جعلها عاطفة
 لأن الاصل فيها أن تكون عاطفة فاذا عدل بها عن أصلها احتاج الى ترجيح
 ولا ترجيح ههنا الوجه الثاني بلاغي وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة
 والفصاحة كان اعجازة فلو كان معنى الواو في هذه الآية بمعنى أو لقي لفتلاثة
 أيام في الحج وسبعة اذ ارجعتم ولم يحتج الى هذا التطويل في قوله فتلاثة أيام في
 الحج وسبعة اذ ارجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من

أحكام العبادات والعبادات يجب فيها الاحتياط أن تؤدى على أكمل صورة لئلا
 يدخلها النقص وإذا كان الأمر على ذلك فكيف يظن أن الواو في هذه الآية بمعنى
 أو الوجه الرابع أن السبعة ليست مماثلة للثلاثة حتى تجعل في قبالتها لأن
 معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى أو أمّا أن تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو
 سبعة إذا رجعت (فان قلت) هذا تعبد لا يعقل معناه كغيره من التعبدات التي
 لا يعقل معناها (قلت في الجواب) إن لنا من التعبدات ما لا يعقل معناه كعدد
 ركعات الصلوات وعدد الطواف والسعي وأشياء ذلك ولنا ما يعقل معناه
 كهذه الآية فإنا نعقل التفاوت بين الصوم في الحضر والسفر ونعقل التفاوت
 بين العدد الكثير والعدد القليل وعلى هذا فلا يخلو أمّا أن يكون صوم الأيام
 السبعة عند الرجوع في الطريق أو عند الوصول إلى البلد فإن كان في الطريق
 فإنه أشق من الصوم بمكة لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في الحضر فكيف
 يجعل صوم سبعة أيام في السفر في مقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة وإن كان الصوم
 عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد
 لأن كليهما صوم في المقام يبلى من البلاد لا تفارت بينهما حتى يجعل صوم ثلاثة
 أيام في مقابلة سبعة أيام على غير مثال ولا تساو فعلى كلا التقديرين لا يجوز أن
 تكون الواو في سبعة إذا رجعت بمعنى أو فتحتق إذا أنهم اللعطف خاصة وإذا كانت
 للعطف خاصة فتأكدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام
 السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد (فان قلت) إن الصوم بمكة أشق من
 الصوم في الطريق لأن الواجب عليه الصوم بمكة في نسب رتعب به سريره زمانه
 في السعي والطواف والصلاة والهجرة وغير ذلك (قلت في الجواب) هذا لا يلزم
 إذا الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد لا غير وما عدا ذلك نافله لا يلزم ونحن
 في هذا المقام ناظرون إلى ما يجب لا إلى التماثل والذي يجب أدائه بمكة يفرغ
 منه في ساعة واحدة فكيف يجعل الزيادة على ذلك دليلاً يورد في هذا المقام هذا
 غير وارد وهكذا ورد قوله تعالى فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على
 الكافرين غير يسير فقوله غير يسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار إليه والـ
 فقد علم أن العسير لا يكون يسيراً وانما ذكره هنا على هذا الوجه لتعظيم شأن ذلك
 اليوم في عسره وشدته على الكافرين وكذلك ورد قوله تعالى قد كانت لكم أسوة

حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا القوم هم انا برآء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبداييننا وبينكم العداوة والبغضاء ابد احتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما احسن ايرادهما معاً في معرض واحد لتأكيد البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده وللمبالغة في اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع كالايجاز في موضعه وان ترى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل الا وهو لامر اقتضاء وان خفي عنك موضع السرفيه فاسأل عنه أهله العارفين به (ومما ورد منه شعراً) قول بعضهم في أبيات الحماسة

نزات على آل المهلب شاتياً • بعيداً عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي اكرامهم وافقه قادم • واحسانهم حتى حسبتهم أهلي
فان الاكرام والافتقار داخلاً تحت الاحسان وانما كثر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والايجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى في قصيدته المشهورة التي يدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال منها

فأليت لأرقي لها من كلالة • ولأمن وجي حتى تلاقى محمداً
فان الوجي والكلالة معناهما سواء وانما احسن تكريره ههنا للاشعار ببعد المسافة (الضرب الثاني من القسم الثاني) في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد من ذلك قول أبي تمام

قسم الزمان ربوعها بين الصبا • وقبولها ودبورها أثلاثاً
فان الصبا هي القبول وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى ولتسكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل الاعلى معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ولا كنه منهم أجازة فقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعيب وهذا القول فيه نظر والذي عندي فيه أن الناثر يعاب على استعماله مطلقاً اذا أتى لغير فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه في موضع دون موضع أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشهرياً

وما والاها وأما الموضع الذي لا يعاب استعمله فيه فهو الالهجاء من الايات
لمكان القافية وانما جاز ذلك ولم يكن عيبا لانه قافية والشاعر مضطرا اليها والمضطر
يحل له ما حرم عليه ~~كقول~~ امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها
ألا انعم صبا حاياها المائل البالي * فقال

وهل ينعم من الاسعد مخلد * قليل الهموم لا يبيت بأوجال
واذا كان قايلا الهموم فانه لا يبيت بأوجال وهذا تكرير للمعنى الا أنه ليس
بعيب لانه قافية وكذلك ورد قول الحطيئة

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها * ان العزاء وان الصبر قد غلبا
هلا التمت لنا ان كنت صادقة * ما لا نعيش به في الناس أو تشبا
فالبيت الاول معيب لانه كثر العزاء والصبر اذ معناهما واحد ولم يردا قافية لان
القافية هي الباء وأما البيت الثاني فليس بعيب لان التكرير جاء في النشوب وهو
قافية (وعما يجري هذا المجرى) قول المنخل اليشكري

واقددخلت على الفتا * فالتحدر في اليوم المطير
الكعاب الحسناء تر * قل في الدمقس وفي الحرير
فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك (فان قيل)
ان الحرير هو الابرسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بمصابروا الجنة وحريرا
فانه لم يرد خيوط ابرسم وانما أراد أثوابا من الابرسم وأما الدمقس فانه خيوط
الابرسم محمولة بدليل قول امرئ القيس * وشحم كهداب الدمقس المقتل
فانه لم يرد ابرسم منسوجا وانما أراد خيوط الابرسم (فالجواب عن ذلك) أنه
لو حمل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه لان المرأة لا ترفل في خيوط من الابرسم
وانما ترفل في الاثواب منه وأما قول امرئ القيس كهداب الدمقس فانه لو كان
الدمقس هو الخيوط المحلوقة من الابرسم لما احتاج أن يقول كهداب فان
الهداب جمع هذب ثم قال المقتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الابرسم
سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم
المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل في الدمقس وفي الحرير فهم
من ذلك أنه أراد أثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون في خيوط من
الابرسم وانما يكون في أثوابه (وعما يجري على هذا النهج) قول الآخر

من شعراء الحماسة

انى وان كان ابن عمى غائبا * لمقادف من خلفه وورائه
فان خاننا ووراء جمعنى واحدا وانما جازت تكرارهما لانهما قافية (وعلى هذا)
ورد قول أبي تمام

دمن كان الين أصبح طالبا * دمنالدى آثارنا وحقودا
فان الدمنة هي الحقد (وكذلك) قول أبي الطيب المتنبي
بحر تعود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثنان
فكر كته واذا أذم من الورى * راعاك واستثنى بنى جدران
فان الدهر وطوارق الحدثنان سواء وانما جازا استعمال ذلك لانه قافية (وأما
ما ورد في أثناء الابيات الشعرية) فمكقول عنقرة

حييت من طال تتادم عهد * أقوى وأقفر بعد أتم الهيم
فقوله أقوى وأقفر من المعيب لانهما القطان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة اذ
الضرورة لا تكون الا فى القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدر دورا ليليات)
فمكقول البحرى فى قصيدته العينية

ألمت وهل المامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هو اجمع
فان قوله ألمت وقوله وزارت خيالا سواء ولا فرق اذا بين صدر البيت ومجمره
(فان قيل) انه أراد بالامام زيارة اليقظة ثم قال وزارت خيالا (فالجواب عن ذلك)
انه لم يرد الا زيارة المنام فى الحالتين لانه قال ألمت وهل المامها بك نافع ولو كان
الامام فى اليقظة لما قال وهل المامها بك نافع فانه لا تنفع أنفع من زيارة الم محبوب فى
اليقظة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه (فان قيل) لم أجزت ذلك للناظم
وحظرته على الناثر (قلت فى الجواب) أما الناثر فانه اذا سمع كلامه فالغالب
أن يأتي به مزودا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم
منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيد اذا أبيات متعددة على قافية من القوافى
فاذا تكثر لديه شئ من الكلام فى آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل
القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذى ذكرته اذا ورد فى غير
القافية سمي اخلاء ويقال ان البحرى كان يخلى كثيرا فى شعره وهو البحرى
كذلك الا أن حسن سبكهم ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه

كان اذا مثل بين يدي الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادحاً له احتمال بين يديه
 محبة بنفسه فقدم خطوات ثم تأخرو وقال أي شيء تسمعون فنقم عليه ذلك بعض
 حذنه وحمل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لورمانا بالجماعة لكان ذلك
 مغفورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر في الاعتراض) وبعضهم يسعيه الحشو
 وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقى الأول على حاله مثال
 ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فاذا أدخلنا فيه لفظاً
 مفرداً قلنا زيد والله قائم ولو أزلنا القسم منه لبقى الأول على حاله واذا أدخلنا
 في هذا الكلام لفظاً مركباً قلنا زيد على ما به من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدأ
 والخبر لفظاً مركباً وهو قولنا على ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حذنه
 (واعلم) أن الجائز منه وغير الجائز انما يؤخذ من كذب العربية فانه يكون مستقصى
 فيها كالاختراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف
 والمعطوف عليه وأشبه ذلك مما يحسن استعماله وكالاختراض بين المضاف
 والمضاف اليه وبين أن واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقع
 استعماله وليس هذا مكانه لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك
 وغيره مما أشرنا اليه في صدر الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض الا ما يفرق
 به بين الجيد والردى لا ما يعلى به الجائز وغير الجائز لأن كتابي هذا
 موضوع لذلك وما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفي الفصاحة
 والبلاغة فالذي أذكره في باب الاعتراض انما هو ما شتمل على شيء من هذين
 الوصفين المشار اليهما (واعلم أن الاعتراض ينقسم قسمين أحدهما) لا يأتي في
 الكلام الا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتي في الكلام لغير فائدة
 فاما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه واما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه
 فساداً (فالقسم الأول) وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم
 بمواقع النجوم وانه أقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ففي هذا
 الكلام اعتراضان أحدهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين
 القسم الذي هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو انه لقرآن كريم وفي
 نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفتيه
 اني هي عظيم وهو قوله لو تعلمون فذلك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض

بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشأن القسم به في نفس السامع ألا ترى الى قوله
 لو تعلمون اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفي حقه من
 التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر اعظم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه اقدرته حق
 قدره فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ويظل متطلعا الى معرفة عظمه (وكذلك)
 ورد قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وله من ما يشتهون وتقديره ويجعلون لله
 البنات وله من ما يشتهون فاعتراض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على
 التنزيه فانه قال ويجعلون لله البنات وهو منزوع عن ذلك وله من ما يشتهون وفائدة
 هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام
 قالوا ان فقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
 لنفسمد في الارض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه
 وفائدته تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم
 قد علمتم هذا مننا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض
 في القرآن كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة في المعنى
 المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بد لنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل
 قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين اذا وجوابها لان
 تقدير الكلام واذا بد لنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر فاعتراض بينهما بقوله
 تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبتدأ وخبر وفائدته اعلام القائلين انه مفتر أن ذلك
 من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا
 الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك
 ألا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وفائدته انه لما وصي
 بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجبا بالتوصية بها
 وتذكيرا بحقوقها وانما خصها بالذكر دون الاب لانها تتكاف من أمر الولد
 ما لا يتكلفه ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قال له من أبر فقل أمك ثم
 أمك ثم أمك ثم أبالك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذا قتلتم نفسا
 فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضر بوه ببعضها كذلك يحيي الله
 الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين
 المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن يقر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين

أن تدارأني اسرا تيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في اخفائه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان واذا قلتم نفسا فاذا راى تم فيها قلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه (ومما ردد من ذلك شهرا) قول امرئ القيس

ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسمى لمجد مؤئل * وقد يدرك المجد المؤئل أمنا لي

تقديره كفاني قليل من المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم أطلب وفائدته تحقق غير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذي يحتاج الى الطلب هو المجد المؤئل (وكذلك) قول جرير

واقدر أراي والجد يد الى بلي * في موكب طرف الحديث كرام

تقديره ولقد أراي في موكب طرف الحديث فاعترض بين المفعولين وانما جاء بهذا الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك الاحباب ولقد أعهدني في كذا وكذا من اللذة وذلك قدمضي وسلف وبلي جديده وكذلك كل جديد فانه الى بلي والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفا ان كان غزلا وكسا أهبة وجلالا ان كان مديحا أو ما يجري مجراه من أساليب الكلام وان كان هجاء كسا تأكيدا واثباتا كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوا تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوا فاعترض بين اسم ان وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوا بالمبتدأ والخبر الذي هو وأنت منهم (ومن محاسن ما جاء في هذا الباب) قول المضرب السعدى

فلوسأت سراة الحى سلى * على أن قد تلون بي زمانى

لخبرها ذروا حساب قومي * وأعدائى فكل قد بلانى

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلوسأت سراة الحى سلى لخبرها ذروا حساب قومي وأعدائى وفائدة قوله على أن قد تلون بي زمانى أي أنهم يخبرون عني على تلون الزمان بي يريد تنقل حاله من خير وشر وليس من يحمله الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يحجمه ولا أبان عنه (ومن ذلك)

قول أبي تمام

وأن الغنى لي أن لحظت مطالي * من الشعر إلا في مديحك أطوع
وهذا البيت فيه اعتراض الأول بين اسم أن وخبرها تقديره وأن الغنى أطوع لي
من الشعر فاعتراض بين الاسم والخبر بقوله أن لحظت مطالي وأما الاعتراض
الثاني فقوله إلا في مديحك فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة وموضعها التأخير
فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر أن وتقدير البيت بجملته وأن الغنى أطوع لي من
الشعر أن لحظت مطالي إلا في مديحك وفائدة قوله إلا في مديحك من الاعتراض
الذي اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح
بالأسراع ووصف خاطر شعره بالأسراع إذا كان في مدحه خاصة دون غيره
فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجي
في هذا الموضع وكذلك ورد قوله

رددت روني وجهي في صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخدم
وما أبالي وخبر القول أصدقه * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي
فقوله وخبر القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لأن موضع حقنت
نصب أذهوه مفعول أبالي وفائدته إثبات ما مائل به بين ماء الوجه والدم أي أن هذا
القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثاني) وهو الذي يأتي في الكلام لغير
فائدة (فهو ضربان الضرب الأول) يكون دخوله في الكلام كغير وجه منه
لا يكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتي * لعل زيادا لأبالك عاقل
فقوله لأبالك من الاعتراض الذي لفائدة فيه وليس مؤثرا في هذا البيت حسنا
ولا قبحا ومثله جاء قول زهير

سمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثم نزل حولي لأبالك يسأم
وقد وردت هذه اللفظة وهي لأبالك في موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة
حسنة كقول أبي تمام * عتابك عني لأبالك واقصدي * فانه لما كره عتابها
اعتراض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثاني)
وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا وفي المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره
في باب التقديم والتأخير وانما يجي بذكره ههنا مكررا لانعام التقسيم الاعتراض في

أفاد وفيما لا يفيد وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين فهاورد منه قول بعضهم
 فقد والشك بيني لعناء • بوشك فراقهم صرد يصيح
 فان في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل
 الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قديما تدخل عليه من الافعال الأتراها تعد
 مع الفعل كالجزم منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله
 تعالى واقدأوحى اليك وإلى الذين من قبلك وقوله تعالى واقدألموالمناشتر
 وقول الشاعر ولقد أجمع رجلى بها • حذر الموت وانى لقور
 الا ان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به فهو قولك قد والله كان ذلك
 وقد فصل في هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو لعناء
 بقوله بيني وفصل بين الفعل الذى هو بين وبين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدأ
 الذى هو لعناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوكة قد نقلت أعضاؤها
 بعضها إلى مكان بهض (ومن هذا الضرب) قول الآخر
 نظرت وشخصى مطلع الشمس ظله • إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل
 أراد نظرت مطلع الشمس وشخصى ظله إلى الغرب حتى عقل الشمس أى حاذها
 وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو شخصى وبين خبره
 الجملة وهو قوله ظله إلى الغرب وأغلق من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله
 بالاجنبى وهذا أمثاله مما يفسد المعانى ويورثها اختلالا (واعلم) أن الناس في
 استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذلك أن الناظم مضطرا إلى إقامة ميزان
 الشعر ورعا كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلحقه طالب الوزن في مثل هذه
 الورطيات وأما الناس فلا يضطرون إلى إقامة الميزان الشعرى بل يكون مجال
 الكلام عليه واسعاً ولهذا اذا اعترض في كلامه اعتراضا يفسده توجهه عليه
 الانكار وحق عليه الذم (النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض) وهذا النوع
 مقصور على المبالغة مع المعنى وترك اللفظ جابيا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم
 قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولا حذوا كلامهم ما يجتنبونه عن
 صاحبه بل أوردوا له ما أمثله من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما في الآخر
 فذكروا الكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمن فعل ذلك
 الغامضى وابن سنان الخفاجى والعسكري فأما ابن سنان فانه ذكر في كتابه قول

الكناية والتعريض

امرى القيس

فصرنا الى الحسناء وكلامها * ورضت فذلت صعبة أى اذلال
وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض ووجدت في كتاب
التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مثارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما
فن الكناية فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصودا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل
فيهما تطما وترا وهو محشوق بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد
أيضا في بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما وأميز أحدهما
عن الآخر يعرف كل منهما على انفراده فأقول أما الكناية فقد حدثت بحذف قليل
هي اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكناية
عنه كاللحم والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقي واللحم كناية عنه وبينهما
الوصف الجامع اذا الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازي وهذا الحد
فاسد لانه يجوز ان يكون حدا للتشبيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع
الحقيقي لجامع بين المشبه والمشببه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أننا اذا قلنا
زيد أسد كان ذلك اقضاء دالا على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والاسد
وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرت اليه في الذي ذكره
في حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانهم قالوا في حد الكناية انها اللفظ المحتمل
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد
أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم اذا لم تسبح فافعل ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى
وعلى خلافه ويبان ذلك أنه يقول في أحد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعل
عن الحياة فافعل ما شئت وأما معناه الاخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا لا تحب
منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية في شيء فيبطل اذا هذا الحد ومثال
القبض في قوله ان الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن يحدد الانسان فأتى
بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الشخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل
حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا فان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل
كناية (والذي عندي في ذلك) أن الكناية اذا وردت تجاذبها جانب الحقيقة ومجاز
وجازحها على الجانبين معا ألا ترى أن اللحم في قوله تعالى أولام منهم النساء

يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ولهذا ذهب
 الشافعي رحمه الله إلى أن اللمس هو مصالحة الجسد الجسد فواجب الوضوء على
 الرجل إذا لمس المرأة وذلك من حقيقة في اللمس وذهب غيره إلى أن المراد
 باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فإنه
 يتجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معاً وأما التشبيه فليس
 كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لأنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة ولو حمل
 على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أننا إذا قلنا زيد أسد لا يصح إلا على
 جانب المجاز خاصة وذلك أننا شبهنا زيدا بالأسد في شجاعته ولو حملناه على جانب
 الحقيقة لاستحال المعنى لأن زيد ليس ذلك الحيوان ذا الأربع والذنب والوبر
 والانياب والخراب وإذا كان الأمر كذلك فقد الكناية الجامع إياها هو أنها كل
 لفظة ذات معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة
 والمجاز والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره
 يقال كذبت بكذا عن كذا فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته من غيره
 وعلى هذا فلا تخالو أما أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجازاً وفي لفظ
 تجاذبه جانباً مجازاً وفي لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة وليس لنا قسم
 رابع ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة لأن ذلك هو اللفظ
 المشترك وإذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهماً غير مفهوم وإذا أضيف إليه
 القرينة صار محتصاً بشيء بعينه والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره وذلك مخالف
 للفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى
 غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجازاً ومجازاً لأن المجاز
 لا يتعدى من حقيقة نقل عنها لأنه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين أما
 أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة فإن كان لها شركة
 في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا
 مخالف لأصل الوضع لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره وهذا
 تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئاً غيره وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة
 كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره
 فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره وإذا أخرجت الحقيقة

عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به
وهذا محال فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا
الكلام في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق
(واعلم) أن الكناية مشتقة من السريقال كنيث الشيء إذا سترته وأجرى هذا
الحكم في الالفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى
المستور معا ألا ترى إلى قوله تعالى أولاً مستم النساء فانه ان حمل على الجامع
كان كناية لانه ستر الجامع بلفظ اللبس الذي حقيقة مصالحة الجسد الجسد وان
حمل على الملاصقة التي هي مصالحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما
يتم به المعنى وقد تأولت الكناية بغير هذا وهي أنها مأخوذة من الكنية التي
يقال فيها أبو فلان فانا اذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد
كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا نادينا به ذا وان شئنا نادينا به ذا وكلاهما
واقع عليه وكذلك يجري الحكم في الكناية فانا اذا شئنا حملناها على جانب المجاز
واذا شئنا حملناها على الحقيقة الا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما مالم لا يلحق
بالكناية ما ليس منها ألا ترى إلى قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نجمة
ولي نجمة واحدة فكفى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا
ذلك لقبل في مثل هذا الموضع ان أخي له تسع وتسعون كبش ناو لي كبش واحد
وقيل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك لم يلتفت إلى تأويل من تأول قوله
تعالى وثيابي فظهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية لانه ليس بين الثياب
والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا (فان قيل)
فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنيث الشيء إذا سترته ومن الكنية (قلت)
في الجواب أما اشتقاقها من كنيث الشيء إذا سترته فان المستور فيها هو المجاز لان
الحقيقة تفهم أمأولا ويتسارع الفهم اليها قبل المجاز لان دلالة اللفظ عليها دلالة
وضعية وأما المجاز فانه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وانما يفهم بالنظر والفكرة
ولهذا يحتاج إلى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى
وهو مستور بالحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى أولاً مستم النساء فان الفهم
يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي مصالحة الجسد الجسد وأما المجاز الذي هو
الجامع فانه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذهاب اليه إلى دليل لانه عدول عن

ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلأن محمد في هذه الصورة المذكورة هو
 حقيقة هذا الرجل أي الاسم الموضوع بأزائه أولاً وأماً أبو عبد الله فإنه طار
 عليه بعد محمد لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولداً اسمه عبد الله وكذلك الكنية
 فإن الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بأزائها أولاً في أصل الوضع وأما المجاز فإنه
 طار عليها بعد ذلك لأنه فرع والفرع إنما يكون بعد الأصل وإنما يعمد إلى ذلك
 الفرع للمناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر
 كاف في الدلالة على اشتقاق الكنية من ذينك المعنيين المشار إليهما (فان قيل)
 أنك قد ذكرت أقسام المجاز في باب الاستعارة التي قدمت ذكرها في كتابك
 هذا وحصرتها في أقسام ثلاثة وهي التوسع في الكلام والاستعارة والتشبيه
 ونرا لك قد ذكرت الكنية في المجاز أيضاً فهل هي قسم رابع لتلك الأقسام الثلاثة
 أم هي من جملتها فإن كانت قسم رابعاً فذلك نقص للحصر الذي حصرته وإن كانت
 من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا المكرر لا حاجة إليه
 (فالجواب عن ذلك) أني أقول أما الحصر الذي حصرته في باب الاستعارة فهو
 ذلك ولا زيادة عليه وأما الكنية فإنها جزء من الاستعارة ولا تأتي إلا على حكم
 الاستعارة خاصة لأن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له
 وكذلك الكنية فإنها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكرر عنه ونسبتها إلى
 الاستعارة نسبة خاص إلى عام فيقال كل كنية استعارة وليس كل استعارة
 كنية ويفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح
 هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكنية ضد الصريح لأنها عدول عن ظاهر اللفظ
 وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والآخر الصريح والآخر
 الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء
 من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكنية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص
 الخاص وكان ينبغي أن تذكر الكنية عند ذكر الاستعارة في النوع الأول من هذه
 الأنواع المذكورة في المقالة الثانية وإنما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض
 لأن من العادة أن يذكر جميعاً في مكان واحد وقد يأتي في الكلام ما يجوز
 أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر إليه
 بمفرده والنظر إلى ما بعده كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحترس

بما جئ أمتية عند خروج أبي مسلم

أرى خلال الرماد وميض جحر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالزند ين توري * وان الحارب أقواها كلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمتية أم نيام
فان هبوا فذلك بقاء ملك * وان رقدا واقاني لا ألام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز جملة على جانب الحقيقة وجملة على جانب المجاز أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جحر في خلال الرماد وأنه سيضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هنالك ابتداء شر كما من ومثله بوميض جحر من خلال الرماد واذا نظرنا الى الايات بجلتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا ما يرد مثل ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشك كل الاعلى غير العارفين (وأما التعريض) فهو والنظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فانك اذا قلت لمن تتوقع صلتهم ومعروفه بغير طلب والله اني لمحتاج وليس في يدي شئ وأنا عريان والبرد قد آذاني فان هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لاحقيقة ولا مجازا انما يدل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللبس على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمرأة انك خليلة واني اعزب فان هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لان دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وانما معنى التعريض تعريض الان المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانيه وعرض كل شئ جانبيه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتى على هذا تارة وعلى هذا أخرى وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه الى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان منسالا للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكر بل ذكر كلاما آخر يفهم

الجماع من عرضه لأن المصير الى الحسناء ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراد.
 امرؤ القيس من المعنى لاحقيقة ولا مجازا وهذا الاخفاء به فاعرفه وحيث
 فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلنفصلهما ونذكر
 أقسامهما ونبدأ أولاً بالكناية (فنقول اعلم أن الكناية تنقسم قسمين أحدهما)
 ما يحسن استعماله (والآخر) ما لا يحسن استعماله وهو عيب في الكلام فاحش
 وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة تمثيلاً وارداً في مجاورة
 (فأما التمثيل) فهو أن تراد الإشارة الى معنى في موضع لفظ لمعنى آخر ويكون
 ذلك مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة اليه كقوله هم فلان نقي الثوب أي
 منزله من العيوب (وأما الارداف) فهو أن تراد الإشارة الى معنى في موضع لفظ
 لمعنى آخر ويكون ذلك اردافاً للمعنى الذي أريدت الإشارة اليه ولازمه
 كقوله هم فلان طويل النجاد أي طويل القامة فطول النجاد ارداف لطول
 القامة ولازمه بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن التزاهة من العيوب لأن
 نقاء الثوب لا يلزم منه التزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة
 (وأما المجاورة) فهي أن تريد ذكر الشيء فتتركه الى ما جاوره كتول عنترة
 يزجاجة صفراء ذات أسرة * قرت بأزهر في الشمال مفقود

يريد بالزجاجة الخرف ذكر الزجاجة وكفى به عن الخمر لانها مجاورة لها وهذا
 التقسيم غير صحيح لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصاً بصفة
 خاصة تفصله عن عموم الأصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساماً منها الانسان
 وحقيقته كذا وكذا ومنها الاسد وحقيقته كذا وكذا ومنها الفرس وحقيقته
 كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر
 عبارة عن مجموع الكناية لأن الكناية انما هي أن تراد الإشارة الى معنى في موضع لفظ
 لمعنى آخر ويكون ذلك اللفظ مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة اليه ألا ترى الى
 قوله تعالى إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فانه أراد الإشارة
 الى النساء فوضع اللفظ للمعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجري الحكم
 في جميع ما يأتي من الكنايات لكن منها ما يتضح التمثيل فيه وتكون الشبهية
 بين الكناية والمكفي عنهما شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك في الشبهية
 وقد تأملت ذلك وحقت النظر فيه فوجدت الكناية اذا وردت على طريق اللفظ

المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى إلى قوله -م فلان نقي الثوب وقوله -م الامر كناية عن الجماع فان نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبهة لانا اذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكفي عنه شديدة الملائمة وإذا قلنا الامر كالجاع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير سائغ ولا وارد بل الكناية كلها هي ذلك والذي قدمته من القول فيها هو الخاصر لها ولم يأت به أحد غيري كذلك (وأما الاردا ف) فانه ضرب من اللفظ المركب لأنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على المكفي عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أي كثيرا طعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنها هي والآن وغرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجوذوالكرم الا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الاردا ف الذي هو لازم له (وكذلك) ورد في الاخبار النبوية أيضا وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أظهر بها فقال تطهري بها قالت كيف أظهر بها قال سبحان الله تطهري بها فاجتذبت بها عائشة رضي الله عنها اليها وقالت تتبعي بها أثر الدم فقوله أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الاردا ف لان أثر الدم في الحيض لا يكون الا في الفرج فهو رادف له (ومما ورد) من ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنزول * أبوها وأما عبد شمس وهاشم

فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بلفظة مثل كقول الرجل اذا نفي عن نفسه القبيح مثلي لا يفعل هذا أي أنا لا أفعله فنفي ذلك عن مثله ويريد نفسه عن نفسه لانه اذا نقاه عن عيائه ويشابهه فقد نقاه عن نفسه لا محالة اذ هو بنفي ذلك عنه أجدر وكذلك يقال

مثلاً اذا سئل أعطى أى أنت اذا سئلت أعطيت وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم تهيئة للأمر وتو كيدا ولو كان فيه وحده اتلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل اذا كان في مدح انسان أنت من التوم الكرام أى لك في هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا في القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير والفرق بين قوله ليس كمثل شيء وبين قوله ليس كالله شيء هو ما أشرت إليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثله له حتى يكون مثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصد اللامبالغة وقد يأتي هذا الموضع بغير اقلية مثل وهي مقصودة كقولك للعربي العرب لا تحقر الذم أى أنت لا تحقر الذم وهذا أبلغ من قولك أنت لا تحقر الذم لما أشرت إليه وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي

أنت من القوم الذي من رماحهم * نداهم ومن قتلهم مهجة البخل
(واذا فرغت) من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها فاني أتبعها بضرب الامثلة
ثرا ونظما حتى يزداد ما ذكرته وضوحا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم
نحو قوله تعالى أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فإنه كفى عن الغيبة
بأكل الانسان لحما انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعل له ميتا ثم جعل
ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على
ما قصدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل
الانسان لحما انسان آخر مثله فشدida المناسبة جدا لان الغيبة انما هي ذكر مثالب
الناس وتزريق أعراضهم وتزريق العرض مماثل لأكل الانسان لحما انسان آخر
لان أكل اللحم تزريق على الحقيقة وأما جعله كلعن الأخ فلما في الغيبة
من الكراهة لان العقل والشرع مجمعان على استكراهها أمران بتركها
والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ومن العلوم
أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر الا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه
فهذا القول صالغ في استكراه الغيبة وأما جعله كلعن الميتا فمن أجل
أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة
موصولا بالمحبة فلما جلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع

العلم بقبحها فانتظر أيها المتأمل الى هذه الكناية فتجدها من أشد الكنايات شبيها
 لانك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التي أشرنا اليها وجدتها
 مناسبة لما قصده (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم
 وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها والأرض التي لم يطؤوها كناية عن منافع النساء وذلك
 من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فالت
 أودية بقدرها فاحمل السيل زبدا راييا فكفى بالماء عن العلم وبالأودية عن
 القلوب وبالزبد عن الضلال (وهذه الآية) قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله
 في كتابه الموسوم بأحياء علوم الدين وفي كتابه الموسوم بالجوهر والاربعين وأشار
 به الى أن في القرآن الكريم اشارات وإيماءات لا تنكشف الا بعد الموت وهذا
 يدل على أن الغزالي رحمه الله لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات الذي لفظها
 يجوز له على جاني الحقيقة والجواز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه
 لا يحقون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عيروا عنها بالجواز وليس الامر كذلك
 وبينهم ما وصف جامع كهذه الآية وما جرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر
 النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الأودية على مهابط الأرض
 وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغشاء الرابي الذي تقذفه السيول
 وعلى الضلال وليس في أقسام الجواز شيء يجوز له على الطرفين معا سوى الكناية
 (وبلغني عن الفراء النحوي) أنه ذكر في نفسه آية وزعم أنها كناية وهي قوله
 تعالى وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وان كان مكروهم لتزول من الجبال
 فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جابه من
 الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية لان الكناية
 لا تكون الا فيما جازم له على جاني الجواز والحقيقة والجبال هنا لا يصح بها
 المعنى الا اذا سمعت على جانب الجواز خاصة لان مكراً ولئلك لم يكن لتزول منه جبال
 الأرض فان ذلك محال (واما ما ورد منها في الاخبار النبوية) فتقول النبي
 صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان لها ابن عم يحبها
 فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابتها شدة فجماعت اليه تسأله
 فراودها فكنته من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له لا يحل لك
 أن تفرض الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وهذه كناية واقعة في موقعها

(ومن ذلك) أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكفى عنهن بالقوارير وذلك أنه كان في بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزول أعدائهم الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادون عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جازح له على طريق المجاز أى معهم الأموال من الأبل وهي كانت جل أموال العرب أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقا تلوا دنهم ولما جازح حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الأموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ما ورد في أقامة الحد على الزاني وهو أن يشهد عليه برؤية الميسل في المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج في الفرج (ومن لطيف الكناية) أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها فقالت لها أقيد بجلي فقالت عائشة رضي الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجه شيئا يمنعها عن غيرها أى تربطه أن ياتي غيرها قطا هذا اللفظ هو تشييد الجن وباطنه ما أرادت المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهكك قال حوت رحلى البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحبيضة (ويروى) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضي الله عنه فمكنت المرأة عنده ثلاث ليال لم يذن منها وإنما كان ملتبسا إلى صلاته فدخل عليها وعمر وبعد ثلاث فقال كيف ترين بعك فقالت نعم البعل إلا أنه لم يفتش لنا كنفنا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا مضجعا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغراء الظاهرة (ومن أطف ما بلغني في هذا) قول عبد الله بن سلام فانه رأى على رجل ثوبا معصرا فقال لو أن ثوبك في تنورا هلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظرا إلى حقيقة قول عبد الله وظاهر مضمومه وإنما أراد المجاز منه وهو أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا

والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين قال الرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فحصى
فأحرق نوبه ومراده بعد الله غيره (ومن هذا القسم ما ورد في أمثال العرب)
كقوله هم ايلك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء فإن
عقيلة الملح هي الاوأة تكون في البحر فهي حسنة وموضعها ملح وكذلك قولهم
لبس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الاسد
ولبس له جلد الدب ولبس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قولهم لبس له جلد
النمر اذا العداوة شحنته في الجميع وكذلك قولهم قلب له ظهرا لجن كناية عن تغيير
المودة (ومما ورد في ذلك شعرا) قول أبي نواس

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المزم من غره

وهذا له حكاية وهو أنه كان لابي نواس صديقة تغشاه فقبل له انها تختلف الى آخر
من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوم من الايام فراها تدخل منزل ذلك
الرجل ثم ان ذلك الرجل جاء وكان صديقه فكلما فصرف وجهه عنه ثم نظم
قصيدته المشهورة التي مطلعها * أيها المنتاب عن عقره * وهذا البيت من
جملة آياتها (وكذلك) ورد قوله أيضا

وناظرة الى من النقاب * تلاحظني بطرف مستراب

كشفت قناعها فاذا بجوز * موهمة المفارق بالخضاب

فما زالت تحمسي طويلا * وتأخذني أحاديث التصابي

تحاول أن يقوم أبو زياد * ودون قيامه شيب الغراب

أتت بجرايها تنكال فيه * فقامت وهي فارغة الجراب

فقوله أتت بجرايها تنكال فيه من باب الكناية اذا الجراب يجوز حمله على الحقيقة
والجواز وكذلك السكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي تمام في قصيدته

التي يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصر دة وأرض منجم

مالي رأيت ترايبكم ببس الثرى * مالي أرى أطوادكم تهتدم

فببس الثرى كناية عن تسكر ذات البين تقول ببس الثرى بيني وبين فلان اذا تسكر

الود الذي بينك وبينه وكذلك تهتدم الاطواد فانه كناية عن خفة الخلوم وطيش

العقول ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبى في قصيدته التي يعاتب فيها

سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها * واحترق قلباه من قلبه شيم

قوله مالي رأيت الخ في الديوان مالو رأيت ترايبكم منهالة * مالي رأيت جفارك تهتدم

وشر ما قنصته راحتي قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم
يشير بذلك الى أن سيف الدولة يستوى في المنال منه هو وغيره فهو البازي وغيره
الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الاقيس
الاسدي وكان عني لا يأتى النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجلس اليه
يوما رجلا من قيس فانشده الاقيس

واقداً روح بمشرف ذي مبيعة * عسر المكزاة مأوئية قصـد
صرح يطير من المزاح لعبابه * ويكاد جلد إهابه يتهـدد
ثم قال له أنبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لورأيتـه
قال اى والله وأثنى عطفه فكشف له عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب
الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه
وقد ساعد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى
عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤتب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من
عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال

انه قد رام منى حظة * لم يرمها قبله منى أحد

قال ماهى قال

راح جهلابى وجهلابى * يدخل الافعى على حبس الاسد
قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك (ومن أطف ما سمعته
في هذا الباب) قول أبي نواس في الهجاء

اذا ما كنت جارأبى حسين * فتم ويد الذئب في طرف السلاح
فان له نساء سارقات * اذا ما بين أطراف الرماح
سرقن وقد نزلت عليه ابرى * فلم أظفر به حتى الصباح
فجاء وقد اتخذ شجابه * يثن الى من ألم الجراح
فتعبيره عن العضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبيرا في غاية اللطافة والحسن
(وقد أدخل في باب الكناية) ما ليس منه كقول نصيب
فما جوا فأنشوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة
والبلاغة فإن الكناية هي ما جازحله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب
المجاز وهما لا يصح ذلك ولا يستقيم لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً وهذا
من باب التشبيه المضمحل الأداة الخارج عن الكناية والمراد به أن في الحقائب من
عطائلك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يوجب
ذكره من الكناية) فإنه لا يحسن استعماله لأنه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم
الفائدة المرادة من الكناية فيه (فما جاء منه) قول الشريف الرضي يرفي
امرأة * إن لم تكن نصلاً فغمد نصال * وفي هذا من سوء الكناية ما لا يخفاه فإن
الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يوجب ذكره وهذا المعنى أخذ من قول
الفرزدق فسخره وشوه صورته فإن الفرزدق رثي امرأته فقال

وجفن سلاح قدر زنت فلم أنح * عليه ولم أبعث إليه البوايكا

وفي جوفه في دارم ذو حفيظة * لو أن المنيا أمهلت له لباليا

وهذا حسن بديع في معناه وما كنى عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه
الكناية ولا أنخم شأننا فجاء الشريف الرضي فأخذ معناها وفعّل به ما ترى وليس
كل من تصرف في المعاني أحسن في تصريفها وأبقى هذه الرموز في تأليفها وقد
عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فاحسن فيما أساء فيه أبو الطيب طريق
الكناية فأخطأ حيث قال

اني على شغفي بما في خمرها * لا أعف عما في سراويلاتها

وهذه كناية عن الزهادة والعفة الآن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف
الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجل صورة حيث قال

أحن إلى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمعان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريض)
فقد سبق الإعلام به وعرفنا الفرق بينه وبين الكناية (فما جاء منه) قوله تعالى
قالوا أنت فعلت هذا يا إبراهيم أتنتهنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاستألوهم
إن كانوا ينطقون وغرض إبراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام إقامة
الحجة عليهم لأنه قال فاستألوهم إن كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء
وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد إبراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة

افعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب
 تعريض يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا
 غير ما أشرت اليه وهو أن كبير الاصنام غضب أن تعبد معه هذه الاصنام
 الصغار فكسرها. وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع
 الله تعالى من هو دونه قات. من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى
 كبير الاصنام مثالا لما أراد (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملا
 الذين كفروا من قوم ما نزال الا بشرا مثانا وما نزال اتبعك الا الذين هم ارادنا
 يادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نزال الا
 بشرا مثانا تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من
 البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازلهم في المنزلة فما جعلك
 أحق منهم بها ألا ترى الى قوله هم وما نرى لكم علينا من فضل وكان مروان
 ابن الحكم والياعلى المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلك
 لثلاث لولم تكن الا واحد منهم لا وجبت عزلك احداهن أنى أترتك على عبد
 الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشفى منه والثانية كراهتك أمر
 زياد والثالثة أن ابنتي رمله استعدت على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها
 فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فاني لا انتصر منه في سلطاني ولكن اذا
 تساوت الاقدام لم أين موضعه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه
 وأما استعداء رمله على عمر بن عثمان والله انه لتأتى على سنة وأكثر وعندى
 بنت عثمان فمأ كشف لها ثوبها يريد بذلك أن رمله بنت معاوية انما استعدت
 لطالب الجماع فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان
 هوذاك وهذا من التعريضات اللطيفة (ومثله في اللطافة) ما يروى عن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة فدخل عثمان بن عفان
 رضي الله عنه فقال عمر أية ساعة هذه فقال عثمان يا أمير المؤمنين انقلب من
 أمر المسوق فسمعت النداء فمازدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا
 وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله أية ساعة
 هذم تعريض بالانكار عليه لتأخره عن الحجى الى الصلاة وتركه المسبق اليها وهو
 من التعريض المعرب عن الادب (ووقفت في كتاب العقد) على حكاية تعريضة

حسنة الموقع وهي أن امرأة وقفت على قيس بن عباد فقالت أشكو إليك قلة
 الذأر في بيتي فقال ما أحسن ما ورت عن حاجتها املؤاها بيتها خبزا وسنا ولحما
 (ومن خفي التعريض وغامضه) ما ورد في الحديث النبوي وهو أن النبي صلى
 الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول والله إنكم لتحبون
 وتبخلون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله وإن آخر وطأة وطئها الله بوجع لم
 أن وجا واد بالطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وجع لأن غزاة حنين آخر
 غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوات الطائف
 وتبوك اللتان كاتبا بعد حنين فلم يكن فيهما ما وطأة أي قتال وإنما كاتبا مجزؤ
 خروج إلى الغزو ومن غير ملاقاته عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله
 صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوجع على ما قبله من الحديث هو
 التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة
 ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة
 وبينهما ما سنتان ونصف فكأنه قال وإنكم لمن ريحان الله أي من رزقه وأنا
 مفارقكم عن قريب إلا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وإن
 آخر وطأة وطئها الله بوجع وكان ذلك تعريضا بما أراد وقصده من قرب وفاته
 صلى الله عليه وسلم (ومما ورد من هذا الباب شعرا) قول الشخير الحارثي
 بن عمار لا تذكروا الشعر بعد ما * دقتم بصحراء الغمير القوافيا

وأي قصده ههنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم
 والغلبة إلا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا بقصده أي لا تفخروا
 بعد تلك الواقعة التي جرت أكم وإنما بذلك المكان (ومن أحسن التعريضات)
 ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه وهو أما بعد
 فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليمتطول في الحاقه بنظرائه من الخاصة
 فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدي
 طاعته فوق المأمون في ظهر كتابه قد عرفت تصريحا لك له وتعريضك لنفسك وقد
 أجبناك إلهما (واعلم) أن هذين القسمين من السكاية والتعريض قد وردا في غير
 اللغة العربية ووجدتهما كثيرا في اللغة السريانية فإن الانجيل الذي في أيدي
 النصارى قد أتى منهما بالكثير (ومما وجدته من السكاية في لغة الفرس) أنه كان

رجل من أساورة كسرى وخواصه فقيل ان الملك يحتاف الى امرأتك فهجرها
لذلك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغني أن لك عينا عذبة
وأنت لا تشرب منها فما سبب ذلك قال أيها الملك بلغني أن الاسد يرد لها نخفته
فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسقى عطائه (النوع العشرون في المغالطات
المعنوية) وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام والطفه لما فيه من
التورية وحقيقته أن يذكركم معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض والنقيض
أحسن موقعا وأطف مأخذا فالأول الذي يكون له مثل يقع في الالفاظ
المشتركة (فن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

يشلهو بكل أقب نهد * لفارسه على الخيل الخيار

وكل أصم يعسل جنباه * على الكعبين منه دم عمار

يفادر كل ملتفت اليه * ولبتته لثعابه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف
سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعابين حسن ذكر الوجار في طرف السنان
وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله (وعليه ورد) قول المتنبي أيضا

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكأنه على العلات يصطعبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقه لك قيسى وأنت يمانى

فان شبيبا الخارجي الذي خرج على كافور الاخشبيدى وقصد دمشق
وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات
وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يمانى في نسبته الى اليمن ومراد
المتنبي من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكان الناس قالوا
لسيفه أنت يمان وصاحبك قيسى وهذا جانب السيف وفارقه وهذه مغالطة
حسنة وهى كالاولى الا أنها أدق وأغمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من أيمان
يججو بها شاعر افجاء من جلمتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء في الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا
والشعراء جمع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول
بعض العراقيين يججوج رجالا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثم انتقل

الى مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب الشافعى رضى الله عنه
 من مبلغ عفى الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
 تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقت اذ أعوزتك الما كل
 وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما هوى الذى منه حاصل
 وعما قبل ل أنت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل
 ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ومالك هو خازن النار
 وهذه مغالطة لطيفة (ومن أحسن ما سمعته) فى هذا الباب قول أبي
 العلاء بن سليمان فى الأبل

صلب العصا بالضرب قد دماها * توذ أن الله قد أفناها

إذا أرادت رشدا أغواها * محاله من رقة أياها

فالضرب انظم مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب فى الارض وهو
 المير فيها وكذلك دما فانه انظم مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دما
 إذا أسال دمه ودما إذا جعله كالدمية وهى الصورة وهكذا اللفظ انقضاء فانه يطلق
 على غيب الثعلب وعلى اذهاب الشئ إذا لم يبق منه بقية يقال أفتاء إذا ذهب
 وأفتاء إذا أطعمه الفتاء وهو غيب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال اغواء إذا
 أضله وأغواء إذا أطعمه الغوى ويقال طلب رشدا إذا طلب ذلك النبت وطلب
 رشدا إذا طلب الهداية وبعض الناس يظن هذه الآيات من باب اللغز وليس
 كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهري يستخرج من دلالة
 اللفظ عليه واللغز هو الذى يستخرج من طريق الحزرو الخدس لا من دلالة
 اللفظ عليه وسأوضح ذلك أيضا جاييا فى النوع الحادى والعشرين وهو
 الذى يتلوهذا النوع فليؤخذ من هناك (ويروى) فى الاخبار الواردة
 فى غزاة بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يمشون
 فلقىهم رجل من العرب فقال من القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
 من ماء فآخذ ذلك الرجل يمشى ويكرو ويقول من ماء من ماء أينظر رأى بطون
 العرب يقال لها ماء فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قد سمع
 أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب
 يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء وقد جاءنى شئ من ذلك

في الكلام المنثور (غنمه) ما كتبه في فصل من كتاب عند دخولي الى بلاد
الروم اصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر
في خلفه والدمع في طرفه وربما تعدى الى قلب المطر فأجفقه أن يجري بوصفه
فالشمس مأسورة والنار مرقرة والارض شهبا غيرة أنها حواية لم ترض
ومسيلات الجبال أنها غير أنها جامدة لم تخض ومكان المغالطة من هذا الكلام
في قولي والارض شهبا غيرة أنها حواية لم ترض فإن الشهباء من الخيل يقال فيها
حواية أي احوال ويقال انها مروضة أي ذلت للركوب وهذه الارض
مضى لثلج عليها احوال فهي شهبا حواية وقولي لم ترض أي لم ذلت بعد (ومن
ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقات) واقعة نزلت منه بمهملتي الصنع أحسنني
الاخلاق واقبته فكأن لم أزع عن أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للأهل
والوطن حتى أقول اني قد استبدلت به أهلا ووطنا وعهدى باريام وهي من
الاحسان فاطمة فاستولدتها بجوارحه حسنا وهذه تورية لطيفة فإن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضى الله عنه ما ولدها وفاطمة هي
اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهي فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن
هو الشيء الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض
الاخوان فقلت وعهدته بقلبي وهو يتحلى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار
المعاني من ظلماته وقد أصبحت يدي منه وهي حاملة الخطب وأصبح خاطري
أباجهل بعد أن كان أبالهب وهذا أحسن من الاول وأخاب عبارة فانظر
أيها المتأمل الى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخطاطير محمد فيوصف
بأنه وقادوم ملتب ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبواه وأبوجهل هما
الرجلان المعروفان وكذلك حاملة الخطب هي المرأة المعروفة واذا تم القلم
فيل انه خطب وان صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا الى المعنى الذي قصده
جئت به على ~~حسب~~ المغالطة ووريت فيه تورية والمسلك الى مثل هذه المعاني
وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لاجرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجرى هذا
المجرى) ما ذكرته في وصف شخص يعالى الامور وهو من أبرت معانيه أنه
حاز قسلا المكرمات ومفتاحها فاذا سئل منقبة كان مناعها واذا سئل
موهبة كان مناعها وأحسن أنا من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان

بجاحها فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا اتى مهجبة خطب كان
 سفاحها والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح فانهم ما لقب
 خلفتين من بنى العباس والسفاح أقول خلفائهم والمنصور أخوه الذي ولي
 الخلافة من بعده وهو ما أياض من النصر في حومة الحرب والسفاح الذي هو
 الاراقة والمهجة دم القلب فكأنى قلت هو منصور في حومة الحرب ومريق لدم
 الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح
 وهذا من المغالطة المثلية لأم القبيضية ولا خفاء بما فيها من الحسن (ومن
 ذلك) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الانس
 بقربه يعقب ايحاشا وأن تلك النحلة من انثائه تجعل الالكاد عطاشا فان من
 شعبة الدهر أن يبدل الصقوك درا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا
 وما أقول إلا أنه شمر بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها هذا القطع ورأى
 العيش فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع والمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر
 الخفض والرفع فان الخفض هو بعة العيش والخفض هو أحد العوامل الخفية
 والرفع هو من قولنا رفعت الشيء اذا أزيته والرفع هو أحد العوامل الخفية
 أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبه في فصل أصف فيه الحى
 وكنت اذا ذهبت من ميساط وهو بلد من بلاد الارمن فقلت ومما أكره
 في حال المرض بهذه الارض ان الحى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى
 سرت الى تربتها فترى وقد أخذتها النافض فاقشمت ولم يشك أمرها
 الا لانها حى أرمنية مستجيبة اللسان وقد تشبهت بالامراض وأهل بلادها
 في الابان واذا كانت الحى كافرة لم تزل للمسلم حربا وشكاتها لا تسمى شكاة
 وانما تسمى طعنا وضربا وهذا صارت الادوية في علاجها ليست بأدوية
 واصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موضعها في فصل
 معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كانت بها نصيبين أو ميا فارقين
 بكتاب لترجمته بعبدها وخادمها والمغالطة ههنا في قولى واصبحت أيام نحرها
 في الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بغتة من غير تزوى
 من غير تلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحي وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة
 حصلت بين نحر الحى للناس ونحر الضحايا الآن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية

ولا يخفاه بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو النقيض فإنه أقل استعما لا من القسم الذي قبله لأنه لا يتهيأ استعماله كثيرا فمن جملة ما ورد شعر البعضهم وهو قوله

وما أشياء تشرى بأعمال * فان نفقت فأكد ما تكون

يقال نفقت السلعة اذا راجت وصكان لها سوق ونفقت الدابة اذا ماتت
وموضع المناقضة ههنا في قوله انه اذا نفقت كسدت فجاءه بالشيء ونقيضه وجعل
هذا سببا لهذا وذلك من المغالطة الحسنة (ومن ذلك ما كتبت في جلة كتاب) الى
ديوان الخليفة يتضمن فتوح بلدمن بلاد الكفار فقلت في آخر الكتاب وقد
ارتاد الخادم من يبلغ عنه مساريح هذه الوقائع التي اختصرها ويمثل صورها
لمن غاب عنها كما غفلت لمن حضرها ويكون مكانه من التباهية كرى كما كانها
وهي عرائس المساعي فأحسن الناس بيانا مؤهلا لبدء احسانها والساير بها
فلان وهو راوى اخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وعوالى اسنادها
مأخوذة من طرق العوال واللبالي والايام لها رواية فالتحق براوية الايام
واللبالي في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية
فهى في قولى وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوال وقد تقدم الكلام
على هذا وما يجرى مجراى فى القسم الاول وأما المغالطة النقيضية فهى قولى
وهو راوى اخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وموضع المغالطة منه
انه يقال فى رواية الاخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أى سقيم الرواية
غير موثوق به فأتيت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة اخبار هذه الفتوح
فى تجريح الرجال أى تجريحهم فى الحرب وفى هذا من الحسن ما لا يخفى به
وقد أوردت من هذه الامثلة ما فيه كفاية ومقتنع (فان قيل) ان الضرب الاول
من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثله
وفى قول أبى الطيب المتنبي ثعلب ووجار فان الثعالب هو الحيوان المعروف وهو
ايضا طرف السنان وكذلك باقى الامثلة (قلت فى الجواب) ان الفرق بين
هذين النوعين ظاهر وذلك ان التجنيس يذكرفيه اللفظ الواحد مرتين فهو
يستوى فى الصورة ويختلف فى المعنى كقول أبى تمام

بِكُلِّ فَوْقِ ضَرْبٍ يَمُرُّ لِلْعَذَابِ • عَمَّا مَحَلَّى عَلَيْهِ الطَّعَنُ وَالضَّرْبُ

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف في القتال فاللفظ لا بد
من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يذكرونها اللفظ
مرة واحدة ويدل به على مثله وليس يذكور (النوع الحادى والعشرون
في الاحاجي) وهى الاغاليط من الكلام وتسمى الاغزاز جمع اغز وهو الطريق
الذى يلتوى ويشكل على سالكه وقيل جمع اغز بفتح الهمزة وهو ميل
بالشيء عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعنى وهو يشتبه بالكناية تارة
وبالتعريض أخرى ويشتهر أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع في ذلك عامة أرباب
هذا الفن (من ذلك) أن أبا الفرج الاصفهاني ذكر يتي الاقيس الاسدي
في جملة الاغزاز وهما

ولقد أروح بعشرف ذي مبيعة • عسر المكرة ماؤمية قصيد

مرح يطير من المزاح لعابه • ويكاد جاد إلهابه يتقدد

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو
المخصوص واذا حمل اللفظ على الحقيقة والجواز فكيف يعد من جملة الاغزاز
وكذلك فعل الحريري في مقاماته فانه ذكر في الاحاجي التي جعلها على حكم
الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنهم من الاحاجي المغمزة كقوله أيحس
لصائم أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذي هو ضد الليل
وبين فرخ الحبلى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صا ومن باب
المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجي والالغاز شي منفصل عن ذلك كله ولو كان
من جملة لما قيل لغز واجبة وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد
من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه
المغالطة ومنه شيء آخر خارج عن ذلك فجعل اغزا واجبة (وكنتم قد مت القول)
بأن الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل
عليها معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالة عليه حقيقة
ولا مجازا وأن المغالطة هى التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على
معنيين بالاشتراك الوضحي والاخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه (وأما للغز
والاجبية) فانه ما شئ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة
اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل في الضرس

وصاحب لأمل الدهر صحبته * يشقى لنفسه ويسعى سعي مجتهد

ما ان رأيت له شخصا فذوقته * عني عاينه اقترقنا فرقة الابد

لا يدل على أنه الضرس لامن طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق
المفهوم وانما هو نبي محددس ويحزروا الخواطر تختلف في الاسراع والابطاء
ومتدعورها عليه (فان قيل) ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذا ان
البيتان يعلم - عناهما بالمفهوم (قلت في الجواب) ان الذي يعلم بالمفهوم وانما هو
لتعريض كقول القائل اني افقيروا في المحتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة
والطلب لاحقيقة ولا مجازا وانما فهم منه ان صاحبه متمرس للطلب وهذا ان
البيتان ليسا كذلك فانهم لا يشتملان على ما يفهم منه شي الا بالحدس والحزور
لا غير وكذلك كل اغز من الاغاز (واذا ثبت هذا فاعلم) ان هذا الباب الذي هو
اللغز والاحجية والمعنى يتنوع انواعا فمنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل
الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمي اذا صحفته بالفارسية آخر
وهذا اسمه اسم تركي وهو ذكر بالبدال المهملة والنون وآخر بالفارسية يكرر
بالبدال المهملة والياء المججمة ينتهين من تحت واذا صحفت هذه الكلمة صارت
ذكر بالنون فانقلبت الياء نونا بالتحفيف وهذا غير مفهوم الا لبعض الناس
دون بعض وانما وضع واستعمل لانه مما يشهد القرينة ويحد الخاطر لانه يشتمل
على معان دقيقة يحتاج في استخراجها الى قوة الذهن والى لولا في معاريج
خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا
منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين
فلا أعدّه من الاحاجي ولا أعدّه من فصيح الكلام فما جاء منه قول بعضهم

قد سقيت آبالهم بالنار * والنار قد نشني من الاوار

ومعنى ذلك ان هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الابل ذوو وجهة وتقدم ولهم
وسم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج اهلها الناس حتى
شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشئ وضده وجعل أحدهما سببا
للاخر فصار غريبا عجيبا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال ان النار نشني من
الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما يجري على هذا
النهج) قول أبي نواس في شجر الكرم

لنا هجمة لا يتدرى الذئب مغفلها * ولا راعها غص الفصالة والمختر
إذا امتحنت ألوانها مال صفوها * إلى الحق الآن أو بارها خضر
(ومن هذا القبيل) قول بعضهم

سبع رواحل ما ينخن من الونا * شيم تساق بسبعة زهر
متواصلات لا الدؤب يعلمها * باق تعاقبها على الدهر
هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان وإياليه وهي الأسبوع فإن الزمان
عبارة عنه وذلك من الالغاز الواقعة في موقعها (وعلى هذا الأسلوب) ورد
قول أبي الطيب المتنبى في السفن من جملة قصيدته التي مدح به سيف الدولة عند
ذكر عبوره الفرات وهي * الرأي قبل شجاعة الشجعان * فقال
وشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالا الألوان
تأني بما سبت الخبول كأنها * تحت الحسان مرايض الغزلان
وهذا حسر في بابيه ومن ذلك قول بعضهم في حجر المحن

ومدرع من صنعة الليل برده * يفوق طوراً بالاضار ويطلس
إذا سأله عن مو يصر أشكلا * أجاب بما أعيى الورى وهو آخرس
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا
فأجاب عنه بييتين على وزنه وقافية وهما

سؤالك جلود من الصخر رأود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس
أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالخلق مطلس
(وقد رأيت هذا الشاعر) وهو حائث بجزيرة ابن عمر وليس عنده من أسباب
الادب شيء سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك
يقول الشعر طبعاً وكان يجيد في الكثير منه (ومن الالغاز) ما يرد على حكم
المسائل الفقهية كالذي أورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه

وهي
ولى خالة وأنا خالها * ولى عمه وأنا عمها
فأما التي أنعم لها * فإن أبي أمه أمها
أبوها أخي وأخوها أبي * ولى خالة هي كذا حكمها
فأين الفقيه الذي عنده * فنون الدراية أو علمها
يبين لنا نسباً خالصا * ويكشف للنفس ما همها

فلما حجوسا ولا مشركين • شريعة أحمد نأتمها
 (وهذه المسئلة كتبت الى) فتأملتها تأمل غير ملجج في الفكر ولم ألبث
 أن انكشف لي ما تحتها من اللغز وهو أن الخالة التي الرجل خالها تصور على هذه
 الصورة وذلك أن رجلا تزوج امرأة تسمى احداها عاتشة واسم الاخرى
 فاطمة فأولاد عاتشة بنتا وأولاد فاطمة ابنا ثم تزوج بنته من أبي امرأته فاطمة
 فجاءت بنت فتلك البنت هي خالة ابنه وهو خالها لانه أخواتها وأما العمة التي
 هو عمها فصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوجة أخاه من أمه أم أبيه
 فجاءت بنت فتلك البنت هي عمة لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخو أبيها وأما قوله
 ولي خالة ~~هذه~~ إذا حكمها فهو وأن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها
 أخي وأخوها أبي وصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخت من أمه فزوجة أم أبيه
 أمه فجاءت بنت فاختها أمه وأختها أخته (وأحسن من ذلك كله وأطف
 وأحلى) قول بعضهم في الخلال

ومضروب بلا جرم • ملجج اللون معشوق
 له قد الهلال على • ملجج القد معشوق
 وأكثر ما يرى أبدا • على الامشاط في السوق

وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الايات فقال قد دخلت السوق فمارأت
 على الامشاط شيئا وظن أنها الامشاط التي يرجل بها الشعر وأن السوق سوق
 البيع والشراء (واعلم) أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو مضروب وألوان
 فنه الحسن الذي أوردت شيئا منه كإتراء ومنه المتوسط الذي هو دونه
 في الدرجة فلا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفي أكوارها • ألفان من عم الاثيل الواحد
 ما ن رأيت ولا يركب هكذا • حلت حدائق كالظلام الراكد

وهذا يصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فأعطاهم فخلا وكتب لهم بها كتابا
 والاثيل الموضع الذي كتب لهم اليه والعم العظام الرأس من التخيل والواحد
 الاقناء من التخيل فلما حلوا الى الكتب في أكوارهم فكأنهم حلوا الى الخلال وهذا
 من متوسط الاغفار وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج الا بمساقل
 الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض

والحجرة وغيرها ولئن كان معناه دقيقا يدل على قرط الذكاء فاني لأعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمود ولا فرق بينه وبين اللغة الفرس والروم وغيرها - ما من اللغات في عدم الفهم (وأما ما ورد من الالفاز نثرا) فقد ألف الخريز في مقاماته ألفا زاضها ذكر الابرء والمروء وذكر الديار وهي أشهر - كما يقال من قفانك فلا حاجة الى ايرادها في كتابي هذا وقد ورد من الالفاز نثري في كلام العرب المنشور غير انه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجده فيه شيئا منها ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالفاز (وأما ما ورد للعرب) فيروى عن امرئ القيس وزوجته عذرة من الالفاز وذلك أنه سأها قبل أن يتزوجها فقال ما اثنان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فتد يا المرأة وأما الاربعة فاخلاف الناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوجها وأرسل اليها هدية على يد عبده وهي حلة من عصب اليمن ونحى من عسل ونحى من سم قتل العبد ببعض المياه وابس الحلة فعاق طرفها بسمرة فانشق وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ثم قدم على المرأة وأهلها اخلاف فسأل عن أبيها وأمتها وأخيهما ودفع اليها الهدية فقالت له أعلم وولاء أن أبي ذهب يقرب به عيدا ويبعد قريبا وان أمي ذهبت تشقى النفس نفسين وأن أخي يرقب الشمس وأخبره أن سماكم انشقت وأن وعاء يكمن نضبا فعاد العبد الى امرئ القيس وأخبره بما قالت له فقال أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانه ذهبت تقبل امرأة وأما أخوها فانه في سرح يرعاه الى أن تغرب الشمس وأما قواها ان سماكم انشقت فان الحلة انشقت وأما قواها ان وعاء يكمن نضبا فان النحيين نقصا ثم قال للعبد أصدقني فقال له اني نزلت بما من مياه العرب ونعلت كذا وكذا فهذا وأمثاله قد ورد عنهم الا أنه يسير (وكذلك يروى عن ش - بن أفضى) وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلائمه فصاح به رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهم ما الس - ير قال له ش - بن أفضى أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب راتبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال ش - بن أفضى هذا الزرع قد أكل فقال له يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما جنازة فقال ش - بن أفضى صا - بها حيا فقال له الرجل ما رأيت أبوهل منك أترامهم

حلوا الى القبر حيا ثم انهم اوصلا الى قرية الرجل فصاربه الى بيته وكانت له بنت
 تأخذ بطرفها بحمد يثرفيقه فقالت ما نطق الابا صواب ولا استفهم الاعا
 يستفهم عن مثله أما قوله أتحملي أم أحملك فانه أراد أتحدثني أم أحدثك - حق
 تقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف
 ربه عنه أم لا وأما استفهامه عن صاحب البنازة فانه أراد هل خلف له عقبا يحيا
 بذكره أم لا فلما سمع كلام ابنته خرج الى شئ وحديثه بتأويلها فخطبها فزوجته
 اياها (وأدق من هذا كله والطف) ما يحكي عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز
 وهو أولهم الذي استنقذه من أيدي الروم بالذكور والخديعة ولذلك قصة ظريفة
 وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها في خدمة محمود بن صالح صاحب
 حلب وكان اذا نال يلقب بسيد الملك فنبأ به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له
 أن هرب ومضى الى مدينة ترابلس في زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل اليه
 ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فاضرا ابن صالح رجلا من أهل
 حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه لجة موقدة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره
 أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فاعطاه الا أن
 يكتب وهو يعلم أن باطن الامر في ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ الى
 حلب هلك فافكر وهو يكتب في اشارة عمياء لا تفهم لم يضعها فيه يحذره
 ابن منقذ فاذاء فكره أن كتب في آخر الكتاب عنده ان شاء الله تعالى
 وشددان وكسرها ثم سلم الكتاب الى ابن صالح فوقف عليه وأرسله الى ابن منقذ
 فلما صار في يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صدقي وما يغشني ولولا أن يعلم صفاء قاب
 ابن صالح لي لما كتب الي ولا غرتني ثم عزم على العود وكان عنده ولد
 فأخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال له يا أبة مكانك فان صديقك قد حذرك وقال
 لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب ان شاء الله تعالى في آخر الكتاب وشددان
 وكسرها وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سواه ومعنى ذلك أنه يقول ان
 الملائكة يأتمرون بك ليقبلك وان شككت في ذلك فأرسل الى صاحب وهذا من
 أعجب ما بلغني من حدة الذهن وقطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة
 لما تقطن الى مثل ذلك أبدا لانه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على امتنباط
 ما استنبطه (ووجد بعض الادباء لغز في حمام) فنه ما أجاد فيه كتوله وقد أظلمتها

سماء ذات نجوم لا استراق لها ولا رجوم وهي مركبة في فلك صحت استدارته
وسكنت ادارته * أحجب بها من أن نجم * عند الصباح ظاهرة

لكنها اذا بدا * نجم الظلام غائبة

فهي على القياس جنة نهيم مبنية على لظى بحيم لاخود فيها ولا مقام
ولا تراورين أهلها ولا سلام أنهارها متدفقة ومياهها مترقرة والاكواب
بها وضوعة والفارق عنها منزوعة

يطيع بها المولى أو امر عبده * ويصبح طوعا في يديه مقاتله

ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلاته

التجمل بها معدوم والخدام فيها مخدوم ينكر بها التستر من البرد ويكره
حرها اذا جازا الحد هذا اللغز من فصيح الالغاز ولا يقال ان صاحبه في العمى
صانع العكاز واذا تطرز غيره بلعة من الوشي فهذا كله طراز (ومما سمعته) من
الالغاز الحسن التي تجري في المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النخري
وذال ان عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبه شريك النخري على بغلة
فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر اغضض من لجامها فقال أصلح الله الأمير
انهم مكبوتة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هذا فقال له شريك ولا أنا أردته
وكان هرا أراد قول جرير

فغض الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لاتأمنن فزاريات به * على قلوبك واكتبها باسيار

وهذا من الالغاز اللطيفة ودفطن كل من هذين الرجلين امثله ألطف وأحسن
(ومما يجري هذا المجرى) أن رجلا من غميم قال لشريك النخري ما في الجوارح
أحب الي من البازي فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان الغميم أراد
قول جرير أنا البازي المطل على غير * أتبع من السماء لها انصبابا

وأراد شريك قول الطرماخ

تيم بطرق اللؤم أهدي من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كفاضل الاشخاص ومن ههنا قيل سبحانه خالق
أبي موسى وعمر بن العاص (النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات)

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار اليها في الفصل التاسع
من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر
أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام أن كان قصفا فقصا وإن كان
هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني
وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع والقاعدة التي يبنى
عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدا أن يتطرقا كانت مديحا صرفا
لا يختص بمحادة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل
بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها كقول القائل

ان حارت الاباب كيف تقول * في ذا المقام فعذرهما مقبول
سامح بفضلك مادحك غالهم * أبدا الى ما تستحق سبيل
ان كان لا يرضيك الا محسن * فالحسنون اذا لديك قليل

فان هذا الشاعر ارتجل المديح من أول القصيد فأتى به كما ترى حسنا لا تقاوأما
إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فانه
لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل وان فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره
عن الغاية أو على جهل بوضع الكلام في مواضعه (فان قيل) انك قلت يجب
على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت في الجواب) ان الغزل رقة محضة والالفاظ
التي تنظم في الحوادث المشار اليها من فخل الكلام ومتمين القول وهي ضد الغزل
وأضافان الاسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء
بالخوض في ذكرها لا ابتداء بالغزل اذ المهم واجب التقديم ومن أدب هذا
النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح مائة طير منه وهذا يرجع الى
أدب النفس لا الى أدب الدرس فينبغي أن يحترز منه في مواضعه كوصف الديار
بالثور والنازل بالعفاء وغير ذلك من تشق الآلاف وذم الزمان لاسيما
إذا كان في التهاني فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة
والنواب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتحا بشئ من ذلك فطير منه
سامعه وانما خصت الآية آت بالاختيار لانها أول ما يطرُق السمع من الكلام
فاذا كان الابتداء لا تقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه
وبكفيك من هذا الباب الآية آت الواردة في القرآن كالتحميدات المفتحة

بها أوائل السور وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة القسا-
 يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في أول
 سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذا الابتداء
 مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الابتداءات بالحروف كقوله تعالى
 ألم وطس وحى وغير ذلك فان هذا أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع
 السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سبباً للتطلع نحووه والاصغاء اليه
 (ومن قبجج الابتداءات) قول ذى الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * لان
 مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهه (ولما أنشد الاخطل)
 عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها * خف القطبين فراحو امنك أو بكروا
 قال له عند ذلك لابل منك وتطير من قوله فغيرها ذوالرمة وقال
 خف القطبين فراحو اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال في شعره
 فليأت بآداب القطامي على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الأدب فانه قال
 انا محيول فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التخصية والدعاء له
 بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيب الابتداء كقوله
 ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي * وكقوله * فثابتك من ذكرى حبيب ومنزل
 (ومما يكره من الابتداءات) قول أبي تمام * تجزع أتى قد أقفر الجرع الفرد
 وانما أتى أبا تمام في مثل هذا المذكور تتبعه للتجنيس بين تجزع والجرع وهذا
 دأب الرجل فانه كثيراً ما يقع في مثل ذلك وكذلك استقبح قول البحتري
 فؤاد ملام الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبوعها
 السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لا مديح وما أعلم كيف يخفى هذا على
 منيل البحتري وهو من مقلقي الشعراء (وحكى) أنه لما فرغ المعتصم من بناء
 قصره بالميسدان جلس فيه وجميع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم
 فخار أي الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلي في
 الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسناً أجاد فيه الا أنه استفصح بذكر الديار وعفاها
 فقال يا دار غيرك البلي ومحالك * ياليت شعري ما الذي أبلاك
 فتطير المعتصم بذلك وتغاضى الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل
 ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فاعاد

منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المقتسم الى سر من رأى وخرّب القصر فاذا
 أراد الشاعر أن يذ كر دارا في مديحه فليذ كر كما ذ كر أشجع السلي حيث قال
 قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
 وما أجدر هذا البيت بفتح شـ عرا سحوق بن ابراهيم الذي أنشده للمقتسم فانه
 لو ذ كر هذا أو ما جرى مجراه لكان حسنا لا قضا (وسـ مثل) بعضهم عن أحد ذ كر
 الشعر فقال من أجاد الابتداء والمطلع ألا ترى الى قصيدة أبي نواس التي أولها
 يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تـ تمام
 فانهم امن أشرف شعره وأعلامه مغزلة وهي مع ذلك مستـ كرهة الابتداء لانها
 في مدح الخليفة الامين واقتتاح المديح بذ كر الديار ودورها بماية طير منه لاسيما
 في مشافهة الخلقاء والملوك ولهذا يختار في ذ كر الاماكن والمنازل ما رقى لفظه
 وحسن النطق به كالعـ ذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشـباء ذلك
 ويختار أيضا أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى هذا المجرى
 وقد عيب على الاخطل في تغزله بقذ ورو هو اسم امرأة فانه مستقيم في الذ كر وقد
 عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقيما في معناه فانه ثقيل
 على اللسان ما قال البحري

ان لا بين منة لا تؤدى * ويداني تماضريضا

فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل وينقل من خفته وأمثال هذه الاشياء يجب
 مراعاتها والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة
 من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان في اسمه كراهة كما ذ كر أبو تمام في شعـره
 مواضع مكرهة الاسماء لضرورة ذكر الودع التي كانت بها كذ كر الحشال
 وعقوقر وأمثالهما وكذلك ذ كر أبو الطيب المتنبي هنريط وشـميصا ط وما جرى
 مجراهما وهذا لعيب في ذ كرهـ لما كان لضرورة التي تدعو اليه وهكذا يسامح
 الشاعر والكاتب أيضا في ذ كر ما لا بد من ذكره وان قبح ومهـ ما أمكنه من
 التورية في هذا المقام فليـ لكها او ما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس
 من شرط الابتداء أن لا يكون مماية طير منه فقط فان من الابتداء آت
 ما يستقيم وان لم يـطـير منه كقول أبي تمام * قبل ان تـب أرييت في الغلواء
 وكـ قوله * تـي جماعى استطارعـ وتـي * وكقول أبي الطيب المتنبي

أقل - فعالي بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أراني وبك لو ملك ألوما * والعجب
أن هذين الشاعرين المقلقين يتبدآن بمثل ذلك ولهما من الابتداءات الحسنة
ما أذكره (أما أبو تمام) فانه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند فتحه
مدينة غورية فقال

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حقه الخد بين الجند واللعب
يبيض الصفائح لا سود الصفائح في * متونهن جلاء الشك والريب
وهذه الابيات لها قصة وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة غورية زعم أهل
النجاسة أنها قد تفتح في ذلك الوقت وأفاضوا في هذا حتى شاع وصار أحدى
بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وحمل السيف
أصدق من الكتب التي خبرت بابتداع البلاد واعتصامها ولذلك قال فيها
والعلم في شهب الأرماح لأمعة * بين الخيدين لافي السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغره من زخرف فيها ومن كذب
تخترصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنسج اذا عادت ولا غرب
وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب وكذلك قوله في أول قصيدة يدح بها
أيضا ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظنره به وهي من أقدم شعوره فقال
الحق أبلغ والسيوف عوار * فخذار من أسد العرين حذار
وكذلك قوله متغزلا

عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان تعتب الايام فيهم فرعما
وهذا من الأغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبي تمام المعروفة وكذلك قوله
في أول مرثية

أصم بك الناعي وان كان أسعيا * وأصبح مغنى الجود بعد ذلك بلقما
(وأما أبو الطيب) فانه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره كقوله في قصيدة
يدح بها كافورا وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزعة فبدأ قصيدته بذكر
الغرض المقصود فقال

حسم الصلح ما شتهته الا عادي * وأذا عته ألسن الحساد
وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان
ابن الشمشقيق حافا ليلقيته كفا حافا التقيالم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو

الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال
عقبى اليمين على عقبى الوغاندم * ماذا يزيدك في اقدامك القسم
وفي اليمين على ما أنت واعد * ما دل أنك في الميعاد متهمم
(وكذلك) قوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه
ولقائه كافورا في أول بيت من القصيدة فقال

فراق ومن فارتقت غير مذمم * وأتم ومن يسمت خير ميم
(ومن البديع النادر في هذا الباب) قوله متمغزلا في مطلع قصيدته القافية وهي
أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الماتى

وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة الى ذكرها (ومن محاسن الابتداءات) التي دلت
على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته في كتاب الروضة لأبي العباس
المبرد فنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله في بلاد الروم وأن تقفور ملك
الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج فتقض
تقفور العهد فلم يحسرا أحد على اعلام الرشيد كان هيبته في صدور الناس
وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا في اعلامه فسلكهم
أشفق من لقائه بمنزل ذلك الاشاعر من أهل جنة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مقلعا
فنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها

نقض الذي أعطيت به تقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أنالته الاله كبير
تقفور أنك بين تغدر أنأى * عنك الامام بلهاهل مغرور
أظننت حين غدرت أنك مفلت * هبلك أمك ما ظننت غرور

فلما أنهى الايات قال الرشيد أو قد فعل ثم غزا في بقية الثلج وفتح مدينة
هرقله (وقرأت في كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصبهاني) ما رواه من شعر سديف
في تخريض الخليفة السفاح رحمه الله على بنى أمية فقال قدم سديف من مكة
الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية
يجلسون عنده على الكراسى تكريما لهم فلما دخل عليه سديف حبر لثامه
وأشده أياتا من الشعر فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال
لا تنرا الى جانبه قتلنا والله العبيد فلما أنهى الايات أمر بهم السفاح فأخرجوا

من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه
منهم ومن الابيات

أصبح الدين ثابتي الاساس * بالله البيل من بني العباس
أنت مهدي هاشم وهداها * كم أناس رجول ذبه داياس
لا تقبلن حب دشمس عشارا * واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بجيشت أنزلها الله * بدار الهوان والانعاس
خوفهم أظهر التودد فيهم * وبهم منكم كهم زالمواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شافة الارجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب الهرماس
واقصد ساني وسام سواني * قريبهم من منابر وكراسي
وهذه الابيات من فاخر الشعر ونادره اقتتساها بابتداء وتحريرضا وتاليا بها ولو
وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لمبايعة مقتدار
مالها من الحسن (ومن لطيف الابدآت) ما ذكره مهيار وهو
أما وهو اها عذرة وتنصلا * لقد نقل الوائلي اليها فأنحلا
سعي جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قلاد
فانه أبرز الاعتذار في هيئة الغزل وأخرجته في عرض النسيب وكان وشي به
الى الممدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول
بعض المتأخرين من العراقيين

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام الخناصر
ولولا ولوعك بالصدماسعوا * ولولا الهوى لم أنتدب للمعاذر
فسلك في هذا القول مسلك مهيار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعاتبة على
الاصغاء الى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى
(ومن الحذاقة في هذا الباب) أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية
مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لان
التحامد لا تصدر في غيرها فانها تكون قد تضمنت أمورا لا تفتقر بالتحميد كفتح
مقفل أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا الجرى (ووجدت أبا اسحق الصابي) على
تقدمه في فن الكتابة قد أدخل بهذا الركن الذي هو من أركان الكتابة فاذا أتى

بتحميده في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما
 تكون في واد والكتاب في واد الا ما قل من كتبه (فما خالف فيه مطلع . عناه) انه
 كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاثرالذعنهما وكان ذلك فتحا عظيما فابتدأ
 بالحميدة فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلي
 الجيد الذي لا يوصف الاسباب الصفات ولا يبعث الا برفع النعوت الازلي
 بلا ابتداء الابدى بلا انتهاء القديم لا منذ امد محدود الدائم لا الى أجل
 معدود الفاعل لا من مادة استمدها ولا بالآلة استعملها الذي لا تدركه الاعين
 يلحظها ولا تحته الاسن بأفراطها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه
 الدهور بمرورها ولا تضارعه الاجسام بإفطارها ولا تجانسها الصور بأعراضها
 ولا تجاربه أقدام النظر والأشكال ولا تراجمه مناكب القرناء والامثال بل
 هو الصمد الذي لا كفؤ له والقد الذي لا توأم معه والحي الذي لا تخزمه المنون
 والقيوم الذي لا تشغله الشؤون والقدير الذي لا تؤده المعضلات والخبير
 الذي لا تعسه المشكلات وهذه الحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها
 ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب
 الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ما جرى مجراها وأما أن توضع
 في صدر كتاب فتح فلا وهو وان أساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع آخر
 وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عوده
 الى كرسي ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من فادحة الاثرالذ فقال
 الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبلى بعد دبثاته وجابر الوهن اذا لم
 وكاشف الخطب اذا أظلم والقاضي للمسلمين بما يرضى نشرهم ويشد أزهرهم
 ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفه عليهم وان شابت ذلك في الاحيان شوائب من
 الحدثان فلن تجاوزهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون
 الى فضل ما أولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من ايمان سرهم واعذاب
 شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واظهار دينهم على الدين كله ولو كره
 المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة
 كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع
 فليؤخذ من هنالك (ومن المبادئ التي قد أخذت وصارت من ذراة) أن يقال

في أوائل التقليدات أن أحق الخدم بأن ترضى خدمة كذا وكذا وإن أحق من
 قلد الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا فإن هذا ليس من المبادئ المستحسنة ومن
 استعمله أو لا فقد ضعف ~~فكرته~~ عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ
 والذي تبعه في ذلك أقام قلدا ليس عنده قوة على أن يختار لنفسه وأما جاهل
 لا يفرق بين الحسن والقبیح والجيد والردى وأهل زماننا هذا من الكتاب
 قد قصروا مبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وإن أتوا بحميدة من
 الحمائد كانت مبادئ معنى التقليد الذي وضعت في صدره وكذلك قد كان
 الكتاب يستعملون في التقليدات مبادئ واحدة لا يتجاوزونه إلى غيره وهو هذا
 ما عهد فلان إلى فلان والحمد خير ما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وما
 جرى مجراها وما وقد أنكرت ذلك على مستعمله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية وال
 فقلت كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذى شان ولا يوضع في ميزان ولا يجتنى
 من أفنان وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان إلى فلان وتلك فاتحة لم تكن جديدة
 فتخلق بتداول الأيام ولا حسنة النظم فيضاهى بعلمها من ذوات النظام وهذا
 التقليد مفتتح بحمد الله الذي تكفل لحامده بالزيادة وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله
 بالاعادة وهو الذي بلغ بنا من ما رّب الدنيا منتهى الإرادة وسلم اليها مقاده فذل
 لنا بهما كل مقادة ووسد الأمر منا إلى أهلها فاستوطأت الرعايا منه على وسادة
 ونرجو أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك
 السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذي ميزه الله على الأنبياء بشرف السيادة وجعل
 انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الأيوان من آيات الولادة وعلى آله
 وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الإشادة وبسطت عليهم
 الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أتابعه كذا
 وكذا ثم أنهيت التقليد إلى آخره (ومن الخذاقة في هذا الباب) أن يجعل الدعاء في
 أول الكتاب من السلطانيات والخواصيات وغيرها مضمنا من المعنى ما بنى عليه
 ذلك الكتاب وهذا شيء انفردت بإبداعه وتراه كثيرا في أنشأته من المكتبات
 فاني توخيت فيهها وقصدته (فمن ذلك) ما كتبت في الهناء بفتح وهو هذا الكتاب
 مشافه بخدمة الهناء للعجاس السامى الفلانى جدد الله له في كل يوم فتحا وبدل
 عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه

يوم فمار يوم أضحي وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا
ومدحا وأسكنه بعد العمر الطويل دارا لا يظمأ فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد
ذلك في انشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معاني ذلك الفتح (ومن ذلك) ما ذكرته
في الهناء بولود وهو جسد الله مسيرات المجلس السامي القلاني ووصل صبح
هناؤه بغبوقه وأمتعه بسلبه المبشر بطروقه وأبقاه حتى يستضي بنوره
ويرى عن فوقه وسريه أبكار المعاني حتى تتخلق أعطافها بخلوقة وجعله كزرج
أخرج شطأه فآزره فاسد تغلظ فاسد توى على سوقه ثم أخذت في انعام الكتاب
بالحناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أوردته ههنا من هذين
المثالين وأنسج على منوالهما فيما تصد من المعاني التي تبني عليها كتبك فان
ذلك من دقائق هذه الصناعة (وأما فواتح الكتب التي أنشأتها) فمنها
ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهي عدة كثيرة وقد أوردت ههنا بعضها (ومن
ذلك) مفتاح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز
النبوي جعل الله الخلود لدولته وأوطانا والحدود لها أركانا ونصب أيامها في
أيام الدهر أحيانا وصورها في وجهه عينا وفي عينه انساها ومد ظلالها على الناس
عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وأتباعها من معجزات
سلطانها ما لم ينزل به لغبرها سلطانا فارتاح الخادم لالتقاءها وبسط يده لاستسقائها
وقال رحمة مرسله لا تخشى رعودها ولا تخلف وعودها ومن شأنها ترويض
الصنائع التي يبق آثارها لا الخماثل التي تذوى أزهارها وقد يعبر عن الكتاب ونائله
بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه بموقع
الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين
ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وبين ما يسمى
الاقدار الخاملة وما زالت كتب الديوان العزيز تضرب اياها الامثال وتصرف
نحوها الامال ويرى الحسد فيها حسنا وان عدت في غيرها من سيئ الاعمال
وهذا فصل من اول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الى
بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو
طلع كوكب من أفق المجلس السامي لا خلت سيادته من عدو وحاسد ولا شئت
بتوأم يخرجها عنكم الواحد ولا عدت صحبة الجدد والمثيظة في

الزمن الراقد ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذي هو عمر خالد ولا زال
 صر فوعا إلى المهل الذي يعلم به أن الدهر لا بأس ناقد والكواكب تختلف مطالعها
 في الشمال والجنوب ففهم ما يطلع دائما في أحدهما وهو في الآخر دائم الغروب
 وكتاب المجالس كوكب لم يربهم هذه الأرض مطلعهم وإن علم من السماء أين موضعه
 ولما ظهر الآن للخادم سجد له حامدا وختر له ساجدا وقال قد عبدت الكواكب
 من قبلي فلا عجب أن أكون لهذا الكوكب عابدا وها أنا قد أصبحت بالعكوف
 على عبادته مغري وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبي كبشة الشعري
 وهذا مطاع غريب والسياسة التالية لمطلعهم أغرب ومن أغرب ما فيها قولي وها أنا
 قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغري وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب
 لا ابن أبي كبشة الشعري والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا في الجاهلية
 يعبد الشعري يخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 قالت قريش هذا قد خالف ديننا وسموه ابن أبي كبشة أي أنه قد خالفنا كما خالف
 أبو كبشة قومه في عبادة الشعري فأخذت أنها هذا المعنى وأودعته كتابي هذا فجاء
 كما تراه مبدعا مغريبا (ومن جملة الكتب المشار إليها) مفتاح كتاب كتيبه
 إلى بعض الإخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس فقبل قد آذنت أشراط
 الساعة بالاقتراب ولم يعلم أن تلك الأنوار انما هي أنوار الكتاب لم تألف
 إلا بصار من قبله أن تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك إلا كتاب المجالس لاسلبه
 الله منزلة هذا الوصف الكريم واتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذي علم
 عليم وأحيى النفوس من كلمه بروح كلمه كاشفي غليلها من أقلامه بسقيا
 السلام ولما ورد عن الخادم صار إليه نهارا وأصبح الناس في الحديث به
 أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس إلى مسمة قرها والشمس لا تجد
 فرارا وهذا الكتاب في الحسن والغراية كالذي قبله (ومن جملة الكتب المشار
 إليها) مفتاح كتاب كتيبه إلى بعض الإخوان وهو تاقب زور من جانب المجالس
 السامي أدنى الله داره وجعل كلماته النامة جاره وأشهد أفعال التقوى له
 وأفعال المكارم نهاره ووجهه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش
 قصاره ولا أقدر السابقين إلى المعالي أن يجروا معه ولا أن يشقوا غبار
 وليس ذلك الزور الأسطورة في قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله في

ملاطفة اليناس والله لا يصغر عيشي هذا الزائر ودة زعيني برؤيته - حق لا أزال
 به قدير الناظر ومع هذا فاني عاتب لتأخره وههنا ظنة العتاب ومن تأخر عنه
 كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتباب والظنين بالموثة لا يرى
 الاظنيننا وقد قيل انها ودبعة وقليلا ما تجد على الودائع أمينا وهذا فصل من
 أقول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتيبه الهى بهض
 الاخوان وهو نسخة من يازب المجلس السامى جعل الله المعالى له رداء
 ونهايات المسامحة له اية رداء وفداء بمن يهصر عن درجته - حق تكون الاكارم له
 فداء وهدى المحامد لافعاله وأهدى البقاء لايامه - حق يجمع له الامر ان هدى
 واهداء واتاه من السيادة ما يجعل أعداءه أصدقاء ومن السعادة ما يجعل
 أصدقاءه أعداء فاستنشق الخادم رباها وتلقى بالتحية محباها واستمتع
 بازهارها التي أنبتت سقيما الاقلام لاسقى الغمام وقال هذا ربيع الارواح لا ربيع
 الاجسام ولورام الاحاطة بوصفها كانت الاقوال المطولة فيها مختصرة
 ولكنه كنى بأن رفعها على رأسه - حق يتمثل أن الجنة في شجرة ومن
 أوصافها أنها جاءت رائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التي
 هي في غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولما سرح
 فيها نظره وجد شوقه حمامة تغرد في أكافها وتردد الشجى لبعدها ليفها اذا
 رددته الحمام اقرب الالفها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب
 الحبيب روضة فهل يتمثل شوق محبه الاحامه وأى فرق بين هذه وبين أخواتها
 من ذوات الاطواق لولا أنها تملى شجوها على صفحات القلوب وتلك تمليه
 على عذبات الاوراق وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب وفيه معنيان
 مبدغان وأعجبهما وأغربهما فولى - حق يتمثل أن الجنة في شجرة وهذا مستخرج
 من الحديث النبوى (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتيبه الهى
 بهض الاخوان وهو تضوعت نفحة من تلقاء المجلس السامى رعى الله عهده
 وسقاه وصان وده ووقاه ويسرلى القاء العصا بلقاء فعطرت الطريق التي سارتها
 والريح التي جاورتها وأنت فأفرشتها خدى وضمت عليها ودى وجعلتها
 ردا على يدي ولطمة لردنى وههنا بالعقدى وعلمت أنم اليست بنفحة طبيب ولكنها
 كتاب حبيب فان مناشق الارواح غير مناشق الاجسام ولا يستوى عرف

الطيب وعرف الاقلام ثم مدت يدي الى الكتاب بعد ان صاحفت يدي موصلة كما
صاحفت عبقة منده وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب منارا وأهدى لعيني فترة
ولقلبي قرارا وهذا في الغرابة كاخواته التي تقدمت ولم أستقص ما اخترعته
من هذا الباب في مطالع الكتب (وأما ما أتيت فيه بالحسن) من المعاني والكنه
غير مخترع (فمن ذلك) مطلع كتاب كتبه عن الملك نور الدين ارسلان بن مسعود
صاحب الموصل الى الملك الافضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما
التعزية فبوفاته أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة
الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنئة لك
جمعهما جعافا في جماع على حكم التثنية وفي مثل هذا الخطب بطل القلم حائرا
وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرا وهذا البيت
الناصرى يتداول درجات العلى فما تفضى الا واليه ترجع وشموسه وأقماره
تتناقل مطالع السعد فما يغيب منها غائب الا وآخر يطلع والناس ان
يجعوا بما جدد دودفه من بعده ما جدد وان قبل ان الماضي كان واحدا قبل
بل الاتى هو الواحد وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت في هذا المعنى
كأين آخرين وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب)
ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بيني
وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وقد تأتى به دياس
منها في شتبه لها مع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس
السامي الفلاني جعل الله الليالي له مصحبا والمعاني له عقبا ورفع مجده فوق
كل ما جدد حتى تكون حسناته ممدى حسناته ذنبا ولا زال اسمه في الافواه
عذبا وذكره في الالهة رطبيا ووده لكل انسان انسانا واكل قلب قلبا ثم
انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبدءا له لانه الغرض
المقصود في هذا الموضع (ومن ذلك) ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
وهو البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله وكل منهما يوفي حق قدره وينزل في
منزله وكذلك فعل انعام بكتاب المجلس السامي الفلاني لازال محله أنيسا وذكره
للفرقدين جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده جديد الملايس اذا كان
المجد انيسا وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرت من الذي قبله فاني لم أذكر الا

مبدأه الذي هو الغرض (وما ينتظم في هذا السلك) ما كتبه في صدر كتاب يتضمن
 تعزية وهو لو لم يلدس قلى ثوب الحداد لهجر مداده ونضى عنه سواده وبعد عن
 قريحته وعاد الى طينته وحرم على نفسه أن يمتطى بدا أو يجرى الى مدى لكنه
 أحسن قنوب وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضممه ما حملته أحشاء
 ضلوعه وانما استعار ذلك من صاحبه الذي أعدها وأبدى اليه من حزنه
 ما أبداه وهو نائب عنه في تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه
 دهره ثم انهيته الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتح الكتاب
 بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الاخبار النبوية أو بيت من الشعر ثم يبنى
 الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبه في ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو
 ومن طلب الفتح الجليل فافهم * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
 وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استنقاذ
 الملك العقيم ورأية المجد لا تنصب الاعلى النصب والراحة الكبرى لا تنال
 الا على جسر من التعب وكأبنا هذا وقد استولى بنا على ممسكة فلانة رهي المملوكة
 التي غمى الآمال دونها صرعى واذ قيس اليها غيرهما من الممالك كانت أصلا
 وكان غيرهما فرعا وهذا نصلى من أقول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه في مفتح
 تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم أمة يدعون الى الله - يروا مروا بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص
 دون العموم ولا يختص به الا ذوو الاوامر المطاعة وذووا العلوم وقرب جمع
 الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخافين عليهما فتبدا أولا
 بحمده الذي هو سبب للمزيد ثم لناخذ في القيام بأمره الذي هو على كل
 نفس منه رقيب عتيد ولا ريب أن اصلاح العباد يسرى الى الارض حتى
 تزكو بطونهم وتنعم عبيدهم - يشترى في ركاب السماء كتب كنهها ومسكونها
 والامر بذلك من ثمته زعماء كلف ثقل على الرقاب واذا انتشرت اطراف
 البلاد فانهم سافروا الى مساعده قمر مستنير مستناب وقد اخترنا المدينة فلانة
 رحمة لم نأل في اختصاره جهدا رفته منافية خيرة الله التي اذا صدقت نيتها صادفت
 رشدا - هو أنت أيها الشيخ فلان فابسط يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن
 كسنة من حسناتنا التي يرجع بها ميزان الثواب وحقق نظرا فانيك فانه من نور

الله الذي ليس دونه حجاب فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد
عليها وهو من محاسن المبادئ والافتتاحات (وكذلك فعلت في موضع آخر)
وهو مفتتح كتاب كتيبه الى شخص كاتبه السفارة الى محمد دومه في حاجة عرضت
وهو ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وهذا
القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحجة
أدبه وان لم يشاركه في الحجة نسيبه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر
وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي • الامر و كان ذا فضل و ذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بعث خلقه الكريم على عوارف افضاله واستهداه ضيعة
جاءه التي هي أكرم من ضيعة ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعي
فيها شريك في الكسب يرى من الطسارة وأما الاخبار النبوية) فيسلك بها هذا
المسلك بان يذكر الخبر في صدر الكتاب ثم يبين عليه ولينذركم منها ولو مثالا واحدا
وهو توقيع كتيبه لولد رجل من أصحاب الساطان توفي والده ونقل ما كان
باسمه اليه فقلت قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمات
مات وترك ما لا فلورثته ومن ترك ديننا أو كلا أوضياعا فالي وعلى وهذا خلق
من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه وأسايب المكارم بأسرها وضوعة
في ضمنه ونحن نرجو أن نغشى على اثره فتتزل نزلة رديفه أو ان تشبه به
فنبليغ مبلغ مدته أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك في قوم يحبوننا فاسه ففناهم عيسى
الانعام وأحمدناهم حجة اليا الى والايام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى
ودوا أن يكونوا هم اليتام وهم ذا فلان بن فلان رحمه الله ممن كان له في خدمة
الدولة قدم صدق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليه اقل له في تلاوته
أقرأ وأرق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه تضمن
نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنه بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو
قوله أقرأ وأرق قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن أقرأ وأرق
ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان نزلت عند آية تقرأها (وقد مثلت لك)
ههنا أمثالا يقتدى بها فاحذوها واض على نهجها والله الموفق للصواب
(النوع الثالث والعشرون في التخاص والافتقار) وهذا النوع أيضا كالذي
قبله في أنه أحد الاركان الخمسة التي تقدمت الإشارة اليها في الفصل الثاني

من مقدمة الكتاب وينبغي لك أيها المتوسخ اه هذه الضيلة أن تصرف إليه جل
 همته فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة (أما لتخصر) وهو أن يأخذ من
 الكلام في معنى من المعاني فينبأ وفيه إذا أخذ في معنى آخر غيره وجهه بل الأول
 سبب إليه فيكون بعضه آخذاً برب قاب بعض من غيره أن يقطع كلامه ويستأنف
 كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنه أفرغ أفراناً وذلك مما يدل على حذق
 الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعاً للوزن
 والقافية فلا تواتيه إلا لفاظاً على حسب ارادته وأما الناثر فانه مطلق العنان
 يعضي حيث شاء فلذلك يشق التخصر على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر (وأما
 الاقتضاب) فانه ضد التخصر وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه
 ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غيره بذلك ولا يكون للناثر علاقة
 بالأول وهو مذهب العرب ومن يليه من مديح أو هجاء أو غيره من المحدثين وأما المحمدون فانهم
 تصرفوا في التخصر فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة (فمن ذلك) قول أبي تمام
 يقول في قوم من محبي وقد أخذت * من السرى وخطا المهرية القود
 أمطاع الشمس تبغى أن تؤتم بنا * فقات كلاماً لك من مطلع الجود
 وهذا البيتان من يديع ما يأتي في هذا الباب ونادره وكذلك قوله أيضاً في
 وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه به من الأوصاف فقال
 خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهدية المتيسر
 في الارض من عدل الامام وجوده * ومن النبات الغض سرج تزهـر
 تنسى الرياض وما يروض جوده * أبداً على مسر الزمان ويذكر
 وهذا من أطف التخصصات وأحسنها وكذلك قوله في قصيدته الفاتية التي
 أولها * أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا * فقال فيها

غمد أجادولي الحسن سنتها * فصاغها بيديه روضة أنفا
 يضحي العذول على تأنيبه كلفا * بعذر من كان مشغوقاً بها كانا
 ودع فؤادك توديع الفراق فنا * أراه من سفر التوديع منصرفا
 تجاهد الشوق طورا ثم تجذبه * جهاده للقوافي في أبي دافعا
 وهذا أحسن من الذي قبله وأدخل في باب الصنعة وكذلك جاء قوله
 زعت هوالاً غدا الغداة كما عفت * منها طاول باللو اورسوم

قوله أجزل في الديوان مصر وقوله ما حلت في الديوان ما زالت وقوله كيف إذا لم يحمل الخفي الديوان على ساحة لم يحمل الكف ساعد

لا والذي هو عالم أن النسيوي • أجزل وأن أبا الحسين كريم
ما حلت عن سنان الوداد ولا غدت • نفسي على الفسوال تحوم
وهذا خروج من غزل إلى مديح أفزل منه (ومن البديع في هذا الباب) قول
أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة التي أولها • أجارة بيتنا أبو بكر غيور
فقال عند الخروج إلى ذكر الممدوح

تقول التي من بيننا خف مركبي • عزيز علينا أن نزال تسير
أما دون مصر للأغنى متطلب • بلي أن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجالتها بواد • جرت فجري في جريهن عبر
ذريتي أكثر حاسد يك برحلة • إلى بلاد فيها الخصب أمير
ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية التي
أولها • عواذل ذات النحال في حواسد •

وأورد نفسي والمهند في يدي • موارد لا يصدرن من لا يجال
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه • فكيف إذا لم يحمل الكف ساعد
خليلى أنى لأرى غير شاعر • فكلم منهم الدعوى ومنى القصاد
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة • ولكن سيف الدولة اليوم واحد
وهذا هو الكلام الأخذ ببعضه برقاب بعض ألا ترى إلى الخروج إلى مدح
الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ثم أن أبا الطيب جمع بين مدح
نفسه ومدح سيف الدولة في بيت واحد وهو من بدائع المشهورة (وكذلك)
قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو في قصيدته الدالية التي
أولها • سرب محاسنه حرمت ذواتها • فقال في أثنتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها • ثبت الجنان ككأنى لم آتها
ومقانب بمنى قب غادرتها • أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد ككأنما • أيدي بنى عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة ككأنها • في ظهرها والطعن في لباتها
فكأنها تفتت قياما فحتم • وكانهم ولدوا على صهواتها
تلك النفوس الغالبات على العلا • والمجد يغلبها على شهواتها
سقيت منابتها التي سقت الورى • يدي أبي أيوب خير نباتها

ف نظر الى هـ الذين التخصيصين البديعيين فالاول خرج به الى مدح قوم الممدوح
والثاني خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد أغرب فيه ~~كل~~ الاغراب
وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا فانك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم
والانخاف في القوار وعاقبي * من ابن عبيد الله ضعف العزائم
والشعر امة متفانون في هـ ذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المذاق المشهور
بالاجادة في ايراد اللفاظ واختيار المعاني كالبحر في فان مكانه من الشعر لا يجهل
وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضروها بعيدا مكانها وكالقناة
لبنامها خشبا سنانها وهو على الحقيقة قيمة الشعراء في الاطراب وعنفائهم
في الاغراب ومع هـ مذاقانه لم يوفق في التخصيص من الغزل الى المديح بحبل اقتضبه
اقتضابا واقد - فظت شعره فلم أجده من ذلك شيئا مرضيا الا اليه - بر كقوله في
قافية الباء من قصيدة

وكداني اذا الحوادث أظلمت من شهابا بغزة ابن شهاب

وكقوله في قافية الدال من قصيدة

قصدت انجران العراق ركابنا * فظللان ازجيهما محلة ما جد

آلت لا تلقين جندا صاعدا * في مطلب حتى تنأخ بصاعد

وكقوله في قصيدته التي أولها * حلفت اهب الله يوم التذرق * فانه تشوق فيها
الى العراق من الشام ووصف العراق ومشار له ورياضه فأحسن في لك
~~كله~~ ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضه بارتقاب بعض

فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى اهديم او فكا كالموثق

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي
أولها * مبلوا الى الدار من ليلى فحييها * فانه وصف البركة فأبدع في أوصافها ثم
خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال

كانم احين بلحت في تدفقها * يد الخليفة لما سال وادبها

وأحسن ما وجدته له وهو مما لطف فيه كل التلطيف قوله في قصيدته التي مدح
بها ابن بطام ومطلعها * نصيب عينك من سحر وتسهام * فقال عند تخلصه الى

المديح هل الشباب ملتم في فراجعة • أيامه في أعقاب أيام
 لو أنه بابل عم — ريجاذبه • إذا نطلبته عند ابن بسطام
 وهذا من الملائح في هذا الباب وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره
 وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغساني إن كتاب الله خال من التلخيص وهذا
 أقول فأسد لأن حقيقة التلخيص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بالطفيفة
 فلا ثم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه وفي القرآن الكريم
 مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعد والتمذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى
 أمر ونهي ووعد ووعد ومن محكم إلى متشابه ومن صفة لنبي مرسل وملاك
 نزل إلى ذم شيطان مرید وجبار عنيد بلطافة دقيقة ومعان أخذ بعضها برقاب
 بعض (فما جاء من التلخيص في القرآن الكريم) قوله تعالى واطل عليهم نبأ إبراهيم
 إذ قال لا يه ويومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين قال هل
 يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بلى وجدنا آياتنا كذلك
 يفعلون قال أفرايت ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدوا لى
 رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطمعنى ويهين وإذا مرضت
 فهو يشفين والذى يمتننى ثم يحيين والذى أطع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين
 رب هب لى ~~حسبكم~~ ما ألقى بالصلحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
 واجعل لى من ورثة جنة النعيم واغفر لى انه كن من الضالين ولا تخزنى يوم
 يبعثون يوم لا يسمع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزفت الجنة
 للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل
 ينصرونكم أو يفتصرون فكذبوا فيها هم والغاوين وجنود إبليس أجمعون
 قالوا وهم فيها يحتصمون تالله إن كنا فى ضلال مبين اذ نسو بكم رب العالمين
 وما أضلنا الا الجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم فلما أن لا كرامة فتكون
 من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسهر الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة
 فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أشاءه ومطاوى حكمته علم أن فى ذلك غنى عن تصفح
 الكتب المؤلفة فى هذا الفن ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه
 مع المشركين حين سألهم أقولا عما يعبدون وقال مقتررا لسؤال مستفهم ثم أنجى على
 آلهتهم فأبطل أمرها بأنهم لا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليد آباءهم

الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد
 الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا يجب العبادة الاله ولا ينبغي الرجوع
 والانابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم بقوله فانهم -م عدولي على معنى اني
 فكرت في أمرى فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها وأثرت
 عبادة من الخير كله في يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظر وافية ولو
 ما نصحتنا ابراهيم الابما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله
 وأبعت على الاستماع منه ولو قال فانهم عدوا لكم لم يكن بذلك المثابة فتخلص عند
 تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من
 تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خلقه وأنشأه الى حين وفاته مع ما يربح في الآخرة
 من رحمته ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيقة بالعبادة واجب على الخلق
 الخضوع له والاستكانة لا عظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله
 بدعوات المخلصين وابتهل اليه بتهاليل وابين لاق لطالب من مولاه اذا قدم
 قبل مواله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لمحصل
 الطلبة ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجبازة الله تعالى من
 آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب في طاعته
 والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سوا الالهة عند
 معابنة الجزاء وهو سؤال موجب لهم مستهزئ بهم وذكر ما يدعون اليه عند ذلك
 من الدم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتغنى العودة ليؤمنوا فانظرأيها
 المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بذهنه برقاب بعض مع احتوائه على
 ضروب من المعاني فيخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطفة ملائمة حتى كأنه
 أفرغ في قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وتنقيح آييه وقومه عن عبادتهم اياها
 مع ما هي فيه من التعري عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
 ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فاعظم شأنه وعدد نعمه
 ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له
 ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخصصات اللطيفة
 المودعة في أثناء هذا الكلام وفي القرآن مواضع كثيرة من التخصصات كالذي ورد
 في سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبياء والاهم الخالية من آدم الى نوح

عليه - ما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذي هو واختار موسى قومه - - - بعين رجلا مليقا تنافلا أخذتهم - - - الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم - - - من قبل واياي أتهم لكتابا فعل السفهاء من ان هي الافتقار تضل بهم من تشاء وتم - - - يدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجب دونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم - - - الخبائث ويضع عنهم - - - اصرهم والاغلال التي كانت عليهم - - - فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخلصات الحسان فان الله تعالى ذكر الانبياء والقرون الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبيها صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض ألا ترى أنه قال - - - موسى عليه السلام واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأ كتبها للذين من حالهم - - - كذا وكذا ومن صفاتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامي ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى آخر الكلام وبالله العجب كيف يزعم الغاصي أن القرآن خال من التخلص ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهي مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى آخرها ولو أخذت في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لا طلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاءني من التخلصات في الكلام المنشور أشياء كثيرة) وسأذكر ههنا بذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته في كتاب الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكما أن هذه الاوصاف في شأنها بديعة فكذلك شوقي في شأنه بديع غير أنه لحزه فصل مصيف وهذا فصل ربيع فأنا أملى أحاديثه العجيبة على النوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أسية غرض حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته

اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لا يقبته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت وعما أشكوه مربر هاتن الفرو لا يابس الا في شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذي يتبرديه من لفتح الهواجر ولفرط شدته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهب به فان النار المدة له تطاب من الدفء ايضا ما أطلبه لكن وجدت ناراً شواقى أشد حرا فاصطليت بحمورها التي لا تذكي بزناد ولا تؤل الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حر القواد غير اني كنت في ذلك كمن سدد خلة بجذلة واستشفى من حلة بعلة وأقتل ما أعلاك ما شفاك فما ظنك بمن يصطلي نار الا شواقى وقد قنع من أخيه بالاوراق فضن عليه بالاوراق (وعما ينظم في هذا المقدر) ما ذكرته في مفتاح كتاب يتضمن عناية ببعض المتعلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفس من هدايا الاموال وأبقى على تعاقب الايام والليال وقد سجل هذا الكتاب منها هدية تورث حداوة كسب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يسير بها الاسحجية طبعت على المكارم وخلقت من عنصر الديم كسحجية مولانا أعلاء الله علواً تفخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت أباديه منجدة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوار والاحمام وتلك الهدية هي تجريد الشعاعة في أمر فلان ومن إيمان المرء سعيه في حاجة أخيه وان لم يمس به شيء من أسباب أو أخيه فان المؤمنين اخوة وان تبانت مناسبتهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسبح بذمتهم أديانهم وخيرهم من عناهم من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب الى صديق استحدثت مودته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سار عني فسكنت اليه أستبرديه رطباً فقلت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كلمة زفيف الاوراق وتجميع جميع ذوات الاطواق وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو قيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد وقد استجذبت حلقته واللذة معتزلة بكل شيء جديد وأرجو أن لا يبلى قدم الايام لهذه الجدة الباسا وأن يعاذه من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنة ولا باسا وقد قيل ان لاهوديات طعمها كما أن لها روعا وان ذا اللب يصادق نفسه سابقيل أن يصادق جسمها وان لا يجد مداوة

سيدنا حلاوة يستلذذوا منها ولا يمل استطعامها وقد أذكرتني الآن بحلاوة
الربط الذي هو من أرضها وغير عجيب لمناسبة الأشياء أن يذكر بعضهما ببعضها
الآن هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغترس
بالارض وما يغترس بالقلب في شرف الثمار فلا يتظر سيدنا على في هذا التمثيل
وارجحاً كان ذلك تعريضا لنبوب مناب التطفيل وهذا من التخصصات البديهة
فانظر أيهم المأثوم هل كيف سقت الكلام الى استهداء الربط وجعلت بعضه
أخذ برقاب بعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد وكذلك فلا يمكن التخص
من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للاطلاع (ومما استظرف من هذا
لنوع في الشعر) قول ابن الزمكرم الموصلي وهو

وايل كوجه البرق عيدي تمظلم • وبردا غانيه وطول قد رونه
سريت ونوى فيه يوم مشرد • كعقل سليمان بن فهد ودنيه
على أواق فيه التفات كأنه • أبو جابر في خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه • سنارجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الايات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك
العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندائه في ليلة من ليالي
الشتاء وفي جانتهم هؤلاء الذين هجأهم الناعرو كان البرقيدي مغنيا وسليمان
ابن فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو
لذلك كورين ويعد حبه فأنشد هذه الايات ارتجاليا وهي غريبة في بابها لم
يسمع بمثله ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى في معانيه المقصودة
الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاول بهجوا البرقيدي فجاء في ضمن مراده
ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم إن هذه
الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثاني
والثالث ثم خرج الى المديح بألف وجه وأدق صنعة وهذا يسمى الاستطراد وما
سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الايات (ومما يجري على هذا الأسلوب)
ماورد لابن الجلاح البغدادي وهي آيات لطيفة جدا

ألا ياماء دجلة لست تدري • بأي حائد لك طول عري
ولو أني استطعت سكرت سكرًا • عايك فلم تكن ياماء تجري

فقال الماء ما هذا عجب * بما استوجبته يا ليت شعري
 فقات له لانك كل يوم * تمز على أبي الفضل بن بشر
 تراه ولا أراه وذلك شيء * يضيق عن احتمال فيه صبري
 وما علمت معنى في هذا المقصد اللطيف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ
 ويكنى ابن الجراح من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الآيات ولا تظن أن هذا شيء
 انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللاطفة وفات من تقدمهم لما عندهم من
 قسوة العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أولئك إلى هذا الأسلوب وإن أقبلوا منه
 وأكثر منه المحدثون وأي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا
 إليه وكيف لا وهم أهل علم وعلمهم أخذ (فن ذلك) ما جاء للفرزدق وهو
 وركب كان الريح تطاب عندها * لها قوة من جذمها بالعصائب
 سروا يخطبون الليل وهي تلهفهم * إلى شعب الأكوار من كل جانب
 إذا آنسوا نارا يقولون ليها * وقد خضرت أيديهم نار غاب
 فانظر إلى هذا الاستطراد ما أغلظه وأنغمه (واعلم) أنه قد يقصد الشاعر التخلص
 فيأتي به قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي أولها
 ملئت القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل إلى المديح
 غدا بك كل خلوم منها ما * وأصبح كل مستور خائعا
 أحبك أو يقولوا جرغل * ثبير أو ابن إبراهيم ريعا
 وهذا تخصص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجلال شيء وهذا يكون الاقتضاب
 أحسن من التخلص فيذكر في أساليب هذه الطريقة أن يتطرق إلى ما يوصوغيه فإن واثق
 التخلص حسنا كما ينبغي والأفامدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل
 أبو الطيب ولهذا انظار وأشباه وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي
 أولها * أحبا وأيسر ما قامت ما قتلا * فقال
 على الأمير يري ذلي فيشفع لي * إلى التي تركتني في الهوى مثلا
 والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه في هذه الهوة إلا أبو
 نواس فانه قال

سأذكر إلى الفضل بن يحيى بن خالد * هو اللعل الفضل يجمع بيننا
 على أن أبانواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به

قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبني في كل واحد وجن به ارق له الناس ورجوه
فسمي له ابن أبي عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فزوجها إياه فقال
عند ذلك

جرى الرحمن أفضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جربت اخواني جميعا * فما ألفت كائن أبي عتيق
سعى في جمع شمل بعد صدع * ورأى حرت فيه من طريق
وأطنى لوعة كانت بقاى * أغصتني حرارتها برقي

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بون بعيد وقد سكت عن ابن أبي عتيق أنه
قال يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فإسمعه أحد الأطننى قوادا (وأما
الاقتضاب) فهو الذى أشرنا اليه فى صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف
كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه (فمن ذلك) ما يقرب من التخلّص وهو
فصل الخطاب والذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أمّا بعد لأن المتكلم
يفتح كلامه فى كل أمر ذى شأن يذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى
الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أمّا بعد (ومن
الفصل الذى هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهى علاقة وكيدة بين الخروج
من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذا كرهنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى
الأيدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار واذا كرا سمعيل واليسع وهذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن ما تب جنات عدن مفقصة لهم الابواب ألا ترى الى ما ذكر قبل
هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره
وهو ذكر الجنة وأهاها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن ما تب ثم لما أتى
ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للمطاعين لشر ما تب
وذلك من فصل الخطاب الذى هو ألفت موقع من التخلّص وقد وردت لفظة هذا
فى الشعر الآن ورودها فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنشور (فمن ذلك) قول
الشاعر المعروف بالخباز البلدى فى قصيدة أقولها العيش غرض والزمان غزير
انى ليحجبني الزمانى محبرة * ويروق لى بالجناس ثرية زير
وأكاد من فرح السرور اذ ابدا * ضوء الصباح من الستور أطير

واذا رأيت الجوف في قضية * للغير في جنباتها كبر
منقوشة صدر البراة كأنه * في رزج قد زانه بلور
نادت بي الذات ويحك فانهز * فرض المني يأبها المغرور
مل بي الى جور السقاء فاني * أهوى سقاء الكاس حين تجور
هذا وكم لي بالحنينة سكرة * أنا من بقايا شربها مخور
باكرتها وغصونها مغرورة * والماء بين مرورها مذكور
في ستة أنا والنديم وقينة * والكاس والمزمارة والطنبور

هذه الايات حسنة وخروجها من شدة هذا الرجل الخباز عجيب ولوجأت
في شعر أبي نواس لانت ديوانه * والاقتراب الوارد في الشعر كثير لا يحصى
والخلص بالنسبة اليه قطرة من بصر ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر الجيد
الا قليلا بالنسبة الى المقتضب من شعره (فن الاقتراب) قول أبي نواس
في قصيدته الثونية التي أولها يا كثير النوح في الدمن * وهذه القصيدة هي عين
شعره والملاحاة لاهيون وهي تنزل منه منزلة الالف لا منزلة النون الا أنه لم
يكمل حسنها بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا فينها هو يصف
الحمر ويقول فاسقني كأسا على عدل * كرهت مسموعة أذني

من كبت اللون صافية * خير ما سلسلت في بدني

ما استقرت في فؤادتي * فدرى ما لوعة الحزن

حتى قال تفحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

سن للناس الذي فندوا * فكانت الجمل لم يكن

فأكثر مدائح أبي نواس ممتضية هكذا والتخلص غير مكرر في كل الاحوال وهو
من مستحبات علم البيان (ومن هذا الباب) الذي نحن بصدد ذكره قول
البحر في قصيدته المشهورة بالجوذة التي مدح بها الفتح بن خاقان وذكر اقامه
الاسد وقتله اياه وأولها أجدك ما ينفك يسرى زينبا * وهي من أتهات شعره
ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل الى المديح فانه يبنها هو في تغزله وهو يقول

عهدك ان منيت منيت وعدا * جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا

وكنت أرى أن الصدود الذي مضى * دلال فما ان كان الاتجنيا

فوا أسفا حننا أسفل مانعا * وآمن خوافا وأعتب متنبيا

حتى قال في اثر ذلك

أقول لركب معنفين تدرّ عوا • على جهل قطعاً من المليل غمها
ردوانا بل الفتح بن خاقان انه • أعـمـ تـدى فيكم وأيسر مطلبها
نخرج الى المديح بغير وصلة ولا سبب وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بالجوذة
التي مدح بها الفتح بن خاقان أيضاً ذكر نبحانه عند انخساف الجسريه وقد أغرب
فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأولها • متى لاح برق أوبدا طلال قفر
فبينما هو في غزلها حتى قال

أعمر لك ما الدنيا بنا قصة الجدى • اذ ابقى الفتح بن خاقان والقطر
نخرج الى المديح مقتضياً له لامتدادها به وأمثال هذا في شعره كثيرة (النوع الرابع
والعشرون في التناسب بين المعاني) • وينقسم الى ثلاثة أقسام (القسم الاول
في المطابقة) وهذا النوع يسمى البديع أيضاً وهو في المعاني ضد التجنيس
في الالفاظ لان التجنيس هو أن يحدد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون
المعنيان ضدّين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام
هي الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار وخالفهم
في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويين في البناء
والصفة مختلفين في المعنى وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء
لا مشاحة فيها الا اذا كانت مشتقة ولنتظر نحن في ذلك وهو أن نكشف
عن أصل المطابقة في وضع اللغة وقد وجدنا الطابق في اللغة من طابق البعير
في سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان البدع غير الرجل
لاضدّها والموضع الذي يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين
واللفظ الذي يجمعهما واحد قدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقة حيث
كان الاسم مشتقاً مما سمى به وذلك مناسب وواقع في موقعه الا أنه جعل للتجنيس
اسماً آخر وهو المطابقة ولا بأس به الا ان كان مثله بالضدين كالسواد والبياض
فانه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثال الذي مثله وأما غيره من أرباب
هذه الصناعة فانهم سموها هذا الضرب من الضمك كلام مطابقة الغير اشتقاق
ولامناسبة بينه وبين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول الا أن يكونوا قد علموا
لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ولترجع الى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح

حقيقته فنقول الالقي من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لأنه لا يخلو
الحال فيه من وجهين أما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس أما
وجه ثالث (فأما الأول) وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى
مجراهما فإنه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى والاخر مقابلة في
المعنى دون اللفظ (أما المقابلة في اللفظ والمعنى) فكقوله تعالى فليضضكوا قليلا
وايبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن ما يجي في هذا
الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن
الحسن المطبوع الذي ليس ينسكف) قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه
إن الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وأنت رجل إن صدقت سقطت وإن
كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقل بالمرى بالخفيف الوبى والصدق
بالكذب والسطط بالرضا وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار
وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج لا حكم الا لله تعالى هذه كلمة حق
أريد بها باطل (وقال الحجاج بن يوسف لم سعيد بن جبير رضي الله عنه) وقد أحضره
بين يديه ليقوله فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقي بن كبير وقد
كان الحجاج من الفضلاء المعروفين وفي كلامه هذا مطابقة حسنة فإنه نقل
الاسمين الى ضدهما فقال في سعيد بن جبير وفي جبير كبير وهذا النوع من الكلام
لم يقتصر به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (ومما وجدته في لغة الفرس) أنه
لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره تركابسكونه وأول كتاب الفصول لا بقراط
في الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان
(ومن كلامي في هذا الباب) ما كتبت في صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو
صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر مليم وجزع عاذر وخاطر
أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا
فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس باقائه وطرف مستوحش لفراقه
فهذا امر قوع بكآبة اظلامه وهذا تمتنع بهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء
عنيت بعثله خواطر الافكار وتتناجي به من وراء الاستار وذلك أخو الطيف
الملم في المنام الذي يعوّه بلقاء الارواح على لقاء الاجسام (ومن هذا النوع)

ما ذكرته في كتاب أحصاف المسير من دمشق إلى الموصل على طريق المناظر
قلت من جملة ثم نزلت أرض النابور فغربت الأرواح وشرقت الجسوم
يحل الأعدام من المسار والآنزال من الهوم وطالبتي النفس بالعود والقدرة
فلسة واويت إلى ظل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة
كتاب إلى بعض الإخوان وعرضت فيه بذكر جماعة من أهل الأدب فقلت وهم
مسؤولون أن لا يفنوني في نادي فضلهم الذي هو منبع الآمال وملتقط الدلائل
نوجوه ألفاظه مشرقة بأيدي الأعلام المتسودة وقلوب معانيه مستقبطة
نار الخواطر المتوقدة والواغل إليه يسكر من خمره التي تنبسه العقول من
اغنائها ولا يشربها أحد غداً يراً كفائهما وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بها
اضمنت من محاسن المقابلة (ومما ورد) من هذا النوع شعر اقول جرير
وأعور من نيهان أمانها ره * قاعى وأماليله قبصر
وهكذا ورد قول الفرزدق

فبح الاله بنى كليب انهم • لا يغدرون ولا يفون بجبار
يستيقظون إلى نهم يقى حارهم • وتنام أعينهم عن الأوتار
فقابل بين الغدر والوفاء وبين التيقظ والنوم وفي البيت الأول معنى يسأل عنه
وكذلك ورد قول بعضهم
فلا الجود يفي المال والجدة مقبل • ولا البخل يبقى المال والجدة مدبر
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع فن أحسنه
قوله ما أن ترى الأحباب يضاوضا • إلا بحيث ترى المنايا سودا
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا
سوف على أولى الزمان وانما • خلق المناسب ما يكون جديدا
وعلى هذا النهج ورد قوله

إذا كانت النعمى سلوبا من امرئ • غدت من خالجي كفه وهو منبع
وان عثرت يرض اليبالى وسودها • بوحدة ألفتها وهى مجمع
ويوم يظلل العز يحفظ وسطه • بسمرا العوالى والنفوس تضيع
مصيف من الهيجاء ومن حاجم الوغى • ولكنسه من وابل الدم مريع
(ومن هذا الأسلوب) قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت • سلاحها وهو الارقال والربل
اذا تطلعت من أرض فصاحت بها • كانت هي العزلا أنتم باذال
لمرضيانتك ما أرغمت آنفها • والهاديانتك وهي الشر والاضل
وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصباحين اسبكرت • طلاع المرط والدرع الندى
تشكي الاين من نصف سريع • اذا قامت ومن نصف بطى
وقد جاء لابي نواس ذلك فقال

أقلنى قد ندمت على الذنوب • وبالاقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب • كما استعفيت سخطك من بعيد
فقابل بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى
نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دافع الجبل وهو
أيم المهير ونكاح الاليم • يومك يوم أبؤس وأنعم • وجمع مجدد وندي مقسم
وكذلك قوله أيضا

هو الامل المبسوط والاجل الذي • يـرعـى ايامه الدهر أو يحـالو
ولا تحسن الايام تفعل فعله • وان كان في تصر يفها النقض والفعل
فعمش واحدا أما الشراء فلم • مباح وأما الجمار فهو وحى بسـل
ومما جاء من هذا القسم قول البحترى

أحسن الله في ثوابك عن ثغره ضاع أحسنت فيه البلاء
كان مستضعفا فعز ومجرو • ما فأجدي وظلما فأضاء
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله

أشكو اليك أنا ملاما تنطوى • بخلا واملا فاقصصها اليد
أرضيهم قولا ولا يرضوني • فعلا وتلك قضية لا تقصد
فأذمتهم ما يذم ويرجى • ساحتهم فخدمت ما لا يحمد
وعلى هذا انتهى ورد قوله

وتوقى منك الاساءة جاها • والعـدل أن أوقع الاحسانا
وكما يسرك لين مسمى راضيا • فكذلك فاخش خشونتي غضبانا
(وأما أبو الطيب المتنبي) فانه استعمل هذا النوع قليلا في شعره فمن ذلك قوله

نقال اذا لا قوا خفاف اذا دعوا • كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا
وكذلك قوله الى رب مال كالمات شمله • تجتمع في تشبيهه للعلاجل
(ومما) استعذبه من قوله في هذا الباب
كان شهادة الليل يعشق مقلتي • فيبين ما في كل هجر لنا وصل
(ومما) جاء من هذا الباب

لما اعتقنا للوداع وأعربت • عبرتنا عننا بدمع ناطق
فترقن بين معابر ومحابر • وجعن بين بنفسج وشقائق
وهذا تحته • معنى يسئل عنه غيرة المقابلة • وذهب بعض أهل العلم الى أن
المراد بالنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة لان من العادة ان يشبه
العارض بالنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالنفسج عند اول
ظهوره فاذا طار وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شبهه بالنفسج لانه يكون
بين الاخضر والاسود وليس في الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر
عارضه والذي يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فزقت خمارها واطمت
خدها فجعلت بين أثر اللطم وهو شبهه بالنفسج وبين لون الخد وهو شبهه الشقائق
ونزقت بين خمارها وبين وجهها بالتمزيق ولها ووجدت على الوداع هذا هو معنى
البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الاضداد
فما جاء منه قول المقنع الكندي) من شعراء الحماسة

اهم جل مالي ان تتابع لي غني • وان قل مالي لم أكفه ورقد
فقوله تتابع لي غني بمعنى قوله كثر مالي فهو واذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة
اللفظ لان حقيقة الاضداد الانظمية انما هي في المفردات من اللفاظ نحو قام
وقعد وحل وعقد وحل وكثر قل والقيام ضد القه ودوالحل ضد القه والقليل
ضد الكثير فاذا ترك المفرد من اللفاظ وتوصل الى مقابله بافظ مركب كان ذلك
مقابله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لي غني في معنى
كثر مالي وهذه مقابلة معنوية لا انظمية فاعرف ذلك (وأما مقابلة الشيء بما ليس
بضده فهي ضربان) أحدهما أن لا يكون مثلا ولا آخر أن يكون مثلا
(فأضرب الاول) يتفرع الى فرعين (الاول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع
مناسبة وتقارب كقول قريظ بن أبي نيف

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن أساء أهل السوء إحسانا
فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدها وانما هو ضد العدل لأنه لما كانت المغفرة
قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشداء
على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضد الشدة وانما ضد الشدة اللين
الأنه لما كانت الرحمة من مميزات اللين حسنت المقابلة بينهما وبين الشدة وكذلك
ورد قوله تعالى ان تصبك حسنة تسوءهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا
أمرنا من قبل فان المصيبة سيئة لأن كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة
فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثاني) ما كان بين المقابل
والمقابل به بعد وذلك لا يحسن استعماله كقول أتم المحنف وهو سعد بن قرظ
وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فتألت من أبيات تذكها فيها

تربص بها الايام على صروفها * ستري بها في جاحم متعمر
فكم من كريم قدمناه الله * بمذمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى
أن كانت قالت بضيقه الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا مما يدل على
أن العربي غير مهتم الى استعمال ذلك بصيغته وانما يحب له منه ما يحب بطبعه
لا يتكلفه وإذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت
لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما لم يذكر من يعذر
في ترك المقابلة في مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون
من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لاجرم أنهم أشد
ملامة من العرب (فمن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لمن يطلب الدنيا اذا لم يرد بها * سرور محب أو مساة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم ولا بدت متوسطة
أيضا حتى يقررب الحال فيها وانما هي بعيدة فانه ليس كل من أجرم اليك كان
مبغضا لك (ومما يتصل به هذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين
المعاني والمواخاة بين المبانى وكان ينبغي أن نعقد له بابا منفردا الكلام ارباء
يتطرق الى التقابل من وجه وصلة لانه (أما المواخاة بين المعاني) فهو أن يذكر
المعنى مع أخيه لأمع الاجنبى مثاله أن تذكر وصف من الاوصاف وتقرنه بما

بقرب منه ويلتزم به فان ذكرته مع ما يبعد عنه كان ذلك قد حاق بالصناعة
وان كان جائزا (فمن ذلك) قول الكميت

أم هل ظمائن بالعلباء رافعة • وان تكامل فيها الدل والشنب

فان الدل يذكر مع الغنج وما أشبهه والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه وهذا
وضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لانه يحتاج الى نائب
فكرة وحذف بحيث توضع المعاني مع أخواتها لا مع الاجنبي منها (وقرأت
في كتاب الاغانى لابي الريح) انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد
الكميت أم هل ظمائن البيت فعد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تخصني
قال خطأ فانك تباعدت في القول أين الدل من الشنب ألا قلت كما قال ذو الرمة

لباء في شفتيهما - وللعس • وفي اللثات وفي أنيابها شنب

و آيت أبانواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك

له اعتدال واتصاب قد • وجلاده يشبه وثى البرد

كانها الهذاب في القرن • محدودب الظهر كريم الجذ

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجذ وهذا لا يناسب هذا لأن الظهر من جملة الخلق
والجذ من النسب وكان ينبغى أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه ويواخيه أيضا
وكذلك أخطأ أبونواس في قوله

وقد حلفت عينا • مبرورة لا تكذب • برب زمزم والحو • ض والصفاء والمحصب

فان ذكر الحوض مع زمزم والصفاء والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض

مع الصراط والميزان وما جرى مجراهما وأما زمزم والصفاء والمحصب فيذكر

معها الركن والخطيم وما جرى مجراهما (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذي قار • منزل خماره وخمار

وشم ريحانة ونرجسة • أحسن من أيتق بأكوار

فالبيت الثاني لا مقارنة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الايتق بالاكوار

وكان ينبغى له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيخ والقيصوم وركوب

الفتيات الرود أحسن من ركوب الايتق بالاكوار وكل هذا لا يتفطن لوضعه

في مواضعه في كل الاوقات وقد كان يغاب على السهو في بعض الاحوال حتى

أسلمت هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ثم انى كنت

أناقل ما صنعته بعد حين فأصلح ما سموت عنه (وأما المواخاة بين المباني) فإنه يتعلق بمباني الالفاظ (فمن ذلك) قول أبي تمام في وصف الرماح

مشققات سلبن العرب سمرتها * والروم زرقتها والعاشق القضا

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن إذ كانت الاوصاف تجري على واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضا وكان ينبغي أن يقول قضاها أو دقتها (وعلى هذا) ورد قول مسلم بن الوليد

تفضت بك الاحلاس تفض اقامة * واسترجعت نزاعها الامصار

فأذهب كما ذهب غواصي منته * يذني عليها السهل والاعوار

والاحسن أن يقال السهل والوعر أو السهل والاعوار ليكون البناء اللفظي واحدا أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الافراد ولا يكون أحدهما مجموعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر صفراء مجدها مرارتيها * جئت عن النظراء والمثل

لجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

ألا يا ابن الذين فنوا فاقوا * أما والله ما ما نوالتي

وما لك فاعلم فيها مقام * إذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانكار هنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغي أن يقول أرزاقا وأن يقول أجالا ورزقا وقد زاده انكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسان ليس له الا أجل واحد ولو قال أجالا وأرزاقا لما عيب لأن الاجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروريتها وأجناسها وإذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا النثر مطالباً به دون الناظم لمكان امكانه من التصريف (وقد كنت) أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاسمة مال وأنه لا يحسن المحيد عنه حتى مربي في القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفباظلاله عن اليمين والشمائل ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سبيل واحد بل جمع اليمين كما جمع الشمال كما أفرد

المبين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وأبصارهم
 وأبصارهم وأولئك هم الفاسقون فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع
 وكذلك ورد قوله تعالى حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
 فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الأبصار والجلود باقظ الجمع وفي القرآن الكريم
 مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا معتبرا في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى
 الذي هو أفصح من كل كلام والاخذ في مقام الفصاحة والبلاغة انما يكون
 منه والمعول عليه وما ينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا إلى موسى
 وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
 وبشر المؤمنين وربما قيل ان هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وافراد
 وظن أنها من هذا الباب وليس كذلك لانها شتملة على خطاب موسى
 وهرون عليهم السلام أولا في اتخاذ المساجد لقومهما ثم ثنى الخطاب لهما
 ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام ببشارة المؤمنين لانه صاحب
 الرسالة (الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع الى فرعين أحدهما)
 مقابلة المفرد بالمفرد (والآخر) مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الاول) كقوله تعالى
 نسوا الله أنفسهم وكقوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقد روي هذا
 الموضع في القرآن الكريم كثيرا فاذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج
 الى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الاحسن والافلوقيل من كفر فعليه ذنبه
 كان ذلك جائزا لكن الاحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار
 الاستعمال وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الابهج والايات الشعرية
 فأما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ألا ترى أنه
 قد قبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا يقع
 في الالفاظ المترادفة ولذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير
 جواب (فما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون
 ولو كان لا تورد الكلمة الامثلا قبل وهو أعلم بما تعملون وكذلك قوله تعالى
 وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا
 لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فقال لا تخف بعد قوله ففرع ولما كان هذا

في معنى هذا أقول أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى وأن سألهم ليقلون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلهبون (فان قيل) انك قد احتجبت بالقرآن الكريم فيما ذكرته وري قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها لم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها (الجواب عن ذلك) أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ولكنك شيدته والذي ذكرته هو دليل على لال لا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وبين قوله جزاء سيئة سيئة مثلها إذا المعنى واحد لا يختلف ولو جاء موضوع السيئة لفظة أخرى في معناها كاللذي والسوء أو ما جرى مجراهما لصح لك ما ذهبت إليه وقد ذهب بعض المتصدين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وان لم يكن جوابا كما لدى تقدم فينبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال ان أباتم أخطأ في قوله

بسط الرجا لنا برغم فوائب * كثرتهن مصادع الآمال

فحيث ذكر الرجا في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في عجزه أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبي في قوله

انني لاعلم والليبيب خبير * ان الحياة وان حرمست غرور

فانه قال انني لاعلم والليبيب خبير وكان ينبغي أن يقول انني لاعلم والليبيب لم يكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشيء بل المعتمد عليه في هذا الباب أنه إذا كانت اللفظة في معنى أختها جازا استعمالها في المقابلة بينهما والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم وكفى به دايلا وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لا تفتن لاستعمالها إلا أحد رجلين إما فقيه في علم البيان قد مارسه وألمشقوق اللسان في الفصاحة قد خلق عارفا بطلائعها مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون إلا عروى الفطرية يقول ما يقوله طبعها على أنه لا يستد في جميع أقواله ما لم تكن معرفته الفطرية موزوجة بمعرفة المعرفة

(الفرع الثاني في مقابلة الجملة بالجملة) اعلم أنه اذا كانت الجملة من الكلام
 مستقبلية قوبلت بمستقبلية وان كانت ماضية قوبلت بماضية ورجعنا قوبلت
 الماضية بالمستقبلية والمستقبلية بالماضية اذا كانت احدهما في معنى الاخرى
 (فن ذلك) قوله تعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت
 فبما يوحى الي ربي فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ
 لقال وان اهتديت فانما اهتدي اها وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى
 هو أن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضرار له فهو
 بسببها ومنها لانها الامارة بالسوء وكل ما هو رايها عما يتفقهها فيه بداية ربه او توفيقه
 اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يند
 ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحت مع عاوق محله وسداد طريقته كان غيره
 أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار
 مبصرا فانه لم يراع التقابل في قوله ليكنوا فيه وبصرا لان القياس يقتضي
 أن يكون والنهار تبصر وافية وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من
 جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكاف لان معنى قوله مبصر التبصروا
 فيه طرق القلب في الحاجات (واعلم) أن في تقابل المعاني بابا عجيب الامر
 يحتاج الى فصل تأمل وزيادة نظره ويختص بالقواصل من الكلام المنثور
 وبالايجاز من الايات الشعرية (فاما جاء من ذلك) قوله تعالى في ذم المنافقين
 واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون
 ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن
 كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ألا ترى كيف فصل
 الآية الاخرى يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فصل ذلك لان أمر
 الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر
 واستدلال حتى يكسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما الاتفاق وما فيه من
 البغي المؤدى الى الفتنة والفساد في الارض فأمر دينوى مبني على العادات
 معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التمارب والتغاور فهو
 كالمحموس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضا فانه لما ذكر السفه
 في الآية الاخيرة رجع لجهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال لا يعلمون وآيات

القرآن جميعها فصارت هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
 الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير وكقوله له ما في السموات وما في الأرض
 وإن الله لَهُ الغنى الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري
 في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤف
 رحيم فإنه إنما فصلت الآية الأولى بلطف خبير لأن ذلك في موضع الرحمة لخلق
 ما نزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فأنما فصلت بغنى حميد لأنه قال له
 ما في السموات وما في الأرض له الحاجة بل هو غنى عنها جواد بهياله لأنه ليس
 كل غنى نافعاً بغناه إلا إذا كان جواداً منعماً وإذا جاد وأنعم حده المزمع عليه
 واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليبدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وأما
 الآية الثالثة فأنما فصلت برؤف رحيم لأنه لما عد دلالة ما أنعم به عليهم من
 تسخير ما في الأرض لهم وأجر الفلك في البحر بهم وتسخيرهم في ذلك الهول
 العظيم وخلق السماء فوقهم وأمسكها أياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك
 بقوله رؤف رحيم أي أن هذا الفعل فعل رؤف بكم رحيم **لهم** (واعلم)
 أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه كلما توجد هذه الملائمة والمناسبة في كلام ناظم
 أو ناثر ومن الآيات ما يشك كل فاصلة فيحتاج إلى فكرة وتأمل كقوله تعالى
 والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادا لأنفسهم فشهادة أحدهم
 أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من
 الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين
 والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم
 ورحمته وأن الله تواب حكيم فإنه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع
 بتواب رحيم ويظن الظان أن هذا كذلك ويقول إن التوبة مع الرحمة
 لا مع الحكمة وليس كما يظن بل الفاصلة بتواب حكيم أولى من تواب رحيم لأن
 الله عز وجل حكيم بالتسلاع على الصورة التي أمر بها وأراد بذلك ستر هذه
 الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الآية الواردة في آخر الآيات
 بتواب حكيم فجاء فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين
 الحكمة في سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه
 نفعا ولا أعظم فائدة (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي الطيب المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهوناً ثم
 تمزبك الإبطال كلي هزيمة * ووجهك وضاح وثغر لك باسم
 وقد أخذ على ذلك وقيل لوجعل آخر البيت الأول آخر البيت الثاني وآخر
 البيت الثاني آخر البيت الأول لكان أولى ولذلك حكاية وهي أنه لما استندده
 سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما بلغ
 إلى هذين البيتين قال قد اتقتهم ما عليك كما اتقت علي امرئ القيس قوله
 كأنني لم أركب جواد اللذة * ولم اتبطن كعباً ذات خلخال
 ولم أسب الزق الردى ولم أقل * نلبي كثرى كثره بعد راجفال
 فبيتا لم يلتئم شمارهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي لك أن تقول
 وقفت وما في الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغر لك باسم
 تمزبك الإبطال كلي هزيمة * كأنك في جفن الردى وهوناً ثم
 فقال المتنبي إن صبح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا أعلم بالمر منه
 فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولا ناعلم أن الثوب لا يعلم البراز كما يعلمه
 الحائك لأن البراز يعرف بجلته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس
 النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماء بسبائك النجر للاضرباف بالشجاعة
 في منازلة الأعداء وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته
 بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ولما كان وجهه المنهزم الجريح
 عبوساً وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغر لك باسم لاجمع بين الاضداد
 (القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده) ولست أريد بذلك هنا ما تقتضيه القسمة
 العقلية كما يذهب إليه المتكلمون فإن ذلك يقتضي أشياء مستحيلة كقولهم
 الجوهر لا تخلو أو أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة
 ومفترقة معاً أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة
 من حيث العقل لاستيفاء الأقسام جميعها وإن كان من جلته ما يستحيل وجوده
 وانما تريد بالتقسيم هنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك
 منها قسم واحد وإذا ذكرت تمام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون
 التقسيم بلفظة أو تارة بلفظة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا
 منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر العدد المراد أو لا بالذكر ثم يقسم كقولنا

فانشعب القوم شعباً أربعة فشعبة ذهبت يميناً وشعبة ذهبت شمالاً وشعبة وقفت
بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات وهذه قصة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص
ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واما مقتصد بينهم (ومن ذلك)
أيضاً قوله تعالى وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب
المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبقة المعنى
على الآية التي قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة
هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله
تعالى هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً فان الناس عند رؤية البرق بين خائف
وطامع وليس لنا قسم ثالث (فان قيل) ان استيفاء الاقسام ليس شرطاً وترك
بعض الاقسام لا يقدح في الكلام وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى
لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب
الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) اني أقول هذا لا ينقض على
ما ذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما سبقهم من الاجمال فيه ألا ترى الى قوله
تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم فانه حيث قال فتم لم يزل
استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجوز وأما هذه الآية
التي هي لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه انما خص أصحاب الجنة
بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لم أيضاً
مالا أصحاب الجنة وكذلك كل ما يجري هذا المجرى فانه انما يظفر فيه الى المستقيم
وغير المستقيم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يحبون بقول
بعض الاعراب وينعون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم النعم ثلاثة نعمة
في حال كونها ونعمة تربي مسـتقبلة ونعمة تأتي غير محسوبة فأبقى الله عليك
ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول
فاسد فان في أقسام النعم التي قسمها نفعاً لا بد منه وزيادة لا حاجة اليها
فأما النقص فاعف عن النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة
ونعمة تأتي غير محسوبة لان النعمة التي تأتي غير محسوبة داخل في قسم النعمة

المستقبله وذلك ان النعمه المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجي حصوله
والآخر لا يحتسب فقوله ونعمه تأتي غير محسوبة يومهم أن هذا القسم غير
المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول النعم ثلاث
نعمه ماضية ونعمه في حال كونهم او نعمه تأتي مستقبلة فأحسن الله آثار
النعمه الماضية وأبقى عليك النعمه التي أنت فيها ووفر حظك من النعمه التي
تستقبلها ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى
أبو تمام هذا المعنى في قوله

جئت اذا فوق الاماني منكم * بابر من روح الحياة وأوصل
قصيدة في يومها رصيدة * قد أحوات وصنعة لم تحول
كلما زن من ماضي الباب ومقبل * منتظر روحهم متاهل
(ووقف أعرابي) على مجلس الحسن البصري رضى الله عنه فقال رحم الله عبدا
أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو أثر من قلة فقال الحسن البصري ما ترك
لأحد عذرا (وقد عاب) أبو هلال العسكري على جميل قوله
لو كان في قلبي كقدر قلامه * حبا وصلتك أو أتت رسائلي
فقال أبو هلال ان اتيان الرسائل داخل في جملة الوصل وليس الامر كما وقع له
فان جميل انما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا و قاصدا أو كنت راسلته
مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين اما زيارة و اما رسالة (ومن
أعجب ما وجدته في هذا الباب) ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي
وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجرو حبيكم قلا * وعطفكم صدوسا لكم حرب
ثم قال الغانمي هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس وبالله العجب أين التقسيم
من هذا البيت هذا والله في واد والتقسيم في واد ألا ترى أنه لم يذكر شيئا يحصره
المقسمة وانما ذكره أحبابه في سوء صنيعهم به فذكر بعض أحواله معهم ولو قال أيضا
وليسكنكم عنف وقر بكم نوى * واعطاكم منع وصدقكم كذب
لكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتل زيادة
والاولى أن يضاف هذا البيت الذي ذكره الغانمي الى باب المقابلة فانه أولى به
لانه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم)

قول البحرى في قسده التي مطلعها * ذان وادى الاران فاحبس قلبا * فقال
قف مشوقا ومعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو مذولا
فان المشوق يكون حزينا والمعدا يكون حزينا وكذلك يكون المعذرا
وكثيرا ما يقع البحرى في مثل ذلك وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبي وهو
فانخر فان الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل
فان المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم)
أن لا يتداخل أقسامه بعضها في بعض (ومن هذا الاسلوب) ما ورد في أبيات
الحجاسة وهو

وكنتم امرأ اما اتقن ذلك خاليا * فخت واتما قلت قول بلا علم
فأنت من الامر الذي قد أتيت * بمنزلة بين الخيانة والاثم
فان الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد (ومما جاء من ذلك نثرا) قول بعضهم
في ذكر من همز من فخر جريح متضرع بدمائه وهارب لا يلتفت الى ورائه فان
الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فخر بين قتيل ومأسور
وناج لصح له التقسيم أو لو قال فخر بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا لعدم
الناجى بينهما وقد أحسن البحرى في هذا المعنى حيث قال
غارهم أيدى المنية صبها * بالقباب بن ركع ومجود
فهم فرقان بين قتيل * قنصت نفسه بهذا الحديد
أو أسير غدا له السجى لحدا * فهو حى في حالة الملوذ
فرقة للسبيوف يتخذ فيها السبيوم قصدا وفرقة للتيود
(ومن فساد التقسيم) قول أبى تمام

وموقف بينكم الذل منقطع * صاليه أو بحيال الموت متصل
فانه جعل صالى هذا الموقف اما لبلا عنه أو هالكا فيه وههنا قسم ثالث وهو
أن لا يكون ذليلا ولا هالكا بل يكون مقدما فيه ناجيا وفي هذا قطر على من ادعى
فساد تقسيمه فان أبا تمام قصد الغلو في وصف هذا الموقف فقال ان الناس فيه
أحد رجلين اما ذليل عن موده واما عال فيسه أى أنه لا ينجم منه أحد يرد
وهذا تقسيم صحيح لافساد فيه (القسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح
من ذلك وما يفسد) اعلم أن صحة الترتيب في ذلك أن يذكر في الكلام معان مختلفة

فإذا عبد اليها بالذكور تفسر قدم المقدم وأخر المؤخر وهو الاحسن الا أنه قد ورد
 في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير
 المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض
 ان نشأ نخسف بهم الارض أو نزفط عليهم سم كسفهم السماء ان في ذلك لآية
 لكل عبد متنب ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقبل
 ان يشأ يقط عليهم كسفهم السماء أو يخسف بهم الارض وكذلك ورد قوله
 تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أم أكرمتم
 بعد ايمانكم فذقوا العذاب بما كسبتكم كفرون وأما الذين ابيضت وجوههم
 فقد هم المؤخر وأخر المقدم والقسمان قد وردا جميعا في القرآن الكريم
 (فما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما يؤخره الا أجل
 معدد يوم يأتي لا تكلم نفس الا بأذنه فتم شقي وسعيد فأما الذين شقوا
 ففي النار اهلهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
 ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
 السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ (ومن ذلك) قوله تعالى
 وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحورنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة (وكذلك)
 قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل تسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتبتغوا من
 فضله فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على
 سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبه في كتاب تمزية وهو فصل منه
 فقات واقعد أوحشت منه المعالي كما أوحشت المنازل وآمت المكارم
 كما آمت الحلائل وحث لوعة خطبه فاشتكى ثكلى الا الى ثاكل وما أقول
 فممن عدت الارض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجاد بلسان أو
 تصور المعنى لعيان لا عرت تلك عن ظمأ صعيدا وبرزت هذه حاضرة حول
 فقيدها (ومن ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت
 وما رالت أبا دى سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها فهذه متطولة بترقية
 وردا وهذه آخذة بسنة اغيابها وأحسن ما في الأولى أنها تاتي متحلية
 بفواضل الاكثار وفي الثانية أنها تاتي متحلية بفواضل الاختصار فاختصار
 هذه في فوائد أقلها ~~ك~~ تطويل تلك في عوائد انعامها وقد أصبحت

خواطرى مسـ تغرقة بانشاء القول المبسـكر فى شكر الفضل المطول وجواب
البيان المختصر وما جعل الله لها من سـ لمطان البلاغة ما يسـ تنقل بأداء حقوق
تنقل على الرقاب ومقابله بلاغات تنقل على الألباب (ومما جاء من ذلك) شعرا
قول ابراهيم بن العباس

لما ابل كوم يضيق بها الفضـا * ويفـترعنها أرضها وسمـاؤها
فمن دونها أن تسـتباح دماؤها * ومن دونها أن تسـتباح دماؤها
حتى وقرى فالوت دون مرامها * وأيسر خطب يوم حـوقناؤها
وهذه الايات من نادر ما يجىـ فى هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه
أيضا قول أبي تمام

وما هو الا الوحي أو حد مرهف * تميل طباه أخذعى كل مائل
فهـذا دواء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل
وكذلك قوله أيضا

وكان لهم غمما وعلماء فعدم * فـيدأله أو باحث فـيدأله
وهذا من بديع ما يأتى فى هذا الباب ومما ورد منه قول على بن جبلة
ففى وقف الايام بالسخط والرضا * على بذل عرف أو على سـتمنصل
ومن الحسن فى هذا الباب قول أبي نواس
يرجو ويخشى حالتيك الورى * كأنك الجنة والنار
وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضى الارـجاني
يوم المقيم فيك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه اذا أتى
ما بينـ رجوى رما مدامع * ان حـن صاف وان بكى وجداشنا
ومما أخذ على الفرزدق فى هذا الباب قوله

لقد جئت قوما لولجأت اليهم * طريددم أو حـملا ثقل مغرم
لألفيت منهم معطيا أو مطاعنا * وراء لشزرا بالوشج المقوم
لانه أصاب فى التفسير وأخطأ فى الترتيب وذلك أنه أتى بنفسـ برما هو أول
فى البيت الاول ثانيا فى البيت الثانى والاولى أن كان أتى بنفسـ بر ذلك مرتبا
فسـر ما هو أول فى البيت الاول بما هو ثمان فى البيت الثانى واعـلم أن المناظم
لا يشكر عليه مثل هـذا ما يشكر على الزائر لانت المناظم بضطره الوزن والتوافيق

الى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فانه أقبح من فساد ترتيبه وذلك أن يوثق
بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم
في أيها الخيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء * ومن كفيه بحرا من الندى
وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بازاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة والاعانة
أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراً له كما جعل بازاء الظلمة الضياء وفسرها به
فأما أن جعل بازاء ما يتخوف منه مجراً من الندى فان ذلك غير لائق (النوع
الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط) اعلم أن هذه المعاني
الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد في كل شيء من علم وصناعة
وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقة في أصل اللغة حتى يتبين نقلها الى هذا النوع
من الكلام فاما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على
الوسط الذي لا يميل الى أحد الطرفين قال الله تعالى فهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قلالم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد
وسط بينهما وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواماً فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر
عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
وأما التفريط فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد
يقال أفرط في الشيء اذا أسرف وتجاوز الحد والتفريط والافراط هما الطرفان
البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة الى هذا
النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمرة في العبارة
على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التفريط والافراط فهما ضدان
أحدهما أن يكون المعنى المضمرة في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه
والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتفريط في ايراد المعاني الخطاية قبيح
لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فنه الحسن
ومنه دون ذلك (فما اجاء من التفريط) قول الاعشى
وما ميز بد من خليج افرا * تجون غواربه تلتطم

بأجود منه بما عونه * اذا ما سماؤه لم تنم
فانه مدح ما كابد الجود بما عونه والماعون كل ما يستعان من قدوم أو قصعة
أو قدراً وما أشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضاً
وفي مدح السوقة به قولان ومدح الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح
التفريط ومما يجري هذا المجرى قول الفرزدق

ألا ليتنا كنا كعيرين لانزد * على حاضر الانثى - ونقذ
كلانا به عز مجاف قرائه * على الناس مطلى المشاعر أخشف
هـ - هذا رجل ذهب عقله - بين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه
وقد قصر عنه على أن يكون هو ومحبوبه كعيرين أجريين لا يقربهما أحد
ولا يقربان أحدا الا طردهما - وهذا من الاماني السخيفة وله في غيرها هذه
الامنية منذوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يا رب ان قدرته لمقبل * غيري فللاقداح أو لا كؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الدهر فلتك من عبون الترجس
فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبي نواس) في قصيدته الميمية
الموصوفة التي مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد جباله استحكام
فان ذكر أم الخليفة في مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله في موضع آخر
وليس بكذتيه أم - موسى * اذ انبت ولا كالخيزران

وهذا الغوم الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال
لا الى النساء وباليث شعري أما سمع أبو نواس قول قتيبة بنت النضر في النبي
صلى الله عليه وسلم

أحمج دولانت فجل كريمة * من قومها والفعل فحل معرق
ما كان ضرراً لو مننت وربما * من الفقى وهو المغبط المحقق
فانه اذا كرت الائم بغير اسم الائم وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الانيق
وكذلك فليكن المادح اذا مدح وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكاؤه وما كان
يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقائل
أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هرون عليهما

السلام قال يا ابن أمت لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فان الفرق بين الموضعين ظاهر لان المنكر على أبي نواس انما هو التلقا باسم الام وهي زبيدة وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران وليس كذلك ما ورد في الآية (فان قيل) قد ورد في القرآن الكريم ما يوجب لابي نواس مقالته وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم ا أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله فناداه باسم أمة قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فتودى باسم أمة ضرورة اذ لو كان له أب انودى باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى اذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطا لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن أبا نواس لم يوقعه في هذه العثرة الا ما سمعه عن جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وتبني المجديا عمر بن ابي * وتكفي المعمل السنة الجادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضا وليس المعيب من هذا بخاف فان العرب قد كان يعبر بعضها ببعض بنسبته الى أمة دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنمة وانما كان يقول ذلك من بغض منه وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لازير بن صفية بشر قاتل ابن صفية بالنار فان صفية كانت عمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما نسبته اليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وأنه ابن عمة وليس هذا كالأول في الغض من عمر رضى الله عنه في نسبه الى أمة (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول أبي نواس في قصيدته السينية

التي أولها * نيه نديمك قد نعتس * فقال من جللتها

ورث الخلافة خامسا * وبخير سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظروا يا عجباً له مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلهم وهذا ليس بشيء لانه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من تحوى ثلاثة الاله واربعةهم ولا خمسة الاله وسادسهم (وعما عتبه على البهتري) قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها

أجلك ما ينفعك يسرى زينا * فقال
شهدت لقد أنصفته حين تبتري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أرضر غاصين أصـ صدق منكما * هـ را كما إذا الهياية النكس كذبا
قوله إذا الهياية النكس تغريطا في المدح بل كان الا ولي أن يقول إذا البطل كذب
والافأى مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي يفتر منه الجبان والا كما قال أبو
تمام فتى كلما ارتادا الشجوع من الردى * مفتر اغداة المارق ارتاد مصرعا
وعلى أسلوب البحري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة
وانى لاقـ وقال اعانى مرحبا * ولطالبا المعروف انك واجده
وانى لمن أبسط الكف بالندى * اذا شجبت كف الجبيل وساعده
وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد الجبيل وانما الفضيلة
في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام
يقظ وهو أكثر الناس اغضا * على نائل له مسروق
فانه أراد أن يمدح فذم وعما هو أقبح من ذلك قوله أيضا
ينقى الحرب منه حين تغلى * مراجلها بشيطان رجيم
وقد استعمل هذا في شعره حتى أغض كقوله
أنت دلو وذو السماح أبوـ و * سى قلب وأنت دلوا القلب
ومراد من ذلك أنه جعله سببا لعطاء المشار اليه كما أن الدلو سبب في امتياح الماء
من القلب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب الى حد يدندن أبو تمام حوله هذه
الدخنة ويلقيه في هذا المثال السخيف على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة
في شعره بل أورد هاهنا في مواضع أخرى منه في ذلك قوله
ما زال يهذى بالمكارم والعلا * حتى ظننا أنه محموم
فانه أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلا فقال ما زال يهذى
وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين
ويلحقه عند المكارم هزة * كما اتفص الجهمود من أم ملـ دم
وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكـ من
يتأول معنى كـ بما فاساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله
ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي

ذهب الذين تهزهم مذاهبهم * هز السكاة عوالي المزان
 كانوا اذا مدحوا راءوا ما فيهم * فالاريجية منهم بمكان
 ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا والافليسكت (ووجدت) أبا بكر محمد بن يحيى
 المعروف بالصولي قد عاب علي حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله
 لنا الجففات الغريبان في الضمى * وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
 وقال انه جمع الجففات والاسياف جمع قلة وهو في مقام نخر وهذا مما يخطئ
 من المعنى ويضع منه وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشئ لان الغرض انما
 هو الجمع فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم
 كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباؤه وهذا الى
 صراط مستقيم أفترى نعم الله أكانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك
 ورد قوله عز وجل في سورة النحل وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء
 في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
 قالوا هذا صر مبین وبجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان
 عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان
 قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مئين ألوف وهذا
 أيضا مما يخطئ قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز
 وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والنفوس المتوفاة
 والنائمة لا ينتهي الى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من في العالم (واعلم) أن
 للممدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من
 الأدب أن لا يخاطب المملوك ومن يعارضهم بكاف الخطاب وهذا غلط بارد
 فان الله الذي هو ملك المملوك قد خاطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيس اياك
 نعبد واياك نستعين وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة
 الا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس يزمانهم أشبهه منهم بأيامهم
 والعوائد لا حاكم لها ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق
 في ترك الخطاب بالكاف لكني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع
 فوجدت الخطاب لا يعاب في الشعر ويعاب في الكتابة اذا كان المخاطب دون
 المخاطب درجة وأما ان كان فوقه فلا عيب في خطابه اياه بالكاف لانه ليس

من التفريط في شيء فمن خطاب الكاف قول الذابغة
وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع
(وكذلك قوله أيضا)

حلفت فلم أترك لنفسك ريمة * وليس وراء الله للمرء مذهب
وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس
الملك أبا المنصور عذبت ناقتي * زيارة خلت وامتحان كريم
لأنه لم يأتني وان كنت عالما * بأنك مهـ ما تأت غير ملوم
وكذلك ورد قول السلاوي

الملك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا أن يلوح لها القصر
وبشرت آمالي بملك هو الوري * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
وعليه ورد قول البصري

واقداً أتيتك طالبا فبسطت من * آملي وأطلب جودك كفك مطلب
وجعل خطاب الشعراء لهم مدوحين انما هو بالكاف وذلك محظور على الكتاب
فانه ليس من الادب عندهم أن يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما يخاطبه
مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه
الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المجموع خاصة (ومن ألق
ما وجدته) أنك اذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالامر بأن تقول افعل
كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الاسلوب حسن جدا وعليه
مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فما جاء منه) قول البصري في قصيدة
أولها يا بؤدي لويهموى العذول ويعشق * فقال منها

فهل أنت يا ابن الراشدين مخفي * بياقوتة تبهى على وتشرق
وهذا من الادب الحسن في خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قال ختمني بياقوتة
على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبني هذا المذهب وحسن
عندي وقد حذا حذو البصري شاعر من شعراء عصرنا فقال في مدح الخليفة
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد من قصيدته على قافية الدال فقال من أبيات
يصف بها قصيده

أمة بولة يا ابن الخـ لا تف من قـي * لديك بوصف غادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذي نسج فيه على منوال المجترى وهذا باب
مفرد وهو باب الاستفهام في الخطاب وإذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه
من الالفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج
من ذات نفسه شيئا لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعاني ما يعبر عنه بالفاظ
متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحدا فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله
بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط
لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء في الاستعمال وانما يرجع في ذلك الى
العرف دون الاصل ولنضرب له مثلا لا نقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له
وحق دماغك قياسا على وحق رأسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب
الدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ~~ذكر~~ الرأس والهامة والكاهل
وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يمجذ كذا الدماغ والقفا والقدال وما جرى
هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكتابة
في الموضع الذي يقع فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغني) من أدب النفس
في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت
أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر
منى وأنا أقدم منه في الميلاد فانظر الى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن
أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمّه قوم
من أهل هذه الصناعة وحده آخرون والمذهب عندي استعماله فان أحسن
الشعرا كذبه بل أصدقه أ كذبه لكنه تتفاوت درجاته فنه المستحسن الذي
عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهم ما ذكر به من
المعاملات في صفاته فانه دون ما يستحقه ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنتره
وأنا المنبسة في المواطن كلها • والطعن منى سابق الآجال
وقد يروى بالياء وكلا المعنيين حسن الآن الياء ~~ككثرت~~ غلوا ومما جاء على نحو
من ذلك قول بشار

إذا ما غضبنا غضبة مضرية • هتكت أجاب الشمس أو قطرت دما
ومنه ما يستحسن كقول النابغة الذبياني
إذا ارتعنت خاف الجبان رعائها • ومن يتعاق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التي خرجت به المغالاة
عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبي نواس
وأخفت أهل الشرك حق انه * لتخافك النطف التي لم تخلق
وهذا أشد افراطا من قول النابغة ويروى أن العتابي لقي أبا نواس فقال له أما
استحييت الله حيث تقول وأنشده البيت فقال له وأنت ما راقت الله حيث قلت
مازلت في غمرات الموت مطرعا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي
فلم تزل دأبنا تسمى باطنك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
فقال له العتابي قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك قد أعددت
لكل ناصح جوابا وقد أراد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال
كذبت منادمة الدماء سيوفه * فلقمنا تحت أزهار الاجفان
حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان
وما يجي في هذا الباب ما يجري هذا الجري وقد استعمل أبو الطيب المتنبي هذا
القسم في شعره كثيرا فاحسن في مواضع منه فن ذلك قوله
عجا جاتعثر العقبان فيه * كان الجؤوعت أو خبار
ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال
عقدت سنا بكها عليها عثرا * لو تبتغي عنقا عليه لا ممكا
وهذا أكثره غالا من الاول ومن ذلك قوله أيضا
كانما تلتقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح في الاجواف ما يسع
وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم
لمكت بها كفى فأنه زنت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها
لكن أبو الطيب أكثر غلوا في هذا المعنى وقيس بن الخطيم أحسن لأنه قريب
من الممكن فإن الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء وأما أن يجعل الملعون مسلكا
يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعبد (وأما الاقتصاد)
فهو وسط بين المتزتين والامثلة به كثيرة لا تحصى إذ كل ما خرج عن الطرفين من
الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى
فيه بلوا وبكاد وما جرى مجراهما فن ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم
وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد

وردهذا في القرآن الكريم كثيرا وما ورد منه شعرا قول الفرزدق
يكاد يـكـه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
وكذلك ورد قول الجعفي

لو أن مشتاقا تكاف فوق ما • في وسعه اسمي اليك المنبر

الاشتقاق

وهذا هو المذهب المتوسط (النوع السادس والعشرون في الاشتقاق) اعلم
أن جماعة علماء البيان يفتنون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك
بل التجنيس امر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك أن التجنيس في أصل
الوضع من قولهم جانس الشيء الشيء اذا ماثل وشابهه ولما كانت الحال كذلك
ووجدنا من الالفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه
اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق
عليه اسم التجنيس أيضا فالتجنيس اذن ينقسم قسمين أحدهما التجنيس في اللفظ
والآخر تجنيس في المعنى فأما الذي يتعلق باللفظ فإنه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه
وقد تقدم ذكره في باب الصناعة اللفظية وأما الذي يتعلق بالمعنى فإنه نقل عن بابه
في التجنيس وسمى الاشتقاق أي أحد المعنيين مشتق من الآخر (وهو على ضربين)
صغير وكبير فالصغير أن تأخذ أصلا من الأصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت
صيغته ومعانيه كتركيب سلم لم فأنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه
نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة
والأصل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أو لا يسمى أول ثم يجرد مسمى آخر
ومسميات شبيهة بالمسمى الأول فيضع لها اسما كالاسم الأول كقوله ضرير اسم
للأعمى والضرر ضد النفع والضرر الشدة من الامر والضرر بالضم الهزال
وسوء الحال والضرر الضيق والضرر احدى الزوجتين فان هذه المسميات كلها
تدل على الأذى والشر وأسماء وهامة شبيهة لم تخرج عن الضاد والراء الا أنا
الا ن لا نعلم ما هو الاول منها حتى نحكم على الثاني أنه مشتق منه لكن نعلم
في السليم اللديغ أنه مشتق من السلامة لانه ضدها قبل من أجل التفاؤل
بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الأصول كقوانا هشمك هاشم وحاربك محارب
وسالمك سالم وأصاب الارض صيب فهذه الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها
واحد أما هاشم فإنه لم يسم بهذا الاسم الا لأنه هشم التريد في عام محل فسمى

بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سالم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذي يشتم تصويبه أى وقعه على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان أسلم وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر في مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق ومما جاء من ذلك شعرا قول الجعفى * أمحاقى سلمى بكاطمة اسلمها وكذلك قول الآخر

وما زال معقولا عقلا من الندى * وما زال محبوسا عن الخير حابس
وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال
ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا
على من لم يققن معرفته وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ
واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيه ما واحد والمعنى
أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أى قد شق منه وكذلك ورد قول عنتره
لقد علم القبائل أن قومي * لهم حد اذا لبس الحديد

فان حدا وحديد اللفظ هما واحد ومعناها واحد (وأما الاشتقاق الكبير) فهو
أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك
التراكيب وما تصرف منها وان تباعدت شي من ذلك عنها ردت بلطف الصنعة
والتأويل اليها ولنضرب لذلك مثالا فنقول ان لفظة قمر من الثلاثي لها
ست تراكيب وهى قمر رقم رقم مرق مرق مرق فهذه التراكيب
الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقمر شدة شهوة اللحم وقر
الرجل اذا غلب من يقامر والرقم الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من
دهره وعيش مرق أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال
امقر الشيء اذا مر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة وقرق السهم اذا ندم من
الرمية وذلك اشدة مضائه وقوته (واعلم) أنه اذا سقط من تراكيب الكلمة شيء
بخلاف ذلك فى الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل
من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تعدد حروفها وتأخيرها

أدت الى معنى واحد يجمعها فنال ماسقط من تركيب الثلاثى لفظة وسق
فان اها خمس ترا كيب وهى وسق وقس من وق قس وقوس وسقط
من جملة الترا كيب قسم واحد وهو سقو وجميع الخمسة المذكورة تدل
على القوة والشدة أيضا فالوسق من قواهم استوسق الامرأى اجتمع وقوى
والوقس ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة
السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه
والقس معرفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجها الى ذلك
المرعى المتباعدا (واعلم) أنا لا ندعى أن هذا يطردي جميع الالفة بل قد جاء شئ منها
كذلك وهذا مما يدل على شرفها وحكمته لان الكلمة الواحدة تتقلب على
ضروب من التقلاب وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أجب
الاسرار التى توجد فى لغة العرب وأغربها ما عرفة الآن الاستعمال فى النظم
والنثر انما يقع فى الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير
تكثر الالفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد فى اللغة الا قليلا
وأىضا فان الحسن اللفظى الذى هو الفصاحة انما يقع فى الاشتقاق الصغير ولا يقع
فى الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما قوس
ووسق اذا نظرنا الى تراكيبهما وأردنا أن نسبكهما فى الاستعمال لم يأت منهما
مثل ما يأتى فى الاشتقاق الصغير حسنا ورونا لان ذلك لفظه لفظ تعجيب ومعناه
معنى اشتقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك (النوع السابع والعشرون
فى التضمن) وهذا النوع فيه نظرين حسن يكتب به الكلام طلاوة وبين
معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر واكل من هذين
القسمين مقام (فأما الحسن) الذى يكتب به الكلام طلاوة فهو أن يضم
الآيات والاعبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمين كل والآخر
تضمين جزئى فأما التضمن الكلى فهو أن تذكر الآية والخبر بجملة ما
وأما التضمن الجزئى فهو أن تدرج بعض الآية والخبر فى ضمن كلام فيكون
جزأ منه كالذى أوردته فى حل الآيات والاعبار فى الفصل العاشر من مقدمة
الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى غصون الكلام
من غير تبين كى لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فان القرآن الكريم أبين من

التضمن

أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المجهول الذي لو اجتمعت الانس والجن على
أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله فان كانت المقابلة في التفرقة بينه وبين غيره من
الكلام اذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذلك الكلام معه وان كان
الكلام مع عالم بذلك فذلك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبي
في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن
الوجهين عندي وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكاملها بل يؤخذ جزء منها ويجعل
أول الكلام أو آخرها اذا لم يقصد به التضمن فأما اذا قصد التضمن فتؤخذ
الآية بكاملها وتدرج درجاً وهو هذا ينكره من لم يذق مذاقته من طعم البلاغة
ولا رأى ما رأته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمن الاسناد وذلك يقع
في يتبين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور على أن يكون الأول منهما
مسنداً الى الثاني فلا يقوم الأول بنفسه ولا يتم عناء الا بالثاني وهذا هو
المعدود من عيوب الشعر وهو عندي غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن
يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيباً اذ لا فرق بين البيتين
من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنشور في تعلق
احدهما بالآخر لان الشعر هو كل لفظ موزون متقن دل على معنى والكلام
المسجوع هو كل لفظ متقن دل على معنى فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير والفقر
المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم في مواضع منه
فمن ذلك قوله عز وجل في سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال
قائل منهم انى كان الى قرين يقول أئتنيك من المصدقين أئذا متنا وكنا تراباً
وعظاماً أئنا لمدينون فهذه الفقرات الثلاث الاخيرة مرتبطة بعضها ببعض فلا تفهم
كل واحدة منها الا بالتي قبلها وهذا كالايات الشعرية في ارتباط بعضها
ببعض ولو كان عيباً لما ورد في كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى في سورة
الصافات أيضاً فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالح الجحيم
فالآيتان الاوليان لا تفهم احدهما الا بالآخرى وهكذا ورد قوله عز وجل
في سورة الشعراء أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى
عنهم ما كانوا يمتعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة
ألا ترى أن الاولى والثانية في معرض استقهاام يقتضيان جواباً والجواب هو

في الثالثة واما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم

ومن البلى التي لبسها في الناس كنه

أن من يعرف شيئا * يدعى أصكك مننه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقيم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني وقد استعملته

العرب كثيرا وورد في شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس

فقلت له لما تظني بصلبـه * وأردف أبجها زائنا بكلكل

الأيام الليل الطويل لا أنجلي * بصبح وما الاصبح منك بأمنل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الاقوام عدوا * عروف الاكرم من الى التراب

بجته نظـين ان فضلتونا * عليهم في القديم ولا غضاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الجاهلية

اهـ مري لرحط المـرء خير تقيـة * عليه وان عالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(الضرب الثاني من التضمن) وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر

اغيره قصد اللامعة على تأكيده المعنى المقصود ولولم يذكر ذلك التضمن لكان

المعنى تاما وورد بما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال بحظة

قم فاسقنيها يا غلام وغنى * ذهب الذين يعاش في أكافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب الذين يعاش في أكافهم لكان المعنى تاما

لا يحتاج الى شيء آخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام وغنى فيه كفاية اذا حاجة له

الى تعيين الغناء لان في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد

ورد هذا في عدة مواضع من شعرا أبي نواس في الخمريات كقوله في مخاطبة بعض

خلطاته على مجلس الشراب

فقلت هل لك في الصهباء تأخذها * من كف ذات حرف العيش مقتبل

حـبرية كشاع الشمس مافية * تطير بالكأس من لا تلتها شعل

فقال هات وغنينا على طرب * ودع هريرة ان الركب مرتحل

وكذلك قوله أيضا

وظبي خلوب الانظـح لو كلامه * مقبـله سهل وجانبه وعـر

فخلت له منها فخر لوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الازر
 فقامت اليه والكبرى لكل عينه * فقبلته والصب ليس له صبر
 الى أن تجلى نوره عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لي العذر
 فأعرض مزورا كان بوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
 فمازلت أرقبه والتم خذته * الى أن تغنى راضيا وبه سكر
 ألا فاسلو ياد ارحمى على البلى * ولا زال منه لا يجرعانك القطر
 وقد استعمل هذا الضرب كثير الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله في ذلك قوله
 في بعض خطبه وهو فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم به هذا الحديث مصدقون
 فما لكم منه لا تشفقون فو رب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون
 وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو في يومئذ تغدوا الخ لا ترق على الله به ما
 فيحاسبهم على ما أحاط به علما وينفذ في كل عامل بعمله حكما وعنت الوجوه للحي
 القيوم وقد خاب من حل ظلما ألا ترى الى براعة هذا التضمين الذي كانه قدر صرح
 في هذا الموضع رصعا وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو هناك
 يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرايا
 يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا
 وبما ينظّمهم هذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو أسكنكم الله الذي أنطقهم
 وأبادهم الذي خلقهم وسيجدهم كما خلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله
 العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء
 على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير
 محضرا وما عملت من سوء فود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (ومن هذا الباب) قوله
 أيضا هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق
 عليه العقاب فيضرب بينهم بسورة له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
 وأمثال هذه التضمينات في خطبه كثيرة وهي من محاسن ما يجي في هذا النوع
 (النوع الثامن والعشرون في الارصاد) وحققة أنه ينبغي الشاعر البيت من
 شعره على قافية قد أرصدها له أي أعدها في نفسه فاذا أنشد صدر البيت عرف
 ما يأتي به في قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض
 وفي الاقتضاب بذلك يقول ابن نباتة السعدي

خذها اذا انشدت في القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينسب لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يطويها
فن هذا الباب قول النابغة

فداها لامرئ سارت اليه * بعد ذرة ربه ساعى وخالى
ولو كفى اليمين نقتلك خوفا * لا فردت اليمين عن الشمال
ألا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية في البيت الاول أن في البيت الثاني ذكر الشمال
وكذلك جاء قول البحتري

ألمت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلاي
فليس الذي حللته بحمل * وليس الذي حرمته بحرام
فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول وصدر البيت الثاني أن هجزه
هو ما قاله البحتري (وقد جاء الارصاد في الكلام المنتور كما جاء في الشعر) فن ذلك
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلّفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما
فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز
وجل فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولا يكن كانوا أنفسهم يظلمون
وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذا من دون الله آولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبית العنكبوت فاذا وقف السامع
على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت
أبا هلال العسكري) قد سمي هذا النوع التوشيع وليس كذلك بل تسميته بالارصاد
أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولا قبه وأما التوشيع فانه نوع آخر من علم
البيان وسيأتي ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى (واعلم) أنه قد اختلف جماعة
من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى أن أحدهم يضع أنواع
واحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك
بل هما نوع واحد فمن غلط في ذلك الغامض فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه
التبليغ وقال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية
فيما ذكره صنع ثم يأتي بها الحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى

في الجودة كقول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم ينقب
فانه أتى بالتشبيه تاما قبل القافية ثم لما جاء بها بلغ الامد الاقصى في المبالغة ثم ان
الغامنى ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتي الشاعر بالبيت
معلق القافية على آخر اجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك أن
الشاعر اذا كان بارعا جاب بقدرته وذكاؤه وفاعته الى البيت وقد عنت معانيه
واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لا عار يرضه ووزنه فجعلها اعتلا لئلا يذكو كقول
ذى الرمة

قف العيس في أطلال مية فاسأل * رسوما كما خلاق الرءاء المسلسل
هذا كلام الغامنى بعينه والبيان المذكور ان سواه لا فرق بينهم ما بحال والدليل على
ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يوفق بقافيته وكذلك بيت ذى الرمة
الأتري أن امرأ القيس لما قال **كان عيون الوحش حول خبائنا**
وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي
قوله لم تنقب وهكذا ذوالرمة فانه لما قال **قف العيس في أطلال مية** قال
رسوما كما خلاق الرءاء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتي بالقافية ولما احتاج اليها جاء
بزيادة حسنة وهي قوله المسلسل واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمى هذين
القسمين بعينهما الا يغال وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى
مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر وأصل الا يغال من أوغل في الامر اذا
أبعد الذهاب فيه ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذى الرمة **قف العيس في أطلال مية**
فأل البيت وهذا أقرب أمر من الغامنى لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم
واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغامنى وليس الاخذ على الغامنى في ذلك
مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن يقتضب لا يراد علم البيان وتفصيل
أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عليه ويحني عنه
وهو أشهر من فلق الصباح (وههنا ما هو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم
في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهي بنجوة عنه
لانهم في وادع علم البيان في وادع من فعل ذلك الحريري صاحب المقامات فانه
ذكر تلك الرسالة التي هي كلمة مبهمة وكلمة مهملية والرسالة التي حرف من حروف

ألفاظها معجم والآخر غير معجم ونظم غيره شعر الآخر كل بيت منه أول لايت الذي
 يابيه وكل هذا وان تضمن شقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة
 والبلاغة لأن الفصاحة هي ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه في
 مقدمة كتابي هذا وكذلك البلاغة فانها الانتهاء في محاسن الالفاظ والمعاني من
 قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريري
 في رسالته وأورده ذلك الشاعر في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة وانما يأتي
 ومعانيه غثة باردة وسبب ذلك أنها استكره استكرها وتوضع في غير مواضعها
 وكذلك ألفاظه فانها تنجي ~~مكرهه~~ أيضا غير ملائمة لخواصها وعلم البيان
 انما هو الفصاحة والبلاغة في الالفاظ والمعاني فاذا خرج عنه شيء من هذه
 الاوضاع المشار اليها لا يكون معدودا منه ولا داخلا في بابيه ولو كان ذلك مما
 يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لور في كتاب الله عز وجل الذي هو معدن
 الفصاحة والبلاغة أو ورد في كلام العرب الفصحاء ولم نره في شيء من أشعارهم ولا
 خطبهم م واقدر أيت رجلا أدبيا من أهل المغرب وقد تغفل في شيء عجيب وذلك
 أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضرب من
 الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغسانها فتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا
 وتارة يكون جزء منه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان
 له معنى يفهم إلا أنه ضرب من الهذيان والاولى به وبأمناله أن يلحق بالشعبذة
 والمعالجة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله
 ابن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الابواب في كتابه فقال ينبغي أن لا تستعمل
 في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم
 ولا الالفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم لأن الانسان اذا خاض في علم
 وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك
 الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبي تمام

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جواهر معروفها عرض

ويقوله أيضا خرقا يلعب بالعقول حبا بها * كتعاب الافعال بالاسماء

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة

ان الذي تنكرهون منه * هو الذي يشتهيه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض في علم
أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا
مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل
صناعة لانها موضوعة على الخوض في كل معنى وهذا الاضابط له يضبطه
ولا حاصر يحصره فإذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من
المعاني وأداء ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس
له أن يتركه ويحيد عنه لانه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده ألا ترى
الى قول أبي تمام في الاعتذار

فإن يك جرم عن أوتك هفوة * على خطا مني فعذري على عدى
فإن هذا من أحسن ما يجي في باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغي له على ما ذكره
ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطا والعمد اللتان هما
من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبي الطيب المتنبي

واقبت كل الفاضل كأنما * رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسوة والناذق الحساب مقدما * وأتى فذلا اذا أتيت مؤخرًا
وهذا من المعاني البديعة وما كان ينبغي لأبي الطيب أن يأتي في مثل هذا الموضع
بلفظة فذلا التي هي من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذي
لا يتم الا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب اليه وهذا محض الخطا
وعين الغلط وأما ما أنكره على أبي تمام في قوله

مودة ذهب أثمارها شبهه * وهمة جوهر معروفها عرض
فإن هذا البيت ليس منكر الما استعمال فيه من لفظي الجوهر والعرض اللتين
هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه في نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبه
فانها لفظة عامية ركيكة وهي التي أسخفت بالبيت بجملة ورث قليل أفسد كثيرا
وأما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما وأما البيت الآخر
وهو خرقاء يلعب بالعقول حبايبا * كتأعب الأفعال بالاسماء

فليس بمنكر وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ألا ترى أن
الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل الخمر بالعقول في تنقل حالاتها
فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب

مالا يدافع في حسنه وهو قوله

عوامل رزقاً أعربت لغة الردي * نجسم له خفاض ورأى له نصب
فانه لما حصل له المشابهة في الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل النحوية حسن
موقع ما ذكره من الخفض والنصب وعلى ما ذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز
وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب ورد قول
بعضهم

وفى من مازن * فاق أهل البصرة

أتمه معرفة * وأبوه نكره

وهل يشك في حسن هذا المعنى واطافته وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض
العراقيين بهجوطيبا فقال

قال سمار الطيب يوما * لو أنصفوني لكنت أركب

لاني جاءني بسبيط * وراكبي جهل له مركب

وهذا من المعنى الذي أغرب في الملاحظة وجمع بين خفة السخرية وقار الفصاحة
وقد تقدم القول في مدركابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعاقى
بكل علم وكل صناعة ويخوض في كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض في كل
معنى من المعاني فاضمم بذلك على ما ذكرته ونصبت عليه واترك ما سواه فليس
القاتل بعلمه واجتهاده كالقاتل بغلته وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على
لوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء في كلام
أبي العلاء بن سليمان المعزى وهو قوله في رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس
الله سعادته ما أدغمت التاء في الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث
البارد لكن قد جاءه في الشعر ما هو حسن فائق كقوله

فدونكم خفض الحياة فائنا * نصبنا المطايا في الفلاة على القطع

والخفض والنصب من الاعراب النحوى والخفض رفاهة العيش والقطع من
منصوبات النحو والقطع قطع الشيء يقال قطعته اذا بترته (النوع التاسع
والعشرون في التوشيح) وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين
فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض
واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا
مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت

والنوع
العاشر

كلوشاح وكذلك يجري الامر في الفـ قرتين من الكلام المنثور فان كل فقرة
منهما تصاغ من سبعين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن في شئ
وانه عماله في الشعر احسن منه في الكلام المنثور فمن ذلك قول بعضهم
اسلم ودمت على الحوادث مارسا * وكنا نبيرا وهضاب سراء
ونل المراد ~~منه~~ كـنا منه على * رغم الدهور وفز يطول بقاء
وهذا من الجيد الذي يأتي في هذا النوع الا أن أثر التكلف عليه بادن ظاهر واذا
قطر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكرا ن على قافية أخرى وبجر آخر وذا أن
يقال اسلم ودمت على الحوا * دث ما وسار كنا نبيير
ونل المراد ~~منه~~ كـنا * منه على رغم الدهور
وقد استعمل ذلك المبررى في مقاماته فحوقوله

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دارمق ما انضكت في يومها * أبكت غدا بعد الهامن دار
واذا اطلت صحابها لم يفتـح * منه صدى بلهامة الغزار

(واعلم) أن هذا النوع لا يستعمل الا متكاملا عند تعاطي المتكلم من صناعة النظم
وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة ألا ترى أنه لو نظم عليه
قصيد من أقوله الى آخره يتضمن غزلا ومديحا على ما جرت به عادة القصائد ليس
أنه كان يجي باردا غنالا يسلم منه على محك النظر عشره والعشر كثير وما كان على
هذه الصورة من الكلام فأنما يستعمل أحيانا على الطبع لا على التكلف وهو
وأمثاله لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم في الثوب أو الشية في الجلد (النوع
الثلاثون في السرقات الشعرية) ولربما عترض معترض في هذا الموضع فقال
قد تقدم ثمر الشعر في أول الكتاب وهو أخذ النظم من النظم ولا فرق بينه وبين
أخذ النظم من النظم فليكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو أنهم هذا
المعترض نظره اظهر له الفرق وعلم أن ثمر الشعر لم يعترض فيه الى وجوه المأخذ
وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلا
(واعلم) أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني اذ
لا يستغنى الاخر عن الاستعارة من الاول لكن لا ينبغي لك أن تهمل في سبك اللفظ
على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من يهمل في ذلك فعثر

السرقات الشعرية

وتعالى فيه البديهة فحقر والاصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء
 بحيث يكون ذلك أخفى من سقاء الغراب وأظرف من عنقاء مغرب في الاغراب
 وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس اقائل أن يقول ان لاحد من المتأخرين
 معنى مبتدعا فان قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من
 المعاني الا وقد طرقت مرارا وهذا القول وان دخل في -يزال مكان الآه
 لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناقلة والذي نقلته الاخبار وتواردت
 عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما بين لها من الحاجات
 ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة
 زائد اذنا فاصفا قصدا القصائد وهو أقول من قصد ولولم يكن له معنى اختص به سوى
 أنه أقول من قصد القصائد اكان في ذلك كفاية وأي فضيلة أكبر من هذه
 الفضيلة ثم تتابع المقصودون واختير من القصائد تلك السبع التي علقت على
 البيت وانفخ للشعر اهـ هذا الباب في التقصيد وكثرت المعاني المقولة بسببه ولم
 يزل الامر يغى ويزيد ويؤتى بالمعاني الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية
 وما بعد ها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت أساليبه ونشعت طرقة وكان
 ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام - حبيب بن أوس وأبو عبادة الواسطي
 ابن عبيد البختري وأبو الطيب المتنبي فاذا قيل ان المعاني المبتدعة سبق اليها
 ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعاني
 مفتوح الى يوم القيامة ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لانهاية له
 الا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لا قول
 قبل آخر لان الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الا قول كقوله -
 في الغزل عفت الديار وما عفت * آثارهن من القلوب

وكقوله -م ان الطيف يجود بما يجزل به صاحبه وان الواشي لو علم بمزار الطيف
 لساءه وكقوله -م في المديح ان عطاه كالبحر وكالسهاب وانه لا يمنع عطا اليوم
 عطاه غد وانه يجود ابتداء من غير مسئلة وأشياء ذلك وصح وكقوله -م في المراتي
 ان هذا الرزء أول حادث وانه استوى فيه الابد والاقارب وان الذاهب
 لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعد هذا الذاهب لا يعد لامنية ذنب وأشياء
 ذلك وكذلك يجري الامر في غير ما أشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد الى الخواطر

عليها من غير كافة وتستوى في ارادها ومثل ذلك لا يطلق على الاخر فيه اسم
السرقه من الاول وانما يطلق اسم السرقه في معنى مخصوص كقول أبي تمام
لا تنكروا ضربا له من دونه * مثلا شرودا في الندي والباس
فانه قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس
فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لا بداعه سبب والحكاية فيه
مشهورة وهي انه لما أنشد أحمدا بن المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها
ما في وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله

أقدامهم روي في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس
فقال الحكيم السكندى وأى تخفى في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب
فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه اياه بعمرو وحاتم وایاس
وهذا معنى يشهد به الحال انه ابتدعه من ألقى من بعدهم هذا المعنى أو يجزئه منه فانه
يكون سارقا له وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه
وأنت الشمس تبهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشع شبعة القمرين يحيى * بضوئهم ما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان
وصكان ابناعدو كآثره * له ياءى حروف أنيسيان
وهذا معنى لأبي الطيب وهو الذى ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدو كزيادة
التصغير فانه زيادة نقص وما ينبغى أن يقال ان ابن الرومى ابتدع هذا المعنى
الذى هو

يشكى المحب ويلقى الدهر شاكبه * كالفوس تسمى الرمايا وهي صرنا
فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومى وليس كذلك ولكنه
ما أخذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصى ويضرب ذلك لمن يتعدى
بالأذى ثم يشكو وانما ابن الرومى قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته وليس الغرض
أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة بل الغرض أن يبين
المعنى المبتدع من غيره والذى عندي في السرقات أنه متى أوردت الاخر شيئا
من ألفاظ الاول في معنى من المعاني ولولفظ واحدة فان ذلك من أدل الدليل
على سرقة (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثر

وكنيت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا ونسخا ومسحها أما النسخ فهو أخذ
اللفظ والمعنى برقمته من غير زيادة عليه. مأخوذ ذلك من نسخ الكتاب وأما السسخ
فهو أخذ بهض المعنى مأخوذ ذلك من سسخ الجلد الذي هو بهض الجسم المسوخ
وأما المسخ فهو حالة المعنى إلى مادونه. مأخوذ ذلك من مسخ الادميين قرده
(وهنا قسمان آخران) أحلت بكركهما في الكتاب الذي ألفتة (فأحدهما)
أخذ المعنى مع الزيادة عليه (والآخر) عكس المعنى إلى ضده وهذا القسمان أيضا
يذسخ ولا سسخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الأقسام يذسخ ويتفرع وتفرع به
القسم إلى مسائل دقيقة وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب والله
الموفق للصواب ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ
الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد فمن رام الأخذ بنواصيها والاشتمال
على قواصمها بأن يتصفح الأشعار تصفعا ويقتنع بتأملها ناظرا فإنه لا يظفر منها
إلا بالحواشي والأطراف وكنيت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين
 وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلعبون بيت
 من شعر ابن الخياط في قصيدته أقوالها * خدام من صبا نجد أمانا لقلبه * ويرعون
 أنه من المعاني الغريبة وهو

أغار إذا نلت في الحى آنة * حذارا عليه أن تكون عليه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله

لوقلت للدنف المشوق قديته * مما به لا آخرته بقديته

وقول أبي الطيب أدق معنى وإن كان قول ابن الخياط أرق لفظا ثم إنى وقفتم - م
على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي وسافرت إلى
الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يلعبون بيت من الشعر
يعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزما مشاهير
في آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدته يمدح بها بعض خلفائها
عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقة * ما سرت من حرم إلا إلى حرم

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادح بعض الخلفاء في حجة
حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يا من رأى حرم ما يسرى الى حرم * طوبى لمن لم يأتى وملتزم
ثم قلت فى نفسى يا لله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست
أشعارهم ولا هما ممن لم يعرف ولا أشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس
والقمر وشعرهما دائرى أيدى الناس بخلاف غيرهما فكيف خفى على أهل مصر
ودمشق بيتا ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما وعلت حينئذ أن سبب
ذلك عدم الحفظ للأشعار والافتناع بالنظر فى دواوينهما وإنما ثبت نفسى
للفوضى فى علم البيان ورويت أن أكون معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة
لا تتأهل إلا بنقل ما فى الكتب الى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المطور

ليس بعلم ما حوى القدر * ما العلم إلا ما حواه الصدر
واقدر وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر فى المحفوظ
منه والمسموع فألفيته بجزال يوقف على ساحله وكيف ينتهى الى احصاء قول
لم يخص أسماؤه قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثرت فوائده وتتشعب
مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر
القديم اذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل
واللطيف فتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت فى هذا شعر
أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد وأبي الطيب المتنبي وهؤلاء الثلاثة
هم لآلات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته
وقد حوت أشعارهم غرابية المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال
السائرة وحكمة الحكماء أما أبو تمام فانه رب معان وصيقل الباب وأذهان
وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب
الذى برز فيه على الاضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم اقل
ما أقول فيه الا عن تنقيب وتنقيب فن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه
ورامن فيه ~~فكره~~ برافضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة
ما قال حذام نغذمنى فى ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذى علم عليم وأما
أبو عبادة البصري فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعرفنى
ولقد سارط فى الرقة والجزالة على الاطلاق فينبأ يكون فى شطف فجداد
تثبت بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه

فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري واحد - مرى انه أنصف في حكمه
وأعرب بقوله هذا من متانة علمه فان أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من
الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع
قربه الى الافهام وما أقول الا أنه أتى في معانيه بأخلاق الغالية ورقى في ديباجة
اللفظ الى الدرجة العالية. وأما أبو الطيب المتنبى فانه أراد أن يسلط ملك أبي
تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قيادته ما أعطاه لكنه حلت في شعره
بالحكم والامثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً
لست فيه متأنماً ولا مثم متلماً وذلك أنه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه
أدنى من تصالها وأتبع من أبطائها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها
حتى تطن الفريقتين قد تقابلا واللاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك تضل
بإسالكه وتقوم بعذر تاركه ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة
ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى اليه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس عادين
فيه عن سنن التوسط فأمّا فرط في وصفه وأما فقرط وهو وان انفرد بطريق
صار أبا عذره فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم
الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الامراء واقد صدق في قوله
من أبيات يروح بها سيف الدولة

لا تطلبن كرمي بعد رؤيته * ان الكرام باسمها هم يداخقوا
ولا تبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أفسد الصمم
ولما تأملت شعره بعين الممدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التي ماضل
ساحبها وما غوى وجدته أقساماً خمسة خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره
وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس
دون ذلك وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يعبأ بها وعدمها خير من وجودها
ولو لم يلقها أبو الطيب لوقاه الله شرهما فاسما هي التي ألبسته لباس الملام
وجعلت عرضه شارة لاسهام الاقوام واسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدلت
الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول اني لم أعدل اليهم اتفاقاً وانما عدلت
اليهم نظراً واجتهاداً وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديماً واحداً ينما حتى
لم أترك ديوان الشاعر فخلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظري فلم أجده

أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا
منهم ما لللطيف الأغراض والمقاصد ولم أجداً أحسن تهذيباً للالفاظ من
أبي عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكاً فاخترت حينئذ ذوداوينهم
لأشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ولما حفظتها ألغيت
ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها (وقد أوردت) في هذا الموضع من
السرفات الشعرية ما لم يورده غيره ونبتت على غوامض منها وكنت قد تمت
القول أني قسمتها إلى خمسة أقسام منها الثلاثة الأولى وهي النسخ والسخ والسخ
ومنها القسمان الآخران وهما أنا وبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها
وتفرعها فأقول (أما النسخ) فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعاً أو
في أخذ المعنى وأكثر اللفظ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فإنه ضربان
(الأول) يسمى وقوع الخافرة على الخافرة كقول امرئ القيس

وقوقاها هجي على مطيهم * يقولون لا تهلك أمي وتحمل
وكقول طرفة وقوقاها هجي على مطيهم * يقولون لا تهلك أمي وتحمل
وقد أكثر الفرزدق ويرى من هذا في شعرهما (فنه) ما وردا فيه مورد امرئ
القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق
أعدل أحساباً ما حاتمها * بأحسابنا في الله راجع

وكقول جري

أعدل أحساباً كراماً حاتمها * بأحسابكم أني إلى الله راجع

(ومنه) ما تساوى فيه لفظاً بلفظ كقول الفرزدق

وغرقد وسقت مشهـرات * طوالح لا تطيق لها جواباً

بكل ثبـة وبكل ثغر * غراتهن تتسبب اتسباً

بلغن الشمس حين تكون شرفاً * ومسطار أسهم من حيث غاباً

وكذلك قال جرير من غير أن يزيد وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها بلي

كان يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها وأقبل فتى

من قومها كانت تألفه فدخل إليها فأقبلت عليه وتركته الفرزدق فغاضه ذلك

فقال لافتي أتمار عني فقال ذاك إليك فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق

فصرعه وجلس على صدره فاضرب فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا مقام

العائد بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ولكن
كأنني بأبن الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال يهجونني

جلست الى ابلي لتعطيني بقر بها * فخافك دبر لا يزال يحنون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون

قال فواقه ما مضى الا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من
أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا
ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهذا عندي مستبعد فان ظاهر
الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى والا فاذا رأينا شاعرا متقدما
الزمان قد قال قولاً ثم سمعناه من شاعر آتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه
أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف
تتفق الالسنمة أيضا في صوغها الالفاظ (ومما كنت أستحسنه) من شعر أبي
نواس قوله من قصيدته التي أولها * دع عنك لوى فان اللوم اغراء

دارت على قتيبة ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا
وهذا من على الشعر ثم وقعت في كتاب الاغانى لابي الفرج على هذا البيت
في أصوات المعبد وهو

له في على قتيبة ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا
وما أعلم كيف هذا (الضرب الثاني من النسخ) وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر
اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء

أجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا المعبد

ثم قال أبو تمام

محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا المعبد

وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال

وقائع أصل النصر فيها وفرعه * اذا عتد الا حسان أولم يعتد

فهما ما تكن من وقعة بعد لا تكن * سوى حسن مما فعلت مردد

محاسن أصناف المغنين جمة * البيت (وأما السليخ) فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا

وهذا تقسيم أوجبته القسمة واذا تأملت له علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه (فالقول)

أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه وهذا

من أدق السرقات مذهبا واحدا - منها مودة ولا يأتى الا قليلا (فمن ذلك) قول
بعض شعراء الحجازة

أخذ زادنى حب النفسى أنى * بغض الى كل امرئ غير طائل
أخذ المتنبي - هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنه شبه به فقال
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهي الشهادة لى بأنى فاضل

والمعرفة بأن - هذا المعنى أصله من ذان المعنى عسر غامض وهو غير متبين الا لمن
أعرق في ممارسة الاشعار ونعاص في استخراج المعاني، ويبيانه أن الاول يقول
ان بغض الذى هو غي طائل اياى مما زاد نفسى حبا الى أى جملها فى عيسى
وحسبنا عندى كون الذى هو غي طائل مبعضى والمتنبي يقول ان ذم
الناقص اياى شاهد بفضلى فذم الناقص اياه كبغض الذى هو غي طائل ذلك
الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كخصين بغض الذى هو غي طائل نفس
ذلك الرجل عنده (ومن هذا المرب) ما عواظه رما ذكرته وأبين كقول أبي تمام
وعنه الفيافي بعد ما كان - قبة * رعاها وما الروض ينزل ساكبه

أخذ البهترى هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله فى قصيدة يفخر فيها بقومه
شيخان قد نزل السلاح عليهم * وعداهما رأى السميع المبصر
وكما اقتنا من بعد ما حلا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجبل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أى أهزاته فكانت لها فعلت
به مثل ما فعل بها والبهترى نقل - هذا الى وصف الرجل بعلو السن والهزم فقال
انه كان يصعد فى الرح فى القتال ثم صار يركب عليه أى يتوكل منه على عصا كما يفعل
الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام
لا أظلم النأى قد كانت خلافتها * من قبل وشك النوى عندى نوى قد فا
أخذ البهترى فقال

أعانتك ما كان الشهاب مقربى * اليك فالخى الشيب اذ هو مبعدى
وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بياناً (الضرب الثانى من السيلج)
أن يؤخذ المعنى مجزأ من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى الا قليلا
(فمنه) قول عروة بن الورد من شعراء الحجازة

ومن يك مثلى ذاعبال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجى
أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
فمروءة بن الورد جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام
جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام
النصر وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب في سرقات
المعاني من أشكلها وأدفعها وأغربها وأبعد ما مذهبها ولا يتفطن له ويستخرج
من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض وقد يحى منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة
مبلغ هذه الأبيات المشار إليها كقول ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحاسة
فقد جرت نفعاً فقد نالنا شاة * أمناعلى كل الرزايا من الجزع
وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود
وهذا من البديع النادر وههنا ما هو أشد تظهروا من هذين البيتين في هذا
الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها
مقام بعض وذلك لا اعتداد به لا كان وضوحه ~~لكن~~ قد يحى منه ما هو صفة
من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكرن حسنا كقول جرير
ولا يمنعك من أرب طاهم * سواء ذو العمامة والخمار
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال

ومن في كفه منهم قساة * كن في كفه منهم خضاب
(الضرب الثالث من السخ) وهو أخذ المعنى ويبر من اللفظ وذلك من أقبح
السرقات وأظهرها شناعة على السارق فن ذلك قول البحتري في غلام
فرق ضعف الصغيران وكل الامم * را إليه ودون كيد الكبار
سبقة أبو نواس فقال

لم يخف من كبر عماير ادبه * من الامور ولا أزرى من الصغر
وكذلك قوله أيضا

كل عيد له انقضاء وكفى * كل يوم من جوده في عيد
أخذه من علي بن جبلة

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس في كل يوم منك في عيد
وكذلك قوله جاد حتى أفنى السؤال فلما * باد منا السؤال جاد ابتداء
أخذه من علي بن جبلة

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالا
وقد افتضح البهري في هذه الماخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة باعه في الشعر
وغناه عن مثلها (وقد سلك هذه الطريق في قول الشعراء) ولم يستنكفوا من
سألوها فمن فعل ذلك أبو تمام فانه قال

قد قلصت شفتاه من حفيظته * نخيل من شدة التعيس مبتدئا
سبقة عبد السلام بن رعيان المعروف بديك الجن فقال

واذا شئت أن ترى الموت في صو * رة ليث في لبـد قـريـبـال
فالله غير أنما البـد تـاء * أبيض صارم وأسمـر عـال
تلق ليثا قد قلصت شفتاه * فيرى ضاحكا لعبس الصيال
وكذلك قال أبو تمام

فلم أمدحك تفخيما بشعري * ولكني مدحت بك المديحا
أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
ما ان مدحت محمد ابعثتني * لكن مدحت مقاتلي محمد
ولاشك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي الله
عنه فقال له عمر استخلف غيري فقال أبو بكر رضي الله عنه ما حبوناك بها وانما
حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومي فيما جاء له قوله

جرحت العيون فاقتص منها * بجوى في القلوب دامي الندوب
سبقة أبو تمام فقال

ادميت باللحظات وجنته * فاقتص ناظره من القلب
وكذلك قول ابن الرومي

وكلت مجدلة في اقتضاك حاجتي * وكفى به متقاضيا ووكيلا
سبقة أبو تمام فقال

واذا المجد كان عوني على المر * تقاضيته بترك التقاضى
وكذلك قال ابن الرومي

ومالى عزاء عن شبابي علمته * سوى أنفى من بعده لا أخذ
سبقة منصور النمرى فقال

قد كدت أقضى على قوت الشباب أسا * لولا تغزى أن العيش منقطع
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فما جاء منه قوله

قدى نفسه بضمان النصار * وأعطى صدور القنا الذابل
أخذه من قول الفرزدق

كان الفداء له صدور ما حنا * والخيل أذرهج الغبار مثار
وكذلك قوله أيضا

أين أزمعت أي هذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام
أخذه من بشار حيث قال

كان الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار
وكذلك قوله فلا زلت ديارك مشرقا * ولادانيت يا شمس الغروب

لا صبح آمنافيك الزايا * كما أنا آمن فيبك العيوب
أخذه من ابن الرومي حيث قال

أسالم قد سلمت من العيوب * الا فاسلم كذلك من الخطوب
والذى عندي في الضرب المشار اليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المقتدم اما بان
ياخذ المعنى فيزيده معنى آخر أو يوجز في افظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته
(ومن هذا الضرب) ما يستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر البشاعة به وهو أن
ياخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة
له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من طوق
أو نطاق ثم صاغها في مثل ما سرقها منه والاولى به أن كان نظم تلك الجوهرة
في عقد أو صاغها في سوار أو خنخال ليكون أصكتم لامرها وعن فعل
ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته التي أولها
غيرى يا كثر هذا الناس يتخذ

لم يسلم الكثر في الاغقاب مهجته * ان كان أسلمها الاصحاب والشيخ
وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي نغم في وزنها وقافيتها أولها
أي القلوب عليكم ايس يصعد * وهذا المعنى الذى أورده أبو الطيب

أخوذ من بيت منها وهو
 ما غاب عنكم من الأقدام أكرمه • في الروع اذ غابت الانصار والشيع
 وايسر في السرقات الشعرية أقبح من • هذه السرقة فانه لم يكتب الشاعر فيها بأن
 يسرق المعنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقه (الضرب الرابع من السخ)
 وهو أن يؤخذ المعنى فيه عكس وذلك حسن يكاد يخرج به حسنه عن حد السرقة
 فمن ذلك قول أبي نواس

قالوا عشقت مغيرة فأجبتهم • أشهى المطى الى ما لم يركب
 كم بين حبة لؤلؤ ومثوبة • ليست وحببة لؤلؤ لم تنقب
 فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك

ان المطية لا يلدركوبها • حتى تذلل بالزمام وترجها
 والحب ليس بنافع أربابه • حتى يفصل في النظام ويشقبا
 ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بد الى أنها لا تريدني • وأن هواها ليس عني بمنجلى
 تمنيت أن تهوى سواي اعلاها • تذوق صبايات الهوى فترقلى
 وقال غيره ولقد سرتني صدودك عني • في طلائيك وامتناعك مني
 حذرا أن أكون مفتاح غيري • واذا ما خلوت كنت التمني
 أما ابن جعفر فانه تداب وألقى عن منكبها رداء الغيرة وأما الآخر فجاء بالاضد
 من ذلك وتعالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبي الشيص
 أجد الملامة في هوالك لذينة • شغفا بذكرك فلياني اللوم
 أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة • ان الملامة فيه من أعدائه
 وهذا من السرقات الخفية جدا ولا ينبغي ابتداء أول من أن يسمى سرقة
 وقد توخيت في شيء من شعري فجاء حسنا فن ذلك قولي
 لولا الكرام وما سنوه من كرم • لم يدركا نل شعرك كيف يمدح
 أخذته من قول أبي تمام

ولولا خلل سنها الشعر ما درى • بناء العلى من أين تؤقى المكارم
 (الضرب الخامس من السخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فن ذلك قول أمية

ابن أبي الصلت يدح عبد الله بن جدعان
عطاولك زين لامرئ ان حبوته • ييذل وما كل العطاء يزين
وايسر بشين لامرئ بذل وجهه • اليك كما بعض السوال يشين
أخذه أبو تمام فقال

تدعي عطاياها وفرا وهي ان شهرت • كانت نغارا لمن يعفوه مؤثقا
مازالت منتظرا أعجوبة زمنا • حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا
فأمية بن أبي الصلت أتى بعنيتين اثنتين أحدهما أن عطاولك زين والآخر أن عطاولك
غير بشين وأما أبو تمام فانه أتى بالمعنى الاول لا غير (ومن هذا الضرب) قول
علي بن جبلة وآئل مالم يحوه متقدم • وان نال منه آخر فهو تابع
فقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره • فما يفعل الفعلات الاعذار
فعلى بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن
تقدمه وان نال منه الآخر شيئا فاعناه هو مقتدبه وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي
فانه لم يأت الا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة
حسنه ومن ذلك قول أبي تمام
كاف برب المجد يعلم أنه • لم يبتدأ عرف اذا لم يتم

فقال البصري
ومثل ان أبدى الفعال أعاده • وان صنع المعروف زاد وعما
فأبو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه أي يستديمه ويعلم أنه اذا لم يستديمه
فما ابتدأه والبصري قال انه يستديم صنيعه لا غير وذلك بعض ما ذكره أبو تمام
وكذلك قال البصري

ادفع بامثال أبي غالب • عادية العدم أو استعفف

أخذه عن تقدمه حيث قال

انفج الفضل أو تغفل عن الدنيا فيافها تان غاية الهيم
فالبصري أخذ بهض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومي
نزاه على هام المعالي اذا ارتقى • اليها أناس غيركم بالسلام
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ما طلبوا * فاذا أرادوا غاية نزولوا
وهذا بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومى لانه قال انكم نزلتم على هام المعالى
وان غيركم يرقى اليها رقبيا وأما المتنبي فانه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم
هأما قوله فوق السماء فانه يغنى عنه قول ابن الرومى نزلتم على هام المعالى
اذ المعالى فوق كل شئ لانها مختصة بالعلو مطلقا (الضرب السادس من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر فما جاء منه قول الاخضر
ابن شهاب

اذا قصرت أسيا فنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فضا رب
أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله
ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو قصر السيف لم يهجم بتغريد
وكذلك ورد قول جرير فى وصف أبيات من شعره
غرائب آلاف اذا حازوردها * أخذن طريقا لقصائد معلما
أخذه أبو تمام فزاد عليه اذ قال فى وصف قصيدته وقرن ذلك بالمدوح
غرائب لاقت فى فنائك أنسها * من الجهد فهى الآن غير غرائب
وكذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك
أذل الحياة وكرم الممات * وكلا أراء طعاما ويسلا
فان لم يكن غير احداهما * فسير الى الموت سيرا جميلا
أخذه أبو تمام فقال

مثل الموت بين عينييه والذل ~~وكلا~~ رآه خطبا عظيما
ثم صارت به الحية قدما * فأما العدا ومات كريما
فزاد عليه بقوله * فأما العدا ومات كريما * ويروى أنه نظر عبد الله بن علي
رضي الله عنه عند قتال مروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلى فى القتال
بلاء حسنا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه
فلمست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين
المذكورين وكذلك ورد قول أبي تمام
يصدق عن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت فى زى عذراء ناهد
أخذه من قول المعذل بن غيلان

ولست ينظر الى جانب العلا * اذا كانت العليا في جانب الفقر
الا انه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت في زى عذرا ناهدا * ومما يجرى هذا
المجرى قول البحترى خل عناقنا انت فينا * واوعروا وكال حديث المعاد
أخذه من قول أبي نواس

قل لمن يدهى سليمان سقاها * انت منها ولا قلامة ظفر
انما انت ملصق مثل واو * ألحقت في الهجاء ظلماء بمرو
الا ان البحترى زاد على أبي نواس في قوله أو كال حديث المعاد ~~وهو~~ كذا ورد
قول البحترى أيضا

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع في السماح ويغرب
أخذه من مسلم بن الوليد في قوله

ركبت اليه البحر في موخراته * فأوقت بنا من بعد بحر الى بحر
الا ان البحترى زاد عليه بقوله جذلان يبدع في السماح ويغرب وكذلك ورد
قول أبي نواس وليس لله يستنكر * أن يجمع العالم في واحد
وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيرا ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ويحكي
عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دؤاد فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال انما
يعتب علي واحد وانت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول
الحاذق أبي نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندي موضوعة لان أبا تمام
كان عارفا بالشعر حتى انه قال لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا
للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس
وانما هو مأخوذ من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو عقيم * حسبت الناس كلهم غضابا

الا ان أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنو عقيم وأبا
نواس جعل العالم كله في واحد وذلك أبلغ * ومما ينتظم في هذا السلك قول
الفرزدق علام تلفتين وأنت تحق * وخير الناس كلهم أممي
متى تأتي الرصافة تستريحى * من الانساع والدير الدوامي

أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال

واذا الماطى بنا ببلغن محمدا * قطع ورهق على الرجال حرام

فأفرزدق قال تستريحى من الانساع والدير الدوامى وليست استراحة بمأنة
من معاودة اتعابهم مرة أخرى وأما أبو نواس فإنه حرم ظهوره - ن على الرجال
أى أنهم اتعنى من السفر اعفاء مسقرا ولا شك أن أبو نواس لم يقن به لهذه الزيادة
الامن فعل العرب فى السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي
وملومة زرد ثوبها * ولكن بالقتلنا نخل

أخذه من أبي نواس فى قوله

امام خيس أرجوان كاته * قيص محول من قنا وحياد
فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس به - هذا المعنى وكذلك قال
أبو الطيب المتنبي

وان جاد قبلك قوم مضوا * فانك فى الكرم الاقل

فأخذه أنا وزدت عليه فقلت

أنت فى الجود أؤل وقصى الله بأن لا يرى لك الدهر ثمانى
وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسب عبارة أحسن من العبارة الأولى وهذا هو
المهود الذى يخرج به حسنه من باب السرقة فن ذلك قول أبي تمام
جذلان من ظفر حران ان رجعت * مخضوبة منكم وأطفار به دم
أخذه البصري فقال

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها
ومن هذا الاسلوب قواها ما أيضا فقال أبو تمام

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا
وقال البصري قل الكرام فصار يكثروا * ولقد يعل الشئ حتى يكثر
وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس

يدل على ما فى الضمير من الفتى * تقاب عينيه الى شخص من هموى
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وعما ينتظم فى هذا السلك قول أبي الطيب المتنبي
اذا ما ازددت من بعد التناهى * فقد وقع انتقاضى فى ازدياد

أخذه ابن تبتاة السعدي فقال

إذا كان نقصان الفتى من تمامه * فكل صحيح في الانام عليل

وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية

وما كلفة البدر المنير قدية * ولكنه في وجهه أثر اللطم

أخذه الشاعر المعروف بالقيصري فقال

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا * ألت ترى في وجهه أثر الترب

وكذلك قول ابن الرومي

إذا شئت عين امرئ شيب نفسه * فعين سواه بالشناعة أجدر

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال

إذا كان شبي بغيضا لي * فكيف يكون اليها حبيبا

وما يخطر في هذا السلك قول بعضهم

محصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

أخذه أبو تمام فقال

كان عليها كل عقد ملاحمة * وحسناء وان أضحت وأمست بلا عقد

ثم أخذه العتري فقال

إذا أطقأ الياقوت اشراق وجهها * فان عناء ما بوخت عقودها

وأمثال هذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السخ) وهو أن

يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موجزاً وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة

على بسطة الناظم في القول وسعة باعه في البلاغة فن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وقاز بالطيبات الفاتك اللهمج

أخذه سليم الخاسر وكان تليذه فقال

من راقب الناس مات غما * وقاز باللذة الجسور

فبين البيتين انظمتان في التأليف ومن هذا الاسلوب قول أبي تمام

برزت في طلب المعالي واحدا * فيها تسير مغورا ومنجدا

عجب بأنك سالم في وحشة * في غاية ما زلت فيها مفردا

أخذه ابن الرومي فقال

غزبه الخلاق الزهر في لنا * س وما أوحشته بالغريب

قوله كم صار ما غضب الدنيا منكم لا عجب الوغى حال

وكذلك ورد قول أبي نواس
 وكنت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسوك ما جرحا
 أخذته ابن الرومي فقال
 الدهر يفسد ما استطاع وأحمد * يتبع الفساد بالاصلاح
 وعلى هذا ورد قول ابن الرومي
 كأنني أستدني بك ابن حنية * اذا التزع أدناه من الصدر أبعدا
 أخذته بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحوي فقال
 فهو كالسهم كلما زدت منه * دقوا بالزع زادك بعدا
 واقبت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع
 هذا المعنى وليس كذلك وإنما هو لابن الرومي ومما يجرى هذا المجرى قول أبي
 العتاهية واني أعذور على فرط حبها * لان لها وجه ايدل على عذري
 أخذته أبو تمام فقال
 له وجهه اذا أبصر * نه نأجالك عن عذري
 فأوجزني هذا المعنى غاية الإيجاز ومما يجرى على هذا النهج قول أبي تمام
 كانت مساءلة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
 حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قدر أي بصري
 أخذته أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال
 وأستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر
 وكذلك قوله ما في موضع آخر فقال أبو تمام
 كم صار ما غضبا أناف على قفا * منهم لا عجب الوغى حال
 سبق المشيب إليه حتى ابتزه * وطن النهي من مفرق وقدال
 أخذته أبو الطيب فزادوا حسن حيث قال
 يسابق القتل فيهم كل حادثة * فما يصيبهم موت ولا هرم
 ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء
 أمن خوف فقر تجلته * وأخرت اتفاق ما تجمع
 فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع
 أخذته أبو الطيب المتنبي فقال

ومن يتفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقير
(الضرب التاسع من السليخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل عاما أو خاصا
فيجعل عاما وهو من السرقات التي يساع صاحبها فن ذلك قول الاخطل
لاتنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فلت عظيم
أخذه أبو تمام فقال

أألوم من بخلت يداها واغتدى * للبل تر باساء ذاك صنيعا
وهذا من العام الذي جعل خاصا ألا ترى أن الأول نهي عن الاتيان بما ينهي
عنه مطلقا وجاء بالخلق منكر الجعله شائعا في بابيه وأما أبو تمام فإنه خصص
ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول
أبي تمام ولو حاربت شول عذرت لقاحها * ولكن منعت الدر والضرع حافل
أخذه أبو الطيب المتنبي فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق
(الضرب العاشر من السليخ) وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك
بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبي تمام
هو الصنيع ان يجعل فنقع وان يرث * فلارث في بعض المواطن أنفع
أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله

ومن الخربط سبيك عنى * أسرع السهب في المسير الجهام
وهذا من المبتدع لامن المسروق وما أحسن ما أتى به هذا المعنى في المثال
المناسب له وكذلك قولهما في موضع آخر فقال أبو تمام
قد قلصت شفتاه من حفيظته * فحيل من شدة التعبيدس مبتسما
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وجاهل مده في جهله ضحكي * حتى أتته يد فتراسه وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظن أن الليث مبيتهم
ومما ينخرط في هذا السلك قول أبي تمام
وكذا لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بهمال
أخذه أبو عبادة البهتري فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لا خلاق اصغار من المجد خيب

قوله وما يؤلم مع قوله كما يؤلم في الدويان بوجع بداهما

وحسن درارى الكواكب أن ترى * طوالع في داج من الليل غيب
فانه أتى بالمعنى مضروبا له هذا المثال الذى أروضه وزاده حسنا (الضرب
الحادى عشر من السليخ) وهو ايجاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلط
الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل
أحدهما على الآخر فمما جاء من ذلك قول أبي تمام في مريثة بولدين صغيرين

مجدتاؤب طارفا حتى اذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
فجمان شاء الله أن لا يطلعها * الا ارتدادا الطرف حتى يافلا
ان الفجيرة بالرياض نواضرا * لا جل منها بالرياض ذوا بلا
لهنى على تلك الشواهد فيها * لو أخرت حتى تكون شمعا فلا
ان الهلال اذا رأيت غوه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للامير وان لقيت موقرا * منه يربى الحاديات حلا حلا
ان ترزنى طرفى نهار واحد * رزأين هاجبا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
لاغروا فننان من عيادته * لقيما حاما للبرية آكلا
ان الاشياء اذا أصاب مشذب * منه اتهمل ذراوات أسافلا
سمعت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الامواء ظفادها لك سمحة * اسباح ليلك سامعا أو قافلا
هل تكلف الايدى به زمههه * الا اذا كان الحسام القاصلا

(وقال) أبو الطيب في مريثة بطفل صغير

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فلا لاسى ليس بالطفل
وملك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الفراسة والاصل
ألت من القوم الذى من رماحهم * ندامهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليمهم عليا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
مزاولة سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدة انك للنصل
تخدون المنايا عهده فى سلبه * وتنصره بين الفوارس والرجل
بنفسى وليد عاد من بعد حمله * الى بطن أم لا تطرق بالجل

قوله مجدتاؤب الخ نزلنا آيات كثيرة فى خلال الآيات المذكورة حتى افترقت بينهما جوابا لو أخرت وهما لغدا سكر من ماعجى وصباهما حل
ونفك الاربعية فافلا * ولا أصبح النجم الرديمة * واماز ذلك اطل جودا وبلا * وكذلك الآيات بعد اه

بداوله وعد السجاية بالروى * وصدوفينا غلة البلد المحل
وقدمت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من النعل
وربيع لجيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلى
فتأمل أيها الناظر الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف
هام كل واحد منهما في واد منه مع اتفاقهما في بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا
فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذي اتفقا فيه
فإن أبا تمام قال لهني على تلك الشواهد فيهما * لو أنرت حتى تكون شماتلا
وأما أبو الطيب فإنه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن في أعطافه منطق الفصل
فأني بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللظفية وهي المطابقة في قوله
صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام
فجمان شاء الله أن لا يطاعا * الا ارتدادا الطرف حتى يأفلا
وقال أبو الطيب

بداوله وعد السجاية بالروى * وصدوفينا غلة البلد المحل
فوافق في المعنى وزاد عليه بقوله * وصدوفينا غلة البلد المحل * لانه بين
قدر حاجتهم الى وجوده واتفعا هم بهيأته (وأما ما اختلفا فيه) فإن أبا
الطيب أشعر فيه من أبي تمام أيضا وذلك أن معناه أمتز من معناه ومبناه
أحكم من مبناه وربما ~~كبر~~ هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون
مع شبهة الزمان وقدمه لامع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وإن كان أشعر
عندي من أبي الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه في هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد
تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذي اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال
عز أول سيف الدولة المقتدى به * فأنك نصل والشدايد للنصل

وهذا البيت بفردة خير من يبقى أبي تمام اللذين هما
ان ترز في طرفي نهار واحد * رزأين هاجالوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
فإن قول أبي الطيب والشدايد للنصل أكرم اقفا ومعنى من قول أبي تمام
ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهد في سلبه * وتنصره بين الفوارس والرجل
وهذا أشرف من يتي أبي تمام اللذين هما
لاغروا ن فنتان من عيدياته * لقياحا مالا لبرية آكل
ان الاشياء اذا اصاب مشذب * منه اتهم مل ذراوات أسافلا
وهكذا قال أبو الطيب

ألت من القوم الذي من رماحهم * ندهم ومن قتلاهم مهجة البخل
تسليمهم عليا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
وهذان البيتان خير من يتي أبي تمام اللذين هما
شجعت خلا لآ أن يؤاسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الامواعظ قادهالك سمحة * اسبحاح ليلك سامعا وقادلا

(واعلم) أن التفضيل بين المعنيين المتتبعين أي سر خطبا من التفضيل بين المعنيين
المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المناضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك
بأن قالوا المناضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما في المعنى فان اعتبار
التأليف في نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعاني المندرجة تحتها فإلما يكن
بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه
واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والافضل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى
المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخلل فإنه ليس في الخلل حلاوة
حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فإنه لو كان ما ذهب اليه هؤلاء
من منع المناضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام وروديته وحسنه
وقبيحه وهذا محال وانما خفي عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذي تقع
المناضلة فيه سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين
ذلك فاقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بعزية من الحسن حتى تتصف الفاظه
ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو في هذين
الوصفين اللذين هما الاصل في المناضلة بين الالفاظ والمعاني على اتفاقهما
واختلافهما فحق وجداني أحد الكلامين دون الآخر أو كانا خاص به
من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت في كتاب الاخاني) لا في الفرج في تفضيل
الشعر أشياء تتضمن خطبا كثيرا وهو مروي عن علماء العربية لكن عذرهم

في ذلك فأت معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خاف معرفة النحو والاعراب (فما
وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدرك يوماً واحداً
من الجاهلية ما قدمت عليه أحد أو هذا تفضيل بالأعصار لا بالأشعار وفيه ما فيه
ولو أن أبا عمرو وعندي بالمكان العليّ أبسطت لساني في هذا الموضع (وسئل جرير)
عن نفسه وعن الفرزدق والاختل فقال أما الفرزدق ففي يده نعمة من الشعر
وهو قابض عليها وأما الاختل فأشدّتنا اجترأ وأرمانا للقرائن وأما أنا فدينونة
الشعر وهذا القول في التفضيل قول اقتماحي لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب
حالا يروى عن أبي عمرو بن العلاء (وسئل الاختل) عن أشعر الناس فقال الذي
إذا مدح رفع وإذا هجأ وضع فقليل فمن ذلك قال الأعشى قيل ثم من قال طرفة
وهذا قول فيه بعض التحقيق إذ ليس كل من رفع يده ووضع يده كان أشعر
الناس لأن المعاني الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضي)
عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب فقال أما أبو تمام فخطيب منبر وأما
البحتري فواصف جوذر وأما المتنبي فقاتل عسكر وهذا كلام حسن واقع في
موقعه فانه وصف كلامهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى عن بشار) أنه وصف
نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقليل له ولم ذلك فقال لاني نظمت اثني عشر
ألف قصيدة وما تخلو واحدة من بيت واحد جيد فيكون لي حينئذ ثلثا عشر
ألف بيت وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لا لاني بأقلا الذي يضرب
به المثل في العي لو نظم قصيد الماخلام من بيت واحد جيد ومن الذي ينظم قصيدة
واحدة من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الأولى ببشار أن قال لي
ثلثا عشر ألف قصيدة ليس واحدة من بيت واحد جيدها أكثر من رديتها وليس
في واحدة من بيت ما يسقط فانه لو قال ذلك وكان محققا لاستحق التقدم على الشعراء
ومع هذا فقد وصل إلى ما في أيدي الناس من شعره مقصدا ومقطعا فاجدته
بذلك الغاية التي ادعاهالكن وجدت جيده قليلا بالنسبة إلى رديته وتندرله الايات
اليسيرة (وبلغني) عن الأصمعي وأبي عبيد وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء
المحدثين قاطبة وهم عندي معذورون لانهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ولا على
معاني أبي الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحتري وهذا الموضع
لا يستفي فيه علماء العربية وانما يستفي فيه كاتب بلاغ أو شاعر مفلح فان أهل

كل علم أعلم به وكما لا يسأل الفقيه عن مسألة حسابية فكذلك لا يسأل الحاسب
عن مسألة فقهية وكما لا يسأل أيضا النحوي عن مسألة طيية فكذلك لا يسأل
الطبيب عن مسألة نحوية ولا يعلم كل علم الا صاحبه الذي قلب ظهره لبطنه
و بطنه لظهوره على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب الى الناس فاطية
وما من أحد الا ويحب أن يتكلم فيه حتى اني رأيت أجلاف العاقبة ممن لم يحط
بيده ورأيت أعتام الاجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة كلهم يخوض في فن
الكتابة والشعروا بآتون فيه بكل مضحكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولا لوم عليهم
فانه بلغنى عن ابن الاعرابي وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبي
تمام اللامية التي مطلعها * وعاذل عذاته في عذله * وقيل له هذه لغلان من شعراء
العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الحسرواني ثم استكتبها
فلما أنهاها قيل له هذه لا بي تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى
الورقة من يده وقال يا غلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابي مع علمه وفضله
لا يدري أى طرفيه أطول في هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى
أن يقف مع التقليد الشنيع الذي هذا غاية فما الذي يقول غيره وما الذي يتكلم
فيه سواء (والمذهب عندي في تفضيل الشعراء) أن الفرزدق وجريروا لا يخطئ
أشعر العرب أقولا وآخر ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء
الثلاثة علم ما أشرت اليه ولا ينبغي أن يوقف مع شعرا مري القيس وزهير
والنابغة والاعشى فان كلاما من أولئك أجاد في معنى اختص به حتى قيل في
وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا
شرب وأما الفرزدق وجريروا لا يخطئ فانهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني
المختلفة وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة الجعفي
وأبو الطيب المتنبي فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء أما أبو
تمام وأبو الطيب فربا المعاني وأما أبو عبادة فرب الالفاظ في ديباجته ما وسبكها
(وبلغنى) أن أبا عبادة الجعفي سأل ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجريروا أيهما
أشعر فقال جريروا أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه بجوكان قال شكلتك أمك
أوفي الحسبكم عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدق قال وبم ذلك قال لان
أهاجى جريروا كلها تدور على أربعة أشياء هي القين والزنا وضرب الرومي بالسيف

والنبي من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما الفرزدق فإنه يهجو جريرا
بأنحاء مختلفة ففي كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التي يرميه بها في القصيد
الآخر وأنا أستكذب راوى هذه الحكاية ولا أصدقها فإن البحترى عندي ألب
من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديته
وكيف يدعى على جرير أنه لم يهجو الفرزدق إلا بتلك المعاني الأربعة التي ذكره
وهو القاتل

لما وضعت على الفرزدق منسمى * وعلى البهيت جدعت أنف الاخطل
بجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة في بيت واحد (ولقد تأملت كتاب النقائض)
فوجدت جريرا رب تغزل ومدح وهجاء واقتخار وقد كسا كل معنى من هذه
المعاني ألفاظا لا ثقة به ويكفيه من ذلك قوله

وعاوعوى من غير شئ رميته * بقافية انغادها يطر الدما
وانى لقوال اكل غريبة * ورودا ذا السارى بلبل ترغا
تجروح بأفواه الرواة كأنها * شباهندوانى اذا هز صمصما
غرائب آلافا اذا حان وردها * أخذن طريقا لقصائد معلما
ولولم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه
الفرزدق ما ليس فيه شئ من تلك المعاني الأربعة التي أشار اليه
فمن ذلك قوله

وقد زعموا أن الفرزدق حبة * وما قتل الحيات من أحد قبلى
ألم تر أنى لا أتى لرميتى * فن أرم لا تخطى مقاتله تبلى
وأيتك لا تحمى عقلا ولم ترد * قتالا فلا قيت شر من القتل
وقوله أبانخ هديتى الفرزدق أنها * عبه تزد على حسيير منقل
انى انصيت من السماء عليكم * حتى اختطفتمك يا فرزدق من عل

وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * فأبشر بطول سلامة بامربع
ورأيت نبالك يا فرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع
ان الفرزدق قد تبين أوامره * حيث التقت خشاؤه والاخرع
وقوله أحارث خذ من شئت منا ومنهم * ودعنا نقس بحمد الله فضائله

لم يست صلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وجلاجله
 فلمت بذى عز ولاذى أرومة * وما تعط من ضميم فانك قابله
 لا يخفين عليك ان مجاشعا * لو ينفخون من الخوورة طاروا
 قديوسرون فلا يفك أسيرهم * وبقته لولون فتعلم الا نار
 بنى مالك ان الفرزدق لم يزل * يلقي الهازى من لدن أن يتقعا
 مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافى ذاعلوب موقعا
 الا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضناوهى فى أشداق ليث ضبارم
 مهلا فرزدق ان قومك فيهم * خور القلوب وخفة الاحلام
 الطاعنون على العمى بجميمهم * والنازلون بشر دار مقام
 اذا سمرت يوما نساء مجاشع * بدت سواة مما تجتج البراقع
 مباحشيم من عب الهيرى كأنما * تصوت فى أعفاجهن الضفادع
 رأيت مللا مثل الفرزدق قصرت * عن العلولا بأبى عن العلوبارع
 تعدل احسابا كراما حاتها * بأحسابكم انى الى الله راجع
 اذا قيل أى الناس شر قبيلة * وأعظم عارا قيل تلك مجاشع
 علق الاخيطل فى حبلى بعدما * عن الفرزدق لالعاللعاثر
 لقي الفرزدق ما لقيت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر
 واذا رجوا أن ينقضوا الى مرة * مرست قواى عليهم ومراترى
 ولجرب مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة
 لاستقصيتها جميعها ولوسلمت الى البحرى ما زعم من أن جرب اليس له فى هجاء
 الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لا عترضت عليه بأنه قد أقتر لجرب بالفضيلة
 وذلك أن الشاعر الملقأ والكاتب البليغ هو الذى اذا أخذ معنى واحدا
 تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرب
 فانه أبرز من هجاء الفرزدق بالعين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء
 فمن ذلك قوله

ألهى أبالعن المكارم والعلا * الى الكنائف وارتفاع المرجل
 وجد الكنيف ذخيرة فى قبره * والكاتبين جمع والمنشار
 يبكى صدها اذا تصدع مرجل * أو أن تفلق برمة أعشار

قال الفرزدق رقي أكارنا * قالت وكيف ترقع الأكار
 وقوله إذا أبأونا وأبوك جدوا * بأن المفرقات من الغراب
 فأورثك العلاء وأورثوني * رباط الخيل أفنية القباب
 وسيف أبي الفرزدق فأعلموه * قدوم غير ثابتة النصاب
 (فاتنر) أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها جرير
 وأدارها على هجاء الفرزدق بالقبين فقال أولان أباه شغل عن المكارم بصناعة
 القيون ثم قال ثانيا أنه يبكي عليه ويندبه بعد الموت المرحل والبرمة الأعشار التي
 يصلحها ثم قال ثالثا أن أباك أورثك آلة القيون وأورثني أبي رباط الخيل وقد
 أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها ولا حاجة إلى التطويل
 بذلك ههنا وهذا القدر فيه كفاية وحيث انتهت بنا القول إلى ههنا فنرجع إلى
 النوع الذي نحن بصدده ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فاجاء منه
 قول النابغة

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقه * عصائب طيرتهم تدي بعصائب
 جوايح قد أيقن أن قبيلة * إذا ما التقي الجمع أن أول غالب
 وهذا المعنى قد توارده عليه الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من
 العبارات فقال أبو نواس

تمنى الطير غزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

وقال أبو تمام

وقد ظلت أعناق أعلامه ضحى * بعقبان طير في الدماء نواهل
 أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش إلا أنها لم تقا تل
 (وقد ذكر) في هذا المعنى غيره هؤلاء الأنهم جاؤا بشئ واحد لا تفاضل بينهم فيه
 إلا من جهة حسن السبك أو من جهة الإيجاز في اللفظ ولم أر أحدا غرب في هذا
 المعنى فذلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم ابن الوليد فقال
 أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها إليك تطير
 لو حاكمتك فطالبتك بدحليها * شهدت عليك ثعالب ونسور

(فهذا) من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى * وكذلك فعل
أبو الطيب المتنبي فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من
تقدمه إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصده فآغرب وأبدع وحاز
الاحسان بجملة وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره (فما جاء منه) قوله
تفدى أتم الطير عرا سلاحه * نسورا للملا أحداتها والقشاعم
وما نمرها خلق بغير محالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال
سحاب من العقبان ترجف تحتهما * سحاب إذا استسقت سقبتها صوارمه
وهذا معنى قد حوى طرفي الاغراب والايحباب وقال في موضع آخر
وذي لجب لاذ والجنح أمامه * بناج ولا الوحش المشار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعهم من بين ريش القشاعم
إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم
(وهذا) من اعجاز أبي الطيب المشهور ولولم يكن له من الاحسان في شعره
الاهذه الايات لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينظم بهذا النوع) ما توارده عليه
أبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصيدتهما مشهورتان
فأقول احدهما * أجذل ما يملك يسرى لا يبا * وأقول الاخرى
في الخلدان عزم الخليل طر حبالا * أما البحتري فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة
في آياته الرائبة التي آواها

أفاطم لو شهدت بيطن خبت * وقد لاقى الهزير أخاك بشرا
وهذه الايات من النظم العالي الذي لم يأت أحد بمثلهما وكل الشعراء لم نسج
قرائنهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها
بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحتري وأبي الطيب فيما أورداه من
المعاني في هذا المقصد المشار إليه فما جاء للبحتري من قصيدته

وما تنقسم الحساد الا اصالة * لديك وعز ما أرى يحيا مهابدا
وقد جربوا بالامس منك عزيمة * فصلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت اللث والذيت محذر * يحمدنا باللقاء ومخليا
إذا شاء غادى عانة أو وعدا على * عتائل سرب أو تقنص وبرا

شهدت لقد أنصفتني حين ينبري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أرضر غامين أصدق منكما * عرا كاذبا الهيا به الذم كس كذبا
هزبرامشي ينبغي هزبرا وأغلبا * من القوم يغشي باسل الوجه أغلبا
أذل بشعب ثم هالته صولة * رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فاجبهم لما لم يجبد فيك طمعا * وأقدم لما لم يجبد عنك مهربا
فلم يغنه أن كثر فحولك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منه كبا
جملت عليه السيف لأعزمك انتفى * ولا يدك ارتدت ولا حدة نيا
ومما جاء لأبي الطيب المتنبي في قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن أدخرت الصارم المصقولا
وردا إذا ورد البحيرة شاربيا * ورد القنرات زئيره والنبلا
متخضب بدم الفوارس لا بس * في غياله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الاظنتا * تحت الدجى نار القريق حولا
في وحدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتحلبلا
يطأ البرى مترقا من تبهه * فكأنه آس يحبس علبلا
ويرد غفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكلبلا
قصرت مخافته الخطاف كائنا * ركب الكمي جواده مشكولا
ألقي فريسته وزجج ردونها * وقربت قربا خاله تطفلا
قتشابه القربان في اقدامه * وتحالفاني بذلك الماء كولا
أسديري عضويه فيك كليمما * متنا أزل وساءد ما فتولا
ما زال يجتمع نفسه في زورة * حتى حسبت العرض منه الطولا
وكأنما غرت عين فادني * لا يبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنية تارك * في عينه العدد الكثير قلبلا
والعار مضاض وايس بخائف * من حقه من خاف مما قبللا
خذلته قوته وقد كاخته * فاستنصر التسليم والتجديلا
سمع ابن عمته به وبجباله * فضى بهرول أمس منك مهولا
وأمر مما نثر منه فراره * وكقوله أن لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خلبلا

قوله أمعفر الليث الهزبر في خلال الايات المذكورة آيات أخر كثيرة اه

(وسأحكم) بين هاتين القصصتين والذي يشهد به الحق وتثقيبه العصية
أذكره وهوان معاني أبي الطيب أكثر عددا وأسد مقصدا ألا ترى أن البحترى
قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله
عليه أخرى ولم يأت بشئ سوى ذلك وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد
وهو قوله أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن أذخرت الصارم المصقولا
ثم إنه تنبى في ذكر الأسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله في انفراده
في جنسه وفي هيئة مشبه واختياله ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبهه الممدوح
به في الشجاعة وفضله عليه بالسخط ثم إنه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحية
التي بعثت الأسد على قتل نفسه ببقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج
وأبرزه في أشرف معنى وإذا تأمل العارف بهذه الصناعة آيات الرجلين عرف
بديهة النظر ما أثرت إليه والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ
وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الفوص على المعاني وما يدل على ذلك
أنه لم يعرض لما ذكره في آياته الرائبة لعمله أن بشر أقدام ملك رقاب تلك المعاني
واستحوذ عاينها ولم يترك غيره شيأ بقوله فيها ولفطانة أبي الطيب لم يقع فيما وقع فيه
البحترى من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر
كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرا فحفاء فيما أورد مبرزاً
(واعلم) أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنين
منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبي ههنا
على وصف الأسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه
هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك فان بعد الممدوح
يظهر ما في السوابق من الجواهر وعند يمين ربح الرابع وخسر الخامس فإذا
شدت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مرأى النساء
التي مفتتح احدهما يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أكرم العرب
وهي لأبي الطيب ومفتتح الاخرى

غروب دمع من الاجفان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل
وهي للبحترى فان أبا الطيب انفر دبا بتداع ما أتى به في معاني قصيدته والبحترى أتى
بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن

(الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الفائر مسلماً كما في غرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثاء بأمرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهذا الموضع لم يأت فيه أحديهما يثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده وأما غيره من مطلق الشعراء قديماً وحديثاً فانهم قصرُوا عنه وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتتحها

نعتا المشرفية والعوالي • وتقتلنا المانون بلا قتال

وكفي بهم ما شاهدت على ما ذكرته من انفرادهم بالابداع فيما أتى به والفتيا عندي بينه وبين البحتري أن أبا الطيب أنه في المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البحتري فانه أعرف بصوغ الالفاظ وحول ديباجتها وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتساقه ما في المعنى أبين من الحكم بينهما في اختلافه لانه ما مع الاتفاق في المعنى يقين قولاهما وبظهوران ظهر ورايعلم بديهة التفار ويتسارع اليه فهم من ليس بشاقب الفهم وأما اختلافه ما في المعنى فانه يحتاج في الحكم بينهما ما فيه الى كلام طويل يعزفه به ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له إلا الذواحد من الناس ولى في هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاماً طويلاً مريضاً وأقت الدليل على ما نصحت عليه وما منعني من ايرادها في كتابي هذا إلا أنها اسنحت لي بعد تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الاسلوب فوارد البحتري والشريف الرضي على ذكر الذئب في قصيدة للبحتري دالية أولها • سلام عليكم لا وفاء ولا عهد • ومقطوعة للشريف الرضي أولها

وعارى الشوى والمنكبين من الطوى • أتيح له بالليل عارى الاشاجع وقد أجاد البحتري في وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد في وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تفتضى أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة (فالاول) كقول أبي تمام فنى لا يرى أن الفريضة مقتل • ولكن يرى أن العيوب مقاتل وقول أبي الطيب المتنبي

يرى أن ما ما بان منك لضارب • بأقتل مما بان منك لعاثب

فهو وان لم يشقوا المعنى فقد شوه الصورة ومثاله في ذلك كى أودع الوشى شـمـلا
وأعطى الورد جعلا وهذا من أرذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبد
السلام بن رعبان

نحن نعزيك ومنك الهدى • مستخرج والصبر مستقبل
نقول بالعقل وأنت الذى • نأوى اليه وبه نعقل
إذا عفا عنك وأودى بنا الدهر فذاك المحسن المحمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال

ان يكن صبردى الرزية قضا • تكن الافضل الاعز الاجـلا
أنت يافوق أن تعزى عن الاحـث باب فوق الذى يعزىك عقـلا
وبالفاظك اهتدى فاذا عزالك قال الذى له قات قبـلا
والبيت الاخير من هذه الايات هو الآخر قد راوه والخصوص بالمسخ (وأما قلب
الصورة القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتم ذيبا
(فمن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لو كان ما تعطيه من قبل أن • تعطيه لم يعرفوا التامـيلا

وقول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودلى شـمـا أو مله • تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس فى أرجوزة يصف فيها اللعب بالـمـكـرة
والصولجان فقال من جعلتها

جن على جن وان كانوا بشر • كأنما خيطوا عليها بالابر

ثم جاء المتنبي فقال

فكانها تجت قيا ما تحتم • وكانهم ولدوا على صهواتها
وبين القوا بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة
محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما فى قول أبي نواس من النزول
والضعف فكذلك فى قول أبي الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال
أن قول الشماخ

إذا بلغتني وحلت رحلى • عرابية فاسرلى يدم الوتين

وقول أبي نواس

واذا الملقى بنا بلفظ محمدا * فظهر ورهق على الرجال حرام
من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وايس كذلك
فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى
عبارتين احدهما قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح انما يرجع الى التعبير
لا الى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك فيما
مضى من ضروب السرقات ألا ترى الى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف
الرضي فقال أبو الطيب

اني على شغفي بما في خمرها * لا عفا عما في سراويلها

وقول الشريف الرضي

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح وهذه السرقات وهي ستة عشر
نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء واذا أنصف الناظر في الذي أتيت به ههنا علم ان قد
ذكرت ما لم يذكره غيره وأنا أسأل الله التوفيق لان أكون افضل شكورا وأن
لا أكون مختالا نفورا (واذا فرغت من تصنيف هذا الكتاب) وحررت القول
في تنصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهم اوحقائقهم ما
فينبغي أن أختمه بذكر فضليه ما فأقول (اعلم) أن هذا الفن هو أشرف الفضائل
وأعلاها درجة ولولا ذلك لما خبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف
فقال تارة أنا أفصح من نطق بالاضاد وقال تارة أعطيت خصالا يعطون أحد قبلي
كان كل نبي يبعث في قومه وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم وجعلت
لي الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأوتيت جوامع
الحكم وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخري بشيء من العلوم سوى علم
الفصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفصح الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب
ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالاضاد وأيضا فلم تكن هذه الفضيلة من
أعلى الفضائل درجة لما اتصل الامحازيم اذون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل
عليها ولم ينزل بهج من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل
الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهم هذه المكانة صارت
في الدرجة العالية والمنشور منها أنرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الامحاز

لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمنثور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد
 المهيدون منهم أكثر من المهيدون من الكتاب بل لانسبة لهؤلاء إلى هؤلاء ولوشئت
 أن تخصي أرباب الكتابة من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدته منهم
 من يستحق اسم الكاتب عشرة وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدته منهم
 عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر
 مقلق وهذا لا نجد في الكتاب بل ربما ندر الفرد الواحد في الزمن الطويل وليس
 ذلك إلا لوعورة المسلك من الترويع منه والكتاب هو أحد دعاة الدولة
 فإن كل دولة لا تقوم إلا على دعامين من السيف والقالم وربما لا يفتقر الملك في
 السكك إلى السيف الأمرة أو مرتين وأما القلم فإنه يفتقر إليه على الأيام وكثيرا
 ما يستغنى به عن السيف وإذا سئل عن الملوك الذين غيرت أيامهم لا يوجد منهم من
 حسن اسمه من بعده إلا من حظى بكتاب خطب عنه ونظم أمر دولته وجعل
 ذكرها خالدا ابتداء لقله الناس رغبة في فصل خطابه واستقصاها لبداعة كلامه فيكون
 خلود ذكرها في خفارة مادونه قلبه ورقته أساطير به وليس الكتاب بكتاب حتى
 يضطر عدو الدولة أن يروي أخبار مناقبها في غلله ويصبح لسانه حامدا لمساها
 وبقائه ما به من غلله ولقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى حيث قال
 سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وإن كان طوعا لي ولست يجاهد
 فإن أنا لم يحمد لنعني ما غرا * عدوك فاعلم أنني غير حامد
 وهذا الذي ذكرته حق وصدق لا ينكره إلا جاهل به وأنا سأل الله أن يادة من فضله
 وإن لم أكن أهلا له فإنه هو من أهله (ووقفت على كلام لابي اسحق الصابي)
 في الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال إن طريق الاحسان
 في منشور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومه لأن الترسل هو
 ما وضع معناه وأعطاه اسماء في أول وهله ما تضمنته ألفاظه وأنشأ الشعر ما غرض
 فلم يعطك غرضه إلا بعد مما طلة منه ثم قال به ذلك ولست أرى أن يبال في قول من
 أية جهة صار الاحسن في معنى الشعر الغموض وفي معاني الترسل الوضوح
 فالجواب أن الشعر يبنى على حدود مقتررة وأوزان مقدرة وفصلت آياته فكان كل
 بيت منها قائما بذاته وغير محتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمين وهو حبيب
 فلما كان النفس لا يعتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضة وضربه وكلاهما

قابل احتيج الى أن يكون الفصل في المعنى فاعتمد أن ياطف ويدق والترسل مبنى
 على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا يتفصل الا فصولا طوالا
 وهو موضوع وضع ما به هذا ويمر به على أسمع شتى من خاصة ورعية وذوى
 افهام ذكية وأفهام غبية فاذا كان متسلسلا ساغ فيها وقرب لجميع ما يستحب
 في الاول يكره في الثاني حتى ان التضمن عيب في الشعر وهو فضيلة في الترسل
 ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء انما أغراضهم التي
 يرتعون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاطوار والتشبيب
 بالنساء والمطلب والاجتهاد والمديح والهجاء وأما المترسلون فانهما يترسلون في
 أمر سداد تغرر وملاح فساد أو تعريض على جهاد أو احتجاج على قلة أو
 مجادلة مستقلة أو دعاء الى الفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية
 أو ما شاكل ذلك هذا ما انتهى اليه كلام أبي اسحق في الفرق بين الترسل والشعر
 ولقد هبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف
 بمدرو عنه مثل هذا القول الناكب من الصواب الذي هو في باب ونصى النظر في
 باب اللهم غفرا وما ذكر ما عني في ذلك لا ارادة للطنع عليه بل تحقيقا لمحل
 النزاع فأقول أما قوله ان الترسل هو ما وضع معناه والشعر ما غمض معناه فان
 هذه دعوى لا مستند لها بل الاحسن في الامرين معانها هو الوضوح والبيان
 على ان اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل
 صواب القول في هذا أن يقال كل كلام من منشور ومنظوم فينبغي أن تكون
 مفردات ألفاظه مفهومة لانها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن اذا
 صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال في فهم معانيها في المركب منها
 ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه الا الخاصة وتفاوت درجات فهمه
 ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من
 خاص وعام ومع هذا فانه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما يفهم من غير فهمه
 والالفاظ المفردة ينبغي أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظاما أو نثرا واذا
 تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم في كتابي هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من
 مواضعها وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح
 الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم

كان مع ذلك غامضا وحب أن الكلام المنشور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك
واضحاً ثم لو سلمت اليه هذا فماذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فترة منه
بمنزلة بيت من شعر وأما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب أن الشاعر من شأنه
وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار والتشبيب بالنساء والطلب
والاجتماع والمدح والمهجاء وأن الكاتب من شأنه الأفاضة في سداد ثغراً أو
اصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فتنة أو مجادلة لملة أو دعاء
إلى الفة أو نهى عن فرقة أو تمثية بعبية أو تعزية برزية فان هذا نصكم محض
لا يستند إلى شبهة فضلا عن بينة وأي فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام
فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن إلى الأهواء والأوطار فكذلك يكتب
الكاتب في الاشتياق إلى الأوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن إلى
الأهواء والأوطار وله هذا كانت الكتب الأخرى من منزلة الغزل والنسيب من
الشعر وكما يكتب الكاتب في اصلاح فساد أو سداد ثغراً أو دعاء إلى الفة أو نهى
عن فرقة أو تمثية أو تعزية فكذلك الشاعر فان شذعن الصابي قصائد الشعراء
في أمثال هذه الممانى فكيف خفي عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن
طروق على قومه التي مطلعها * لو أن دهرار ترجع جوابي * أم كيف أخل بالانظر
في ديوان أبي الطيب المتنبي وهو في زمن واحد قد تأمل قصيدته في الاصلاح بين
كافور الاخشيدي وبين مولا الذي مطلعها * حسم الصلح ما شتمته الاعادي
وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيدة أبي عبادة البصري في غزو البحر التي مطلعها
ألم ترتفع أمس الربيع المبكر * ولو أخذت في تعدد قصائد الشعراء في الأغراض
التي أشار إليها وخص بها الكاتب لا طلت وذكر الكثير الذي يحتاج إلى أوراق
كبيرة وكل هذه الفروق التي نص عليها وعددها ليست بشيء ولا فرق بين الكتابة
والشعر فيها (والذي عندي في الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه الأول) من جهة
نظم أحدهما ونثر الآخر وهذا فرق ظاهر (الثاني) أن من الانفاظ ما يعاب
استعماله نثراً ولا يعاب نظمها وذلك شيء استخرجته ونهت عليه في القسم الأول
المختص باللفظة المفردة في المقالة الأولى من هذا الكتاب وأعيدتها منه شيئاً
فأقول قد ورد في شعر أبي تمام قوله

هي العرمس الوجناء وابن ملة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد في شعر أبي الطيب المتنبي كقوله

ومهمه جيبته على قدمي * تهجز عنه العرامس الذال

فلقطة المهمة والعرامس لا يعاب استعمالها في الشعر ولو استعمالها في كتاب أو خطبة كان استعمالها معيبا وكذلك ما يشاكلها ما ويناسبها من الالفاظ وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بمحددات فصله من غيره من الالفاظ فلم يؤخذ من المقالة الاولي ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره واحتاج الى الاطالة بأن ينظم مائتي بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه بل يجيد في جزء قليل والكثير من ذلك ردى غير مرضى والسكانب لا يؤتى من ذلك بل يطيل في الكتاب الواحد اطالة واسعة تباع عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلثمائة سطر أو أربع مائة أو خمسمائة وهو مجيد في ذلك كله وهذا النزاع فيه لا تشارأيناه وسمناه وقلناه (وعلى هذا) فاني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار اليها فاق شاعرهم يذكر كتابا مصنفنا من أقوله الى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو مستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاءهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

• (قال منبهي تصحيح دار الطباعة • بحل الله بالكمال طباعه) •

لله المثل الاعلى ولنبيه من التحية الاغلى وآله الذين انتهى اليهم الكمال وصحابته الذين بلغوا غاية الجلال وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الباهر الذي هو في حقه المثل السائر محلى بحولية البيان والمعاني مشيد بجواهر التركيب والمباني اذا امتحنت محاسنه أتته • غرائب جمعة من كل باب بالمطبعة العامرة التي يولاق مصر القاهرة ذات الشهرة العالية والمناقب الزاهية البالغة كمال الشرف بنسبتها للدائرة السنية لازالت محاسنها جارية

في ظل صاحب السعادة الأكرم الخديو الأعظم سامي حتى الامصار مفيض
العدل في الاقطار محي رفات المسكارم تانزلوا العلوم فوق المعالم عزيز مصر
ووحيد العصر سعادة أمة ديننا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم
ابن محمد علي حفظ الله سبحانه دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلد جده
وسرس أثبته باله الكرام وجعلهم غرة في جبين الايام ملحوظة دار الطباعة
المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجهد والاجتهاد في تدبير نضارتها من
لاتزال عليه اخلاقه باللاطف تثني حضرة حسين بك حسني والملتزم له هذا
الطبع الطريف والوضع اللطيف من بطبعه أحيا الدارس من كتب الاوائل
وكساها حلة اتقان مالهام مائل ففازت ببهجة التكميل حتى وصلت اليها يد
الغنى والفقر المتكلى بالعلوم والمعارف حضرة محمد باثنا عارف أفاض الله
عليه سبحانه التمام ومنحه غيوث الاماني ثم ان التصحيح بعد التنقيح كان
بعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغت عليه النعم أتم أسباغ فجاء
بحمد الله على أتم نظام يفوق بحسنه بدور التمام واذ بلغ بدره الكمال أنشأ
مؤرخه لسان الحال

راق الشراب ورق نغمه الاسل • وطاب أنسى وعن لاسي لم أسل
وبت أجنى طلا بدر عيسى به • غصن علي كتب يهتز عن كسل
في روضة رقعت فيها الفصون وقد • غنى الهزار وطابت نشوة المثل
غناء قد وردت فيها الطبباء علي • نهر اللجين فصاغت معدن العسل
ورصفت من عقيق خاتمها وضعت • بالترجس الورد عن جان من الخول
ان شمتها همت من عقد علي رقة • من سحرها أوجب يد صبغ من خضل
كان غمها همت عينناك أسطر ذي • كنز ذخائره من صائب الجمل
سفر به رائد السحر الحلال علي • لب المشوق أقي بالنقش والحصل
حوى من القول ما ساحت مناهله • وجل معنى وعن عيب الملال خلى
وحاز من رقة الطبع البهي سنا • منه ترى أنجم الزهراء في خجل
واذ تناهى جميل الطبع أرخ لي • بدر الكمال زها في دارة المثل

٤٠ ٢٠٦ ١٢٢ ١٣ ٩٠ ٢١٠ ٢٠١

• (فهرسة المثل السائر) •

صفحة	
٤	الفصل الاول في موضوع علم البيان
٤	الفصل الثاني في آلات علم البيان وأدواته
٢٠	الفصل الثالث في الحكم على المعاني
٢٦	الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني
٣١	الفصل الخامس في جوامع الكلام
٣٣	الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن
٣٦	الفصل السابع في الحقيقة والجهاز
٤٠	الفصل الثامن في فصاحة والبلاغة
٤٤	الفصل التاسع في أركان الكتابة
٤٦	الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة
٨٦	(المقالة الاولى في الصناعة اللفظية)
٨٦	القسم الاول في اللفظة المفردة
١١٤	القسم الثاني في الالفاظ المركبة
١١٤	النوع الاول المسبب
١٥٣	النوع الثاني في التجنيس
١٦١	النوع الثالث في الترصيع
١٦٣	النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم
١٦٩	النوع الخامس في الموازنة
١٧٠	النوع السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها
١٧٧	النوع السابع في المعانلة اللفظية
١٨٣	النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبك
١٨٦	(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)
٢١٤	النوع الاول في الاستعارة
٢٣٢	النوع الثاني في التشبيه
٢٥٠	النوع الثالث في التجريد

- ٢٥٤ النوع الرابع في الالتفات
 ٢٦٣ النوع الخامس في توكيد الضميرين
 ٢٦٧ النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
 ٢٦٨ النوع السابع في التفسير بعد الابهام
 ٢٧٢ النوع الثامن في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات
 ٢٧٥ النوع التاسع في التقديم والتأخير
 ٢٨٣ النوع العاشر في الحروف العاطفة والجملة
 ٢٨٦ النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق

بينهما

- ٢٩٠ النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى
 ٢٩٣ النوع الثالث عشر في عكس الظاهر
 ٢٩٤ النوع الرابع عشر في الاستدراج
 ٢٩٧ النوع الخامس عشر في الايجاز
 ٣٣١ النوع السادس عشر في الاطناب
 ٣٥٤ النوع السابع عشر في التكرير
 ٣٧٢ النوع الثامن عشر في الاعتراض
 ٣٧٦ النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض
 ٣٩٢ النوع العشرون في المغالطات المعنوية
 ٣٩٧ النوع الحادي والعشرون في الاحاجي
 ٤٠٣ النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات
 ٤١٧ النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتضاب
 ٤٢٩ النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني
 ٤٤٧ النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط
 ٤٥٥ النوع السادس والعشرون في الاشتقاق
 ٤٥٧ النوع السابع والعشرون في التضمن
 ٤٦٠ النوع الثامن والعشرون في الارصاد

صفحة

٤٦٥ النوع التاسع والعشرون في التوشيح

٤٦٦ النوع الثلاثون في السرقات الشعرية

To: www.al-mostafa.com